المغيرة بن شعبة

تأليف

عبد الباقى قرنه الجزائري

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: المغيرة بن شبعة

المؤلف: عبد الباقي الجزائري

الناشر:

المطبعة:

الطبعة: الأولى / ١٤٣٠ـ ٢٠١٠ م

عدد النسخ:

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين؛

اللهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النّفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدّعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدّنيا والآخرة، يا أرحم الراحمين.

كلمة العلامة المحقق والمدقق الشيخ اليوسفي الغروي ـ حفظه الله تعالى ـ

باسمه تعالى

أخي عبد الباقي الجزائري جزاك الله عن دينه ونبيّه خيراً كثيراً، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.وبعد؛

فقد أعددت فيما بين يديّ أربعمائة وأربعين صحيفة ، تصفّحت فيها ما جاء من الأنباء بشأن ابن شعبة الثقفي، ثاقباً ناقباً، بخلاف ما قد يتوقّعه المتوقّعون على مُتبنَّيات مدرسة الخلافة الرسمية ممّا أسموه بقاعدة (عدالة الصحابة) متوسّعين في معنى الصحابي إلى أوسع معانيه اللغوية، بلا أي قيد أو شرط!

والأربعون صفحة من أوائل هذه الأربعمئة والأربعين ، قدّمتَها أمام هذا الكتاب المستطاب كطائفة من البحث المقدمي التمهيديّ لإزالة مثل هذه العثرة ، بل العقبة الكئود دون تحرّي حقائق الأمور، عسى ولعلّه يزيل تلك العقبة عن طريق القارئ الفاحص الدقيق فيتخلّى عن ذلك الموروث التقليدي العتيق، ليصل بالتحقيق إلى الحقائق والصواب في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأنا في تسجيلي هذه الكلمات هنا لا أحاول أن أسجل على القارئ المتحقق شيئا قبل أن يجده بنفسه، وإنّما قيّدت بها ما شعرته في قرارة نفسي من تصفّحي وسيري في مجهودك هذا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك اليوسفي الغروي

١/١١/ ١٤٣٠هـ . ق

بلطفه تعالى، أخي عبد الباقي الجزائري جزاك الله عن دينه ونبيه خيراً كثيراً، والسلام عليك ورحمة وبركاته.

وبعد، فقد أعددت فيما بين يدي أربعمئة وأربعين صحيفة، تصفحت فيها ما جاء من الأنباء بشأن ابن شعبة الثقفي، تائباً نائباً، على خلاف ما قد يتوقعه المتقوقعون على متبنيات مدرسة الخلافة الرسمية مما أسموه بقاعدة «عدالة الصحابة» متوسعين في معنى «الصحابي» الى أوسع معانيه اللغوية، بلا أي قيد أو شرط!

والأربعون صفحة من أوائل هذه الأربعمئة والأربعين صفحة، قدمتها أمام هذا الكتاب المستطاب كطائفة من البحث المقدمي التمهيدي لإزالة مثل هذه العثرة بل العقبة الكؤود دون تحري حقائق الأمور، عسى ولعله يزيل عن تلك العقبة عن طريق القارئ الباحث الفاحص الدقيق، ~~ليصل الى الحقائق والصواب من هذا الكتاب،~~ فيتخلى عن ذلك الموروث التقليدي العتيق، ليصل بالتحقيق الى الحقائق والصواب في هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

وأنا في تسجيلي هذه الكلمات هنا لا ~~أريد~~ أحاول أن أحجّل على القارئ المحقق شيئاً قبل أن يجده بنفسه فيه، وإنما قيدت بها ما شعرته من قرارة نفسي من تصفحي وسيري في مجهودك هذا، والسلام عليك ورحمة الله - أخوك اليوسفي الغروي ق

١٤٣٠/١/١١ هـ

كلمة العلامة المحقق والمدقق السيد علي الحسيني الميلاني ـ حفظه الله تعالى ـ

بسمه تعالى

السّلام عليكم

لقد أطلعت على هذا الكتاب في الجملة، وهو ـ إنصافاً ـ كتاب تحقيقيّ مفيد، قد بذل مؤلفه المحترم جهداً كبيرا فيه، واستخرج مطالب قيّمةً من المصادر والمراجع المهمّة.

طباعة ونشر هذا الكتاب في نظري أمر سوف يحظى بالشكر و التقدير من طرف أهل التّحقيق والبحث العلميّ.

السيد علي الحسيني الميلاني

٢٣/ ١٢/ ١٣٨٧هـ ش

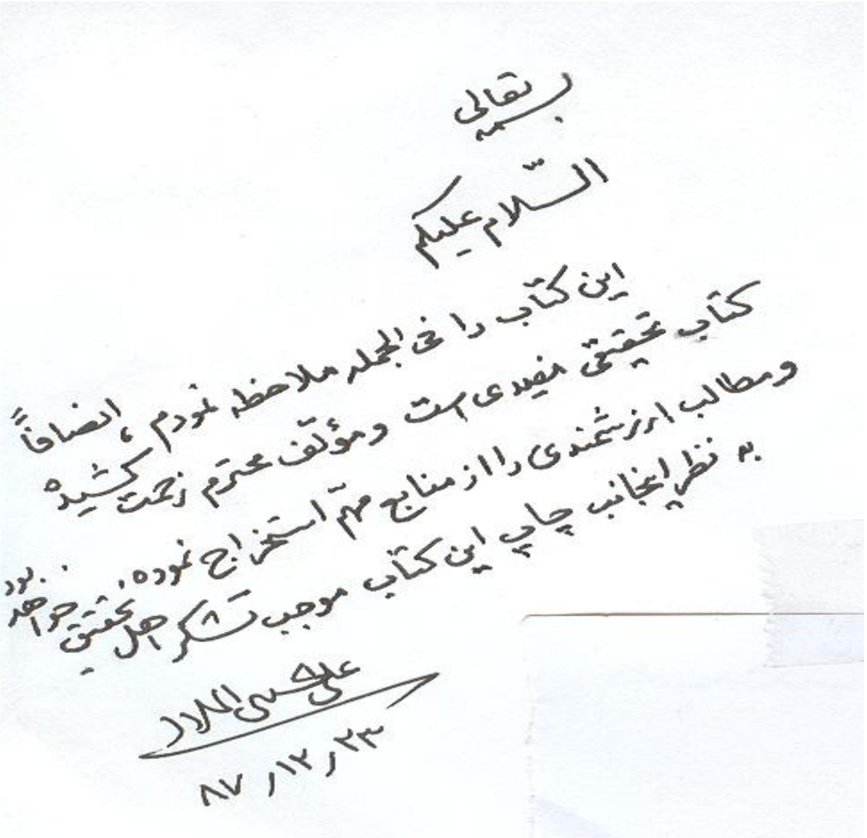

بسمه تعالی

السلام علیکم

این کتاب را فی الجمله ملاحظه نمودم، اضافاً

کتاب تحقیقی مفیدی است ومؤلف محترم زحمت کشیده

ومطالب ارزشمندی را از منابع مهم استخراج نموده،

به نظر اینجانب چاپ این کتاب موجب تشکر اهل تحقیق خواهد بود.

[illegible]

٢٣ / ١٢ / ٨٧

كلمة العلامة المحقق والمدقق الشيخ عليّ الكَورانيّ العاملي ـ حفظه الله تعالى ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وبعد؛ فإنّ الأخ العالم الفاضل الشيخ عبد الباقي الجزائري من عيون الطلبة المغاربيين الذين درسوا في حوزة قم المشرّفة وتخرّجوا منها.

وقد تميّز بصفات جعلته من الباحثين المؤلّفين والحمد لله، ومنها الدّأب والمثابرة على طلب العلم، وبذل الجهد في البحث والتتبّع خاصّة في علم التفسير والحديث والتاريخ والعقائد ، وقد ألّف عدّة كتب مفيدة.

وفقه الله وكثّر من أمثاله، وجعله من خيار خدمة الإسلام، ورسوله وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم.

علي الكَوراني العاملي

١٢/ ربيع المولد / ١٤٣٠هـ . ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وبعد ، فإن الأخ العالم الفاضل الشيخ عبد الباقي الجزائري من عيون الطلبة المغاربيين الذين درسوا في حوزة قم المشرفة وتخرجوا منها .

وقد تميز بصفات جعلته من الباحثين المؤلفين والحمد لله ، ومنها الدأب والمثابرة على طلب العلم ، وبذل الجهد في البحث والتتبع خاصة في علم التفسير والحديث والتاريخ والعقائد ، وقد ألف عدة كتب مفيدة .

وفقه الله وكثر من أمثاله ، وجعله من خيار خدمة الإسلام ، ورسوله وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم .

علي الكوراني العاملي

١٢ ربيع المولد
١٤٣٠

مقدمة المؤلف

في البداية، أودّ أن أشير إلى بعض ما يتعلّق بتراثنا الفكريّ: كيف دُوّن؟ وما هي القنوات التي وصل إلينا عبرها؟ علّنا نوفّق للتّمييز بين الصّحيح والسّقيم. وفي تصوّري أنّ معرفة الحقّ لا تتأتّى إلاّ بمعرفة الطّريق الصّحيح الموصل إليه، وهذا الطّريق وإن كان مبيّنا -عندنا نحن المسلمين- في القرآن الكريم، بصفاته وخصائصه، إلاّ أنّ تشخيصه من بين السّبل الأخرى ليس بتلك السّهولة؛ وخير شاهد على ذلك ما عليه أتباع الأديان من التمسّك بما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم، فإنّ كلّ واحد منهم يحسب أنّه على الحقّ، ويدافع عن معتقده بكلّ ما أوتي من قوّة، ويجتهد لغرس ذلك وترسيخه في أذهان أولاده وأحفاده، ليضمن استمرار ما يعتقد أنّه الحقّ. وهذا نفسه موجود عندنا في مذاهبنا المتوارثة.

هل يكفي القطع بشيء كيما يكون حقّاً أو يوصف بأنّه الحقّ؟ وهل يمكن أن يكون الإنسان لا مع الحقّ ولا مع غير الحقّ؟

محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة لا تقلّ أهمّية عن تعريف المصطلحات والخوض في الإيتيمولوجيا وأخواتها، هذا إذا كان الباحث يربط بين معرفة الحقّ واتّباع الحقّ، فإنّ معرفة الحقّ وحدها غير موجبة لاتّباعه إذا لم يكن هناك صوتٌ للضمير، يواكب البحث مرحلةً مرحلةً، ومحطّةً محطّةً، وهذا ثابتٌ في القرآن الكريم، جليّ لمن أمعن النّظر في قول قائلهم كما حكى الذكر الحكيم: (إِنْ كَانَ

هذا هوَ الحقَّ مِنْ عندك فأمطرْ علينا حجارةً من السّماءِ أو ائتنَا بعذاب ألـيم)[١]. وكنـت قـد كتبت سابقاً فصلاً بخصوص معرفة الحقّ، وراجعته مراراً، فلم يسعني سـوى إقـرار مـا كتبت، باعتبار أنّني أستند فيه إلى مصاديق مأخوذة مـن القـرآن الكـريم تنطبـق علـى مفاهيمها انطباق الظلّ على شخصه؛ ولا زلت على موقفي ممّا كتبت طالمـا لـم يتبـيّن لي فيه موضع خلل. قلت فيما كتبت: " محبّة الحقّ مغروسةٌ في النّفوس، فلا تجد مـن يقول إنّه لا يحبّ الحقّ. وما قام الكون إلاّ بالحقّ ؛ لكـنّ الـدّنيا دار تـزاحم، والإنسـان يتعلّق ببعض ما زيّـن فيهـا، ولا يـزال يحبّـه ويتعلّـق بـه ويـزداد تعلّقـه بـه حتّـى يعميـه ويصمّه، فيغدو مستعدّاً للتّضحية بالقيم التـي يـؤمن بهـا مـن أجـل المحافظـة علـى مـا تعلّقت به نفسه. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيـات عديـدة، يُفهـم منهـا أنّ الإنسان المتنكّر للحقّ لا يتنكّـر لـه عـن جهالـة، وإنّمـا يفعـل ذلـك عـن علـم ويقـين، والدّافع إلـى ذلـك التنكّـر لا يعـدو أن يكـون تعلّقـاً بالمـال، أو المنصـب، أو السّـمعة وحبّ الرّياسة...قال الله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً فانظر كيـف كان عاقبة المفسدين)[٢]. وقال تعالى: (ودّ كثيـر مّـن أهـل الكتـاب لـو يـردّونكم مـن بعـد إيمانكم كفّارا حسدا من عند أنفسهم مّن بعد مـا تبـيّن لهـم الحـقّ فـاعفوا واصـفحوا حتّـى يأتي الله بأمره إنّ الله علـى كـلّ شـيء قـدير)[٣]. وقـال تعـالى: (ولا تلبسـوا الحـقّ بالباطـل وتكتمـوا الحـقّ وأنـتم تعلمـون)[٤]. و قـال تعـالى: (الّـذين آتينـاهم الكتـاب يعرفونـه كمـا

(١) (وَإِذ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الحَقَّ مِن عِندِكَ فَأَمطِر عَلَينَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائتِنَا بِعَذَاب أَلِيم) [الأنفال : ٣٢]

(٢) النمل: ١٤.

(٣) البقرة: ١٠٩.

(٤) البقرة: ٤٢.

يعرفون أبناءهم وإنّ فريقاً مّنهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون)[١].وقال تعالى: (يا أهلَ الكتابِ لمَ تلبسونَ الحقَّ بالباطلِ وتكتمونَ الحقَّ وأنتمْ تعلمون)[٢].

فالحق بيّن لمن يطلبه إذا صفت النّفس وحسنت السّريرة، لأنّ ذلك يؤدّي إلى تحقّق البصيرة، ومن تحقّقت بصيرته شاهد الأمور على ما هي عليه، وتمّ له ما يريد من انسجام بين نفسه ومعتقده. وليس الأمر كذلك إذا كان الهوى مستولياً على النّفس مستحكماً متمادياً، لأنّ قوى الإنسان الحسّيّة والمعنويّة تصبح ساعتها مسخّرةً لخدمة الهوى، و لا أضرّ على دين الإنسان من اتّباع الهوى، فإنّه لا يزال بصاحبه حتى يتّخذه إلهاً؛ شهد بذلك القرآن الكريم : (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً)[٣].

يقول الشيخ محمّد عبده في شرح نهج البلاغة: «إنّ ما يمكن أن يكون عليه الإنسان ينحصر في أمرين: الحقّ والباطل، ولا يخلو العالم منهما، ولكلّ من الأمرين أهل، فللحقّ أقوامٌ وللباطل أقوامٌ. ولئن أمر الباطل أي كثر بكثرة أعوانه فلقد كان منه قديماً لأنّ البصائر الزّائغة عن الحقيقة أكثر من الثّابتة عليها. ولئن كان الحقّ قليلاً بقلّة أنصاره فلربّما غلبت قلّته كثرة الباطل،ولعلّه يقهر الباطل ويمحقه»[٤].انتهى كلام الشّيخ.

ولا أنسى حديث شيخ كان يحدّثنا أيّام الشّباب وضرب لنا ـ يوماً أثناء حديثه ـ

(١) البقرة: ١٤٦.
(٢) آل عمران: ٧١.
(٣) الفرقان: ٤٣.
(٤) شرح نهج البلاغة، محمّد عبده، ج١ ص٤٨.

مثلاً للتّمييز بين الحقّ والباطل فقال: " انظروا إلى القطّ مثلاً، إذا أعطيتموه قطعة لحم أو شحم فإنّه سيأكلها أمامكم آمناً، ثمّ يبقى ينتظر المزيد إذا هو فرغ منها؛ أمّا إذا خطفها منكم فإنّه سيفرّ منكم ويذهب بها إلى مكان بعيد، ولا يبدأ الأكل إلاّ بعد أن يتأكّد أنّه أصبح آمناً من ملاحقتكم. هذا حيوانٌ يتصرّف بالغريزة، لم يذهب إلى المدرسة، ومع ذلك يعرف ما له وما عليه، ويميّز بين الأخذ المشروع وبين الخطف بالقوّة ! إذا كان هذا شأن القطّ فما ظنّكم بالإنسان"؟! وقد سهّل عليّ هذا المثال فهم كثير من الأمور، وإن كنت قد رأيت فيما بعد من يخطفون منك كما يخطف القطّ لكنّهم يبقون أمامك يأكلون ما خطفوه منك وهم يحدّقون فيك بكلّ وقاحة وصلافة. ولو قلت إنّ سلوك القطّ أقرب إلى الحضارة والتّمدّن من سلوكهم ما ظلمتهم شيئاً.

نعم، ما من شكّ أنّ النّفوس تعرف الحقّ بالفطرة، وبصفة خاصّة حينما يكون الإنسان مظلوماً. هناك يتجلّى له الحقّ كالشّمس في رابعة النّهار لا يحجبها شيءٌ، وتستوثق الصّلة بين الحقّ والعدل بحيث لا تقبل التّفكيك. أمّا حينما يكون الإنسان متعلّقاً بحظّ من حظوظ النّفس ويعترض طريقه شيءٌ ما فإنّ تعامل النّاس مع الحقّ يختلف، ولا يثبت عليه إلاّ من كان بينه وبين الحق سنخيّةٌ قديمةٌ لا تفي بوصفها العبارة.

في أيامنا، في عصر التطّور التّكنولوجيّ الواسع، لم يعد النّاس أحراراً في تشخيص مواطن الحقّ، وإنّما هناك تفصيلاتٌ مسبقةٌ للحقّ تُهيّأ في كواليس يجهلها كثير من النّاس، ويتمّ العمل بها كما لو كانت وحياً منزّلاً من السّماء لا يقبل النّقاش. وأضرب لذلك مثلاً ما جرى ويجري في فرنسا وبعض البلدان الغربية حيث النّاس

أحرارٌ يلبسون ما يشاءون ويأكلون ما يشاءون، إلى غير ذلك ممّا يدخل تحت العنوان العريض للحرّية؛ في هذه البلدان، حينما ترتدي المرأة المسلمة الحجاب الإسلاميّ تتحوّل إلى خطر على أمن المجتمع! هذا مع أنّ قانون البلد يضمن الحرّية؛ أين غابت الحريّة؟! أين ذهبت حقوق المواطن؟! نعم، من حقّ المرأة أن تلبس ما تشاء طالما لم تلبس شيئاً يشير إلى العفاف والطّهارة، لأنّ العفاف والطّهارة في بلد تسهر فيه البنات في النّوادي اللّيليّة إلى طلوع الفجر معدودٌ من مظاهر التخلّف. هناك إذاً مقدّماتٌ مطويّةٌ خلف الشّعارات. فالحقّ قد تحدّده الدّولة، كما قد يحدّده مجلس الأمن الدّولي. وأعظم من ذلك أن يحدّده موروثٌ ثقافيٌّ يعود إلى مئات السنين، لم يأخذ المشرفون عليه بعين الاعتبار الأجيال التي تليهم، والتي قد تخالفهم في كثير مما يتبنّون. وليس من الإنصاف حرمان الأجيال من حقّها في تبنّي المواقف أيّاً كان التبرير المقدّم، لأنّ الأجيال تتساوى في الحقوق، خاصّةً حينما تكون تنتمي إلى دين واحد ولغة واحدة. وبالمناسبة تحضرني في هذا المقام كلمةٌ منسوبةٌ إلى الإمام علي(ع) قال فيها: "لا تؤدّبوا أبناءكم بآدابكم فإنّهم خلقوا لزمان غير زمانكم". وبهذا الكلام وأمثاله يخرج الإمام علي(ع) من مجموعة الوصاية الفكريّة، داعياً إلى الحرّية الفكريّة الصّحيحة.

نعم، لا شكّ أنّ الإسلام احترم الإنسان، سواءٌ بلحاظ الفرد أم الأسرة أم القبيلة أم الأمّة؛ لكن، هل احترم المسلمون الإنسان؟ هل سمحوا للأجيال أن تتبنّى ما تريد وأن تخطّط لنفسها ما تريد ضمن دائرة الإسلام؟

إنّ الواقع يوقفنا على خلاف ذلك، ويقدّم لنا النّماذج التي تكشف عن تجاهل الإنسان وحقّه في الكرامة التي لا تستقيم الحياة إلاّ بها. فقد يتحمّل الإنسان الجوع

والفقر، وقد يتحمّل السّجن، وقد يتحمّل النّفي، لكنه لن يتحمّل العيش الـذّليل إلاّ إذا انسلخ من كرامته وصار أخا البهيمة لا يبالي بما وراء الأكل والشّرب والنّوم. ولـذلك حرص الإسلام على مسألة العزّة ولم يأذن للمسلم أن يخاطر بها (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)[١].

حُرمت أجيالٌ إسلاميّةٌ كثيرةٌ من معرفة الحقيقة، كما حرمت أجيالٌ كثيرةٌ من حريّة التّعبير واتّخاذ المواقف المنسجمة مع ضمائر أصحابها، ولم يحظ بالاحترام إلاّ من حكم. الحاكم في التّاريخ الإسلاميّ هو وحده الذي يبقى فوق كلّ اعتبار حتى لو رمى الكعبة بالمنجنيق وأحرق أستارها، واستباح مدينة النّبي (ص) وأعراض المؤمنين والمؤمنات، وسبح في بركة من الخمر، وقضى ليله بين الكأس والعود حتى مطلع الفجر. لابدّ من احترام هذا الحاكم لأنّه خدم الإسلام بطريقة أو بأخرى! ولا بدّ من احترام الحاكم لأنّ الفقيه قال ذلك، لكن أيّ فقيه؟!

قدم ناسٌ من الأندلس إلى الحجاز لأداء مناسك الحجّ، وتعرّفوا على مالك بن أنس الفقيه، فقال لهم هذا الأخير كلاماً مضمونه: " إنّ أميركم لا يظلم رعيّته" ! و عاد الحُجّاج بعد أداء مناسكهم، وسمع الملك الأمويّ كلامهم فأُعجب بمالك بن أنس، ومن يومها فرض مذهب مالك بن أنس نفسه في بلاد المغرب[٢] كأنّما نزل بذلك وحيٌ من السّماء. هكذا وبباسطة، أُعجب الفقيه بالأمير، وأُعجب الأمير بالفقيه، فنتج عن ذلك سيطرة مذهب الفقيه على تلك البلاد قروناً متطاولةً، ولا تزال السّيطرة ساريةً إلى اليوم. من ذا الذي يستطيع اليوم أن يناقش شرعيّة مذهب مالك في بلاد

---

(١) المنافقون: ٨

(٢) المغرب يومها كان يعني الأندلس وبلدان المغرب العربي في أيامنا.

المغرب؟ إنّها قضيّةٌ لا تقبل النّقاش، مع أنّ مالك بن أنس لم تطأ رجله أرض المغرب العربيّ لحظةً فما فوقها!

هذه القصّة من باب المثال على الوصاية الفكريّة التي مارسها أشخاصٌ وجماعاتٌ في حقّ الأجيال، والتي لا تزال من الملفّات المطويّة المستعصية. بل يكفي أن يتطرّق الباحث إليها ولو بشكل عابر ليُحكم عليه أنّه يعاني من انحراف فكريّ، لأنّ في الحديث عن الوصاية الفكرية مساساً بالدّين وتعرّضاً لمن نقلوا إلينا القرآن الكريم والسنّة الشّريفة! وهذا يعني أنّ الوصاية الفكريّة المفروضة تلبّست بالشّرعية ولا خوف ولا حزن عليها، وليهنأ مؤسّسُها ولينم قرير العين، رغم أنّ الذين نقلوا إلينا القرآن الكريم والسنّة الشريفة عبدوا الأصنام قبل ذلك عشرات السّنين!

ويبقى السؤال مطروحاً: من الذي سمح لأولئك أن يقرّروا باسم أجيال جاءت بعدهم؟ ولماذا سكت العلماء عن ذلك؟ هل هو الخوف من العوامّ؟ أم رعاية المصالح الشّخصيّة والمذهبيّة؟ أم أنّ طبيعة المسألة تفضّل استمرار الوصاية من أجل حفظ التّوازن بحيث لا يجوع الذّئب ولا يغضب الرّاعي؟! فإنّ التّناقضات والتضاربات الموجودة في تاريخنا نحن المسلمين لا تشير إلى احترام نبيّ الإسلام(ص)، لا في نفسه ولا في أهل بيته ولا حتّى في شريعته. فهذا مروان بن الحكم ملعونٌ على لسان النّبي(ص) ومع ذلك يصبح خليفةً، فيجلس مجلسه ويتصرّف باسمه! بينما علي بن أبي طالب (ع) الذي لا يضاهيه في خدمة الإسلام أحدٌ، والذي يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، أصبح يُلعن على أكثر من ثمانية عشر ألف منبر طيلة تسعين سنة!

منابر شيّدها بسيفه فإذا هي تلعنه! كيف تـمّ هـذا وأيـن كانـت عقـول المسـلمين؟ ولماذا لم يحظ عليّ بن أبي طالب(ع) بما حظي بـه غيـره مـن الصّـحابة مـن وجـوب الاحترام والإجلال والتّقديس؟!

لأجل هذا وأمثاله يتوجّب على المسلم الذي يؤمن بقول الله تعالى: (ولا يجـرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقـوى)[1] أن يتحـرّر مـن الأحكـام المسـبقة والموروثات الملقّنة بما يجعله في مستوى العامل بالآية الشريفة المخالفِ لهواه. وإنّـه لمن الصّعب أن يتحرّى الباحث الصّدق في دائرة سيطر عليهـا يومـاً مـن الأيّـام أنـاسٌ ينظّرون للباطل ويحوطونه جهد ما استطاعوا. وحتّى لا يكـون هـذا الكـلام فـي نفسـه حكماً مسبقاً، هذا مثالٌ أبسطه للقارئ الكريم وأترك الحكم لـه، وسـيرى الله عملكـم ورسوله والمؤمنون.

روى المغيرة بـن شـعبة الثقفـيّ أنّ رسـول الله(ص) قـال يومـاً لأبـي جهـل: يـا أبـا الحكم؛ هلمّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلـى الله؛ فقـال أبـو جهـل: يـا محمّـد، هـل أنت منته عن سبّ آلهتنا ؟ هل تريد إلاّ أن نشهد أنّك قد بلّغت؟ فـنحن نشـهد أن قـد بلّغـت؛ فـوالله لـو أنّـي أعلـم أنّ مـا تقـول حـقٌّ لاتّبعتـك. فانصـرف رسـول الله وأقبـل [أبو جهل] عليَّ فقال: والله إنّي لأعلم أنّ ما يقول حقٌّ، ولكن يمنعني شـيءٌ. إنّ بنـي قصيّ قالوا فينا الحجابة، فقلنا نعم، ثمّ قالوا فينا السّقاية، فقلنا نعم، ثمّ قالوا فينـا النّـدوة، فقلنا نعم، ثمّ قالوا فينا اللّواء، فقلنا نعم، ثمّ أطعموا وأطعمنا، حتّى إذا تحاكّت الرّكـب قالوا منّا نبيٌّ. و الله لا أفعل[2].

---

(١) المائدة: ٨

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣ ص٦٥.

يقول أبو جهل: و الله إنّي لأعلم أنّ ما يقول حقٌّ! فهو يعترف بأنّ ما يقوله النّبي(ص) حقٌّ. لكن هل ينقاد له ؟ إنّه يقول بعد ذلك : ولكن يمنعني شيءٌ! وفي آخر كلامه يقول: و الله لا أفعل.

فحينما تتحكّم الأحكام المسبقة في منهج التّفكير نفسه لا يتوقّع من البحث أن يأتي بنتيجة تخالف تلك الأحكام المسبقة، بل إنّه سيأتي بما يكرّس تلك الأحكام ويرسّخها؛ وليس معنى ذلك سلب القدرة عن الباحث بحيث يمشي في طريق مرسوم كالسكّة الحديديّة لا ينحرف عنه لا يميناً ولا شمالاً، وإنّما المقصود أنّ السّلامة من تأثير تلك الأحكام تحتاج إلى درجة عالية من الوعي المستمرّ طيلة البحث، ومحاكمة النّصوص إلى مبادئ ومعايير لا ينفرد بها الخطّ الذي ينتمي إليه الباحث، كما تحتاج إلى شيء من التقوى.

قال الذّهبي في ترجمة عبد الله بن خراش: "قال ابن عديّ: سمعت عبدان يقول قلت لابن خراش : حديث ما تركنا صدقة ؟ قال : باطلٌ، أتّهم مالك بن أوس بالكذب، ثمّ قال عبدان: وقد روى مراسيل وصلها، ومواقيف رفعها. قلت[1]: جهلة الرّافضة لم يدروا الحديث ولا السّيرة ولا كيف ثمّ، فأمّا أنت أيّها الحافظ البارع الذي شربت بولك إن صدقت في التّرحال، فما عذرك عند الله مع خبرتك بالأمور؟ فأنت زنديقٌ معاندٌ للحقّ، فلا رضي الله عنك. مات ابن خراش إلى غير رحمة الله سنة ثلاث وثمانين ومائتين"[2].

هذا رجلٌ قضى عمره في طلب الحديث، وعانى في ذلك حتى شرب بوله

(١) القائل هو الذهبي.

(٢) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج ٢ص ٦٨٥.

خمس مرّات، وهو ما يدلّ على الصّبر والتحمّل وتعظيم شأن الحديث، لكنّه خالف الخطّ الذي ينتمي إليه الذّهبي في مسألة ليس هو أوّل من خالفه فيها، فحكم عليه بالخروج من الإسلام، واتّهمه بالزّندقة، وزعم أنّه من أهل سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى فقال: "مات ابن خراش إلى غير رحمة الله"! لأنّ إدخال النّاس في الدّين وإخراجهم منه بيد الذّهبي ؛ فالمؤمن من شهد له الذّهبي بالإيمان، وغير المؤمن من نفى عنه الذّهبي الإيمان! والحال أنّ فاطمة بنت رسول الله(ص) سيّدة نساء أهل الجنّة تقول نفسَ ما يقوله ابن خراش، وهي في الجنّة قطعاً، لا ينكر ذلك إلاّ مارقٌ من الدّين، فهل يُجري عليها الذّهبي نفس الحكم؟! وكيف يبعد الله من رحمته عبد الله بن خراش لأنّه ردّ هذا الحديث ثمّ يعطي فاطمة(ع) مقام السّيادة في الجنّة وهي أيضاً تردّ هذا الحديث كما ردّه ابن خراش بل هي السابقة إلى ردّه؟ كيف يجري هذا في دين واحد وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحدٌ؟ بل كيف يقول ربّ العالمين في كتابه الكريم(ولا يظلم ربّك أحدا)[1] ثمّ يجري مثل هذا على عبد الله بن خراش دون سائر من يردّ هذا الحديث؟ هل هناك ظلمٌ أعظم من هذا؟

وما أكثر أمثال هذا في تراثنا، وهو يعامل بتجاهل تامّ كأنّ قول الله تعالى (إنّ السّمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)[2] يعني غيرنا؟!

---

(١) الكهف: ٤٩

(٢) الإسراء: ٣٦.

قبل الشّروع في تفاصيل حياة المغيرة بن شعبة، هذه كلمةٌ لحذيفة بن اليمان أنصح القارئ الكريم بتأمّلها وتدبّرها ومحاولة استشفاف ما وراءها.

قال أبو هلال: عن قتادة، قال حذيفة : لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغترف فحدّثتكم بكلّ ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتّى أُقتل(١)!

وهذا حديثٌ ترويه المرأة الصّالحة أمّ سلمة (رض) قالت:

"قال النّبي (ص): من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً. فبلغ ذلك عمر، قال: فأتاها يشتدّ أو يسرع شكّ شاذان.قال: فقال لها (عمر): أنشدك بالله ! أنا منهم؟ وبيده الدرّة (٢)".

(١) تهذيب الكمال،المزي، ج ٥ص ٥٠٧.

(٢) لا يخفى على القارئ قوة ونفوذ درّة عمر حتى قيل عنها "أهيب من سيف الحجّاج".

حديث المؤاخذة بعمل الجاهلية

حديث المؤاخذة جديرٌ بالتدبّر والتّأمّل، لأنّه يرتبط بمبدأ العدل الإلهيّ، كما يبيّن الإسلام الصّحيح المقبول من الإسلام الشّكليّ المدخول؛ وهو أيضا حديث يفنّد مدّعيات المرجئة الذين جعلوا الدّين واللاّدين شيئا واحدا، فتجرّأ على المعاصي من رحّب بمقولتهم ومنّى نفسه الأماني. والحقّ أنّ الإسلام أعطى مكانةً خاصّةً لتزكية النّفس، وتحدّث عن التّزكية ولم يتحدّث عن التّربية، لما في ذلك من التكلّف والمجاهدة؛ فإنّ الطّفل يتربّى على الشّيء دون مشقّة إذا تهيّأت لديه الأسباب التّمهيديّة، بينما يحتاج الرّاشد إلى مجاهدة ليحمل نفسه على مخالفة ما تشتهي، ويرسّخ فيها حبّ الفضائل ومجانبة الرّذائل.

حديث المؤاخذة ورد في الصّحيحين وغيرهما من الكتب المعتبرة، ومضمونه يشير إلى قضيّة مهمّة في الإسلام، وهي مسألة الاستقامة في قبال الانحراف واتّباع خطوات الشيطان الرجيم.

جاء في صحيح البخاري ما يلي :

"حدّثنا خلاد بن يحيى حدّثنا سفيان عن منصور والأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود (رض) قال: قال رجلٌ: يا رسول الله أنُؤاخَذ بما عملنا في الجاهليّة؟ قال: مَن أحسنَ في الإسلام لم يؤاخَذ بما عمل في الجاهليّة، ومن أساء في الإسلام أُخذ

بالأوّل والآخر"[١]. و رواه مسلم أيضاً في صحيحه[٢] وأحمد بن حنبل بنفس اللّفظ[٣].

قال ابن حجر في فتح الباري بخصوص هذا الحديث:

إذا ارتدّ ومات على كفره كان كمن لم يسلم فيعاقب على جميع ما قدّمه، وإلى ذلك أشار البخاريّ بإيراد هذا الحديث بعد حديث أكبر الكبائر الشّرك، وأورد كلاًّ في أبواب المرتدّين؛ ونقل ابن بطّال عن المهلّب قال: معنى حديث الباب من أحسن في الإسلام بالتّمادي على محافظته والقيام بشرائطه لم يؤاخذ بما عمل في الجاهليّة، ومن أساء في الإسلام أي في عقده بترك التّوحيد أخذ بكل ما أسلفه. قال ابن بطّال: فعرضته على جماعة من العلماء فقالوا: " لا معنى لهذا الحديث غير هذا، ولا تكون الإساءة هنا إلاّ الكفر للإجماع على أنّ المسلم لا يؤاخذ بما عمل في الجاهليّة". قلت [٤]: وبه جزم المحبّ الطّبريّ، ونقل ابن التين عن الدّاودي معنى من أحسن مات على الإسلام ومن أساء مات على غير الإسلام عن أبي عبد الملك البوني؛

---

(١) صحيح البخاري، ج ٨ ص ٤٩.

(٢) صحيح مسلم، ج ١ ص ٧٨.

(٣) الحديث أيضا في مسند احمد [ج ١ ص ٤٠٩ وص ٤٣١] وسنن الدارمي – [ج ١ ص ٣] وسنن ابن ماجه القزويني [ج ٢ ص ١٤١٧] وسنن البيهقي الكبرى [ج ٩ ص١٢٣] و صحيح ابن حبان [ج ٢ ص ١٢٢] ومجمع الزوائد للهيثمي[ج ١ ص ٩٥] و مسند أبي داوود [ص ٣٤] ومصنف عبد الرزاق الصنعاني [ج ١٠ ص ٤٥٤] و مسند أبي يعلى [ج ٩ ص ٦] و صحيح ابن حبان [ج ٢ ص ١٢٢]. سنن الدارمي، ج ١ ص ٣ و السنن الكبرى للبيهقي ، ج ٩ ص ١٢٣ و مسند أبي داود الطيالسي و المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١٠ ص ٤٥٤ و مسند أبي يعلى الموصلي، ج ٩ ص ٦ و صحيح ابن حبان، ج ٢ ص ١٢٢ والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، ج ٢ ص ٥٥٦ وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ج ٣ ص ٢٣٣و فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج٦ ص ٤٩ وكشف الخفاء للعجلوني، ج ٢ ص ٢٢٥.

(٤) القائل هو ابن حجر.

معنى من أحسن في الإسلام أي أسلم إسلاما صحيحا لا نفاق فيه ولا شكّ، ومن أساء في الإسلام أي أسلم رياء وسمعة، وبهذا جزم القرطبيّ. ولغيره معنى الإحسان الإخلاص حين دخل فيه ودوامه عليه إلى موته، والإساءة بضدّ ذلك، فإنّه إن لم يخلص إسلامه كان منافقا، فلا ينهدم عنه ما عمل في الجاهلية[1].

وقال الآلوسي في تفسيره :

"هذا على ما فيه مبنيّ على أنّ الإسلام يجبّ ما قبله مطلقا وفيه خلاف، فقد قال الزّركشيّ : إنّ الإسلام المقارن للنّدم إنّما يكفّر وزر الكفر لا غير، وأمّا غيره من المعاصي فلا يكفّر إلاّ بتوبة عنه بخصوصه كما ذكره البيهقيّ، واستدلّ عليه بقوله (ص) : " إن أحسن في الإسلام لم يؤاخَذ بالأوّل ولا بالآخر وإن أساء في الإسلام أُخذ بالأوّل والآخر " ولو كان الإسلام يكفّر سائر المعاصي لم يؤاخذ بها إذا أسلم، وأجيب بأنّه مع اعتبار ما ذكر من شبه التّوزيع يهون أمر الخلاف كما لا يخفى على أرباب الإنصاف فتدبّر" [2].

لكنّ في فيض القدير عبارةً يجدر تأمّلها، فقد جاء فيه ما يلي: وأمّا خبر "من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهليّة ومن أساء في الإسلام أخذ بالأوّل والآخر" فوارد على منهج التّحذير[3].

وتبقى القضيّة مطروحة، وليس في كلام المناويّ هذا ما يرفع الإشكال، لأنّ الدّين كلّه ما هو إلاّ التّحذير والتّرغيب، خصوصا في قضيّة مثل هذه تتعلّق بالأخذ

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج ١٢ ص ٢٣٥.
(٢) تفسير الآلوسي، ج ٤ ص ١٧٠.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج ٣ ص ٢٣٣.

بالأوّل والآخر لا بعتاب أو ما شابه العتاب، فإذا أخذ المرء بالأوّل والآخر فأنّى له النّجاة؟ والنّبي(ص) حينما يتحدّث عن الإسلام الذي يجبّ ما قبله إنّما يتحدّث عن الإسلام الصّحيح غير الإسلام الذي يتّخذه مدّعيه جنّة لتحصيل الحظوظ وحماية النّفس؛ فإنّ ذلك النّوع من الإسلام يردّه قوله(ص) " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

وفي عمدة القاري: "قوله: (من أحسن في الإسلام) الإحسان في الإسلام الاستمرار على دينه وترك المعاصي. قوله : ومن أساء الإساءة في الإسلام الارتداد عن دينه"(١).

وهذا تمحّلٌ لا يخفى على الحصيف، لأنّ الارتداد خارج دائرة الإسلام، والمرتدّ كافرٌ بإجماع المسلمين، فهو خارج الإسلام فما معنى أن يسيء في الإسلام وهو خارج الإسلام؟! اللهمّ إلا أن يكون مراده من الكلام الإسلام الشّكليّ والنّفاق الفعليّ، لأنّ المنافق معدودٌ في المسلمين تجري عليه أحكامهم.

وفي فيض القدير: (من أحسن في الإسلام) بالإخلاص فيه أو بالدّخول فيه بالظّاهر والباطن، أو بالتّمادي على محافظته والقيام بشرائطه والانقياد لأحكامه بقلبه وقالبه، أو بثبوته عليه إلى الموت (لم يؤاخذ بما عمل في الجاهليّة)، أي في زمن الفترة قبل البعثة من جنايته على نفس أو مال(٢).

---

(١) عمدة القاري،العيني، ج ٢٤ ص ٧٦.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج ٦ ص ٤٩ تحت رقم ٨٣٣٨

وفي شعب الإيمان : " قال الحليمي رحمه الله تعالى : « وهذا على أنّ الطاعات في الإيمان إيمان، وأنّ المعاصي في الكفر كفر، فإذا أسلم الكافر أحبط إسلامه كفره، فإن أحسن في الإسلام أحبطت طاعته تلك المعاصي التي قدّمها في حال كفره، وإن لم يحسن في الإسلام بقيت تلك المعاصي بحالها لم يجد ما يحبطها، فأخذ بإساءته في الإسلام وفيما قبله، وبسط الكلام في شرح ذلك، ولا يلزم على هذا إلزامه قضاء ما ترك من صوم وصلاة، لأنّه إن صام وصلّى بعدما أسلم سقط عنه ما ترك في الكفر، بدلالة الحديث، وإن لم يصلّ، ولم يصم أمر بهما، وحمله على ذلك حمل له على ما إذا فعله سقط عنه ما مضى "(١).

ولابن حزم كلام ناقش فيه الحديث(٢) وما اكتنفه من اختلاف بين المحدّثين والشرّاح أورد منه ما يلي:

" وحديث ابن مسعود زائد على ما في حديث عمرو غير مضادّ له، بل هو مبيّنٌ بياناً زائداً، وكلام رسول الله (ص) لا يضادّ بعضه بعضاً، ففي حديث ابن مسعود زيادة حكم على ما في حديث عمرو، من أنّه من أساء في الإسلام أخذ بما عمل في الجاهليّة، ومن أحسن في الإسلام سقط عنه ما عمل في الجاهليّة، فإنّما معنى حديث عمرو أنّ الإسلام يهدم ما كان قبله بشرط الإحسان فيه، وبالله تعالى التّوفيق. واعترضوا أيضا بما حدّثنا عبد الله بن يوسف، عن أحمد بن فتح، عن عبد الوهّاب ابن عيسى، عن محمّد بن عيسى، عن عمرويه.. "(٣).

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي(ج ١ ص ٢٩) .

(٢) للطحاوي أيضا كلام في الحديث في مشكل الآثار.

(٣) الإحكام، ابن حزم، ج ٥ ص ٦٨٤.

أقول: إنّ هذه التّوجيهات والتّخريجات التي تمشي على استحياء لا تثبت أمام الآيات المحكمات والأحاديث الصّريحة، ومن أنصف نفسه ودينه واستحضر عظمة الله تعالى حين الحكم على الأشياء لم يخف عليه التّمحّل والتعسّف وأمور من ذلك القبيل يلجأ إليها المفسّرون والمحدّثون حفاظاً منهم على عدالة الجيل الأوّل الذي عاصر رسول الله(ص)، وهو أمر لم يعد مقبولاً في ظلّ التحرّر الفكريّ الذي تشهده المجتمعات الإسلاميّة المنفتحة على الثّقافات والمتزوّدة بأحدث وسائل الاتّصالات؛ ومهما يكن فإنّ الشباب الواعي اليوم يرفض أن يجترّ ما قاله ابن حجر وابن تيمية وأشباههما منذ قرون؛ فالنّبي (ص) يتحدّث بلسان عربيّ مبين ليس فهمه حكراً على المحدّثين والمفسّرين، وهو حينما يتحدّث ويوجّه خطابه إلى الحاضرين لا يهمل أجيال المستقبل، وليس في حديثه ما يسمح لمعاصريه(الصّحابة) بممارسة وصاية فكريّة على كلّ الأجيال التي تأتي بعدهم، بل إنّه على عكس ذلك تماما يسمي الأجيال الآتية إخوانه! ويتمنى لو رآهم، ويصفهم بأنهم أهل الإيمان العجيب!

في حوار بين النّبي (ص) والصّحابة سألهم فيه عن أعجب النّاس إيماناً فقالوا: الملائكة. قال: وكيف لا يؤمن الملائكة وهم يعاينون الأمر؟ قالوا: فالنّبي ون يا رسول الله! قال: كيف لا يؤمن النّبي ون والوحي ينزل عليهم من السّماء؟ قالوا: فأصحابك يا رسول الله! قال: كيف لا يؤمن أصحابي وهم يرون ما يرون؛ ولكن أعجب النّاس إيماناً قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدّقونني ولم يروني، أولئك إخواني[1]. وفي الاستذكار: روى أبو صالح عن أبي هريرة أنّ رسول الله (ص) قال:

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٢، ص ٦٩.

من أشدّ أمّتي حبّاً لي ناسٌ يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رآني بما له وأهله[١].

وكان سفيان بن عيينة يقول: تفسير هذا الحديث وما كان مثله بيّن في كتاب الله وهو قوله (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله)[٢].

وفي مجمع الزوائد: لكن أعجب النّاس إيماناً قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدّقونني ولم يروني، أولئك إخواني[٣]. رواه الطّبرانيّ في الكبير والأوسط باختصار والبزّار وأحمد إلاّ أنّه قال: فانفجر من بين أصابعه عيون، وفيه عطاء بن السّائب وقد اختلط[٤].

(١) الاستذكار، ابن عبد البر، ج ١، ص ١٨٨.

(٢) آل عمران: ١٠١.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٨، ص ٣٠٠.

(٤) اختلط الرجل لأنّ الحديث يؤكّد أن أجيال ما بعد الصّحابة أعجب الناس إيمانا، وهذا يعني أنّ إيمانهم أعظم من إيمان الصحابة! الهيثمي نفسه يقول في مجمع الزوائد[ج ١٠، ص ٦٥]:
رواه البزاز وقال غريب من حديث أنس، قلت فيه سعيد بن بشير وقد اختلف فيه فوثقه قوم وضعفه آخرون، وبقية رجاله ثقات. والحديث أيضا في المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٢، ص ٦٩ والاستذكار، ابن عبد البر، ج ١، ص ١٨٨.

الفصل الأول

(ثقيف) قبيلة المغيرة بن شعبة

١ـ ثقيف في القرآن الكريم.

٢ـ ثقيف في الأحاديث النبويّة.

٣ـ ثقيف في أشعار العرب.

٤ـ من أعمال ثقيف قبيلة المغيرة.

ثقيف

ذكر محمّد بن حبيب البغداديّ في كتابه "المنمّق" تحت عنوان "منافرة عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف وثقيف" أنّ الكاهن قال:

إن مقالي فاسمعوا شهادة — أنّ بني النّضر كرامٌ سادة

من مضر الحمراء في القلادة — أهل سناء وملوك قادة

زيارة البيت لهم عبادة

ثمّ قال : إنّ ثقيفاً عبد أبق فأخذ فعتق، ثمّ ولد فأبق فليس له في النّسب من حقّ...أبق أي كثر ولده، والبقّ من هذا أخذ، ففضّل عبد المطّلب عليه وقومه على قومه[1].

أقول: قوله" فليس له في النّسب من حقّ" معناه أنّ ثقيفاً لا يُنسب في الأحرار، لأنّ العرب تجعل العبد بعد عتقه مولىً ولا تلحقه بها صريحاً.

وقال الزركليّ:

ثقيف من عدنان: جدٌّ جاهليٌّ، النّسبة إليه ثقفيٌّ (بفتحتين) قيل اسمه قسيّ، وثقيف لقبه. كانت منازل بنيه في الطّائف، وهم عدّة بطون، بقي منهم إلى عصرنا هذا كثيرون. وكان صنمهم في الجاهليّة (اللاّت) مبنيّاً على صخرة في الطائف، هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة. وكانت تلبيتهم قبل الإسلام إذا حجّوا: (لبّيك، إنّ ثقيفا قد أتوك، وأخلفوا المال وقد رجوك) وفي النّسابين من يعدّ ثقيفاً من بقايا ثمود، غير أنّ الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ كان يكذّب ذلك. وقرأت في رسالة

---

(١) كتاب المنمّق، محمّد بن حبيب البغدادي، ص ٩٧.

(بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووجّ) لأحمد بن عليّ العبدريّ: لمّا توفّي رسول الله (ص) وارتدّت العرب ثبتت ثقيف وأنذرت من يرتدّ منها بالقتل، وقال وجوهها: ما دخلنا آخر النّاس إلاّ لما تبيّن لنا من الحقّ، فمن ارتدّ قتلناه. وكانت بنو سليم تعيّر ثقيفاً[1] فردّ عليها بأنّ لا رأي إلاّ لثقيف، تثبتوا أوّلاً في رأيهم فلما تحقّقوا الإسلام ودخلوا فيه آخراً ثبتوا عليه[2].

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في حوار بين المغيرة بن شعبة وهند بنت النّعمان بن المنذر، قال المغيرة لهند : فما كان أبوك يقول في ثقيف؟ قالت : أذكر وقد اختصم إليه رجلان منهم، أحدهما ينتهي إلى إياد، والآخر إلى هوازن، فقضى للأياديّ وقال :

إنّ ثقيفاً لم تكن هوازنا ولم تناسب عامراً أو مازنا.

فقال المغيرة: أمّا نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء[3].

وهذا يعني أنّ التّشكيك في نسب ثقيف كان عند الملوك أيضا، ولم يكن منحصراً لدى النسّابين أو الشّعراء، وشهادة مثل النّعمان بن المنذر لها وزنها.

أمّا قول المغيرة " أمّا نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ما شاء " فلا يعدو أن يكون تحكّماً أو دفعاً بالصّدر، وهو شأن كلّ من يحاول فرض موقفه أو رأيه على الآخرين من دون أيّ دليل.

ولأنّ ثقيفاً ليست صريحةً في هوازن قال ابن قتيبة: " وأمّا هوازن بن منصور فولده بكرٌ وسبيعٌ وحربٌ ومنبّهٌ ولا عقب لسبيع وحرب ابني هوازن، وأما منبّه فهو أبو

---

(١) بم كانت بنو سليم تعيّر ثقيفا؟ الله أعلم.

(٢) الأعلام ، الزركلي، ج ٢ ص ١٠٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٨ ص ٣٠٥.

ثقيف في قول بعضهم "[١]، ولم يطلق القول.

وفي أنساب السّمعانيّ في حوار أيضا:

قال : لا والله ما أنا من باهلة، قالت: فممّن أنت ؟ قال : رجل من ثقيف، قالت : أفتعرف الذي يقول :

أضلّ النّاسبون أبا ثقيف ... فما لهُمُ أبٌ إلاّ الضّلال

فإن نسبت أو انتسبت ثقيفٌ ... إلى أحد فذاك هو المحال

خنازير الحشوش فقتّلوهم ... فإنّ دماءهم لَكُمُ حلال

فقال : لا والله ما أنا من ثقيف، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من سليح[٢]..

وفي معجم البلدان: "وقيل: إنّ ثقيفا واسمه قسيّ كان عبداً لأبي رغال وأصله من قوم نجوا من ثمود، فهرب من مولاه ثمّ ثقفه فسمّاه ثقيفا، وانتمى ولده بعد ذلك إلى قيس، وقال حمّاد الرّاوية : أبو رغال أبو ثقيف كلّها، وإنّه من بقيّة ثمود، ولذلك قال حسّان بن ثابت يهجو ثقيفاً:

إذا الثّقفيّ فاخركُم فقولوا ... هلمّ فعدَّ شأن أبي رغال

أبوكم أخبث الأحياء قدْماً ... وأنتم مُشبهوه على مثال

عبيد الفزر أورثه بنيه ... وولّى عنهم أخرى الليالي[٣]

(١) المعارف، ابن قتيبة، ص ٨٦.

(٢) الأنساب، السمعاني، ج ١ ص ٥١.

(٣) معجم البلدان، الحمويّ، ج ٣، ص ٥٣.

قال ابن أبي الحديد: "وقال قوم آخرون: إنّ ثقيفا من بقايا ثمود، من العرب القديمة التي بادت وانقرضت. قال أبو العبّاس: وقد قال الحجّاج على المنبر يزعمون أنّا من بقايا ثمود، فقد كذّبهم الله بقوله: (وثمودَ فما أبقَى). وقال مرّة أخرى: ولئن كنّا من بقايا ثمود، لما نجا مع صالح إلاّ خيارهم" [1].

ومن قوله "يزعمون" يستشفّ أنّ هذا الزّعم كان سائداً وشائعاً، مسنداً إلى كثيرين، ولولا أهمّية الموضوع لما تناوله الحجّاج بن يوسف على المنبر. وفي قول الحجاج " كذّبهم الله " كلامٌ وأيّ كلام، لأنّه لا يلزم من ذلك ألاّ يكون بقي منهم أحدٌ. فقد قال الله تعالى في الرّيح: (تدمّرُ كلَّ شيء بإذْن ربِّها) ولم تدمّر كلّ شيء بالمعنى الذي يراه الحجّاج.

وما يسمّيه الحجّاج بن يوسف زعماً ليس كذلك، لأنّه يستند إلى أقوال قائلين لا تردّ أقوالهم حال ثبوتها، فقد ذكر الطبري أنّ رسول الله(ص) مرّ بقبر فقال: " أتعرفون ما هذا "؟ قالوا: لا؛ قال: "هذا قبر أبي رغال الذي هو أبو ثقيف، كان من ثمود فأصاب قومه البلاء وهو بالحرم فسلم، فلمّا خرج من الحرم أصابه ما أصابهم فدفن هنا، وجعل معه غصنٌ من ذهب "؛ قال: فابتدر القوم بأسيافهم فحفروا حتى أخرجوا الغصن. قال القاضي أبو محمّد: وهذا الخبر يردّ ما في السّير من أنّ أبا رغال هو دليل الفيل وحبيسه [2]..

فعبارة النّبي (ص) واضحةٌ، وهي قوله " كان من ثمود فأصاب قومه البلاء وهو بالحرم فسلم... "، فأبو ثقيف كان من ثمود.

قال ابن كثير: وقد تقدّم في أوّل القصّة حديث جابر بن عبد الله في ذلك وذكروا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٨ ص ٣٠٦.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ج ٢ ص ٤٢٢.

أنّ أبا رغال هذا هو والد ثقيف الذين كانوا يسكنون الطائف. وروى عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أميّة أنّ النّبي (ص) مرّ بقبر أبي رغال فقال " أتدرون من هذا ؟ " قالوا الله ورسوله أعلم قال " هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله[(١)]..

و جاء في أنساب السمعاني [..] عن عبد الله بن راشد عن ربيعة بن قيس أنه سمع عليّاً (رض) يقول : ثلاث قبائل يقولون إنّهم من العرب وهم أقدم من العرب، جُرْهم وهم بقيّة عاد، وثقيف وهم بقيّة ثمود، قال : وأقبل أبو شمر بن أبرهة الحميريّ فقال : وقوم هذا وهم بقية تبّع. قال ربيعة بن قيس وإلى جنبي رجلٌ من بني ثقيف فقلت: ما تسمع ما يقول أمير المؤمنين فيكم ؟ فقال : ما تريد؟ أن أردّ عليه حديثاً سمعته من رسول الله (ص) [(٢)]؟

قول الإمام علي (ع) إنمّا هو نقلٌ لحديث رسول الله(ص) كما يشهد به هذا الصّحابيّ الثّقفيّ شهادة شاهد من أهلها، وعليه فإنّ هذا الحديث ينقله ثلاثةٌ من فالصّحابة، الإمام علي (ع) والثّقفيّ الذي يقول : " سمعته من رسول الله(ص)، وربيعة بن قيس[(٣)].

وثقيف فرقتان قال ابن قتيبة: "فثقيف فرقتان، بنو مالك والأحلاف؛ فمن بني مالك السّائب بن الأقرع، ومنهم بنو الحارث بن مالك ويقال لهم الأثرون، ومن الأحلاف المختار بن أبي عبيد، والحجّاج بن يوسف، وأميّة بن

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٣٩

(٢) الأنساب، السمعاني، ج ١ ص ٢٩.

(٣) قال ابن حجر في ترجمته (٢٦٢٨) : ربيعة بن قيس العدواني ذكره ضرار بن صرد بسنده إلى عبيد الله بن أبي رافع فيمن شهد صفين مع علي من الصحابة وهو من عدوان قيس. خرجه أبو نعيم وغيره [الإصابة ابن حجر، ج ٢،ص ٣٩٤].

أبي الصّلت" [١].

وكان لثقيف في الجاهليّة عوراتٌ ومواقف مخزيةٌ، فقد ذكر ابن إسحاق أنّ أبرهة بن الصّباح صاحب الفيل لمّا قدم لهدم الكعبة مرّ بالطائف، فخرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فقالوا له : أيّها الملك؛ إنّما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، وليس لك عندنا خلافٌ، وليس بيتنا هذا الذي تريده، يعنون اللاّت، إنّما تريد البيت الذي بمكّة، ونحن نبعث معك من يدلّك عليه، فتجاوز عنهم؛ وبعثوا معه بأبي رغال رجل منهم يدلّه على مكّة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتّى أنزله بالمغمّس، فلمّا نزله مات أبو رغال هناك، فرجم قبره العرب، فهو القبر الذي يُرجم بالمغمّس [٢].

وكانت ثقيف شديدةً على رسول الله(ص) يوم كان يعرض نفسه على القبائل، فقد أغرت به سفهاءها حتّى تأذّى(ص) ولجأ إلى الدّعاء من شدّة ما لاقى. وحينما جاء وفد ثقيف، أغلظ لهم رسول الله(ص) في الكلام وهو الذي كان يستقبل الوفود بالتّرحيب. قال البلاذريّ: حدّثنا إسحاق، حدّثنا عبد الرزاق، أنبأنا مَعمر، عن أبي طاووس عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب، قال : قال رسول الله (ص)، لوفد ثقيف حين جاءوه: والله لتسلمنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي ـ أو قال مثل نفسي ـ فليضربنّ أعناقكم، وليسبينّ ذراريكم وليأخذنّ أموالكم. قال عمر : فوالله ما اشتهيت الإمارة إلا يومئذ، فجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول : هذا، فالتفت إلى عليّ فأخذ

(١) المعارف، ابن قتيبة، ص ٩١.

(٢) سيرة ابن إسحاق، ج١ص٣٨، سيرة ابن هشام، ج١ ص٣١، سيرة ابن كثير، ج١ص٣٢تاريخ الطبري ج١،ص٥٥٢، البداية والنهاية، ج٢،ص٢١٣.

بيده ثم قال: هو هذا، هو هذا[١].

قال ياقوت: فخافت ثقيف أن يعود إليهم، فبعثوا إليه وفدهم، وتصالحوا على أن يسلموا ويقرّوا على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، فصالحهم رسول الله (ص)، على أن يسلموا وعلى أن لا يزنوا ولا يربوا، وكانوا أهل زناً ورباً[٢].

وذكر السّمعانيّ في الأنساب أنّ النّبي (ص) قال: " الطّلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضُهم أولياء بعض في الدّنيا والآخرة "[٣] قال المحقّق بهامش الصّفحة: كأنّها إشارةٌ إلى ما حكاه ابن خلكان آخر ترجمة ابن القاسم(ج ٣ ص ١٢ـ ١٣٠)، وابن فرحون في " الدّيباج " ص ١٤٧ أنّ العتقاء " جماعٌ من القبائل، كانوا يقطعون الطّريق على من أراد النّبي(ص)، فبعث إليهم، فأتي بهم أسرى، فأعتقهم، فقيل لهم: العتقاء[٤].

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ:

أمّا بعد، فإنّك عبدٌ من ثقيف، طمحت بك الأمور فعلوت فيها وطغيت، حتّى عدوت قدرك، وتجاوزت طورك، يا ابن المستفرمة بعجم الزّبيب، لأغمزنّك غمز الليث، ولأخبطنّك خبطةً، ولأركضنّك ركضةً تودّ معها لو أنّك رجعت في مخرجك من وجار أمّك. أما تذكر حال آبائك ومكاسبهم بالطائف[٥]، وحفرهم الآبار بأيديهم، ونقلهم الحجارة على ظهورهم؟ أم نسيت أجدادك في اللّؤم والدناءة

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ص ١٢٣.
(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٤ ص ١١.
(٣) الأنساب ، السمعاني، ج ٤ ص ١٥٢.
(٤) نفس المصدر.
(٥) يشير إلى تكسب ثقيف من الزنا والبغاء أيام الجاهلية.

وخساسة الأصل.[(١)].

وأهمّ من هذا كلّه ما جاء في وفي معجم الصّحابة: "... عن عبد الله بن مطرف قال: كان أبغض النّاس إلى النّبي(ص) أو أبغض الأحياء بنو أميّة و ثقيف وبنو حنيفة "[(٢)]. وهو في مجمع الزّوائد كما يلي: عن أبي برزة قال: كان أبغض النّاس أو أبغض الأحياء إلي النّبي(ص) ثقيف[(٣)] وبني حنيفة. رواه أحمد[(٤)] وأبو يعلي وزاد إلاّ أنّه قال بنو أميّة و ثقيف وبنو حنيفة. وكذلك الطبرانيّ. ورجالهم رجال عبد الله بن مطرف بن الشخّير وهو ثقة"[(٥)].

---

(١) إمتاع الأسماع، المقريزي، ج ١ ص ٢٦.

(٢) نفس المصدر ج٢ ص١٢٩.

(٣) كذا في مجمع الزوائد والصواب ثقيف وبنو حنيفة بناء على تقديم الخبر أو ثقيفا وبني حنيفة.

(٤) الحديث في مسند أحمد: وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها ما أنا قلته ولكن الله عز وجل قاله. حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حجاج أنا شعبة عن أبي حمزة جارهم قال سمعت حميد بن هلال يحدث عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة قال كان أبغض الناس أو أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيف وبنو حنيفة [مسند الإمام احمد بن حنبل، ج ٤ ص ٤٢٠]. و في الفتن: حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن أبي يعقوب الضبي قال سمعت أبا نصر الهلالي يحدث عن بجالة بن عبد أو عبد ابن بجالة قال قلت لعمر : إن ابن حصين حدثني عن أبغض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تكتم علي حتى أموت قال قلت نعم قال بنو أمية وثقيف وبنو حنفية. [كتاب الفتن، نعيم بن حماد المروزي ص٧٤].قال المحقق على هامش ال، ص ٢٧٣ من الجزء ١٢من كتاب إمتاع الأسماع: حديث رقم (١٩٢٧٦) . من حديث أبي بردة الأسلمي، ولفظه : كان أبغضَ الناس أو أبغض الأحياء إلى رسول الله (ص) ثقيف وبنو حنيفة. (المستدرك): ٤ص ٥٢٨كتاب الفتن والملاحم حديث رقم (٨٤٨٢) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): على شرط البخاري ومسلم.[كتاب إمتاع الأسماع المقريزي، ج ١٢ ص٢٧٣]. وقال محمد بن عقيل الشافعي: وروى بسند حسن أنه صلى الله عليه وآله قال : شر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف[النصائح الكافية، محمد بن عقيل الشافعي، ص ١٤٠].

(٥) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج١٠ ص٧١.

فقوله " أبغض النّاس أو أبغض الأحياء إلي النّبي(ص) " معناه أنّ النبي(ص) كان يبغض تلك القبائل، شأن قوله " أبغض الحلال إلى الله.." و" أبغض النّاس إلى الله.."، والنّبي (ص) لا يبغض إلاّ ما يبغضه الله تعالى؛ فتكون ثقيف قبيلة يبغضها الله تعالى، ولا يلزم منه أن تنطبق المبغوضيّة على كلّ الثّقفيّين فرداً فرداً. كما لا يبعد أن يكون بغض الله تعالى إيّاها بسبب الزّنا والرّبا، فقد مرّ بك أنّهم كانوا أهل زناً وربا، وفي الأخبار أنّهم كانوا يتكسّبون من الزّنا لا أنّهم كانوا يمارسونه فقط.

تلك إذاً قبيلة المغيرة بن شعبة التي ينتمي إليها.

من جهة أخرى فإنّ رسول الله (ص) لقي من ثقيف أيّام الدّعوة ما لم يلقه من غيرها من قبائل العرب.قال ابن إسحاق : ولمّا هلك أبو طالب نالت قريشٌ من رسول الله(ص) من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمّه أبى طالب، فخرج رسول الله(ص) إلى الطّائف، يلتمس النّصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّوجلّ، فخرج إليهم وحده.

قال ابن إسحاق : فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمّد بن كعب القرظي، قال : لما انتهى رسول الله (ص) إلى الطّائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوةٌ ثلاثةٌ : عبد يا ليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن مغيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأةٌ من قريش من بني جُمح، فجلس إليهم رسول الله (ص)، فدعاهم إلى الله، وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك؟ ! وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبداً. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك. فقام رسول الله (ص) من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم -فيما ذكر لي -: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنّي، وكره رسول الله أن يبلغ قومه عنه، فيُذئرهم ذلك عليه. قال ابن هشام : قال عبيد بن

الأبرص : [ولقد أتاني عن تميم أنّهم ذئروا لقتلى عامر وتعصّبوا] ؛ فلم يفعلوا، بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبّونه ويصيحون به، حتّى اجتمع عليه النّاس، وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظلّ حبلة من عنبفجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطّائف، وقد لقي رسول الله (ص) –فيما ذكر لي –المرأة التي من بني جُمح فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك ؟ فلمّا اطمأنّ رسول الله(ص) قال –فيما ذكر لي –: اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على النّاس، يا أرحم الرّاحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّى، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهّمني ؟ أم إلى عدوّ ملّكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظّلمات، وصلح عليه أمر الدّنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك [(١)].

و أورد ابن عبد البرّ في الإنباه قول الشاعر :

أبوكم أخبث الأحياء قدماً وأنتم مشبهوه على مثال

وقال: ″ والذي عليه أكثر أهل العلم بالنسب أنّ ثقيفاً في قيس، ومنهم من ينسبهم في إياد، وفي ثقيف بطونٌ كثيرةٌ. وقد روى عن النّبي(ص) من ثقيف جماعة منهم المغيرة بن شعبة وعثمان والحكم ابنا أبي العاصي بن بشر الثّقفي، وغيلان بن سلمة ويعلى بن مرّة وأبو محجن[(٢)] وأبو بكرة وكان أفضلهم أو من أفضلهم، وأكبر

(١) السيرة النبوية ابن هشام الحميري، ج٢ص٢٥٨تحقيق وضبط وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر-١٣٨٣١٩٦٣.

(٢) قال ابن قدامة: وأتي سعد بأبي محجن يوم القادسية وقد شرب الخمر فأمر به إلى القيد فلما التقى الناس قال أبو محجن: كفى حزنا أن تطرد الخيل بالقنا * واترك مشدودا علي وثاقيا؛ وقال لابنة حفصة امرأة سعد أطلقيني ولك الله علي إن سلمني الله أن ارجع حتى أضع رجلي في القيد وإن قتلت استرحتم مني، قال فحلته حتى التقى الناس وكانت بسعد جراحة فلم يخرج يومئذ إلى الناس قال وصعدوا به فوق العذيب ينظر إلى الناس واستعمل على الخيل خالد بن عرفطة فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء ثم اخذ رمحا فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم وجعل

صحابيّ في ثقيف وأجلّهم عروةُ بن مسعود بن معتب.."[1].

ثقيف في القرآن الكريم

لم يرد ذكر قبيلة ثقيف في القرآن الكريم، لكنّ المفسرين ذكروا ثقيفاً -عند تعرّضهم لأسباب النّزول - في كثير من المواضع لم يكن فيها موضعٌ واحدٌ مشرّفٌ يمكن حمل مضمونه على ما يُتنافس فيه؛ والذي عليه أكثر الأدباء والعارفين بالأنساب أنّ ثقيفاً كانت قبيلةً دنيئة الهمّة، تتكسّب من الزّنا والبغاء، وقد طلب أعضاء وفدها من رسول الله(ص) أن يأذن لهم في الزّنا، طلبوا منه ذلك بكل صلافة ووقاحة،كما طلبوا منه أن يعفيهم من الصّلاة لأنّ فيها الرّكوع والسّجود، وفي الرّكوع والسّجود مذلّة وإهانة على حدّ زعمهم. فلا عجب حين يكون تفكيرهم بهذا المستوى أن يكون منهم الحجّاج بن يوسف والمغيرة بن شعبة ويوسف بن عمر وآخرون.

جاء في تفسير مقاتل بن سليمان أنّ الآية الشريفة (يا أيّها النّاس كلوا ممّا في الأرض حلالا طيّبا) ، يعني مما حرّموا من الحرث والأنعام، نزلت في ثقيف، وفي بني عامر بن صعصعة، وخزاعة، وبني مدلج، وعامر والحارث ابني عبد مناة، ثمّ قال

الناس يقولون هذا ملك لما يرونه يصنع وجعل سعد يقول: الصبر صبر البلقاء والطعن طعن أبي محجن وأبو محجن في القيد! فلما هزم العدو رجع أبو محجن حتى وضع رجله في القيد فأخبرت ابنة حصفة سعدا بما كان من أمره فقال سعد: لا والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى الله المسلمين على يديه ما أبلاهم فخلى سبيله فقال أبو محجن قد كنت أشربها إذ تقام علي الحد وأطهر منها فأما إذ بهرجتني فوالله لا أشربها أبدا[الشرح الكبير ، عبد الرحمن بن قدامة، ج ١٠ ص ١٥٢].

(١) الإنباه على قبائل الرواة ،ابن عبد البر، ص ٨٠

سبحانه : (ولا تتّبعوا خطوات الشّيطان) ، يعني تزيين الشّيطان في تحريم الحرث والأنعام[1].

وفي تفسير مقاتل أيضا : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) ولا تعصوه،

(وذروا) ، يعني واتّقوا (ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين) [آية : ٢٧٨] نزلت في أربعة أخوة من ثقيف : مسعود، وحبيب، وربيعة، وعبد ياليل[2]، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثّقفيّ، كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانوا يربون لثقيف، فلما أظهر الله عز وّجل النّبي(ص) على الطّائف، اشترطت ثقيف أنّ كلّ رباً لهم على النّاس فهو لهم، وكلّ رباً للنّاس عليهم فهو موضوعٌ عنهم[!]، فطلبوا رباهم إلى بني المغيرة، فاختصموا إلى عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة، وكان النّبي(ص) استعمله على مكّة، وقال له: "أستعملك على أهل الله ". وقالت بنو المغيرة: أجعلنا أشقى النّاس بالرّبا وقد وضعه عن النّاس ؟ فقالت ثقيف : إنّا صالحنا النّبي(ص) أنّ لنا ربانا، فكتب عتّاب إلى النّبي (ص) في المدينة بقصّة الفريقين، فأنزل الله تبارك وتعالى بالمدينة، (يا أيها الذين آمنوا) ، يعني ثقيفاً، (اتّقوا الله وذروا ما بقي من الرّبا) الآية[3].

(يا بني آدم) ، نزلت في ثقيف، وبني عامر بن صعصعة، وخزاعة، وبني مدلج، وعامر والحارث ابني عبد مناة، قالوا : لا نطوف بالبيت الحرام في الثّياب التي تفرق

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ١ ص٩١.دار الكتب العلمية بيروت لبنان[الطبعة الأولى١٤٢٤ — ٢٠٠٣].زاد المسير، ابن الجوزي، ج ١، ص ١٥٤

(٢) وقد ذكر المفسرون أن أحد المعنيين بقوله تعالى حكاية عن العرب ﴿لولا أنزل على رجل من القريتين عظيم﴾ هو عبد ياليل هذا!

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ١: ص ١٤٩.

فيها الذّنوب، ولا يضربون على أنفسهم خباءً من وبر، ولا صوف، ولا شعر، ولا أدم، فكانوا يطوفون بالبيت عراةً، ونساءهم يطفن باللّيل[(١)]..

وفي قوله تعالى(ثمّ جعلنا له جهنّم)، يقول: ثمّ نصيّره إلى جهنّم، (يصلاها مذموماً) ﴿عند الله﴾ (مدحوراً) [آية : ١٨]، يعنى مطروداً في النّار، نزلت في ثلاثة نفر من ثقيف، فرقد بن يمامة، وأبي فاطمة بن البحتري، وصفوان، وفلان، وفلان[٢].

وفي قوله تعالى(انظرْ كيفَ فضّلنا بعضَهم على بعْض) ، يعنى الفجّار، يعنى من كفّار ثقيف على بعض في الرّزق في الدنيا[(٣)]..

قال مقاتل بن سليمان:

ثمّ سكت النّبي(ص)، فقالوا[(٤)] : تمتّعنا باللاّت سنةً، فأعرض عنهم، وجعل يكره أن يقول: لا، فيأبون الإسلام، فقالت ثقيف للنّبيّ (ص): إن كان بك ملامة العرب في كسر أصنامهم وترك أصنامنا، فقل لهم : إنّ ربّي أمرني أن أقرّ اللاّت بأرضهم سنةً[(٥)]!

أقول:

انظر ـ رحمك الله ـ إلى هؤلاء الأجلاف يقترحون على النّبي (ص) أن يتقوّل

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ، ج ١ ص ٣٨٧.
(٢) نفس المصدر، ج ٢ ص ٢٥٣
(٣) نفس المصدر، ٢، ص ٢٥٤.
(٤) أي ثقيف.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان، ج٢ ص ٢٦٧

على الله تعالى وينسب إليه ما لم يوح به إليه، ويقولون بكلّ صلافة ووقاحة: " إن كان بك ملامة العرب في كسر أصنامهم وترك أصنامنا " وكأنّ النّبي (ص) واحدٌ منهم، وهم المتعوّدون على اختلاق الكذب كلّما دعت المصلحة إلى ذلك! يطلبون ممّن لا ينطق عن الهوى أن يكذب على الله ـ والعياذ بالله ـ إرضاءً لهم في هوى صنمهم!

وعن ابن جريج عن مجاهد في قوله ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا الرّبا أضعافاً مضاعفةً﴾ قال: نزلت في ثقيف وبني المغيرة. قال: كان رجلٌ يبيع البيع إلى أجل، فيحلّ (الأجل)، فيقول " أخّر عنّي وأزيدك ". فنزلت هذه الآية[١].

قال عبد الرزاق: قال معمر وقال الزّهري" أبو رغال أبو ثقيف"[٢].

وعن عبد الرزاق عن معمر عن الكلبيّ في قوله تعالى ﴿مشّاء بِنَمِيم﴾قال: هو الأخنس بن شريق، أصله من ثقيف وعداده في بني زهرة[٣].

عن ابن جريج قوله : (يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وذروا ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين) قال : كانت ثقيف قد صالحت النّبي(ص) على أنّ ما لهم من رباً على النّاس، وما كان للنّاس عليهم من ربا فهو موضوعٌ. فلمّا كان الفتح، استعمل عتّاب بن أسيد على مكّة، وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الرّبا من بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يربون لهم في الجاهليّة[٤]..

(١) تفسير سفيان الثوري،ص ٨٠
(٢) تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٢ ص ٢٣٢.
(٣) تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٣ ص ٣٠٨.
(٤) جامع البيان، ابن جرير الطبري،ج ٣ ص ١٤٦.

عن جابر، قال : ومرّ النّبي(ص)بقبر أبي رغال، قالوا : ومن أبو رغال ؟ قال : أبو ثقيف، كان في الحرم لما أهلك الله قومه، منعه حرم الله من عذاب الله، فلمّا خرج أصابه ما أصاب قومه(١).

وفي الخبر: حتى إذا مرّ[أي أبرهة الحبشيّ] بالطائف، خرج إليه مسعود بن معتّب في رجال ثقيف، فقال: أيّها الملك، إنّما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلافٌ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد ـ يعنون اللاّت ـ إنّما تريد البيت الذي بمكّة يعنون الكعبة، ونحن نبعث معك من يدلّك، فتجاوز عنهم، وبعثوا معهم أبا رغال فخرج أبرهة ومعه أبو رغال(٢)..

أقول: وهذا معناه أنّ قبيلة ثقيف كانت موافقةً على هدم الكعبة! المهمّ أن يسلم لها صنم اللاّت.

وقد كان النّبي(ص) يوجّه العمّال على صدقات المواشي ويأمرهم بأن يأخذوها على المياه في مواضعها، وهذا معنى ما شرطه النّبي(ص) لوفد ثقيف بأن لا يحشروا ولا يعشروا ، يعني لا يكلّفون إحضار المواشي إلى المصدّق، ولكن المصدّق يدور عليهم في مياههم ومظانّ مواشيهم فيأخذها منهم، وكذلك صدقة الثّمار(٣).

وفي قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾وإذا قيل لهم صلّوا وأقرّوا بالصّلاة (لا يركعون)يعني لا يقرّون بها ولا يصلّون (ويلٌ يومئذ للمكذّبين)يعني ويلٌ طويلٌ لمن لا يقرّ بالصّلاة ولم يؤدّها. وقال مقاتل: نزلت في ثقيف قالوا لا ننحني في

(١) جامع البيان، الطبري، ج ٨ ص ٢٩٩.
(٢) جامع البيان، الطبري، ج ٣٠ ص ٣٨٧.
(٣) أحكام القرآن، الجصاص، ج ٣ ص ١٩٨.

الصّلاة لأنّه مذلّةٌ علينا(١).

أقول: يقولون هذا مع العلم أنّهم كانوا من أرذل القبائل في الجاهليّة، وقد مرّ بك وصفهم على لسان عبد الملك بن مروان الأمويّ في الرسالة التي بعث بها إلى الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ، فهم يرون في الرّكوع والسّجود مذلّةً، ولا يرون المذلّة حين يأكلون ويقتاتون من مهور البغايا!

وقوله تعالى(وإذا تولّي)أي: فارقك (سعي فى الأرض ليفسد فيها) الآية. قال الكلبيّ: نزلت في الأخنس بن شريق الثّقفيّ وكان شديد الخصام ؛ فأمّا إهلاكه الحرث والنّسل فيعني: قطع الرّحم الذي كان بينه وبين ثقيف ؛ فبيّتهم ليلاً فأهلك مواشيهم، وأحرق حرثهم ؛ وكان حسن العلانية، سيّئ السّريرة(٢).

أقول: والأخنس بن شريق هذا سمّي الأخنس لأنّه خنس ببني زهرة يوم بدر. قُتل ابنه المغيرة يوم الدار وهو يدافع عن عثمان(٣).

قال الثّعلبيّ: واحتجّوا أيضا بما أسندوه إلى سفيان عن يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيّب يقول: تلقّت ثقيف عمر بشراب فدعا به، فلمّا قرّبه إلى فيه كرهه فخلطه بالماء(٤).

وفي قوله تعالى (ولولا فضل الله عليك ورحمته)يعني به الإسلام والقرآن (لهمّت طائفةٌ منهم)يعني من ثقيف (أن يضلّوك) وذلك أنّ وفد ثقيف قدموا على

(١) تفسير السمرقندي، ج ٣ ص ٥١٣.
(٢) تفسير ابن زمنين، ج ١ ص ٢١٣.
(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٣٣.
(٤) تفسير الثعلبي، ج ٢ ص ١٤٦.

رسول الله (ص) فقالوا : يا محمّد، قد جئناك نبايعك على أن لا حشر ولا بعث ولا نكسر أصناما بأيدينا على أن تمتّعنا بالعزّى سنةً، فلم يجبهم إلى ذلك وعصمه الله بمنّه وأخبره بنعمته(١).

وعن ابن عباس : قدم وفد ثقيف على النّبي(ص) فقالوا : نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال : ما هنّ ؟ فقالوا : لا ننحني في الصّلاة ولا نكسر أصناماً بأيدينا(وتمتّعنا باللاّت) سنةً. فقال لهم رسول الله (ص): " لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود"(٢).

وعن ابن مسعود في هذه الآية (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم)الآية، قال : كان رجلان من ثقيف وختنٌ لهما من قريش، أو رجلان من قريش وختنٌ لهما من ثقيف في بيت فقال بعضهم : أترون الله يسمع نجوانا أو حديثنا ؟ فقال بعضهم: قد سمع بعضه ولم يسمع بعضه، قالوا: لئن كان يسمع بعضه لقد سمع كلّه، فنزلت هذه الآية -وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم –الآية(٣).

وقوله: (ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الرّبا). أراد بهم ثقيفاً ؛ فإنهم قالوا إنّما البيع مثل الرّبا(٤).

وفي الأخبار أنّ عروة بن مسعود الثّقفي لـمّا أسلم استأذن من رسول الله أن يذهب إلى قومه وهم ثقيف ويدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله: إنّي أخشى أن

---

(١) تفسير الثعلبي،ج ٣ ص ٣٨٣.
(٢) تفسير الثعلبي، ج ٦ ص ١١٧.
(٣) أسباب نزول الآيات، ص ٢٥٠.
(٤) تفسير السمعاني،ج ١ ص ٢٧٩.

يقتلوك، فقال: لو كنت نائما ما أيقظوني، ثّم إنه ذهب إليهم ودعاهم إلى الإسلام، فرماه رجل بسهم فأصاب أكحله ومات، فبلغ النّبي فقال : هو في هذه الأمّة مثل صاحب يس، وهو حبيب النّجار[١].

أقول: ما تكتّم عليه المؤرخون هو أنّ عروة بن مسعود كان محبوباً فعلاً في الطّائف، لكنّ الفعلة التي فعلها المغيرة، وقتلَه المالكيّين رفقاءه في السّفر، كلّ ذلك غيّر الأمور؛ ومع أنّ عروة بن مسعود دفع ديات القتلى من ماله الخاصّ إلاّ أنّ الصدور بقيت تغلي، وقضية الثّأر عند العرب لا تحتاج إلى تفصيل.فلمّا أذّن عروة بن مسعود للصّلاة وجد المالكيّون الفرصة لينتقموا لقتلاهم ورموه كما هو معلوم، وإلاّ فإنّ قومه ـ الأحلاف ـ لم يرموه.

وذكر السدّيّ أنّ أوّل من تنبّه للرّمي بالشّهب هو هذا الحيّ من ثقيف، فخافوا خوفاً شديداً وظنّوا أنّ القيامة قد قربت، فجعلوا يعتقون العبيد ويسيبون المواشي، فقال لهم ابن عبد ياليل: لا تعجلوا، وانظروا إلى النّجوم المعروفة، هل هي في أماكنها؟ ؟ فقالوا : هي في أماكنها. قال: فإنّ هذا لأمر هذا الرّجل الذي خرج بمكّة[٢].

قال السّمعانيّ: في معنى الآية(وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) معناه: إذا قيل لهم: صلّوا لا يصلّون. وقيل : إنّها نزلت في ثقيف استعفوا من الصّلاة. وقيل: كانوا استعفوا من الرّكوع والسّجود فقال النّبي(ص): "لا خير في دين ليس له ركوعٌ ولا سجودٌ

---

(١) تفسير السمعاني، ج ٤ ص ٣٧٤.

(٢) تفسير السمعاني، ج ٦ ص ٦٧.

"[١].

وفي قوله تعالى (وإذا تولّى) أي أدبر وأعرض عنك(سعى في الأرض) أي عمل فيها وقيل سار فيها ومشى(ليفسد فيها) قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين (ويهلك الحرث والنسل)وذلك أنّ الأخنس كان بينه وبين ثقيف خصومةٌ فبيّتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، قال مقاتل: خرج إلى الطائف مقتضياً مالاً له على غريم فأحرق له كدساً وعقر له أتاناً والنسل نسل كل دابّة والنّاس منهم[٢].

قالوا: فقام رسول الله (ص) من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه عليّ، وكره رسول الله (ص) أن يبلغ قومه فيذئرهم عليه ذلك، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به حتّى اجتمع عليه النّاس، وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه[٣].

أقول: انظر إلى قوله " وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به " وتأمّل وتدبّر وافسح لخيالك يرسم ملامح هذه القبيلة الشّقيّة التي يجتمع سفهاؤها بإغراء من كبرائها على رجل لم يسئ إليهم يوماً من الأيّام، وقد جاء يدعوهم ليصبحوا بشراً بعد أن كانوا شرّاً من البهائم؛ وقد مرّ بك قوله (ص) لهم : " إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنّي". لكنّهم أبوا إلاّ الإساءة والظّلم والبغي، فلقي النّبي (ص) منهم يومها ما لم يلقه من غيرهم خلال ثلاث عشرة سنة من الدّعوة.

(١) تفسير السمعاني ج ٦ ص ١٣٣ و تفسير البغوي، ج ٣ ص ١٢٦.

(٢) تفسير البغوي، ج ١ ص ١٨٠.

(٣) تفسير البغوي، ج ٤ ص ١٧٢.

وعن أبي مجلز قال: قال عمرو والمغيرة بن شعبة لمعاوية إنّ الحسن بن علي رجلٌ عييٌّ وإنّ له كلاماً ورأياً، وإنّا قد علمنا كلامه، يتكلم فلا يجد كلاما. قال: لا تفعلوا! فأبوا عليه، فصعد عمرو المنبر فذكر عليّاً ووقع فيه؛ ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ وقع في عليّ! ثمّ قيل للحسن بن عليّ: اصعد؛ فقال: لا أصعد ولا أتكلّم حتّى تعطوني إن قلت حقّاً أن تصدّقوني وإن قلت باطلاً أن تكذّبوني. فأعطوه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: أنشدك بالله يا عمرو ويا مغيرة أتعلمان أنّ رسول الله (ص) قال: لعن الله السّائق والرّاكب أحدهما فلانٌ؟ قالا: اللهمّ بلى. قال: أنشدك بالله يا معاوية ويا مغيرة، أتعلمان أنّ رسول الله (ص) لعن عمراً بكلّ قافية قالها لعنةً؟ قالا: اللّهمّ بلى! قال: أنشدك بالله ياعمرو، ويا معاوية بن أبي سفيان أتعلمان أنّ رسول الله (ص) لعن قوم هذا؟ قالا بلى. قال الحسن: فإنّي أحمد الله الذي وقعتم فيمن تبرّأ من هذا، قال وذكر الحديث. رواه الطبراني عن شيخه زكريّا بن يحيى السّاجي، قال الذّهبي: أحد الأثبات ما علمت فيه جرحاً أصلاً، وقال ابن القطّان: مختلفٌ فيه في الحديث، وثّقه قومٌ وضعّفه آخرون، وبقيّة رجاله رجال الصحيح[1].

فالحديث يفيد أنّ رسول الله(ص) لعن ثقيفاً. فثقيف قبيلةٌ ملعونةٌ، ولا يعني ذلك بالضرورة أن تكون ملعونة فرداً فرداً.

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٧ ص ٢٤٧.

الفصل الثاني

المغيرة (نسبه وبعض صفاته)

١) نسب المغيرة

٢) تربية المغيرة

من هو المغيرة بن شعبة؟

ليس بين أيدينا في كتب التّراجم والسّير والتّاريخ والأدب ما يشير إلى طفولة المغيرة بن شعبة. فلم يبق لنا إلاّ أن نتتبّع ما سوى ذلك من مراحل عمره.

قالوا في المغيرة بن شعبة:

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن معد بن عوف بن قيس بن منبّه، يكنّى أبا عبد الله، أمّه امرأة من بني نصر بن معاوية؛ ولي البصرة نحواً من سنتين ثمّ ولي الكوفة ومات بها سنة خمسين[1].

وقال ابن قتيبة: " وهو من ثقيف، وعمّه عروة بن مسعود الثّقفيّ، وكان عروة أسلم على عهد رسول الله (ص) ودعا قومه إلى الإسلام فقتلوه، فقال النّبي(ص): هذا شبيه بمؤمن آل ياسين. وكان المغيرة صاحَب قوماً من المشركين إلى مصر فقتلهم غيلةً، وأخذ ما معهم، وأتى النبي (ص) فأسلم، وشهد بيعة الرّضوان وشهد اليمامة وفتوح الشّام واليرموك والقادسيّة، وولاّه عمر (رض) البصرة"[2].

قال العصفريّ: يكنى أبا عبد الله، أمّه امرأةٌ من بني نصر بن معاوية. ولي البصرة نحواً من سنتين، وله بها فتوحٌ، وولي الكوفة ومات بها، وله بها دار. مات سنة خمسين[3].

أقول : ويبدو أن أباه كان دبّاغاً كما تشير إليه قصّة ذكرها الطّبريّ تأتي لاحقا إن

---

(١) المعجم الكبير، الطبرانيّ، ج ٢٠ص ٣٦٦[..] عن عبد الملك بن هشام عن أبي عبيدة.

(٢) المعارف، ابن قتيبة، ص ٢٩٤.

(٣) طبقات خليفة بن خياط، ص ٥٣. وتوجد ترجمة المغيرة في المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٥٠٥الحديث رقم ٥٨٨٧و التاريخ الأوسط ج١ص١٠٧.

شاء الله تعالى(١).

وقال ابن عساكر: المغيرة بن شعبة أبو عبد الله ويقال أبو عيسى الثقفيّ صاحب النّبي (ص)، توفّي سنة خمسين بالكوفة وهو أميرها. روى عنه عمر بن الخطاب ومن ولده عروة، وحمزة، والعقار -بنو المغيرة- و ورّاد مولاه وعمرو بن وهب وأبو بردة(٢).

وفي المعجم الكبير: يكنى أبا عبد الله، أمّه امرأةٌ من بني نصر بن معاوية؛ ولي البصرة نحوا من سنتين، ثمّ ولي الكوفة ومات بها سنة خمسين. أوّل مشاهده مع رسول الله(ص)الحديبية(٣).

وعليه يصعب تصنيفه في المهاجرين، لأنّ الهجرة الأولى كانت إلى الحبشة ولم يكن المغيرة فيها، والهجرة الثّانية كانت من مكّة إلى المدينة ولم يكن فيها أيضا؛ وبموجب حديث " من كانت هجرته إلى الله ورسوله.."(٤) يكون المغيرة أبعد النّاس

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٢ص ٥٨٦.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠، ص ١٨.

(٣) المعجم الكبير،الطبراني،ج ٢٠ص٣٦٦.

(٤) الحديث في صحيح البخاري، ج١ ص٣٠ و ج٢ ص٨٩٤ وج٣ ص١٤١٦ وج٥ ص١٩٥١ وج٦ ص٢٤٦١و ج٦ ص٢٥٥١، وصحيح مسلم ج٣ ص١٥١٥، والمنتقى لابن الجارود، ج١ص٢٧وصحيح ابن حبان ج٢ ص١١٣و ج٢ص١١٥و ج١١ص٢١١و الجمع بين الصحيحين ج١ ص١١٢سنن النسائي الكبرى، ج٣ ص٣٦١ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٦٢وسنن البيهقي الكبرى ج١ ص٤١و ج١ ص٢١٥و ج٦ ص٣٣١و ج٧ ص٣٤١وسنن الدارقطني ج١ ص٥٠وسنن النسائي (المجتبى) ج٦ ص١٥٨و ج٧ ص١٣ومعرفة السنن والآثارج١ ص١٥٣ ومسند الحميدي ج١ ص١٦المعجم الأوسط ج١ ص١٧و ج٧ ص١٢٣ومسند الطيالسي، ج ١ ص٩ومرقاة المفاتيح، ج١ ص١٠١وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٦٣وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه،ج٢٠ ص٢٢٣و وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسيرج١٢ ص٥٦٦ومجموع الفتاوى ج١٠ ص٢١٤وشرح معاني الآثار، ج٣ ص٩٦والخصائص

من الهجرة في سبيل الله كما سيأتي بيانه في قصّة إسلامه. ومع ذلك فقد عدّوه في المهاجرين!

وقال أبو بكر الشّيبانيّ: المغيرة بن شعبة بن مسعود يكنى بأبي عبد الله، ويكنى أيضا بأبي عيسى. توفّي سنة خمسين ويقولون سنة اثنتين وخمسين وهو على الكوفة في رمضان، ودفن بها؛ وكانت ولايته تسع سنين، وكان عمر(رض)ولاّه قبل ذلك، و ولاّه أبو بكر و ولاه عثمان(رض)وكان رجلا طويلاً أصيبت إحدى عينيه يوم اليرموك، وله هجرة"[1].

كنية المغيرة:

للمغيرة أكثر من كنية، وفي هذا الباب قصّة تداولها الفقهاء والمحدّثون بحذر شديد، لكونها ترتبط باجتهادات الخليفة عمر بن الخطّاب، ولم يجرؤ أحدٌ منهم أن يتناول ذلك ولو من بعيد. فالذي عليه المسلمون أنّ من خالف النّبي (ص)متعمّداً فقد ضلّ سواء السّبيل؛ لكن حينما يكون مخالف النبّي(ص) هو عمر بن الخطّاب تتوقّف المعايير فجأةً، وتتجمّد القواعد، وتتدخّل السّماء لتجري الحقّ على لسان عمر! قال الجزريّ في النّهاية: ومنه حديث أسلم [إن المغيرة بن شعبة تكنّى أبا عيسى فقال له عمر: أما يكفيك أن تكنّى بأبي عبد الله ؟ فقال: إنّ رسول الله(ص)كنّاني أبا عيسى؛

الكبرى، ج١ص٣٢٠وسير أعلام النبلاء، ج١٤ ص٤٣٩الكشاف،ج٢ ص٦١٣ و تفسير أبي السعود، ج٥ ص١١فتح القدير ج١ ص٥٠٥.

(١) الآحاد والمثاني، الشيباني، ج٣ص١٩٩.

فقال : إنّ رسول الله(ص)قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تـأخر، وإنّـا بعـد فـي جلجتِنـا].
فلم يزل يكنّى بأبي عبد الله حتى هلك[١].

فإن صحّت القصّة يكون عمر قد نسخ فعل رسول الله(ص)وأثبت فعله هـو، وقـال كلاماً لا يصحّ في مقابل قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمـن كـان يرجو الله واليوم الآخر). والقصّة في المستدرك[٢].

وفي الآحاد والمثاني[٣]، وذكرها ابن قيّم الجوزية فقال: وقد كره قومٌ مـن السّـلف والخلف الكنية بأبي عيسى وأجازها آخرون، فروى أبـو داود عـن زيـد بـن أسـلم أنّ عمر بن الخطّاب ضرب ابناً له تكنّـى أبـا عيسـى، وأنّ المغيـرة بـن شـعبة تكنّـى بـأبي عيســى فقــال لــه عمــر: أمــا يكفيــك أن تكنّــى بــأبي عبــد الله ؟ فقــال : إنّ رســول الله(ص)كنّاني فقال : إنّ رسول الله(ص)قد غفر له من ذنبه مـا تقـدم ومـا تـأخّر، وإنّـا لفي جلجتنا[!] فلم يـزل يكنـي بـأبي عبـد الله حتـى هلـك[٤]. أقـول: إن كـان المغيـرة صادقاً في أنّ النبي(ص)هو الذي كناه أبا عيسى، فمعناه أنّه من فعل النبي (ص)، ومع

(١) النهاية في غريب الأثر، ج ١ص ٧٨٥.

(٢) حدثنا أحمد بن يعقوب حدثنا أبو مسلم حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن زيد بن أسلم أنّ رجلا جاء فنادى يستأذن أبو عيسى على أمير المؤمنين عمر فقال عمر: ومن أبو عيسى؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا! فقال عمر: وهل لعيسى من أب؟ أما في كنى العرب ما تكتنون بها أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن؟ فقال رجل: أشهد لقد سمعت رسول الله(ص)كنّى بها المغيرة؛ فقال عمر: إنّ النّبي (ص)قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر وإنا في خلج ما ندري ما يفعل بنا فكناه بأبي عبد الله.(المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٥٠٩الحديث رقم ٥٨٩٦).

(٣) الآحاد والمثاني، ج٢ ص٦٠: حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي عن حبيب بن الشهيد عن يزيد بن أسلم عن أبيه قال دعا عمر (رض) ابنه عبد الرحمن ليغير كنيته وكانت كنيته أبو عيسى فقال: يا أمير المؤمنين والله إنّ رسول الله (ص)كنّى المغيرة بن شعبة بها قال بن أبي عاصم وكان للمغيرة بن شعبة كنيتان أبو عبد الله وأبو عيسى.

(٤) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، جزء ٢ ص ٣١٧.

ذلك كرهها قومٌ من السّلف لكراهة عمر إيّاها! كرهوا فعل النّبي(ص) لأنّ عمر كرهه، والقرآن الكريم يقول: (لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ).فهم حينما يخالف عمر بن الخطاب رسولَ الله(ص) يختارون صفّ عمر ويتركون صفّ رسول الله(ص)؛ وإن كان المغيرة كاذباً في دعواه فكيف يروي بعد ذلك حديث"من روى عنّي حديثا وهو يرى أنّه كذبٌ فهو أحد الكذابين").

وفي الكنى والأسماء(١٧٧٠) أبو عبد الله المغيرة بن شعبة الثقفي ويقال أبو عيسى[١]. وفي التاريخ الأوسط: كنية المغيرة بن شعبة أبو عبد الله ويقال أبو عيسى الثقفي[٢].

و قال ابن حجر: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معقب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي، أبو عيسى أو أبو محمّد. وقال الطّبريّ يكنى أبا عبد الله قال، وكان ضخم القامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين أصهب الشعر جعده وكان لا يفرقه.[٣].

وعليه يكون للمغيرة ثلاث كنىً، أبو عبد الله، وأبو عيسى، وأبو محمد.

(١) الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج، القشيري، ج١ ص٤٦٦: ١٧٧٠.
(٢) التاريخ الأوسط ، البخاري، ج١ص١٠٧.
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، جزء ٦ ص ١٩٧.

صفة المغيرة

قال ابن أبي الحديد :

وفى خبر آخر : " اسمان يبغضهما الله : مروان والمغيرة "[١].

قال الحاكم: كان يقال له مغيرة الرّأي، وكان داهيةً لا يجد في صدره أمرين إلاّ وجد في أحدهما مخرجاً. قدم على رسول الله(ص) وأقام معه حتّى اعتمر عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، قال المغيرة: فكانت أوّل سفرة خرجت معه فيها؛ وكنت أكون مع أبي بكر الصّدّيق(رض) وألزم النّبي (ص) فيمن يلزمه. وشهد المغيرة بعد ذلك المشاهد مع رسول الله(ص). وقدم وفد ثقيف فأنزلهم عليه وأكرمهم، وبعثه رسول الله(ص) وأبا سفيان بن حرب إلى الطّائف فهزموا ألوية[٢].

وقال ابن حبان : كنيته أبو عبد الله ويقال أبو عيسى، من دهاة العرب، أصيبت عينه يوم اليرموك، وهو أوّل من سُلّم عليه بالإمرة. مات سنة خمسين في الطّاعون في الكوفة في شعبان وهو وال على الكوفة وهو ابن سبعين سنة. ويقال إنّه أحصن ثمانين امرأةً! وأمّ المغيرة بن شعبة أمّ عبد الله بن هوازن[٣].

وقال ابن عساكر : كان طوالا أصهب الشّعر، جعدا،ضخم الهامة، عبل الذّراعين أقلص الشّفتين، يخضب بالحمرة[٤].وقال أيضا : عن محمّد بن أبي موسى الثّقفيّ عن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٢٠.
(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣ص٥٠٦.
(٣) الثقات، ابن حبان، ج٣ص٣٧٢ الحديث رقم ١٢٢١.
(٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠، ص ١٨.

أبيه قال: وكان المغيرة رجلا طوالاً أعور أصيبت عينه يوم اليرموك. قال ابن سعد: وكان المغيرة أصهب الشّعر، جعداً، أكشف، يفرق رأسه فروقاً أربعةً، أقلص الشفتين، مهتوما [المهتوم الذي كسرت ثناياه من أصولها وقيل : كسرت من أطرافها] ضخم الهامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين (١).

وفي تاريخ دمشق عن المغيرة بن الرّيّان عن الزّهريّ قال: قالت عائشة: كسفت الشمس على عهد رسول الله(ص) فقام المغيرة بن شعبة ينظر إليها فذهبت عينه (٢).

أقول: ليس هذا ببعيد، فقد أثبت العلم أنّ النّظر إلى الشّمس أثناء الكسوف فيه خطرٌ على بصر الناظر. وهكذا يتضاءل احتمال إصابته يوم اليرموك. وفي وصف المغيرة بالطّول نظر، فقد جاءت في كتب الأدب أخبارٌ تفيد أنّه كان دميماً، قصيراً، قريباً بعضه من بعض، وهجاه الشّعراء بذلك. وقال ابن كثير : بعثه الصّدّيق إلى البحرين وشهد اليمامة واليرموك فأصيبت عينه يومئذ، وقيل بل نظر إلى الشّمس وهي كاسفةٌ فذهب ضوء عينه(٣).

إذاً، فقد ذكروا أنّ المغيرة كان رجلاً طوالاً، أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك. وقالوا أيضا: ذهبت عينه يوم القادسيّة، وقيل: بالطائف، ومرّ أنّها ذهبت من كسوف الشّمس؛ ولا يمكن أن تكون هذه الأقوال كلّها صحيحةً في وقت واحد بخصوص عين واحدة. وبما أنّ العين الواحدة لا تصاب مرّتين، فينبغي النّظر في الرّوايات التي تحدّثت عن إصابته يوم اليرموك والرّوايات التي تذكر أنّه نظر إلى الشمس يوم

(١) تاريخ دمشق، ج ٦٠، ص ٢١.
(٢) تاريخ دمشق، ج ٦٠، ص ٢٢.
(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ٤٨.

الكسوف، فإنّ المغيرة لم يكتف بنظرة واحدة إلى الشّمس يومها وإنّما قام ينظر إليها، هكذا تقول رواية عائشة زوج النّبي (ص)، ومن شأن رواياتها أن تُقبل إن صحّت.

وفي مصنّف ابن أبي شيبة: حدّثنا أبو بكر قال أخبر(نا) ابن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد قال: رأيت المغيرة بن شعبة متضمّخا بالخلوق كأنّه عرجون[1].

أقول : لماذا كلّ هذا التضمّخ حتى صار يشبه العرجون، والإنسان لا يحتاج إلى هذا القدر من الخلوق أو الطّيب. لكنّ هناك أخباراً تفيد أنّ جماعة من العرب كانوا يكثرون من الطّيب لأنّ رائحةً كريهةً كانت تنبعث منهم، فكانوا يسترون ذلك بالطّيب! ومنهم عبيد الله بن زياد، فإنّهم عرفوه يوم قتلوه برائحة الطّيب القويّة التي كانت تشتمّ على مسافة. كان في جسم هذا الرّجل قرحة لا تندمل، وكان غالباً ما يُرى عليها الدّود، فكانت تنبعث منها رائحةٌ كريهةٌ مما أضطرّه إلى الإكثار من الطّيب في حلّه وترحاله.

وفيه أيضا : (تحت رقم ٢٥٠٤٨) حدثنا أبو بكر قال حدثنا المحاربيّ عن عبد الملك بن عمير قال: رأيت المغيرة بن شعبة يخضب بالصّفرة ورأيت جرير بن عبد الله يخضب بالصفرة والزّعفران[2].

إذاً، فقد كان المغيرة يخضب بالخلوق(الصّفرة)،و الخلوق ضرب من الطّيب[3]؛ وفي هذا الباب قال السّيوطي في الدّرّ المنثور : أخرج أحمد وأبو داود والنّسائي

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج٤ص٥٠ (تحت رقم ١٧٦٨٢) .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة،ج٥ ص١٨٦.
(٣) المفردات في غريب القرآن، ج١ص١٥٨.

والبيهقيّ عن ابن مسعود قال : " كان رسول الله(ص) يكره عشر خلال: التّختّم بالذّهب، وجرّ الإزار، والصّفرة يعني الخلوق، وتغيير الشّيب، والرّقى إلاّ بالمعوّذات، وعقد التّمائم، والضّرب بالكعاب، والتّبرّج بالزّينة لغير محلّها، وعزل الماء عن محلّه، وإفساد الصّبيّ، عشرٌ محرّمة[1]. وفي سنن أبي داود عن يحيى بن يعمر عن عمّار بن ياسر قال : قدمت على أهلي ليلاً وقد تشقّقت يداي، فخلقوني بزعفران فغدوت على النّبي (ص) فسلّمت عليه، فلم يردّ عليّ ولم يرحّب بي وقال: " اذهب فاغسل هذا عنك"؛ فذهبت فغسلته، ثمّ جئت وقد بقي عليّ منه، فسلّمت [عليه] فلم يردّ عليّ ولم يرحّب بي وقال: " اذهب فاغسل هذا عنك "؛ فذهبت فغسلته ثمّ جئت فسلّمت عليه فردّ عليّ ورحّب بي وقال " إنّ الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ولا المتضمّخ بالزّعفران ولا الجنب " قال ورخّص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضّأ[2]".

وفي سنن أبي داوود أيضا: عن الحسن بن أبي الحسن عن عمّار بن ياسر أنّ رسول الله(ص) قال " ثلاثةٌ لا تقربهم الملائكة، جيفة الكافر والمتضمّخ بالخلوق، والجنب إلاّ أن يتوضّأ "[3].

وفي سنن التّرمذيّ عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : نهى رسول(ص) عن التّزعفر للرّجال.قال أبو عيسى : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وروى شعبة هذا الحديث عن إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس : أنّ

---

(١) الدر المنثور، جزء ١، ص ٦٤٠.

(٢) سنن أبي داود، ٢ ص ٤٧٨. قال الشيخ الألباني : حسن.

(٣) سنن أبي داود، ج ٢ ص ٤٧٩ تحت رقم ٤١٨٠. قال الشيخ الألباني: حسن.

النّبي (ص) نهى عن التّزعفر. حدثنا بذلك عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا آدم عن شعبة. قال أبو عيسى: ومعنى كراهية التّزعفر للرّجال: أن يتزعفر الرّجل يعني أن يتطيّب به[١].

فإن صحّ هذا فإنّ المغيرة كان ممّن لا تقربهم الملائكة، وربّما احتفظ بعادة الخلوق من بين ما احتفظ به من عادات الجاهلية!

والذي يبعث على التّساؤل والتّعجّب، هو إكثار المغيرة من الخلوق إلى درجة التّضمّخ، وسواءٌ كان الضّمير في " كأنّه " في رواية ابن أبي شيبة يعود على المغيرة أم على الخلوق فإنّ الإكثار ثابتٌ؛ وهذا يعني أنّ المغيرة كان يكثر من شيء نهى عنه رسول الله(ص).

وفي معجم الطّبرانيّ: حدّثنا أبو زرعة عبد الرّحمن بن عمرو الدّمشقيّ، [..] حدّثنا زياد بن جبير بن حيّة، حدّثني أبي قال: أرسل إليهم بندادقان العلج أن أرسلوا يا معشر العرب برجل منكم نكلّمه فاختار النّاس المغيرة بن شعبة، قال أبي: فكأنّي أنظر إليه طويل الشّعر أعور..[٢].

وفي تاريخ الطّبريّ: فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة قال أبي كأني أنظر إليه رجلاً طويل الشّعر أعور، فأرسلوه إليه[٣].

وفي تاريخ الطّبريّ: قال محمّد بن عمر حدّثني محمّد بن أبي موسى الثّقفيّ عن

---

(١) سنن الترمذي، جزء ٥ ص ١٢١.تحت رقم ٢٨١٥.
(٢) المعجم الكبير الطبراني، ج٢٠ ص٤٣٢ (تحت رقم ١٠٤٩).
(٣) تاريخ الطّبريّ، ج ٢ ص ٥٢٠.

أبيه قال: كان المغيرة بن شعبة رجلاً طوالاً مصاب العين أُصيب باليرموك[(١)].

ففي الخبرين الأوّلين،وهما خبرا شاهد عيان [كأنّي أنظر إليه] أنّ المغيرة طويل الشّعر، وفي الخبر الأخير وهو رواية عن أبي موسى الثّقفيّ أنّ المغيرة كان طوالاً.

وفي أمالي القالي : حدّثنا أبو بكر رحمه الله، قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان المغيرة بن شعبة أعور دميماً آدم، فهجاه رجلٌ من أهل الكوفة فقال:

إذا راح في قبطية متأزّراً... فقل جُعَلٌ يستنّ في لبن محض

فأقسم لو خرّت من استك بيضةٌ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض

قال أبو بكر فقلت لأبي حاتم: ما أظنّ أحداً يسبقه إلى قوله: "جُعلٌ يستنّ في لبن محض" فقال: بلى، كان إبراهيم بن عربيّ والي اليمامة، فصعد المنبر يوماً وعليه ثيابٌ بيضٌ فبدا وجهه وكفّاه، فقال الفرزدق:

ترى منبر العبد اللئيم كأنّما ثلاثة غربان عليه وقوع

قال: فهذا يشبه ذلك وإن لم يكُنه[(٢)].

أقول: يستفاد ممّا سبق أنّ المغيرة بن شعبة كان: (١) أعور (٢) دميماً(٣) آدم؛ ومعنى آدم شديد السّمرة.وهذا ما أخفاه الذّهبي وابن سعد ومن معهما من كتّاب السير والتراجم.وفي الحماسة البصرية أُضيف إلى البيتين السابقين بيتان آخران هما :

وتحسبه إن قام للمشي قاعدا لقلّة مقاياسيه في الطّول والعرض

(١) تاريخ الطّبريّ، ج ٣ ص ٢٠٧.

(٢) أمالي القالي، ج١ص٢٧٨، دار الفكر.

فيا خلقة الشّيطان أقصر فإنّما رأيتك أهلاً للعداوة والبغض[١]

ومعنى قوله " يا خلقة الشيطان" أي يا شبيه الشيطان في الخلقة.

وفي قوله " تحسبه إن قام للمشي قاعداً" دليل على قصره.

وعليه يكون المغيرة دميماً(قبيح المنظر)، أعور، ضخم القامة، مهتوم الأسنان،! أقلص الشّفتين، أكشف[٢]،، عبل الذّراعين، بعيد ما بين المنكبين، أصهب الشّعر جعده، لا يفرق شعره، (وفي رواية ابن عساكر يفرق رأسه فروقاً أربعةً)، شبّهه الشّعراء بالجعل[٣].

يضاف إلى هذه الأشعار قول الشّاعر الصحابيّ حسّان بن ثابت:

لو أن اللّؤم ينسب كان عبداً قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدّين والإسلام لما بدت لك غدوة ذات النصيف

في أبيات قالها في هجاء المغيرة بن شعبة أيّام كانت قصة زناه حديث المقيم والظّاعن.

لكن الذّهبي لا يعجبه ذلك، فيقول عن المغيرة:

الأمير أبو عيسى، ويقال : أبو عبد الله، وقيل : أبو محمد. من كبار الصّحابة أولي

---

(١) الحماسة البصرية، ج٢ ص٢٨٠.

(٢) قال ابن الأثير : الأكشف الذي تنبت له شعرات في قصاص ناصيته ثائرة لا تكاد تسترسل والعرب تتشاءم به. لسان العرب، ابن منظور ج٩ ص٣٠٠].

(٣) الجعل دابّة سوداء من دوابّ الأرض قيل هو أبو جعران بفتح الجيم وجمعه جُعلان.[لسان العرب، ج١١: ص١١٢].

الشّجاعة والمكيدة. شهد بيعة الرّضوان. كان رجلاً طوالاً مهيباً[1].

فالرّجل كان في نظر معاصريه معيباً، وسيأتي لاحقاً قول علي(ع)، وكذلك أقوال صحابة وتابعين، وقول علي(ع) حقّ لقول النّبي (ص): "عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه حيث دار" وقوله أيضاً(ص): " علي مع القرآن والقرآن مع عليّ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض". فالذّهبي لا يبالي أن يردّ كلام رسول الله (ص) ليصون صورة المغيرة ـ حسب زعمه ـ حتى لا تتزعزع نظرية بساط الصّحابة المطويّ الذي روّج له! وقد كان على الذهبيّ أن يقول عن المغيرة: هو أحد دهاة العرب الانتهازيّين الذين لا يبالون بما يعترض طريقهم، ولا أثر للقيم عندهم إذا حضرت المصلحة وزاحمها الدّين[2]..

وروى مغيرة بن الريّان، عن الزّهريّ، قالت عائشة: كسفت الشّمس على عهد رسول الله (ص)، فقام المغيرة بن شعبة ينظر إليها، فذهبت عينه.

قال ابن سعد: كان المغيرة أصهب الشّعر جدّاً، يفرق رأسه فروقاً أربعةً، أقلص الشفتين. مهتوماً، ضخم الهامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين وكان داهيةً، يقال له: مغيرة الرأي.

وعن الشَّعبي: أنّ المغيرة سار من دمشق إلى الكوفة خمساً.

وعن ابن فضالة عن زياد بن جبير عن أبيه قال: انطلقنا مع النّعمان بن مقرن فانتهينا إلى العلج ذي الحاجب فأرسل إلينا أن ابعثوا إليّ رجلاً لأكلّمه قال: فاختار

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣، ص ٢١.

(٢) ومنهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه، وكلّ واحد منهم مطعون في نسبه كما هو مبين في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد..

النّاس يومئذ المغيرة بن شعبة قال أبي: فكأنّي أنظر إلى رجل أعورَ معه جحفةٌ له فإذا هو المغيرة بن شعبة، فانتهى إلى العلج فقال: بعث الله عزّ وجلّ فينا نبيّاً ووعده الله النّصر فما أخبرنا رسول الله (ص)..[١].

أقول: كان المغيرة أعور، ولا ينتخب الأعورَ في مهمّة دبلوماسيّة إلاّ أعور مثله. وإنّما كان المغيرة يتكلّم اللّغة الفارسيّة بخلاف بقيّة الجند، وعليه فقد كان الأولى بهم أن يقولوا: كلّفوه بمخاطبة ذي الحاجب باعتباره يعرف الفارسيّة دون غيره من الحضور يومئذ.لا أن يقولوا اختاروه.

وعن معمر عن الزهريّ قال : ثارت الفتنة ودهاة النّاس خمسةٌ، يعدّ من قريش : معاوية وعمرو. ويعدّ من الأنصار : قيس بن سعد، ويعدّ من المهاجرين : عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ، ويعدّ من ثقيف : المغيرة بن شعبة[٢].

أقول: ما معنى دهاة النّاس؟وهل كان الدّهاء يوماً من الأيّام شيئا محموداً في الإسلام؟

إنّ الدّهاء هو استخدام القدرات الفكريّة في الشرّ لا في الخير، وهو في الحقيقة مزيجٌ من المكر والحيلة، والتنصّل من القيم، ومحاولة الوصول إلى الغايات والأهداف مهما كلّف ذلك، ولذلك لم يتورّع عمرو بن العاص عن كشف عورته بين جيشين فيهما عشرات الألوف من المحاربين، ولم يفكّر بما يعود عليه وعلى عقبه من سبّة في ذلك، وذهب عمرو بن العاص وبقيت الفضيحة لاصقةً به وبذرّيته

(١) مسند أبي داود، الطيالسي، ، ص ٩٦.
(٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١١ص ٣٥٠.

حتى قال الشّاعر:

ولا خير في ردّ الردى بمذلة   كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

وإنّما أصبح للدّهاء ذكر بعد أن مارسه جيل الصّحابة، لأنّ كلّ عمل يصدر من الصّحابة لابدّ أن يؤوّل ويوجّه حتى لا ينهار البنيان الذي أسّسه أتباع عدالة جميع الصّحابة. من ذلك مثلاً رفع المصاحف يوم صفّين بدعوى الاحتكام إلى القرآن الكريم، وكأنّ المسلمين قبل ذلك كانوا في الجهة المقابلة للقرآن الكريم!

هل غاب عن أولئك الذين رفعوا المصاحف قول النّبي (ص)" علي مع القرآن والقرآن مع عليّ.." [1]؟

أبداً، لم يغب عنهم شيءٌ من ذلك، لكنّ الظروف دعت إلى الاختيار بين اليقين و الدّهاء، وفي مثل هذه الأحوال تبلى السّرائر وتنطق الألسن بما في الضّمائر، فيحتفظ صاحب الدّين بيقينه،ويلبّس الآخر على نفسه فيفتح أبواب التّأويل والتّوجيه والتّخريج، ويسمّى فعله اجتهاداً، وهكذا تغدو الحيلة اجتهاداً، والمكر اجتهاداً، والغشّ اجتهاداً، ورفع المصاحف في وجه أهل القرآن اجتهاداً، وكشف العورة بين جيشين اجتهاداً...

" ثارت الفتنة ودهاة النّاس خمسةٌ "! هل هناك آيةٌ قرآنيّةٌ تمدح الدّهاء؟ هل كان

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري،ج ٣ ، ص ١٢٤ ومجمع الزوائد، الهيثمي،ج ٩ ، ص ١٣٤والمعيار والموازنة أبو جعفر الإسكافي ، ص٤٥و المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٥ ، ص ١٣٥ و المعجم الصغير، الطبراني، ج ١ ، ص ٢٥٥ و الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، ج ٢ ، ص ١٧٧ و فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج ٤ ، ص ٤٧٠ و المناقب، الموفق الخوارزمي ، ص ١٧٧ و ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي ج ٢ ، ص ٩٦.

في الأنبياء والأوصياء والصّالحين دهاةٌ؟ هل هناك حديثٌ نبويٌّ يسمح باستعمال الدّهاء لخداع المسلمين؟

قال الخليل: " كلّما أصابك منكرٌ من وجه المأمن، أو خُتلت عن أمر فقد دُهيت "[١]. وهذا يذكّر بالمالكيّين الذين اغتالهم المغيرة بن شعبة وهم نيامٌ، فإنّهم قد أصابهم منكرٌ من وجه المأمن، ولو كانوا لا يأمنون المغيرة لأخذوا حذرهم منه.

وفي مسند ابن الجعد : عن عبد الملك بن عمير قال: رأيت المغيرة بن شعبة وجرير بن عبد الله يصفّران لحاهما[٢].

وفي مصنّف ابن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير قال : رأيت المغيرة بن شعبة يخضب بالصّفرة، ورأيت جرير بن عبد الله يخضب بالصّفرة والزعفران[٣]..

قال ابن أبي عاصم: وكان للمغيرة بن شعبة كنيتان، أبو عبد الله وأبو عيسى[٤].

وفي صحيح ابن حبّان : " فلمّا اجتمعوا بنهاوند جميعاً أرسل إليهم بنذاذقان العلج أن أرسلوا إلينا يا معشر العرب رجلاً منكم نكلّمه، فاختار الناس المغيرة بن شعبة، قال أبي: فكأنّي أنظر إليه رجل طويل أشعر أعور "[٥].

فالرّوايات كلّها تشير إلى أنّ المغيرة بن شعبة كان أعور، وليس العوَر في ذاته عيباً، لكن حينما يتلبّس به شخصٌ مذموم السّيرة يصبح لقباً يلازم صاحبه في الحلّ

(١) كتاب العين الخليل الفراهيدي، ج ٤،، ص ٧٧.
(٢) مسند ابن الجعد، ، ص ٩١.
(٣) المصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٦، ص ٥٥.
(٤) الآحاد والمثاني، الضحاك، ج ٢، ص ٦٠.
(٥) صحيح ابن حبان، ج ١١ ص ٦٥.

والتّرحـال. ولـذلك لـم يتـردّد المصـريّون أيّـام حصـار عثمـان أن ينـادوا المغيـرة "يا أعور"..قال ابن عـون: فـلا أدري أيـن بلغـوا، ثـمّ رجعـوا فقعـدوا ناحيـةً فقـالوا: لا يكلمنا أحدٌ ولا يدنونّ منّا أحـدٌ. فأرسـل إلـيهم المغيـرة فأتـاهم فقـالوا: لا تـدنونّ منّـا يا أعور لا تكلمنا يا أعور(١)..

تربية المغيرة

ليس بين أيدينا ما يشير إلى تربية المغيرة بن شعبة، كمـا أنّـه لـيس لوالديـه سـجلٌّ يحوي بطولات أو امتيازات، ولم يُعرف له إخوةٌ أيضاً؛ كلّ ما نسـتطيع استشـفافه مـن وراء العبارات والأخبار هو أنّ أحد أبويه كان دبّاغاً، هذا إن لم يكونا جميعـاً كـذلك؛ ومهنة الدّباغة ليست من المهـن الرّفيعـة التـي يـتعلّم منهـا الإنسـان الحكمـة أو اللّياقـة و مكارم الأخلاق. روى الجوهري أنّ المغيرة بن شعبة قال لعثمان يوم بويع: أمـا والله لو بويع غيرك لما بايعناه، فقال عبد الـرّحمن بـن عـوف: كـذبت، والله لـو بويـع غيـره لبايعتـه، وما أنت وذاك يا ابن الدبّاغة، والله لو ولِيها غيره لقلت لـه مثـل مـا قلـت الآن، تقرّباً إليه وطمعاً في الدّنيا، فاذهب لا أبا لك ؛ فقال المغيرة: لولا مكان أميـر المـؤمنين لأسمعتك ما تكره، ومضيا(٢). و الأخبار تفيد أيضاً أنّ المغيرة كان مـن سـدنة الـلاّت، أي كاهناً من الكهنة الذين يقومون بشؤون معابد المشركين؛ كيف انتقل ابن الدبّاغـة إلى المعبد وانخرط في سلك الكهنة؟ هل يشير ذلك إلى هوان منصـب السّـادن علـى النّـاس أم أنّـه يـدلّ علـى قـدرة المغيـرة علـى التّـأقلم مـع الوضـعيّات مهْمـا كانـت الظروف؟! لم يذكر أحدٌ أنّ من آباء المغيرة من كان سادناً، ولو كان شـيءٌ مـن هـذا

(١) تاريخ مدينة دمشق،ابن عساكر، ج ٣٩ ص ٣٢٥.
(٢) السّقيفة وفدك، الجوهري، ص ٨٧

لذكره المغيرة نفسه لأنّه كان لا يدع شيئاً يكون مظنّة للبروز والتميّز إلاّ ذكره، حتى إنّه قال: "أنا أوّل من رشا في الإسلام" ! فإذا كان لا يستحي أن يفتخر بالرّشوة، فكيف يستحي أن يذكر تميّز بعض آبائه بالقيام بشؤون اللات أو العزّى أو مناة الثالثة الأخرى؟! ثمّ إنّ المغيرة نفسه يذكر أنّه كان مع أبي جهل يوماً من الأيّام في مكّة قبل هجرة النّبي(ص) إلى المدينة المنوّرة؛ قال ابن كثير في رواية عن المغيرة: قال رسول الله(ص) لأبي جهل: [وذكر قصّة تأتي لاحقاً] [1]. وهذا يعني أنّ المغيرة كان يومها على علاقة بكبراء قريش. وإذا كانت وفاة المغيرة في سنة ٥٠ وعمره ٧٠ سنة ـ كما ذكروا ـ فهذا يعني أنّ عمره عند وفاة النّبي كان في حدود الثّلاثين سنة، تزيد أشهرا أو أسابيع. وبما أنّ النّبي (ص) لم يعد يدعو كبراء قريش إلى الإسلام بعد هجرة جعفر بن أبي طالب ومن معه إلى الحبشة فإنّ الحادثة تعود إلى أربع أو خمس سنوات قبل هجرة النّبي (ص)، وعليه يكون عمر المغيرة أيّام كان يرى أبا جهل في مكّة بين السّادسة عشرة والسّابعة عشرة، وقلّما يتأتّى لشابّ في مثل هذه السّنّ أن يكون على ارتباط شخصيّ بأمثال أبي جهل في مكّة إلاّ أن يكون موقعه الدّيني يسمح بذلك، وهو قد كان من سدنة اللاّت. وحينما أراد المغيرة أن يسافر مع المالكيّين من الطّائف إلى الإسكندريّة استشار عمّه عروة بن مسعود الثّقفيّ، فلمّا أبدى عروة بن مسعود رأيه ولم يكن رأيه موافقاً لرغبة المغيرة تجاهل المغيرة رأي عمّه وعمل برأيه هو وسافر معهم. و لا ندري إن كانت تلك أوّل مرّة يخالف فيها عمّه، وقد ذكروا أنّ عروة بن مسعود كان محبوباً مطاعاً في قومه، ورجل بهذا المستوى لا يعقل أن يتصرّف المغيرة معه بذلك الشّكل أكثر من مرّة وإن كان عمَّه. وقد اتّخذ المغيرة قراره بقتل المالكيين ـ كما يأتي لاحقاً ـ ولم يفكّر

(١) البداية و النهاية، ابن كثير، ج٣ ص٦٥.

في مصير عمّه ومستقبل قبيلته، وهذا تصرّفٌ غريبٌ من طرف كاهن! وقد دفع عروة بن مسعود ثمن جريمة المغيرة مرّتين: مرّة حين دفع ديات القتلى، ومرّة حين تعرّض هو نفسه للاغتيال من طرف المالكيّين.

في مثل حال المغيرة بن شعبة نستدلّ بكهولة الرّجل وشيخوخته على طفولته وتربيته.أي أنّنا بدل أن نربط بشكل تصاعديّ بين الطّفولة والتّربية وبين مراحل ما بعد البلوغ، نقوم بالعمليّة عكسيّا، لأنّ تفاصيل الطّفولة مجهولة لدينا. ولا شكّ أنّ للطّفولة أثرها الكبير في حياة الإنسان، فإنّ بعض الأذواق والتّصرّفات يحتفظ بها المرء إلى أن يخرج من الدّنيا، وقلّما يوجد رجلٌ لا يحنّ إلى طفولته إن كانت ذكرياتها الطّيّبة أفضل من المحزنة، ومن الأدلّة على ذلك سيَر الكبار من الأدباء والفنّانين والرّياضيين والسّياسيّين، سواءٌ من كان منهم طيّبا ومن كان غير طيّب، فإن المتتبّع لسيرتهم يلاحظ معالم معيّنةً من أفكارهم ومواقفهم مستمرّةً معهم من الطّفولة إلى آخر العمر. وفي وسعنا أن نتخيّل أخوين شقيقين يفرّق بينهما فيتربّى أحدهما لدى عائلة متديّنة، ويتربّى الثّاني لدى عائلة متفسّخة، هل يعقل أن تكون النتيجة واحدة؟ خصوصاً إذا كان ربّ العائلة المتديّنة عالماً ورعاً وربّما مجتهداً، وكان ربّ العائلة المتفسّخة شخصاً معروفاً لدى المحاكم بمخالفاته ـ حتى لا نقول جرائمه ـ المتكرّرة!

لا شكّ أنّ للطّفولة ومحيطها تأثيراً قويّاً في تحديد مسار حياة الإنسان، وإن كان ذلك لا يمنع من تهذيب النّفس وشحذ الهمّة وطلب الكمال. كلّ ما في المسألة أنّ الطّفولة الهادئة ذات العاطفة والحنان الكافيين تذلّل الطّريق أمام الطّموحات المشروعة وبناء الشّخصيّة القويّة، بينما تخلق الطّفولة المضطربة عقبات أمام الشّخص حتى في بناء علاقات اجتماعيّة بسيطة.

الفصل الثالث

إسلام المغيرة بن شعبة

عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال: قال المغيرة بن شعبة: إنّ أوّل يوم عرفت فيه رسول الله (ص) أنّي كنت أمشي مع أبي جهل بمكّة فلقينا رسول الله (ص)فقال له: يا أبا الحكم؛ هلمّ إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه، أدعوك إلى الله. فقال: يا محمّد؛ ما أنت بمنته عن سبّ آلهتنا، هل تريد إلاّ أن نشهد أن قد بلّغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت. قال فانصرف عنه رسول الله (ص)، فأقبل عليّ فقال: والله إني لأعلم أنّ ما يقول حقٌّ، ولكنّ بني قصيّ قالوا فينا الحجابة، فقلنا نعم. ثمّ قالوا فينا القِرى فقلنا نعم. ثمّ قالوا فينا النّدوة فقلنا نعم. ثمّ قالوا فينا السّقاية فقلنا نعم. ثمّ أطعموا وأطعمنا، حتّى إذا تحاكّت الرّكب قالوا منا نبيٌّ. والله لا أفعل[1].

وفي غريب الحديث: وقال أبو سليمان في حديث النّبي أنّ المغيرة بن شعبة قال: قال لي أبو جهل بن هشام والله إنّي لأعلم أنّ ما يقول محمّد حقٌّ، ولكن قالت بنو قصيّ فينا الحجابة فقلنا نعم، ثمّ قالوا وفينا اللّواء قلنا نعم، ثمّ قالوا فينا النّدوة قلنا نعم، ثم قالوا فينا السّقاية قلنا نعم، ثمّ أطعموا وأطعمنا حتّى إذا تحاكّت الرّكب قالوا منّا نبيٌّ؛ والله لا أفعل[2].

وفي الفائق أنّ المغيرة بن شعبة قال: قال لي أبو جهل بن هشام: والله إنّي أعلم أنّ ما يقول محمد حقٌّ، ولكن قالت بنو قصيّ...[3].

هذه الأخبار تفيد أنّ المغيرة كان يعلم بصدق رسالة النّبي (ص) قبل الهجرة

(١) سيرة ابن إسحاق، جزء ١ ص ١٩١ و مصنف ابن أبي شيبة،ج٧ ص٢٥٥ (تحت رقم ٣٥٨٢٩) .

(٢) غريب الحديث، الخطابي، ج١ ص ٤٥٠.

(٣) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ج١ ص٣٠١.

الشّريفة، إذ القصّة أيّام كان النّبي (ص) بمكّة، والمغيرة يشهد أنّه سمع أبا جهل يقسم أنّ ما يقوله رسول الله(ص) حقٌّ، لكنّه -أي المغيرة -لا يعترف بالإسلام بل يبقى متمسّكاً بدين اللاّت. وقد علّل أبو جهل امتناعه من الإسلام بدعوى أنّ الصراع القبليّ بين بني هاشم وبني مخزوم يأبى ذلك، وإن كان بطلانه بيّناً لثبوت دخول بعض بني مخزوم في الإسلام في مكّة، فبماذا يبرّر المغيرة بن شعبة امتناعه من الإسلام؟ وبماذا يبرّر بقاءه على الشّرك سنين بعد سماعه ما جرى بين رسول الله(ص) وأبي جهل، وبعد أن سمع أبا جهل يقسم أنّ ما قاله رسول الله(ص)حقٌّ؟ و لماذا يقول بعد ذلك: " فأراني لو رأيت قومنا قد أسلموا ما تبعتهم"(١) ؟!

قصة إسلام المغيرة بن شعبة

روى ابن سعد[..] عن محمّد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم قالوا: قال المغيرة بن شعبة: كنّا قوما من العرب متمسّكين بديننا، ونحن سدنة اللاّت، فأراني لو رأيت قومنا قد أسلموا ما تبعتهم [!] فأجمع نفرٌ من بني مالك الوفود على المقوقس(٢) وأهدوا له هدايا، فأجمعت الخروج معهم. فاستشرت عمّي عروة بن مسعود فنهاني وقال: ليس معك من بني أبيك أحدٌ. فأبيت إلاّ الخروج. فخرجت معهم وليس معهم من الأحلاف غيري حتّى دخلنا الإسكندريّة، فإذا المقوقس في مجلس مطلّ على البحر، فركبت زورقاً حتّى حاذيت مجلسه، فنظر إليّ فأنكرني، وأمر من يسألني من أنا، وما أريد. فسألني المأمور، فأخبرته بأمرنا وقدومنا عليه؛ فأمر بنا أن ننزل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة، ثمّ دعا بنا، فدخلنا عليه، فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه إليه وأجلسه معه، ثمّ سأله: أكلّ القوم من بني مالك ؟ فقال: نعم إلاّ

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٤ ص٢٥٨.

(٢) المقوقس هو ملك مصر.

رجلا واحدا من الأحلاف فعرّفه إيّاي، فكنت أهون القوم عليه[١]. ووضعوا هداياهم بين يديه[٢] فسرّ بها وأمر بقبضها وأمر لهم بجوائز، وفضّل بعضهم على بعض، وقصّر بي فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له، وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهليهم وهم مسرورون، ولم يعرض عليّ رجل منهم مواساةً! وخرجوا وحملوا معهم الخمر، وكانوا يشربون وأشرب معهم، وتأبى نفسي تدعني ينصرفون إلى الطّائف بما أصابوا وما حباهم الملك ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إيّاي،فأجمعت على قتلهم[٣]! فلمّا كنا ببسا[٤] تمارضت وعصبت رأسي فقالوا لي: مالك؟ قلت: أصدع. فوضعوا شرابهم ودعوني فقلت: رأسي يصدع ولكنّي أجلس فأسقيكم. فلم ينكروا شيئاً، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح، فلما دبّت الكأس فيهم اشتهوا الشّراب، فجعلت أصرف لهم وأنزع الكأس فيشربون ولا يدرون، فأهمد تهم الكأس حتّى ناموا ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً [!] وأخذت جميع ما كان معهم، فقدمت على النّبي (ص) فأجده جالساً في المسجد مع أصحابه وعليّ ثياب سفري،

(١) لماذا يكون أهون القوم عليه من أوّل نظرة؟

(٢) لا يذكر المغيرة أنه وضع هو أيضا هدية مع هداياهم بل يتحدث عن هداياهم فقط ولو كان أهدى مثلهم لقال: ووضعت هديتي مع هداياهم.

(٣) هذا هو سبب القتل والمغيرة يصرح به ويقول: " فأجمعت على قتلهم) لأنه لم يكن يتحمل أن يعلم الناس بازدراء الملك إياه وهو السادن المتمسّك بدينه!

(٤) الصواب بيسان، قال ياقوت الحموي في [معجم البلدان ج ١ص ٥٢٧]: بيسان : بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون : مدينة بالأردن بالغور الشامي ويقال هي لسان الأرض وهي بين حوران وفلسطين وبها عين الفلوس يقال إنها من الجنة وهي عين فيها ملوحة يسيرة جاء ذكرها في حديث الجساسة. وقد ذكر حديث الجساسة بطوله في طيبة وتوصف بكثرة النخل وقد رأيتها مرارا فلم أر فيها غير نخلتين حائلتين وهو من علامات خروج الدجال وهي بلدة وبئة حارة أهلها سمر الألوان جعد الشعور لشدة الحر الذي عندهم وإليها فيما أحسب ينسب الخمر قالت ليلى الأخيلية في توبة : جزى الله خيرا والجزاء بكفه...وينسب إليها جماعة منهم : سارية البيساني وعبد الوارث بن الحسن بن عمر القرشي يعرف بالترجمان البيساني.

فسلّمت بسلام الإسلام، فنظر إلى أبي بكر بن أبي قحافة وكان بي عارفاً، فقال: ابن أخي عروة ؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله. فقال رسول الله (ص) : الحمد لله الذي هداك للإسلام. فقال: أبو بكر: أمن مصر أقبلتم ؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيّون الذين كانوا معك ؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشّرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى رسول الله (ص) ليخمّسها أو يرى فيها رأيه، فإنّما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلمٌ مصدّقٌ بمحمّد (ص). فقال رسول الله (ص) : أمّا إسلامك فقبلته، ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمّسه، لأنّ هذا غدرٌ، والغدر لا خير فيه؛ قال فأخذني ما قرب وما بعد وقلت: يا رسول الله، إنّما قتلتهم وأنا على دين قومي ثمّ أسلمت حيث دخلت عليك السّاعة.قال فإنّ الإسلام يجبّ ما كان قبله[١]...

هذه قصّة أسلام المغيرة بن شعبة[٢]، لم يروها غير المغيرة، ولابدّ لنا من وقفة معها، فإنّ الإسلام دين القيم والمثل والآداب ومكارم الأخلاق، والذين يقصدون رسول الله (ص) عادةً لإعلان إسلامهم لا يكونون مطلوبين بدماء أو أموال قبل إسلامهم، حتى لا يكون إسلامهم ذريعةً لأخذ حقوق الآخرين؛ قال ابن هشام في سيرته: وحدّثني أبو عبيدة أنّ أبا العاص بن الرّبيع لمّا قدم من الشّام ومعه أموال المشركين قيل له: هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال فإنّها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئسما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي[٣]! هذا قول أبي العاص وهو بعدُ على الشّرك، لكنّ المغيرة جاء يعلن إسلامه أمام الملإ ومعه أموال مغصوبة، وفي

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٤ ص٢٥٨.
(٢) القصة اختصرها الصّنعاني في المصنّف، ج ٥ ص٢٩٩.
(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ج٣ ص٢١٠.

عنقه دماء مسفوكة غدراً؛

وقد تجنّب كتّاب السّير والتراجم المقايسة بين السّلوكين عمداً، تصحيحاً منهم لما يذهبون إليه من عدالة جميع الصّحابة. وقد سمّى النّبي (ص) فعلة المغيرة غدراً، ولم يقبل ماله، لأنّ الإسلام لا يقبل إلاّ طيّباً. والمسألة لا تحتاج إلى بحث طويل، خصوصاً إذا علمنا أنّ العرب لا يفرّطون في مسألة الثّأر. فالمغيرة لم يسلم حبّاً في الدّين وهو المقرّ على نفسه أنّه حتى لو أسلم قومه ما تبعهم، وإنّما أسلم ليحقن دمه، لأنّه كان سيُطلب من طرف ذوي القتلى الذين غدر بهم في السّفر. وبما أنّ الإسلام يجبّ ما قبله فإنّ رسول الله (ص) لن يسلّمه إليهم، لأنّه بعد إسلامه يكون جنديّاً من جنود النّبي (ص) ودولة الإسلام قويّة، ولن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام مشركين يريدون أخذ واحد منهم ليقتلوه بقتلى مشركين. وقد تحمّل عمّه عروة بن مسعود الثّقفيّ دية القتلى وأدّاها عنه، وقال له يوم الحديبية ما قال.

قال ابن حجر: وقد ساق ابن الكلبيّ و الواقديّ القصّة، و حاصلها أنّهم كانوا خرجوا زائرين المقوقس بمصر، فأحسن إليهم وأعطاهم وقصّر بالمغيرة، فحصلت له الغيرة منهم، فلمّا كانوا بالطّريق شربوا الخمر، فلما سكروا وناموا وثب المغيرة فقتلهم ولحق بالمدينة فأسلم[1].

أقول: نعم! وثب عليهم وهم نائمون!

لماذا قتلهم المغيرة؟ لأنّه حصلت له منهم الغيرة! هكذا يقول ابن حجر، مع أنّ النّبي (ص) سمّى ذلك غدراً! فيكفي في نظر ابن حجر أن تحصل لشخص الغيرةُ

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٥ ص٣٤١.

من أشخاص آخرين كيما يستبيح دماءهم ويقتلهم. وما ذنبهم إذا كان ملك مصر قد قصّر في حقّ المغيرة بخصوص الهدايا؟! لماذا لم يقل المغيرة للملك: " أيّها الملك؛ إنّك قصّرت في حقّي ومن شأن الملوك أن يعدلوا وينصفوا "! لكنّ المغيرة لا يستطيع أن يوجّه كلامه إلى الملك، فقد يكون الجواب أشدّ من التّقصير، إذ ليس بين الملك والمغيرة سابق معرفة، ولا هو دعاه إلى ضيافة، وقد سأل عنه رأس المالكيّين؛ إضافةً إلى أنّ المغيرة لم يقدّم هديّةً كما قدّم المالكيون؛ وهذا فيه من سوء الأدب ما فيه، وقد كان عليه ـ على أقلّ تقدير في نظر العقلاء ـ أن يعتذر إلى الملك لكونه لم يقدّم هديةً كما قدّم الآخرون ويبرّر ذلك بما يظهر له، فإنّه ـ و هو الذي يضرب به المثل في الدّهاء ـ لم يكن ليجد صعوبةً في ذلك؛ لكنّه لم يفعل.

يستطيع المغيرة أن يستغلّ ثقة رفاقه في السّفر ليسقيهم الخمر حتى يهمدوا، ثمّ يقتلهم وهم نيامٌ؛ هذا أسهل من مواجهة الملك في قصره وأمام حاشيته وجنده. والمغيرة متعوّدٌ على الأمور السّهلة. وانظر إلى مدى حيائه من رسول الله(ص) حين يقول "غنيمةٌ من مشركين " وهو قد كان مشركاً حين قتلهم !

هذه القصّة أحرجت القائلين بعدالة جميع الصّحابة، إذ يصعب عليهم تبرير فعلة المغيرة، لذلك تعاملوا معها كما لو كانت أمراً طبيعيّا لا غرابة فيه، ومرّروها دون تعليق؛ هذا مع أن النّبي (ص) سمّى فعلة المغيرة غدراً؛ ولأنّ النّبي (ص) مأمورٌ بقبول إسلام كلّ من يعلن إسلامه فإنّه قال للمغيرة بكلّ وضوح: " أما إسلامك فقد قبلته"؛ وحتّى لا يتوهّم متوهّمٌ أن النّبي (ص) تجاهل شناعة فعل المغيرة فإنّه(ص) أردف بقوله " ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخمّسه، لأنّ هذا غدرٌ، والغدر لا خير فيه". وهكذا تعذّر على المحدّثين أن يجدوا للمغيرة مخرجاً يُعذر به؛ لكنّ ذلك لم

يمنعهم من التّلاعب بالألفاظ، وإيجاد فجوات تمرّر العمليّة بسلام. فتجد ابن حجر يقول: " ولعلّ النّبي (ص) ترك المال في يده لإمكان أن يسلمَ قومه فيردّ إليهم أموالهم "(١) بعد أن قال في نفس الصّفحة: " ويستفاد منه أنّه لا يحلّ أخذ أموال الكفّار في حال الأمن غدراً لأنّ الرّفقة يصطحبون على الأمانة، والأمانة تؤدّى إلى أهلها مسلماً كان أو كافراً "! فإذا كان الحُكم كما يقول ابن حجر " لا يحلّ أخذ أموال الكفّار في حال الأمن " فإنّه يشمل كلّ المسلمين ورسول الله(ص) سيّد المسلمين، وقول ابن حجر " تَرَكَ المال " يُشعر أنّه كان له أن يأخذه، أي يأخذ ما لا يحلّ! وهكذا جمع ابن حجر في هذا الاستنتاج بين التّناقض والقطع على رسول الله(ص) بالظّنّ. وهذا أحمد بن حنبل يروي أنّ المغيرة صحب قوماً من المشركين فوجد منهم غفلةً فقتلهم وأخذ أموالهم فجاء بها إلى النّبي (ص) فأبى رسول الله(ص) أن يقبلها(٢). ولا يخفى التّحريف والتّلبيس في قوله "صحب قوماً من المشركين"! ألم يكن هو أيضا مشركاً يومها؟ لماذا لم يقل أحمد بن حنبل "صحب قوماً من المشركين وهو على دينهم"؟! إذ القارئ لكلام أحمد بن حنبل على ما هو عليه يتوهّم أنّ المغيرة قتلهم وهو مسلم، والواقع غير ذلك. وحتى لو كان مسلماً فإنّه لا يحلّ له أن يقتلهم بعد أن ائتمنوه وأكلوا معه. وانظر إلى قول الفقيه "وجد منهم غفلة "، والحقّ أنّهم أخذوا منه ميثاقاً ألاّ يغدر بهم ـ كما سيأتي بيانه ـ وهم أبناء بلد واحد! كان على أحمد بن حنبل أن يقول " إنّ المغيرة صحب قوماً من المشركين وهو على الشّرك" حتى يكون الأمر واضحاً، لكنّ أحمد بن حنبل في هذه القصّة

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٥ ص ٣٤١.
(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٤ ص٢٤٦ (تحت رقم ١٨١٧٨) .

يُسرّ حسواً في ارتغاء !

وقال السّعديّ في تفسيره: وكان المغيرة صحب قوماً فقتلهم وأخذ أموالهم ثمّ جاء فأسلم فقال النّبي (ص): أمّا الإسلام فأقبل وأمّا المال فلست منه في شيء[١]. ولا شكّ أنّ هذا القول صادقٌ مطابقٌ للواقع، فإنّه قال: " ثمّ جاء فأسلم "، فاستعمل أداةً تدلّ على التّراخي، فيفهم منه أنّه لم يكن مسلماً قبلها، فليس هناك أيّ تلبيس على القارئ.

وقال ابن حجر في الإصابة في ترجمة الشّريد بن سويد الثّقفيّ: "قال ابن السّكن: "له صحبةٌ، حديثه في أهل الحجاز، سكن الطّائف، والأكثر أنّه ثّقفيٌّ ويقال إنّه حضرميّ حالف ثقيفا، وتزوّج آمنة بنت أبي العاص بن أميّة. ويقال كان اسمه مالكاً فسُمّي الشّريد لأنّه شرد من المغيرة بن شعبة لمّا قتل رفقته الثّقفيّين، فروى عبد الرزاق في الجهاد عن معمر عن الزّهريّ قال: صحب المغيرة قوما في الجاهليّة فقتلهم...الحديث. قال معمر: وسمعت أنّهم كانوا تعاقدوا معه ألاّ يغدر بهم حتى يعلمهم، فنزلوا منه منزلاً فجعل يحفر بنصل سيفه، فقالوا: ما هذا؟ قال: أحفر قبوركم، فلم يفهموها، وأكلوا وشربوا وناموا، فقتلهم فلم ينج منهم أحدٌ إلاّ الشّريد؛ فلذلك سُمّي الشّريد. وذكر الواقديّ القصّة مطوّلةً وفيها أنّهم كانوا دخلوا مصر جميعا، فحباهم المقوقس وأكرمهم سوى المغيرة فقصّر به، فحنق عليهم ذلك، ففعل بهم ما فعل"[٢]. أقول: وهذا يعني أنّ المغيرة نقض العهد، فهو قد تعاقد معهم ألاّ يغدر بهم ومع ذلك فعلها. وفي تعاقدهم معه ما يشعر أنّ للرّجل سوابق لا نعلمها،

(١) تفسير السعدي، ج١ ص٧٩٧.

(٢) الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٣ ص ٣٤٠.

وإلاّ فإنّهم كانوا جميعاً من الطّائف، والمفروض أنّ الصّحبة في السّفر تبنى على الثّقة لا على سوء الظّنّ، وهم في القصّة تعاقدوا معه، أي أنّهم كانوا في جهة وهو في جهة، فلماذا خصّوه بهذا التعاقد لو لم يكن الشّخص الوحيد الذي تُخشى بوائقه! وفي قولهم "حنق عليهم " ما يدعو إلى العجب، فإنّ الإنسان يحنق على من آذاه وأساء إليه، لا على من لم يؤذه ولم يسئ إليه، وما أروع قوله تعالى (لا تزر وازرة وزر أخرى)؛ ففي هذه القصّة كان للمغيرة أن يحنق على الملك الذي قصّر به لا على المالكيّين الأبرياء. وبما أنّ المالكيّين تعاقدوا مع المغيرة ألاّ يغدر بهم حتّى يعلمهم فإنّه احتال كما يحتال أمثاله من أهل الدّهاء حين يريدون التّلبيس على أنفسهم، وراح يحفر في الأرض؛ فلمّا سألوه عن ذلك قال: " أحفر قبوركم ". فهو يتصوّر أنّه بهذه العبارة قد أعلمهم وصار من حقّه أن يغدر بهم مرتاح الضّمير ـ إن كان له ضمير ـ! ولم ينفع المغيرة هذا التّحايل على نفسه، فقد سمّى النّبي (ص) فعلته غدراً، وكفى الله المؤمنين القتال. وقد أشار ابن شهاب الزّهريّ إلى ذلك كأنّما يصوّبه؛ فقد روى عبد الرّزّاق عن معمر عن الزّهريّ[1] قال: صحب المغيرة بن شعبة

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أبو بكر المدني، الطبقة : ٤: طبقة تلي الوسطى من التابعين، الوفاة : ١٢٥ هـ و قيل قبلها. روى له : (البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجه) . رتبته عند ابن حجر : الفقيه الحافظ متفق على جلالته و إتقانه، ورتبته عند الذهبي : أحد الأعلام. وقال السيد أبو القاسم الخوئي [من علماء الشيعة] في ترجمته في معجم رجال الحديث (ج١٧ص١٩٠، ١٩٣) : أقول : الزهري وإن كان من علماء العامة، إلا أنه يظهر من هذه الرواية وغيرها، أنه كان يحب علي بن الحسين عليه السلام ويعظمه وقد روى الصدوق بإسناده، عن عمران بن سليم، قال : كان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال : حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة : ولم تقول له زين العابدين ؟ قال : لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين، فكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف. العلل : الجزء ١،

قوماً في الجاهليّة[!] فقتلهم وأخذ أموالهم ثمّ جاء فأسلم، فقال النّبي(ص): أمّا الإسلام فأقبل، وأمّا المال فلست منه في شيء. قال معمر: وسمعت أنّهم كانوا أخذوا على المغيرة ألاّ يغدر بهم حتّى يؤذنهم، فنزلوا منزلاً فجعل يحفر بنصل سيفه، فقالوا: ما تصنع؟ قال: أحفر قبوركم؛ فاستحلّهم بذلك، فشربوا ثمّ ناموا، فقتلهم فلم ينج

باب ١٤٥، العلة التي سمي علي بن الحسين، زين العابدين، الحديث (١) وروى بإسناده، عن سفيان بن عيينة، قال : قيل للزهري : من أزهد الناس في الدنيا ؟ قال : علي بن الحسين عليهما السلام. (الحديث) . ذاك المصدر: الحديث ٣.وعنه، قال : قلت للزهري : لقيت علي بن الحسين عليه السلام ؟ قال: نعم،لقيته وما لقيت أحدا أفضل منه. (الحديث). ذاك المصدر: الحديث ٤.وعنه قال : رأى الزهري علي بن الحسين عليه السلام ليلة باردة مطيرة،وعلى ظهره دقيق وحطب، وهو يمشي، فقال له : يا ابن رسول الله ما هذا ؟ فقال عليه السلام : أريد سفرا أعد له زادا أحمله إلى موضع حريض، فقال الزهري : وهذا غلامي يحمله عنك، فأبى، قال : أنا أحمله عنك فإني أرفعك عن حمله، فقال علي بن الحسين : لكني لا أرفع نفسي عما تنجيني في سفري (إلى أن قال) : والله : يا ابن رسول الله لست أدري لذلك السفر الذي ذكرته أثرا، قال : بلى يا زهري، ليس ما ظننت، ولكنه الموت، وله كنت أستعد، إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام، وبذل الندى والخير. ذاك المصدر: الحديث (٥). وللزهري عدة روايات مذكورة في الكافي، والفقيه، والتهذيب.وبما ذكرنا يظهر أن نسبة العداوة إليه على ما ذكره الشيخ لم تثبت، بل الظاهر عدم صحتها، بقي هنا شيء، وهو أن ابن داود ذكر مسلم بن شهاب الزهري (١٥٢٩) من القسم الأول، قال : " أحد أئمة الحديث (بن ، جخ) يكنى أبا بكر "، وما ذكره سهو جزما، فإن الزهري اسمه محمد بن مسلم بن شهاب على ما عرفت من الصدوق، وكذلك صرح به في بعض نسخ الكافي.فقد روى محمد بن يعقوب بإسناده، عن معمر بن راشد، عن الزهري محمد ابن مسلم بن شهاب، قال : سئل علي بن الحسين عليه السلام، أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل ؟... الكافي : الجزء ٢، باب ذم الدنيا والزهد فيها ٦١، الحديث ١١، وباب حب الدنيا والحرص عليها ١٢٦، الحديث ٨ وفيه محمد بن مسلم بن عبيد الله روى عن علي بن الحسين عليهما السلام، وروى عنه معمر. التهذيب : الجزء ٤، باب علامة أول شهر رمضان وآخره، الحديث ٤٦٣. ورواها في باب فضل صيام يوم الشك...، الحديث ٥١١، من الجزء، والاستبصار : الجزء ٢، باب صوم يوم الشك، الحديث ٢٤٣.

منهم أحدٌ إلاّ الشّريد، فلذلك سُمّي الشّريد[١].

أقول: ما شاء الله! وحيّ على التّحريف!

هكذا يتحدث ابن شهاب الزّهريّ الذي عليه مدار الحديث عند كثير من المسلمين.

هكذا يتحدّث من تخضع له أعناق الرّواة في الصحيحين.

يقول ابن شهاب الزّهريّ: صحب المغيرة بن شعبة قوماً في الجاهليّة[!] فقتلهم وأخذ أموالهم ثمّ جاء فأسلم[٢]..

عن أيّة جاهلية تتحدّث أيّها الثّقة المأمون؟

لقد كان غدر المغيرة برفقائه في السّفر وتوجّهه إلى المدينة يعتنق الإسلام قبيل صلح الحديبية، فهل كان صلح الحديبية في الجاهليّة؟!

بل إنّ المغيرة سمع كلاماً جرى بين رسول الله(ص) وأبي جهل قبل ذلك بسنوات، فهل كان النّبي(ص) يدعو أيّام الجاهليّة؟

ما هو تعريف الجاهليّة عند هؤلاء؟

على أنّ ابن شهاب نفسه يقول في رواية غير هذه العبارة:

عن ابن شهاب أنّ المغيرة بن شعبة نزل وأصحاب له بإيلة فشربوا خمراً حتّى سكروا وناموا و هم يومئذ كفّارٌ قبل أن يسلم المغيرة بن شعبة، فقام إليهم المغيرة

---

(١) مصنف عبد الرزاق، ج٥ ص٢٩٩ (تحت رقم ٩٦٧٨).

(٢) نفس المصدر.

فذبحهم جميعاً ثمّ أخذ ما كان لهم من شيء فسار به حتّى قدم على رسول الله(ص)، فأسلم المغيرة بن شعبة ودفع المال إلى رسول الله وأخبره الخبر فقال رسول الله(ص) : " إنّا لا نخمّس مال أحد غصباً"فترك رسول الله (ص) ذلك المال في يد المغيرة بن شعبة[1]. أقول: ولم يذكر أحدٌ أنّ المغيرة تخلّى عن ذلك المال المغصوب، ولم يستبشع أحدٌ من المحدّثين وأرباب السّير والتّراجم هذه الفعلة الشّنيعة مع أنّ رسول الله (ص) استبشعها وسمّاها غدراً.

ثمّ هل كان المغيرة في حاجة ماسّة إلى الأموال التي قتل لأجلها رفاقه، أم أنّه أراد أن يشفي غيظه بعد الذي تعرّض له من التّجاهل والتّهميش من طرف الملك؟!

يقول ابن حجر العسقلانيّ: وقع ذكره أيضاً في أثر آخر في كتاب السّير لأبي إسحاق الفزاريّ، وكتاب الأموال لأبي عبيد، من طريق سعيد بن المسيّب قال: كتب رسول الله(ص) إلى كسرى وقيصر.. الحديث. وفيه: فلّما قرأ قيصر الكتاب قال هذا كتابٌ لم أسمع بمثله، ودعا أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة وكانا تاجرين هناك فسأل عن أمر رسول الله.. [2]. وهذا يعني أنّ المغيرة كان صاحب تجارة؛ وبعيد جدّاً أن يخرج في تجارة بعد قتل المالكيّين لأنّه بذلك يعرّض نفسه للتّلف إذا سمع به أهل القتلى؛علاوةً على كونه مسلماً وكون أبي سفيان مشركاً.

وفي الفائق خبر المغيرة " في مخرجه إلى المقوقس في ركب من قومه وأنّه في منصرفه عدا عليهم فقتلهم وأخذ حرائبهم "[3]. والعبارة نفسها في غريب الحديث[4].

---

(١) المدونة الكبرى، ج ١، ص ٥١٠.
(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١ ص٣٣.
(٣) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ج ٢ ص ٤١٩.
(٤) غريب الحديث الخطابي، ج ٢ ص ٥٥٣.

وقال ابن حبّان : وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم ثمّ جاء فأسلم فقال له النّبي (ص) : أمّا الإسلام فأقبل، وأمّا المال فلست منه في شيء[1].

وهنا أيضا أخطأ ابن حبّان ولبّس على القارئ، فإنّ الحادثة وقعت قبيل الحديبية بقليل[2]، أي بعد ما يقرب من تسع عشرة سنةً من بعثة النّبي (ص)، فكيف يقول "في الجاهليّة" ودولة الإسلام قائمةٌ في المدينة؟! نعم، كانت جاهليّة بالنّسبة إلى المغيرة لأنّه كان على الشّرك، فينبغي التّنبيه إلى ذلك كأن يقول: "وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في جاهليّته فقتلهم". ونفس الشّيء وقع فيه الحميديّ في الجمع بين الصّحيحين حيث قال: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النّبي(ص) : أمّا الإسلام فأقبل، وأمّا المال فلست منه في شيء.

وفي سنن النّسائيّ الكبرى أنّه "صحب قوماً من المشركين فوجد منهم غفلة فقتلهم وأخذ أموالهم فجاء بها النّبي (ص) فأبى أن يقبلها "[3].

وقوله " وجد منهم غفلةً " غير صحيح، لأنّهم كانوا قد تعاقدوا معه " ألاّ يغدر بهم"، وحتّى دون تعاقد فإنّ المرء لا يتوقّع من رفيقه في السّفر إذا كانا من بلد واحد أن يغدر به.

---

(1) صحيح ابن حبان، ج11 ص221.

(2) كان صلح الحديبية في ذي القعدة من سنة ست [دلائل النبوة ج3ص397]. وفي الإصابة " كان أول الصلح في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف " [الإصابة ابن حجر ج 8 ص 393]..

(3) سنن النسائي الكبرى، ج5 ص224(تحت رقم 8733) .

وفي سنن أبي داود: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم ثمّ جاء فأسلم فقال النّبي(ص): أمّا الإسلام فقد قبلنا، وأمّا المال فإنّه مال غدر لا حاجة لنا فيه[١]. وفي سنن البيهقي: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم، ثمّ جاء وأسلم، فقال النّبي (ص) : أمّا الإسلام فأقبل وأمّا المال فلست منه في شيء[٢]. والعبارة نفسها في معرفة السّنن والآثار[٣]: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم، ثمّ جاء فأسلم فقال النّبي (ص): أمّا الإسلام فأقبل، وأمّا المال فلست منه في شيء.

وفي رواية أخرى أنّ المغيرة بن شعبة كان مع رجلين من قومه كفّار فقتلهما وسلبهما فجاء إلى النّبي (ص) فكره له النّبي (ص) الذي صنع، وأهدى له سلبهما فلم يقبله[٤]. ففي هذه الرّواية يقول قتل رجلين، وفي التي قبلها يقول"صحب قوما في الجاهلية فقتلهم "، ولا تطلق عبارة "قوم" إلاّ على أكثر من اثنين.

و الطّبرانيّ نفسه يذكر (تحت رقم ١٠٧٦) أنّ المغيرة صحب قوماً من المشركين فوجد منهم غفلةً فقتلهم وأخذ أموالهم، فجاء بها إلى النّبي (ص) فأبى رسول الله(ص) أن يقبلها[٥]. فهذه الرّواية في نفس المعجم تنقض قصّة الرّجلين وتقول صحب قوماً لا رجلين. على أنّ ابن كثير يذكر في تاريخه عدد الذين قتلهم المغيرة فيقول: كان المغيرة من دهاة العرب وذوى آرائها، أسلم عام الخندق بعد ما قتل

(١) سنن أبي داود، ج٣ ص٨٥
(٣) سنن البيهقي الكبرى، ج٩ ص٢٢٠.
(٣) معرفة السنن والآثار، ج٧ ص٥٨.
(٤) المعجم الكبير،الطبراني، ج٢٠ ص٤٤٠ تحت رقم ١٠٧٣:
(٥) لمعجم الكبير، الطبراني ج٢٠ ص٤٤١.

ثلاثةَ عشرَ من ثقيف مرجعَهم من عند المقوقس، وأخذ أموالهم فغرم دياتهم عروة بن مسعود[١].

وفي مسند أحمد بن حنبل: كان المغيرة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم ثمّ جاء فأسلم، فقال النّبي (ص) : أمّا الإسلام فأقبل، وأمّا المال فلست منه في شيء[٢]. والروايتان كما ترى، في هذه صحب قوماً في الجاهليّة، وفي السّابقة صحب قوماً من المشركين!.

ثم كان اللقاء

عن أوس بن حذيفة قال: قدمنا على رسول الله (ص) في وفد من ثقيف، قال فنزل الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله (ص) بني مالك في قبّة له، فكان يأتينا كلّ ليلة بعد العشاء فيحدّثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه[٣].

أقول: هذا التّصرّف الحكيم من طرف النّبي (ص) لا يلتفت إليه المحدّثون ومن سلك نهجهم، لأنّه لا يهمّهم إلاّ سلامة عدالة الصّحابة. والحال أنّ المالكيّين لن يكونوا مرتاحين نفسيّاً لو أنّهم أُنزلوا على المغيرة بن شعبة. وكيف يرتاح المرء لأن يكون ضيفاً على من قتل أولاده وأرمل نساءه وأيتم أحفاده؟! سوف يكون هناك مانعٌ نفسيٌّ كبيرٌ يصرفهم عن الاهتمام بما جاءوا لأجله. والرّواية تقول أنّ النّبي (ص)كان يأتيهم كلّ ليلة بعد العشاء يحدّثهم قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه. ومن شأن هذا الحديث من طرف النّبي(ص) أن يشدّ اهتمامهم إلى الإسلام ويصرف أذهانهم عن التفكير في المغيرة وما اقترف.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ٤٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٤ ص٣٢٩.

(٣) الآحاد والمثاني، ج٣ ص١٨٧ (تحت رقم١٥٢٣) .

وقد ذكروا رجلاً آخر رافق المغيرة في سفره، وتبقى القضيّة محلّ نظر؛ فابن حجر يقول: دمّون[١] رفيق المغيرة بن شعبة في سفره إلى المقوقس بمصر، وله معه قصّةٌ في قتل المغيرة رفقته وأخذه أسلابهم ومجيئه بها إلى النّبي (ص) فقبل منه الإسلام ولم يتعرّض للمال، وذكره الواقدي[٢]. ويورد أيضاً قول معمر "فقتلهم فلم ينج منهم أحدٌ إلاّ الشّريد فلذلك سمّي الشّريد"[٣].فيصرّح أنّ النّاجي واحدٌ لا أكثر، بينما يقول ابن عساكر في تاريخه "وكان المغيرة خرج مع نفر من بني مالك بن حطيط بن جشم بن قسي، والمغيرة أحد الأحلاف، ومع المغيرة حليفان له يقال لأحدهما دمّون رجل من كندة، والآخر الشّريد وإنّما كان اسمه عمراً فلمّا صنع المغيرة بأصحابه ما صنع شرد فسمّي الشّريد[٤].

والذي يلفت انتباه الباحث في هذا الباب كون القصّة يرويها دائماً المغيرة بن شعبة، بينما نسيها أو تناساها الشّريد ودمّون، مع أنّ لهما فيها ذكرى لا تنسى، فقد حضرا واقعةً تقشعرّ لذكرها الأبدان، وما أكثر الذين عاشوا يعانون الكوابيس لأنّهم حضروا ما لا يبلغ عشرها بشاعةً وشناعةً؛ لكن لا ينبغي أن ننسى أنّ المغيرة بن شعبة عاش يتقلّب في المناصب وليس كذلك شأن الرّجلين. فلا يبعد أن يكون الجوّ العام لا يسمح لهما بذكر ما جرى، لأنّ التفاصيل قد تمثّل طعناً في شخصيّة حكوميّة لها منزلتها عند الخلفاء الحاكمين.

---

(٢) قال البلاذري : وكان دمون من أهل الطائف فتزوج أبو موسى ابنته فولدت له أبا بردة. ولدمون خطّة بالبصرة وله يقول أهل البصرة " الرفاء والبنون وخبز وكمون في بيت الدمون". [فتوح البلدان ج١ص٣٤٨].

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، جزء ٢ ص ٣٩٠.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، جزء ٣ص ٣٤٠ تحت رقم ٣٨٩٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٦٠ص٢٦.

نعم، ههنا كلامٌ، فإنّ الحادثة شهدها رجلٌ من ثقيف ونجا بنفسه من غدر المغيرة، ولم يلتفت الرّواة والمحدّثون إليه مع أنّه شاهد عيان. إنّه الشريد بن سويد الثّقفيّ. لكنّهم رووا له بخصوص غير هذه الواقعة. ولا يمكن أن يتعامل الشّريد مع هذه الواقعة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً؛ ونحن نشهد بالوجدان -على القنوات الفضائيّة والإذاعات وغيرها- أناساً يروون أحداثاً جرت في حياتهم لا تعدّ شيئاً بالنسبة إلى الفاجعة التي نفّذها المغيرة، فيتعرّضون إلى التّفاصيل وما صحبها من أحساسات ومشاعرَ بعضها لا يزال يعتلج في صدورهم ساعة السرد! وبعضهم يروي والدموع تسيل على خدّيه؛ فكيف يهمل الشّريد القصّة! ولماذا لم يحاول الرّواة والمحدّثون أن يسألوه وهم الذين يسألون عن تفاصيل البول واقفاً ومباشرة الحائض و...

الحقّ أنّهم فضّلوا رواية القاتل على رواية الشّاهد الذي كان سيغدو ضحيّةً لولا فراره في الوقت المناسب، وليس هذا من الإسلام في شيء، ولكنّ إسلام الرّواة والمحدّثين له خصوصيّاته التي تسمح له بأمور كثيرة من بينها ردّ حديث النّبي (ص) بعد ثبوته حرصاً منهم على عدالة كل الصّحابة وإضفاء الشّرعية على السّقيفة وما تفرّع عنها. نعم، بين أيدينا نصوصٌ كثيرةٌ تؤكّد جرأة المحدّثين والرّواة والمنتسبين إلى علم الرّجال على تكذيب رسول الله علانيةً دفاعاً منهم عن أسلافهم، نذكرها في محلّها إن شاء الله تعالى.

قال ابن حجر في ترجمة الشّريد: الشّريد بن سويد الثّقفي قال ابن السّكن له صحبة، حديثه في أهل الحجاز، سكن الطّائف والأكثر أنّه الثّقفي، ويقال إنّه حضرميّ حالف ثقيفاً وتزوّج آمنة بنت أبي العاص بن أميّة، ويقال كان اسمه مالكاً

فسمّي الشّريد لأنّه شرد من المغيرة بن شعبة لمّا قتل رفقته الثّقفيّين. روى عبد الرزاق في الجهاد عن معمر عن الزّهري قال: صحب المغيرة قوما في الجاهلية فقتلهم.. الحديث. قال معمر: وسمعت أنّهم كانوا تعاقدوا معه ألاّ يغدر بهم حتّى يعلمهم فنزلوا منه منزلاً فجعل يحفر بنصل سيفه ..[١].

وفي تهذيب التّهذيب: الشّريد بن سويد الثّقفي له صحبة، وعداده في ثقيف ووفد على النّبي(ص) فسمّاه الشّريد وشهد بيعة الرضوان[٢]. ولم يذكر ابن حجر هنا سبب تسميته الشّريد.

و جرى ذكر الشّريد في صحيح ابن حبّان وموارد الظمآن ؛فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشّريد بن سويد الثّقفيّ قال: قلت يا رسول الله إن أمّي أوصت أن نعتق عنها رقبة [٣]...

وعن الشّريد بن سويد الثّقفيّ قال: قلت يا رسول الله إنّ أمّي أوصت أن أعتق عنها رقبة، وعندي جارية سوداء، قال: ادع بها؛ فجاءت فقال: من ربك؟ قالت: الله. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنّها مؤمنة.

وفي الجمع بين الصّحيحين عن الشّريد بن سويد الثّقفي حديثان:

أحدهما[٤] من رواية ابنه عمرو بن الشّريد عنه قال: كان في وفد ثقيف رجلٌ

---

(١) الإصابة لابن حجر، ج ٣ ص ٣٤٠.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٤ ص ٣٣٢.

(٣) صحيح ابن حبان، ج١ص٤١٨ تحت رقم١٨٩ و موارد الظمآن الهيثمي، ج١ص٢٩٤.

(٤) تحت رقم ٣٠٥٧.

مجذومٌ فأرسل إليه النبي(ص) إنّا قد بايعناك فارجع. الثاني[1] عن عمرو بن الشّريد أيضاً عن أبيه –ومن الرّواة من قال عن عمرو بن الشّريد أو يعقوب بن عاصم عن الشّريد قال: أردفني رسول الله (ص) خلفه وفي رواية من قال عن عمرو وحده بلا شكّ عن أبيه قال: ردفت رسول الله (ص) يوماً فقال: هل معك من شعر أميّة بن أبي الصّلت شيءٌ؟ قلت: نعم[2].

ولم يكن الشريد ـ فيما وصلنا ـ يتحاشى الرّواية مهما كان مضمونها، فقد روى أنّ عمر بن الخطّاب صلّى بالناس وهو جنب فأعاد ولم يعيدوا!

رواية للشريد بخصوص عمر

عن أبي عبد الرحمن السّلمي وأبي بكر بن الحارث الفقيه[..]عن ابن المنكدر عن الشّريد الثّقفي أنّ عمر بن الخطاب (رض) صلّى بالنّاس وهو جنب فأعاد ولم يأمرهم أن يعيدوا[3].والحديث أيضا في سنن الدّارقطني[4]. وهو في معرفة السّنن والآثار كما يلي: [..]عن ابن المنكدر عن الشّريد الثّقفيّ أنّ عمر صلّى بالنّاس وهو جنب فأعاد ولم يأمرهم أن يعيدوا.قال الشّافعيّ: وأخبرنا بعض أصحابنا عن هشيم عن خالد بن سلمة عن محمّد بن عمرو بن الحارث بن المصطلق أنّ عثمان صلّى بالنّاس وهو جنب فأعاد ولم يعيدوا[5].

وفي مصنّف عبد الرزّاق عن معمر عن أيّوب عن سليمان بن يسار قال: حدّثني

---

(١) تحت رقم ٣٠٥٨.
(٢) الجمع بين الصحيحين، ج٣ص٥٠٠.
(٣) سنن البيهقي الكبرى، ج٢ص٣٩٩ تحت رقم ٣٨٧٧.
(٤) سنن الدارقطني، ج١ص٣٦٤.
(٥) معرفة السنن والآثار، ج٢ص٢٢١ تحت رقم ١٢٢١.

الشّريد قال: كنت أنا وعمر بن الخطّاب جالسين بيننا جدولٌ قال: فرأى عمر في ثوبه جنابةً فقال: فرط علينا الاحتلام منذ أكلنا هذا الدّسم، ثمّ غسل ما رأى في ثوبه واغتسل وأعاد الصّلاة(١).

وفي رواية عن سليمان بن يسار قال: حدّثني الشّريد قال: كنت أنا وعمر بن الخطّاب جالسين بيننا جدولٌ، فرأى عمر في ثوبه جنابةً فقال: خرط خرط، وفي حديث عمر أنّه رأى في ثوبه جنابةً فقال خرط علينا الاحتلام(٢) أي أرسل علينا الاحتلام منذ أكلنا هذا الدّسم، ثمّ غسل ما رأى في ثوبه واغتسل وأعاد الصّلاة(٣).

ففي هذه الروايات يقول سليمان بن يسار " حدّثني الشّريد "؛

ألا يحدّثه الشّريد ولو مرّة واحدة عن قصّة نجاته من المذبحة التي ارتكبها المغيرة؟ وإذا كان هو لا يروي ذلك ابتداءً ألا يدفع الفضولُ سليمانَ بن يسار أن يسأل الشّريد عن ذلك؟

ألا يكون الشّريد قد تعرّض بعد وفاة النّبي (ص) إلى تهديدات إن هو روى قصّة المغيرة على الوجه الصّحيح غير ما روى المغيرة؟

وقد انطلت الحيلة على المفسّرين أيضا فراح أكثرهم يردّد أنّ المغيرة " صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم "(٤)، والحال أنّ الحادثة وقعت والإسلام عزيزٌ

---

(١) مصنف عبد الرزاق، ج٢ص٣٤٧ الحديث رقم ٣٦٤٦.

(٢) من قولهم خرط دلوه في البئر أي أرسله. النهاية: ٢٣ ٢.

(٣) كنز العمال، ج٩ص٢٣٣ الحديث رقم ٢٧٣٠٧.

(٤) تفسير البغوي، ج ٧ ص ٣١٥ وجامع البيان ابن جرير الطبري ج ٢٦ ، ص ١٢٨ وتفسير الثعلبي ج ٩، ص ٥٧ وتفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢١٢ :

ممتنعٌ قبيل صلح الحديبية.

وقد اتّفقوا على امتناع النّبي (ص) من أخذ الخمس من مال المغيرة المغصوب، إذ توجد عبارة " وأمّا المال فلست منه في شيء " في كثير من المصادر منها صحيح البخاري[ج ٣ صفحة ١٨٠] و مسند أحمد بن حنبل [ج ٤ صفحة ٣٢٩]وسنن البيهقي الكبرى [ج ٩ صفحة ١١٣ وج ٩ صفحة ٢١٩] ومصنف عبد الرزاق الصنعاني [ج ٥ صفحة ٢٩٩ و ج ٥ صفحة ٣٣٦] و صحيح ابن حبان [ج ١١ صفحة ٢٢١] و المعجم الكبير للطبراني [ج ٢٠ صفحة ١٢] و معرفة السنن والآثار للبيهقي [ج ٧ صفحة ٥٨] و الإصابة في تمييز الصحابة[ج٢ ص ٣٩٠] وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر [ج ٥٧ صفحة ٢٢٧] وزاد المعاد لابن القيم [ج ٣ -ص ٢٥٧] وسيرة ابن كثير [ج ٣ ص ٣٢٩] و تاريخ الإسلام [جزء ٤ ص ١١٩].

يبقى للمسلم الذي يحترم كلام الله عزّ وجلّ ويتدبّر قوله تعالى(من قتَل نفساً بغَير نفس أو فساد فى الأرْض فكأنّما قتَل النّاسَ جميعاً) أن ينظر إلى وقائع القصّة وما ترتّب عليها نظرةً إنسانيّةً، ولا يلتفت إلى المتعبّدين بنظريّة عدالة جميع الصّحابة التي تنسب إلى الله تعالى التّناقض والرّضا بالباطل. فهؤلاء أناسٌ عزموا على زيارة المقوقس صاحب الإسكندريّة وأهدوا له الهدايا، ولم يدعوا المغيرة ليكون معهم وإنّما أقحم نفسه معهم إقحاماً، بعد أن استشار عمّه وأعرض عن نصيحته إذ لم تناسب هواه.

ثلاث عشرةَ عائلةً في الطّائف تنتظر عودة المالكيّين من مصر؛ الولد ينتظر أباه، والمرأة تنتظر زوجها، والأمّ تنتظر ولدها، والأب ينتظر ولده، والعمّ ينتظر ابن أخيه..؛

كـلّ أولئـك كـانوا ينتظـرون عـودة العائـدين محمّلـين بالهـدايا والأخبـار السّـارة، والاستماع إلى تفاصيل زيارة الملك ومجالسته والحديث معه، وليس ذلك متاحاً لكلّ عربيّ. كلّ ذلك قضى عليه المغيرة بن شعبة لأنّه أحسّ بالتّجاهل والتّهميش من طرف الملك؛ كان يفترض أن يكون يوم عودة الوفد من مصر يوم فرح وابتهاج لتلك العوائل، إذ هو يوم لقاء وهدايا وفرح للصّغار والكبار، ولم تكن تلك العوائل قد جنت في حقّ المغيرة بن شعبة جنايةً تبرّر له أن يذبح الابتسامات ويخنق الآمال، لكنّه أبى إلاّ أن يسجّل في أذهان المعنيّين جميعاً ذكرى مريرةً لا تفارقهم ما داموا أحياءً يرزقون. وجاء ذلك اليوم لكن بدون عودة ولا لقاء؛ فبدل اللّقاء كان النّعي، وبدل الابتسامة كانت الدّموع، وبدل الزّغاريد كان النّوح والعويل، وبدل الهديّة كان الحرمان، و تضاعف عدد اليتامى والأرامل، وتوتّرت العلاقات بين بني مالك وقبيلة المغيرة بن شعبة حتى تهايج الحيّان وكادت الفتنة أن تقع.

بهذا افتتح المغيرة بن شعبة إسلامه! قتل الأبرياء وأخذ أموالهم، وذهب إلى المدينة يعلن إسلامه، ويطلب من رسول الله(ص) أن يخمّس المغصوب، يريد بذلك أن يطيّب الخبيث، وهيهات أن يطيب الخبيث! أين هذا من إسلام أبي ذر ، وإسلام سلمان، والمقداد، وعمّار بن ياسر وأبويه، وخزيمة بن ثابت..

صحيح أنّ غدر المغيرة برفاقه في السّفر كان قبل أن يسلم، لكنّ إسلامه مرتبطٌ بذلك الغدر، فقد جعل الإسلام جُنّةً يتّقي بها ثأر الموتورين، وإلاّ فلماذا لم يحدّث نفسه بالإسلام حين قال له أبو جهل بعد الحوار الذي جرى بينه وبين رسول الله(ص) في مكّة : " والله إني لأعلم أنّ ما يقوله حقٌّ " ؟ لماذا تأخّر كلّ هذه السّنين؟ أليس هو القائل : "فأراني لو أسلم قومي جميعاً ما تبعتهم "؟ فما عدا ممّا بدا؟!إنّه يشهد على

نفسه أنّه لن يسلم حتّى لو أسلم قومه جميعاً! وإذا به يسبقهم جميعاً! نعم، هو مكرةٌ لا بطلٌ! جاء إلى الإسلام كي يحقن دمه ويطوي ملفّ فعلته التي لا يرحضها شيءٌ، والتي سمّاها رسول الله(ص) غدراً لا خير فيه. هنا تتجلّى معرفة الإمام علي(ع) بأهل زمانه ومنهم المغيرة بن شعبة. قال الإمام علي(ع) لعمّار بن ياسر وقد رآه يوماً يحاور المغيرة: " دعه فإنّه لن يأخذ من الآخرة إلاّ ما خالطته الدّنيا "[1]!. وفعلا، لم يأخذ المغيرة من الدّين إلاّ ما خالطته الدّنيا.

لقد قال له النبي (ص): " أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء"[2].

وقد جاء إلى النّبي (ص) فراراً من الثأر بعد أن قتل ثلاثة عشر مالكيّاً أثناء نومهم، وهم كانوا يأمنون جانبه باعتبار أنّه رفيقهم في السّفر، لكن ابن عبد البر يقول: أسلم عام الخندق وقدم مهاجرا[3].. فيسمّي هجرةً ما سمّاه النّبي (ص) غدراً. والحال أنّه قدم حقناً لدمه وهو يعلم أنّ المالكيين سيطلبونه بالثّأر! والنّبي (ص) يقول: " من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "، فهجرة المغيرة بمقتضى حديث النّبي (ص) إلى حقن دمه لا إلى الله ورسوله.

وما دام رفقاء المغيرة في السّفر قد أهمدتهم الكأس فلماذا لم يأخذ المغيرة أموالهم ويبتعد عنهم بحيث لا يدركونه؟ لماذا حرص على قتلهم؟

لنفترض أنّ المغيرة أخَذ أموال المالكيّين وعَقَر رواحلهم، ثمّ اشتدّ في سيره

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدّينوري[تحقيق الزّيني] ج ١ ص ٥٠.
(٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٥، ص ٣٣٦.
(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٤ص ١٤٤٥.

وابتعد عنهم، ما الذي كان يحدث؟

لا شكّ أنّ المالكيّين ـ بعد نومهم الطويل ـ كانوا سيستيقظون ويفتقدون المغيرة فلا يجدونه؛ وعندها يدركون فعلته ويحنقون عليه، وبحقّ يفعلون ذلك، لأنّ هذا غدرٌ، وقد سمّى النّبي (ص) فعلة المغيرة غدرا؛

ما الذي كان يفعله المالكيون لاستعادة أموالهم؟

كانوا سيسألون عنه حتّى إذا علموا أنّه في المدينة ذهبوا صوبه وأخبروا النّبي(ص) بالقصّة، ويصعب على المغيرة ساعتها أن يقنع المسلمين بأنّ ما فعله صوابٌ!!

سيقول المسلمون للمغيرة إنّ هذا الفعل ليس من المروءة في شيء حتّى على الذّوق الجاهليّ فضلاً عن الإسلام الذي هو صبغة الله.

سيقول المسلمون عن المغيرة " مهاجر الأموال المسروقة " كما قالوا عن آخر "مهاجر أم قيس"[1]، وهو الذي لا يرضى أن يذكر المالكيّون تقصير المقوقس في حقّه! كيف يرضى أن ينظر إليه المسلمون على أنّه سارقٌ لا أكثر، وإنّما التحق بالإسلام ليحتفظ بالأموال! ثمّ يسمع العرب بعد ذلك أنّ سادن اللاّت قد تحوّل إلى سارق، وبعد السّرقة اعتنق الإسلام! هذا كثيرٌ على المغيرة، ولابدّ من حلّ استئصاليّ يحسم المسألة ويحفظ للمغيرة ماء وجهه لأنّه سيكون مسلماً مقابل مشركين!! وللإسلام حميّته عند المسلمين. هكذا أدخل المغيرة الإسلام والمسلمين في لعبته، ولم يبال

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة في معرفة الصحابة ، (ج ٤ ص ١١٤) : أخرج بن منده وأبو نعيم من طريق إسماعيل بن عصام بن يزيد قال: وجدت في كتاب جدي يزيد الذي يقال له حبر: حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن بن مسعود قال: كان فينا رجل خطب امرأةً يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس.

بالعداوة التي ستحدث بين المالكيّين والأحلاف، وقد قال له عمّه عروة بن مسعود صراحةً فيما بعد: "لقد أورثتنا العداوة في ثقيف"(١). فإذا كان الإسلام يدعو إلى المودّة وصلة الأرحام وينهى عن العداوة والفتنة، فإنّ المغيرة بن شعبة قد افتتح إسلامه بقطيعة الرّحم، وخلق فتنة طويلة المدى بين حيّين من ثقيف: بني مالك والأحلاف! المهمّ هو ألا يخبروا قومه بتقصير ملك مصر به، وأن تسلم له الأموال التي استولى عليها بعد قتل أصحابها.

لقد كان رسول الله(ص) مأموراً من قبل الله تعالى أن يقبل إسلام كلّ من يأتي إليه، وألاّ يفتّش في أحوال ماضيه، وهذا من سعة الإسلام ورحمته؛ لكنّه(ص) مع ذلك كان يشير إلى أقوام بأعينهم بعد أن قبل إسلامهم، وذلك بقصد تحذير الأمّة منهم، لأنّ لهم أثراً وتأثيراً على الأمّة في المستقبل، وقد كشف الله لنبيّه كثيراً من أمور المستقبل التي تجري على أمّته عامّةً، وعلى أهل بيته خاصّةً؛ فمن ذلك قوله(ص) في حقّ أبي سفيان وولديه: " لعن الله الرّاكب والسّائق والقائد" وقوله في حقّ مروان "الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون".وقد ادّعى عمّار بن ياسر أنّه سمع رسول الله(ص) ليلة الجبل يلعن أبا موسى الأشعريّ، فقال له أبو موسى: " إنّه استغفر لي "! فقال عمّار: " قد شهدت اللّعن ولم أشهد الاستغفار"(٢). وقال(ص) عن عمّار بن ياسر(رض): " تقتله الفئة الباغية "، حتى لا يدّعي أقوام يوم القيامة أنّهم لم يستطيعوا تمييز الخبيث من الطيّب، أو أنّ الأمور تشابهت عليهم، فإنّ موقف الإسلام من البغي

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج ٥، ص ٢٤٩.

(٢) قالوا عن هذا الحديث : موضوع والبلاء من العطار لا من حسين[اللآلئ المصنوعة للسيوطي ج ١ ص ٢٢٢] وأجاب محمد بن عقيل الشافعي : قلت العطار وثقه الخطيب في تاريخه والله اعلم.[النصائح الكافية محمد بن عقيل ص ٢٦]. ولا يتوقع ممن يقول بعدالة جميع الصحابة أن يقبل مثل هذا الحديث!

والباغي واضحٌ وضوح الشمس(١). ومعاذ الله أن يرضى الله عن الفئة الباغية ورأس الفئة الباغية وهو القائل:(يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القومِ الفاسقين)(٢).

فمن ذلك يكون قوله(ص) للمغيرة بن شعبة " إذا لم ينو الزنا"! كما ذكر الحسن بن علي(ع) في كلام له يردّ به على المغيرة بن شعبة في مجلس معاوية إذ قال له: "وإنّ حدّ الله في الزّنا لثابتٌ عليك، ولقد درأ عمر عنك حقّاً اللهُ سائلُه عنه، ولقد سألت رسول الله (ص) هل ينظر الرّجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها؟ فقال: [لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزّنا] لعلمه بأنّك زان"(٣)! فمضمون هذا الكلام يفيد تعريضاً بالمغيرة من جهة النّبي(ص)، لتكون الحجّة على المغيرة أتمّ. وليس قبول إسلام الرّجل دليلاً على صحّة إسلامه وسلامة معتقده وصدق نيّته، فقد نطق بالشّهادتين كثيرٌ من المنافقين، ومع ذلك شهد عليهم القرآن الكريم أنّهم لم يكونوا صادقين وأنّهم يموتون على الكفر. والأحاديث النبويّة في هذا الباب تفيد نفس الشّيء. روى البخاريّ: " عن ابن شهاب عن ابن المسيّب أنّه كان يحدّث عن أصحاب النّبي (ص) أنّ رسول الله(ص)قال: يرد عليّ الحوض رجالٌ من أصحابي فيحلؤون عنه فأقول: يا ربّ أصحابي فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى. وقال شعيبٌ عن الزهريّ كان أبو هريرة يحدّث عن النّبي (ص) فيجلون،

---

(١) قوله تعالى : ﴿قُل إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثمَ وَالبَغيَ بغَيرِ الحَقِّ وَأَن تُشرِكُوا بالله مَا لَم يُنَزِّل بِهِ سُلطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى الله مَا لاَ تَعلَمُونَ ﴾[الأعراف : ٣٣] وقوله تعالى: ﴿إنَّ الله يَأمُرُ بالعَدلِ وَالإِحسَانِ وَإِيتاء ذِي القُربَى وَيَنهَى عَنِ الفَحشَاء وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾[النحل : ٩٠].

(٢) التوبة: ٩٦.

(٣) جمهرة خطب العرب، ج٢ص ٢٢.

وقال عقيل فيحلؤون.."[1]. فهذا الحديث صريحٌ في أنّهم ارتدّوا على أدبارهم، وعبارة "ارتدّوا" هي التي استعملها النّبي (ص)، وهي خطيرةٌ في المقام. وفي الحديث قول النّبي "رجالٌ من أصحابي"، فهم من أصحابه، وعبارة (الأصحاب) لا تطلق على كلّ أتباع النّبي (ص)، وإنّما تطلق على من كانوا معه في حياته!

وفي صحيح البخاريّ أيضا : "...ثمّ إذا زُمرةٌ، حتّى إذا عرفتُهم خرج ر جلٌ من بيني وبينهم فقال: هلمّ. قلتُ: أين؟ قال: إلى النّار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى؛ فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النّعم "[2]. وهمل النّعم تشير إلى نسبة لا تتجاوز ٢ إلى ٤٪؛ فيتحصّل من ذلك أنّ النّاجين من الصّحابة قليلٌ، وأنّ الهالكين منهم كثيرٌ. لكنّ كثيرا من المتعلّمين لا يرتضون أن تكون نسبة النّاجين من الصّحابة بهذا المقدار ولو كان النّبي (ص) هو المخبر، لأنّهم قرّروا أنّ كلّ الصّحابة في الجنّة، سواء المحسن منهم والمسيء، وأهل بدر فوق كل اعتبار فليعملوا ما شاءوا!

قصّة إسلام المغيرة بن شعبة ينبغي أن تُقرأ بنزاهة وتجرّد حتّى من قبل غير المسلمين، لأنّ ما جرى فيها ينمّ عن بشاعة قلّ نظيرها ووحشيّة يصعب تصديقها، ولولا أنّ المغيرة بنفسه رواها لأنكرها معظم من تقع أعينهم عليها، إذ ليس بعيداً أن يتنكّر شخص لرفيقه ثمّ يغدر به فيقتله؛ لكنّ الغريب أن يقتل رجل ثلاثةَ عشرَ رجلاً من رفقائه في السّفر وهم نائمون؛ كيف يكون الفاعل أثناء الفعل؟ هل يمكن أن يقوم بمثل هذا العمل شخصٌ في كامل قواه العقليّة وهو محافظٌ على إنسانيّته أثناء قيامه

---

(١) صحيح البخاري، ج٥ ص٢٤٠٧ الحديث رقم ٦٢١٤.

(٢) صحيح البخاري، ج ٧ ص ٢٠٩.

بالجريمة؟

ثلاثةَ عشرَ رجلاً ينتظر أهلوهم عودتهم ليفرحوا جميعاً، ويتمتّعوا بهدايا تأتيهم من مصر، من عند ملك مصر نفسه، ألم يكن حريّاً بالمغيرة أن يفكّر فيهم وفي عوائلهم ولو لحظةً واحدةً؟! ثمّ ماداموا قد أهمدتهم الكأس فقد كان بإمكان المغيرة أن يأخذ كلّ ما كان معهم، ويعقر رواحلهم، ويفوتهم ويذهب إلى المدينة لإعلان إسلامه، فلماذا حرص على قتلهم جميعاً؟ لماذا أصرّ على قتلهم مع وجود حلول أخرى غير القتل ؟

لقد قال المغيرة: "وتأبى نفسي تدعني ينصرفون إلى الطّائف بما أصابوا وما حباهم الملك، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إيّاي"[١]. وهذا يعني أنّه كانت تهمّه صورته في المجتمع أكثر من أيّ شيء حتّى لو اقتضى ذلك قتل ثلاثةَ عشرَ بريئاً. وهؤلاء الأبرياء لا يلتفت إليهم المؤرّخون والمحدّثون خشية أن تشوّه صورة المغيرة، ويبرّرون فعلهم بأنّ المقتولين غدراً كانوا مشركين، ناسين أو متناسين أنّ المغيرة أيضا كان مشركاً حين قتلهم !

ثمّ إنّه لم يُذكر للمغيرة أبٌ أو أمٌّ أو أخٌ أو أختٌ على قيد الحياة يومها، ترى أكان يقدم على تلك الفعلة لو كان أبوه وأمّه [وإخوته في حال وجود إخوة] على قيد الحياة في الطّائف؟!

لقد ضاعف المغيرة مصيبة أهل الضّحايا، فلا هم يحظون بالهدايا، ولا هم يرون أحبّاءهم مرّةً ثانيةً، علماً أنّه لم يكن بينهم وبين المغيرة شيء يدفعه إلى ما اقترف.

كيف يقال عن صاحب تلك الفعلة إنّه "هاجر إلى رسول الله(ص)"؟!

---

(١) هذا معناه أنّ الملك ازدرى المغيرة أي احتقره ولم يحسبه شيئا مذكورا .

الفصل الرابع

أخبار المغيرة بن شعبة

١ـ مع النبي (ص)

٢ـ مع أبي بكر

٣ـ مع عمر

٤ـ مع عثمان

٥ـ مع علي(ع)

٦ـ مع معاوية

١ـ مع النبي صلى الله عليه وآله

عن إياد بن لقيط عن سويد بن سرحان عن المغيرة بن شعبة (رض) قال: أكل رسول الله (ص) طعاماً فجئت بماء ليتوضّأ، وقد كان قبل ذلك أكل طعاماً، فجئته بماء فانتهرني وقال لي: وراءك! فساءني والله ذلك؛ فلما قضى رسول الله (ص) شكوت ذلك إلى عمر بن الخطّاب(رض)..[!][1].

أقول:

في وسع النّبي (ص) أن يطلب الماء إن أراد غسل يديه بعد الأكل، وغسل الأيدي بعد الأكل موجودٌ في كثير من الثّقافات، ولم يطلب النّبي(ص) في الواقعة المذكورة ماءً ليغسل يديه لا من المغيرة ولا من غيره من الحاضرين، وتطوّع المغيرة فقدّم إليه الماء لكنّه قال " فجئت بماء ليتوضّأ "، فمن أين عرف أنّ هناك وضوءاً بعد الأكل ؟

ثم هو يقول: " انتهرني"، والحال أنّ النبّي(ص) على خلق عظيم، لا ينتهر المغيرة ولا غيره، وكيف ينتهر المغيرة لهذا الفعل البسيط وهو الذي قال في حقّ الأعرابيّ الذي بال في المسجد " دعوه "؟! أيّهما أعظم: البول في المسجد أم تقديم الماء إلى النّبي (ص)؟!

ثمّ إنّ المغيرة لم يقل للنّبيّ (ص): "هذا ماء جئتك به لتتوضأ يا رسول الله"؛ لم

---

(١) الآحاد والمثاني، الضحاك، ج ٣، ص ٢٠٠ تحت رقم (١٥٤٥) .

يقل المغيرة هذا، وإنّما قال " فجئت بماء ليتوضّأ" فلماذا ينتهره النّبي (ص)؟! لابدّ أنّ النّبي (ص) انتهره لشيء آخر، والمغيرة أدهى من أن يذكر ذلك. ولعلّ النّبي(ص) توسّم في المغيرة الشرّ بعد أن أطلعه الله تعالى على أعداء الإمام علي(ع) كما في حديث " الضّغائن "[١] فأعرض عنه، ومن ذا الذي لا يعرض عن المغيرة حين يثبت لديه أنّ المغيرة يلعن الإمام علياً(ع) على المنابر ويدفع الأموال لمن يلعنه ؟! وبما أنّ المغيرة روى أنّه وضّأ رسول الله(ص) فلعلّه أراد أن يدّعي أنّه الشّخص المتفرّد بوضوء النّبي (ص) ليتميّز عن غيره كما تبيّن ذلك في قوله "أنا آخركم عهدا برسول الله(ص)" وهي عبارة تبيّن كذبه فيها فيما بعد، لعلّه أراد شيئا من ذلك القبيل فردعه النّبي (ص) بعد أن أطلعه الله على حقيقته، فإنّه لا شكّ في نفاق مبغض الإمام علي (ع) ولو شفع له أهل الأرض جميعا، لقول النّبي (ص) للإمام علي(ع) كما هو في صحيح مسلم وغيره: " لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"[٢]، والمغيرة مات

(١) وجاء في مسند أبي يعلى مسند أبي يعلى الموصلي ١ ص ٤٢٦ : " [..] حدثنا الفضل بن عميرة أبو قتيبة القيسيّ قال حدّثني ميمون الكردي أبو نصير عن أبي عثمان عن عليّ بن أبي طالب قال بينما رسول الله(ص)آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة ! قال لك في الجنّة أحسن منها. ثمّ مررنا بأخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة قال لك في الجنّة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق كل ذلك أقول ما أحسنها ويقول لك في الجنّة أحسن منها. فلمّا خلا له الطّريق اعتنقني ثمّ أجهش باكيا قال قلت يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلاّ من بعدي. قال قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال في سلامة من دينك .

(٢) صحيح مسلم، ج ١ ، ص ٦٠ : و مسند احمد بن حنبل، ج ١ ، ص ٨٤وج١ ، ص ٩٥ و ج١، ص ١٢٨ و ج١، ص ١٢٨و سنن ابن ماجه، ج ١ ، ص ٤٢و سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٠٦ و سنن النسائي،ج ٨ ، ص ١١٦ و السنن الكبرى، النسائي، ج ٥ ، ص ٤٧.وص١٣٧ ومصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ، ص ٤٩٤و صحيح ابن حبان، ج ١٥ ، ص ٣٦٧والفوائد المنتقاة، محمد بن علي

يبغض عليّا (ع)، فالمغيرة مات على النّفاق؛ وقد أُمر النّبي(ص) بالغلظة على المنافقين(جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)، فالانتهار في محلّه، ما على المحسنين من سبيل.

٢ـ مع أبي بكر:

يعترف المغيرة نفسه أنّه كان يعرف أبا بكر ويعرفه أبو بكر، وهذا قبل أن يسلم! فقد ذكر في قصّة إسلامه أنّ النبي(ص) نظر إلى أبي بكر، وأنّ أبا بكر كان به عارفا[1].ويذكر المغيرة أيضاً أنّه من البداية تقرّب من أبي بكر، وكان أكثر أوقاته معه، فيقول: " وكنت أكون مع أبي بكر الصّدّيق(رض)، وألزم النّبي (ص) فيمن يلزمه" [2]. وذكروا أيضاً أنّه كان مع أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يوم السّقيفة! قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وسمعت أبا زيد عمر بن شبّة يحدّث رجلا بحديث لم أحفظ إسناده، قال: مرّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر، وهما جالسان على باب النّبي (ص) حين قبض، فقال: ما يقعدكما ؟ قالا : ننتظر هذا الرّجل يخرج فنبايعه – يعنيان عليّاً – فقال: أتريدون أن تنظروا حبل الحبلة من أهل هذا البيت ! وسّعوها في قريش تتّسع. قال : فقاما إلى سقيفة بنى ساعدة، أو كلاماً هذا معناه[3]. وبين الحديبية

الصوري، ص ٥ و الاستذكار لابن عبد البر، ج ٨ ، ص ٤٤٦ والاستيعاب ابن عبد البر، ج ٣ ، ص ١١٠٠ وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢ ، ص ٦٠.

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٤ ص٢٥٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٣ص٥٠٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٦ ، ص ٤٣

ووفاة النّبي (ص) مدّة كافية لأن يقيم المغيرة علاقات شخصيّة مع الرّجلين تصل إلى مستوى الحميميّة، وإلاّ فإنّه ليس سهلاً أن يكلّم رجلٌ من العرب شيوخ قريش بخصوص الخلافة بنفس الطّريقة التي تكلّم بها المغيرة.

قال المقدسيّ: ووقع الاختلاف في النّاس، فانحاز هذا الحيّ من الأنصار إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وانحاز علي(ع) وطلحة والزّبير في بيت فاطمة(ع)، وانحاز سائر المهاجرين إلى أبي بكر.. كلٌّ يدّعي الإمارة لنفسه، فجاء المغيرة بن شعبة فقال: إن كان لكم بالنّاس حاجةٌ فأدركوهم! فتركوا رسول الله(ص)كما هو وأغلقوا الباب دونه، وأسرع أبو بكر وعمر و أبو عبيدة بن الجرّاح إلى سقيفة بني ساعدة(١).

أقول: كيف ينسى له الخلفاء فيما بعد هذه اليد، وأنّه نبّههم قبل فوات الأوان. هذا إن صحّت القصّة بهذه الطّريقة، وإلاّ فإنّ أبا بكر وعمر لا يحتاجان إلى المغيرة في هذه المسألة بالذّات، وسيرة الرّجلين مع جيش أسامة وسعد بن عبادة تشهد بذلك.

و في المعجم الكبير: عن قيس بن أبي حازم قال: أخبرني المغيرة بن شعبة قال: كنت عند أبي بكر الصدّيق (رض) فعرض عليه فرسٌ، فقال رجلٌ: احملني على هذا. فقال: لأن أحمل غلاماً قد ركب الخيل على عزلته(٢) أحبُّ إليّ من أن أحملك

(١) البدء و التاريخ، ج٥ ص٦٥.

(٢) هذه عبارة فاحشة جدّا ما كان يليق بالخليفة أن يتلفّظ بها ، و قد تلفّظ بعبارة فاحشة أيضا بحضرة النّبي صلى الله عليه وآله كما في صحيح البخاريّ، ج٣ص١٧٩ وصحيح ابن، حبّان،ج١١ص٢٢٠وإرواء الغليل (الألباني) ص٥٦ ونيل الأوطار، ج٨ص١٥٨.

عليه، فغضب الرّجل فقال: أنا والله خيرٌ منك ومن أبيك فارساً! فغضبت حين قال ذلك لخليفة رسول الله(ص)، فقمت إليه فأخذت برأسه وسحبته على أنفه، فكأنّما كان أنفه عزلاء مزادة، فأراد الأنصار أن يستقيدوا منّي، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: بلغني أنّ ناساً يزعمون أنّي مقيدهم من المغيرة بن شعبة، ولأن أخرجهم من ديارهم أقربُ من أن أقيدهم من وَزَعة الله الذين يزَعُون عباده[1].

وقد أورد الزّبيديّ كلام أبي بكر بصيغة الاستفهام،قال:" وفي حديث أبي بكر(رض) وقد شُكيَ إليه بعض عمّاله يعني المغيرة بن شعبة ليقتصّ منه فقال: أنا أقيد من وزعة الله؟ أراد أأُقيد من الّذين يكفّون النّاس عن الأقدام على الشّرّ"[2]. ومن حقّ من اطّلع على هذه القصّة أن يتساءل: أيّ شرّ هذا الذي منع المغيرةُ من الإقدام عليه؟

ذهب أبو بكر إلى أن قال: لأن أخرجهم من ديارهم أقرب من أن أُقيدهم من وزعة الله الذين يزعون عباده! فهو مستعدٌّ لإخراج الأنصار الذين آووا ونصروا من ديارهم من أجل المغيرة بن شعبة الذي غدر بأصحابه في السفر.

أقول: القصّة وقعت في خلافة أبي بكر، وقد أراد الأنصار أن يستقيدوا من المغيرة، فالرّجل إذن صحابيٌّ أنصاريٌّ، لأنّ مدّة حكم أبي بكر لم تبلغ ثلاث سنوات، فالرّجل أدرك رسول الله (ص) قطعاً، فهو صحابيّ، وهو من أهل المدينة، وهذا يعني أنّه كان يرى رسول الله(ص) يوميّا،لكن ما قيمة الصّحابيّ الأنصاريّ حين يختلف مع واحد من المقرّبين من الخليفة، والخليفة نفسه يجعله من " وزعة الله

(1) المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٠ ص ٤٠٣-٤٠٤.
(2) تاج العروس الزبيدي، ج ١ ص ٥٩٦.

الذين يزعون عباده " وهو من أعلم النّاس بقصة قتل المغيرة رفقاءه في السّفر! تحوّل قاتل الأبرياء إلى وازع من وزعة الله! وهنا ينبغي أن يصنّف الصحابة إلى صنفين: "وزعةِ الله " و "صحابة عاديّين"، ومن الصّحابة الوزعة المغيرة بن شعبة، لكن ينبغي بيان المواطن التي مارس فيها المغيرة دور الوازع غير هذا الموضع الذي تفوح منه رائحة التملّق، وقد شهد عليه عبد الرّحمن بن عوف أحد العشرة المبشّرين أنّه كذلك حين قال له: " يا ابن الدبّاغ ما أنت وذاك؟ والله ما كنت أبايع أحداً إلاّ قلت فيه هذه المقالة" (١)!

ينبغي - إذاً - على أولئك الذين يتبنّون عدالة جميع الصّحابة أن يأخذوا موقفهم من القضيّة و(لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْم علي ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوي). فالمشهد المذكور لا يليق بمن يقال فيهم "تربّوا على يد رسول الله(ص)" لأنّه خال تماماً من آثار التّربية الصّحيحة! صحابةٌ يضرب أحدهم الآخر إلى درجة أن يشبّه أنف المضروب بـ" عزلاء مزادة "!من أجل قضيّة شخصيّة!أين ذهب حِلم الخليفة الذي يعتبر أفضل هذه الأمّة بعد رسول الله(ص)؟وإذا كان أبو بكر يعدّ المغيرة بن شعبة من "وزعة الله " فإنّ عمر بن الخطاب لا يتردّد في أن يواجهه بقوله"أنت رجلٌ فاسقٌ ".

قال اليعقوبي: ثمّ إن أهل الكوفة شكوا سعداً وقالوا لا يحسن يصلّي، فعزله عمر عنهم، فدعا عليهم سعد ألاّ يرضيهم الله عزّ وجلّ عن أمير ولا يرضي أميراً منهم. وولّى عمر مكان سعد بن أبي وقاص عمّار بن ياسر ثمّ قدم عليه أهل الكوفة فقال: كيف خلّفتم عمّار بن ياسر أميركم؟ قالوا: مسلمٌ ضعيفٌ. فعزله ووجّه جبير بن

(١) تاريخ الطّبريّ، ج ٣ص ٣٠٢.

مطعم فمكر به المغيرة وحمل عنه خبراً إلى عمر، وقال له: ولّني يا أمير المؤمنين. قال: أنت رجلٌ فاسقٌ! قال: وما عليك منّي، كفايتي ورجولتي لك، وفسقي على نفسي! فولاّه الكوفة. فسألهم عن المغيرة فقالوا: « أنت أعلم به وبفسقه». فقال: ما لقيت منكم يا أهل الكوفة، إن ولّيتكم مسلماً تقيّاً قلتم هو ضعيفٌ، وإن ولّيتكم مجرماً قلتم هو فاسقٌ. فيقال: إنّه ردّ سعد بن أبي وقّاص[١]. والأمر واضحٌ، فإنّ المغيرة لم يعترض على عمر، ولم ينف عن نفسه الفسق، بل أكّده وتساءل عن التّنافي بين الفسق والولاية؟!

وعن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدّة إلى أبى بكر (رض) تسأله ميراثها، فقال لها: مالك في كتاب الله شيءٌ، ولا علمت لك في سنّة رسول الله(ص)شيئا فارجعي حتى أسأل الناس؛ فسأل النّاس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله (ص)أعطاها السّدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمّد بن مسلمة الأنصاريّ فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذ لها أبو بكر[٢].

ويستفاد من القصّة أن أبا بكر يردّ شهادة المغيرة، مع أنه يعتبره من وزعة دين الله! وكلّما احتاج المغيرة إلى من يشهد معه أسعفه محمّد بن مسلمة. وقد يقال إنّ أبا بكر سأله لأنّ القضيّة تتعلّق بحقوق الآخرين فلا يكتفي بشهادة شخص واحد، وهنا تبرز قضيّة فاطمة(ع) وقد شهدت لها أمّ أيمن والحسنان، فلم ينفعها ذلك مع أنّها مطهّرة بنصّ الكتاب العزيز غير محتاجة إلى شهادة أيّ كان! لم يقبل كلامها مع أنّها يصلَّى عليها في كلّ صلاة فرضاً ونفلاً، وقُبلت شهادة رجلين قضيا في الشّرك أكثر مما

---

(١) تاريخ اليعقوبي،ج٢ ص١٥٥ و البداية والنهاية، ج٧ ص١١٣.

(٢) الكفاية في علم الرواية ، ج١ ص ٢٦.

قضيا في الإسلام، وأحدهما غدر برفاقه في السّفر وقتلهم جميعا -وكان عددهم ثلاثة عشر رجلاً- بعد أن سقاهم الخمر حتى همدوا، وكان يتبجّح -فيما بعد- أنّه أوّل من رشا في الإسلام، والحال أنّ الرّاشي والمرتشي والسّاعي بينهما ملعونون في الإسلام؛ وأما الرجل الآخر فقد كان معروفا ببغضه للإمام علي(ع) وقد ثبت في الصّحاح أنّ النبي (ص) قال للإمام علي (ع) بلسان عربيّ مبين: "لا يبغضك إلاّ منافقٌ"!

٣ـمع عمر بن الخطاب

كان عمر بن الخطّاب يَجْبَهُ المغيرة بن شعبة بقوله: "إنّما أنت رجلٌ فاسقٌ"، ولكنّه مع ذلك كان يولّيه على الأمصار ويستشيره في الأمور،وهذه من العجائب، لأنّ الرّجل إن كان فاسقاً فإنّه لا يستحقّ أن يكون والياً على الصّالحين، إذ الفاسق لا يصلح للشّهادة عند القاضي فضلاً عن أن ينال منصباً أعلى من منصب القاضي نفسه، وإن كان صالحاً للولاية فإنّه لا يكون فاسقاً؛ وقد كانت بين المغيرة وعمر حميميّةٌ خطّط لها المغيرة من أوّل يوم حينما عاد من مصر، وقد قتل أصحابه في السّفر بغير جرم اقترفوه في حقّه. والمتتبّع لأخبار المغيرة يجده دائما في صفّ عمر إذا اختلف عمر مع غيره، كما يجده مادحا لعمر، واصفاً إيّاه بما يوحي بالتّعظيم والتّبجيل، لكنّه في واقع الأمر لم يكن يعظّم إلاّ نفسه، ولو كان يؤمن بالقيم والأخلاق لدافع عن نفسه حينما قال له عمر بالحرف الواضح: " أنت رجلٌ فاسقٌ"، فإنّ أفسق فسّاق الدّنيا لا يقبل أن يَجْبَهَه أحدٌ بمثل تلك الكلمة، لأنّ معناها بكل بساطة: " أنت رجلٌ ساقطٌ،

أنت رجلٌ تافهٌ، أنت رجلٌ منحطٌّ، أنت رجلٌ رخيصٌ، أنت رجلٌ لا قيمة له"، وبدل أن يدافع المغيرة عن نفسه أو يخفّف من وطأة الكلمة، أقرّ على نفسه بالفسق قائلا: "وما عليك منّي؟ رجولتي لك، وفسقي على نفسي"! ومع ذلك نجد في زماننا من يقول: " إنّ الصّحابة ربّاهم رسول الله(ص) " ويقول ذلك محرّكاً رأسه، فهل ربّاهم رسول الله(ص) أن يخاطب بعضهم بعضاً بهذا الأسلوب، كقول أحدهم للآخر "أنت رجلٌ فاسقٌ" وإقرار الآخر على نفسه بالفسق قائلاً: كفايتي ورجولتي لك، وفسقي على نفسي"[١]. فالمغيرة يقرّ على نفسه بالفسق أمام عمر بن الخطّاب، والإقرار سيّد الأدلّة.

وعن عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمّد بن عليّ أنّ العبّاس جاء إلى عمر فقال له: إنّ النّبي(ص) أقطعني البحرين. قال: من يعلم ذلك؟ قال: المغيرة بن شعبة. فجاء به فشهد له ـ قال ـ فلم يُمض له عمر ذلك كأنّه لم يقبل شهادته، فأغلظ العبّاس لعمر، فقال عمر: يا عبد الله خذ بيد أبيك، وقال سفيان عن غير عمرو قال: قال عمر : والله يا أبا الفضل لأنا بإسلامك كنت أسرّ منّي بإسلام الخطّاب لو أسلم لمرضاة رسول الله(ص)[٢].

أقول: لقد كبر على ابن عساكر أن يردّ عمر شهادة المغيرة، فقال: كأنّه لم يقبل شهادته، والحال أنّه لم يقبلها فعلاً؛ وكيف يقبل شهادته وهو يعتبره فاسقاً ويواجهه بذلك! لكن لا بدّ من المحافظة على عدالة الصّحابة ولو بما يضحك الثّكلى. ولم يذكر ابن عساكر مضمون ما أغلظ به العبّاس لعمر؛ ولعلّه ذكره لكنّ مقصّ الرّقابة

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٥٥.
(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢٦ص ٣٧١.

تصرّف كالعادة، لأنّ العبّاس بن عبد المطّلب أعلم بحال عمر وآل الخطّاب من ابن عساكر.

ولا يبالي المغيرة أن يتملّق عمر مع قدم الصّحبة بينهما ووصولها إلى درجة الحميميّة، لأنّ قائمة الطّامحين إلى المناصب طويلةٌ، ولابدّ من فعل شيء للبقاء ضمن المتنافسين ولو بما يسقط المروءة، ولا خلاف بين العقلاء أنّ التّملّق يسقط المروءة. فعن عثمان بن مقسم قال: قال المغيرة بن شعبة لعمر: أدلّك على القويّ الأمين؟ قال: بلى! قال: عبد الله بن عمر؛ قال: ما أردت بقولك هذا؟! والله لأن يموت فأكفّنه بيدي أحبّ إليّ من أن أولّيه وأنا أعلم أنّ في النّاس من هو خيرٌ منه(١).

أقول: هل كان المغيرة بن شعبة صادقاً في قوله، معتقداً بكفاءة ولياقة عبد الله بن عمر للخلافة؟ أليس عبد الله بن عمر هو الذي لم يحسن طلاق امرأته وتغيّظ رسول الله(ص) من فعله؟! أليس عبد الله بن عمر هو الذي اعتبر بيعة يزيد ـ فيما بعد ـ واجبة الوفاء وامتنع من بيعة عليّ بن أبي طالب (ع) بعد أن بايعه المهاجرون والأنصار؟! أليس عبد الله بن عمر هو الذي قال له الحجّاج بن يوسف: إن يدي عنك في شغل، هذه رجلي فبايع!

ولا يفوت التّنبيه هنا أنّ عُمر رشّح يوم الشّورى من يعلم أنّ في الأمّة من هو خيرٌ منه، وأزاح بطريقة غير مباشرة من هو من رسول الله(ص)بمنزلة هارون من موسى.

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣١ ص ١٧٨.

٤ـ مع عثمان

قال ابن شبّة النّميريّ:

قدم المغيرة بن شعبة على عثمان (رض) بمال من الكوفة، فقال له أصحابه: كيف رأيت سرور أمير المؤمنين بما قدمت به عليه ؟ قال: رأيت له وجهاً لا يردّني على الكوفة أبداً. قالوا : وما يدريك ؟ قال: هو ما أقول لكم. وجعل المغيرة لبحران حاجب عثمان جعلاً على أن يأتيه بخبر مَن يستعمل عثمان إذا استعمل أحداً على الكوفة[١]. فأتاه فقال: فقد استعمل سعد بن أبي وقّاص. فأتى المغيرة عثمان فقال: يا أمير المؤمنين هل شكاني إليك أحدٌ، أو بلغك عنّي أمرٌ كرهته ؟ قال: وما ذاك ؟ قال : لم عزلتني واستعملت سعداً ؟ قال : وكان ذاك ؟ قال : نعم. قال : ومن أخبرك ؟ قال: الأمر أشيع من ذاك. فأرسل عثمان إلى سعد فأتاه، فقال : هل أعلمت أحداً ؟ قال : لا. فأرسل إلى المغيرة فقال: والله لتخبرنّي من أخبرك أو لأسيلنّ دمك قال: لأقصّنّ لك، فأخبره. فدعا ببحران فضربه ستّين سوطاً، وحلق رأسه، وأمر أن يطاف به في السّوق. فقال هوذة السّلمي :

لا بعد بحران يفشي سرّنا ملكٌ ستّون سوطاً ورأسٌ بعدُ محلوق

وطيف في السّوق أعلاها وأسفلها لم يلقه قبله في النّاس مخلوق

قال: فعاب ذلك ناسٌ من أصحاب رسول الله (ص) فأعتقه[٢].

---

(١) هذا تجسّس صريح والقرآن الكريم ينهى عن التجسّس لكن المغيرة بن شعبة لا يبالي بالنهي القرآني حين يعترض طريقه بل يقدّم للمتجسّس لصالحه جعلا!

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة النّميريّ، ج ٣ ص ١٠٣٠.

أقول: يرفأ في أيّام عمر، ثمّ بحران في زمن عثمان. و يفعلها المغيرة بن شعبة ويدفع ثمنها بحران ! لأنّه لا سبيل على المغيرة وهو ركن من أركان الدّولة.على أنّ ههنا مسألة طريفة، وهي قول المغيرة لعثمان : الأمر أشيع من ذاك !! يريد بذلك أنّ القضيّة شائعةٌ ذائعةٌ بين النّاس، فهل كان الأمر كذلك؟ " أشيع من ذلك " ؟ هل كان غير عثمان وبحران وسعد بن أبي وقاص والمغيرة على علم بذلك؟ أمّا سعد فباعتباره المعيّن للولاية بحضور بحران، وأمّا بحران فباعتباره حاجب عثمان، وأمّا عثمان باعتباره الخليفة الحاكم الذي ينصب ويعزل، والمغيرة بأيّ اعتبار؟

لقد تجسّس المغيرة في هذه الواقعة، وكذب على عثمان في دعوى شيوع الخبر، ورمى بحران بفعلة كان هو وراءها، فهل عاتبه عثمان على واحدة منهنّ؟ وقد عاب ذلك ناسٌ من أصحاب رسول الله (ص) فأعتقه، لكن بعد أن طيف به في السّوق محلوق الرّأس وضرب ستّين سوطاً، وهو ما يعني سقوط عدالة الشّخص واخترام مروءته.

إنّ القرآن الكريم يهتف "ولا تجسّسوا"، لكن إذا وقع التّجسّس من طرف صحابيّ قُدّمت صيانة قداسة الصحابيّ وعُطّل العمل بكتاب الله!!

عن الأوزاعيّ عن محمّد بن عبد الملك بن مروان[1] أنّه حدّثه عن المغيرة بن شعبة أنّه دخل على عثمان وهو محصورٌ فقال: "إنّك إمامُ العامَّة وقد نزل بك ما ترى، وإنّي أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اخترْ أيّهنّ: إمّا أن تخرج فتقاتلهم فإنّ معك عدداً وقوّةً وأنت على الحقّ وهم على الباطل، وإمّا أن تخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكّة فإنّهم لن يستحلّوك وأنت بها، وإمّا أن تلحق

---

(١) قالوا عن الحديث : إسناده منقطع.

بالشّام فإنّهم أهل الشّام وفيهم معاوية؛ فقال عثمان: أمّا أن أخرج فأقاتل فلن أكون أوّل من خلف رسول الله (ص) في أمّته بسفك الدّماء، وأمّا أن أخرج إلى مكّة [فإنّهم لن يستحلّوك بها] فإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول: يلحد رجلٌ من قريش بمكّة عليه نصف عذاب العالم[1] فلن أكون أنا إيّاه، وأمّا أن ألحق بالشّام فإنّهم أهل الشّام وفيهم معاوية، فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله (ص)[2].

أقول: هذه ردّ عثمان، وتلك نصيحة المغيرة، لكن يبقى المقطع الأخير من كلام عثمان غامضاً، إذ ما معنى قوله "أن ألحق بالشّام فإنّهم أهل الشّام وفيهم معاوية "؟! ألم تذكر كتب التّاريخ أنّهم قدّسوا قميصه المضرّج بالدّم؟! ألم يحاربوا سنين بدعوى المطالبة بدمه؟ فما معنى فيهم معاوية؟ هل كان معاوية لديهم أهمّ وأعزّ من عثمان؟

قال عبد العزيز[في تاريخ المدينة]: توفّيت صفيّة فدفنت في آخر الزّقاق الذي يخرج إلى البقيع عند باب الدّار التي يقال لها دار المغيرة بن شعبة التي أقطعه عثمان بن عفّان (رض)، لازقاً بجدار الدار - قال عبد العزيز -: فبلغني أنّ الزّبير بن العوّام جاز بالمغيرة وهو يبني داره فقال: يا مغيرة، ارفع مطمرك عن قبر أمّي. فأدخل المغيرة جداره، فالجدار اليوم منحرفٌ فيما بين ذلك الموضع وبين باب الدّار - قال

---

(١) هذا الحديث ذكروا في كتاب المجروحين ج٢ص٢٦٩ تحت رقم ٩٥٥ أنه من رواية محمّد بن عبد الملك أبي عبد الله الأنصاري(من أهل المدينة سكن الشام يروي عن بن المنكدر ونافع والزهري عنه أهل الشام) كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحلّ ذكره في الكتب إلاّ على جهة القدح فيه ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار، وهو الذي روى عنه الأوزاعي وروى عن المغيرة بن شعبة عن النبي (ص) قال: يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب العالم.

(٢) الأحاديث المختارة، ج١ص٥٢٠ رقم ٣٨٧.

عبد العزيز ـ: وقد سمعت من يذكر أنّ المغيرة بن شعبة أبى أن يفعل ذلك، لمكانه من عثمان، فأخذ الزّبير السّيف ثمّ قام على البناء، فبلغ الخبر عثمان، فأرسل إلى المغيرة يأمره بالمصير إلى ما أمره به الزّبير، ففعل[١].

يقول عبد العزيز: "وقد سمعت من يذكر أنّ المغيرة بن شعبة أبى أن يفعل ذلك لمكانه من عثمان "، فمن أين جاءت هذه المكانة؟! لا هو من عشيرته، ولا هو صديق من أيّام الطفولة[٢]، ولا هو صهر ولا هو غير ذلك، فمن أين له المنزلة؟!

لا شكّ في وجود حميميّة بين عثمان والمغيرة تسمح للأخير بالتدخّل في شؤون عثمان، وتسمح له بعنوان النّصيحة أن يقترح عليه ما شاء.

٥ـ مع علي عليه السّلام

و قد نعت أمير المؤمنين عليه السّلام المغيرة بما هو أهله حينما راجعه عمار بن ياسر؛ قال ابن قتيبة [٣]: فقام عمّار فقال: معاذ الله يا مغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيراً. يغلبك من غلبته، ويسبقك من سبقته، انظر ما ترى وما تفعل، فأمّا أنا فلا أكون إلاّ في الرّعيل الأوّل. فقال له المغيرة، يا أبا اليقظان. إيّاك أن تكون كقاطع السّلسلة: فرّ من الضّحل[٤] فوقع في الرمضاء[٥]. فقال عليّ لعمّار: دعه، فإنّه لن يأخذ من

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري، ج ١ ص ١٢٦.

(٢) علما أن فارق السنّ بين عثمان والمغيرة كبير.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني، ج ١ ص ٥٠.

(٤) ضحل: الضحل: القريب القعر. والضحل: الماء الرقيق على وجه الأرض ليس له عمق وقيل: هو كالضحضاح إلا أن الضحضاح أعمّ منه لأنه فيما قل أو كثر وقيل: الضحل الماء القليل يكون في العين والبئر والجمة ونحوها وقيل: هو الماء القليل يكون في الغدير ونحوه (لسان العرب، ، ج ١١ ص٣٩٠).

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٧٠.

الآخرة إلاّ ما خالطته الدّنيا، أما والله يا مغيرة إنّها المثوبة المؤدية، تؤدّي من قام فيها إلى الجنّة، ولما اختار بعدها، فإذا غشيناك فنم في بيتك. فقال المغيرة : أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منّي، ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك(١)، فإن يكن ما فعلت صواباً فإيّاه أردت، وإن يكن خطأً فمنه نجوت، ولي ذنوبٌ كثيرةٌ لا قبل لي بها.

المغيرة الذي يقول هذا الكلام هو نفسه الذي أشار على الإمام علي(ع) أيّام حصار عثمان بأمر لم يلتفت إليه (ع)، وأشار عليه(ع) أيضاً أوّل ما بويع بأمر لم يستسغه الإمام(ع) لخلوّه من التّقوى والورع، ففعل ذلك في صدر المغيرة ما فعل، واستشعر من نفسه الذّلّ والازدراء لأنّ دهاءه لم يجد صدىً لدى الإمام علي (ع). عن شعيب، عن سيف، عن المجالد، عن الشّعبي، عن المغيرة بن شعبة، قلت لعليّ: إنّ هذا الرّجل مقتولٌ، وإنّه إن قُتل وأنت بالمدينة اتّخذوا فيك، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا، فإنّك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك النّاس، فأبى؛ وحُصر عثمان اثنين وعشرين يوماً، ثمّ أحرقوا الباب وفي الدّار أناسٌ كثيرٌ فيهم عبدا لله بن الزبير ومروان...

أقول: متى كان الإمام علي(ع) بحاجة إلى نصيحة المغيرة وهو يعلم أنّه لا يأخذ من الدّين إلا ما خالطته الدّنيا؟

أليس هو الذي رآه يطرح رمحه في الطّريق أثناء رجوعه من الغزو ليلتقطها غيره؟

---

(١) هذا الكلام من المغيرة صعب قبوله، فإنّه لم يكتف بالإعانة على علي عليه السّلام بل صار يسبّه و يلعنه علنا.

أليس هو الذي فنّد العلماءُ دعواه أنّه آخر النّاس عهداً برسول الله(ص)؟!

لكنّ المغيرة يريد أن يصوّر للنّاس أنه مقرّبٌ من الإمام(ع)، وأنّ الإمام عليا (ع) يأخذ برأيه وقوله!

وهل يصلح المغيرة لأن يكون من خواصّ الإمام علي (ع) ؟

٦ـ مع معاوية:

قال ابن أبي الحديد: قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا، يبيع دينه بالقليل النّزر منها، ويُرضي معاوية بذكر عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، قال يوماً في مجلس معاوية : إنّ عليّا لم يُنكحه رسول الله ابنته حبّا، ولكنّه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب.

والحديث هنا عن النّبي (ص) وتزويجه فاطمة عليها السّلام، والمغيرة يدّعي أن النّبي (ص) لم يزوّج فاطمة (ع) من الإمام علي (ع) حبّاً فيه وصلةً لرحمه واعترافاً بسبْقه وجهاده في الإسلام، لم يكن شيءٌ من هذا ـ حسب قول المغيرة ـ وإنّما أراد النّبي(ص) أن يكافئ إحسان عمّه أبي طالب إليه ابتداءً بكفالته إلى نصرته في دعوته؛ ذلك هو الهدف من التّزويج، وهذا يعني أنّه لولا إحسان أبي طالب إلى رسول الله(ص) لما زوّج رسول الله(ص)ابنته فاطمة من عليّ (سلام الله عليهم أجمعين).

هل هذا صحيح؟ أم أن المغيرة يقطع على الله ورسوله بالظّنّ؟

وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا انفرد به المغيرة دون سائر الصّحابة مع كثرة أعداء

الإمام علي (ع) [(١)]؟!

ماذا تقول كتب التّفسير والحديث والرّجال في زواج فاطمة عليها السّلام؟

تقول الكتب: " خطب أبو بكر وعُمر فاطمة "!

عن الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله (ص): "إنّها صغيرةٌ"، فخطب عليٌّ فزوّجها منه[(٢)].

وههنا كلامٌ وأيّ كلام!

"خطب أبو بكر وعمر فاطمة" ؛ وهذا معناه " خطب أبو بكر ثُمّ عمر فاطمة" لأنّ مقام الرّجلين لا يسمح أن يخطبا امرأةً واحدةً في وقت واحد، خصوصاً عند من يعتقدون بترتيب الخلفاء في الفضل والدّين وغير ذلك، بل إنّك لا تكاد تجد روايةً فيها مثلاً جاء عمر ثمّ جاء أبو بكر! أو خرج عمر ثمّ خرج أبو بكر! لابدّ أن يخرج أبو بكر دائما قبل عمر ولا بدّ أن يجيءَ أبو بكر دائماً قبل عمر حتى لا يختلّ الترتيب فيهتزّ اعتقاد النّاس في الخلفاء؛ فكأنّ حياة الرجلين رتّبها ونظّمها و(بَرْمَجها) جهاز حاسوب! وإذاً فقد خطب أبو بكر فاطمة أوّلاً؛ فماذا كان الجواب؟

قال رسول الله (ص): "إنّها صغيرةٌ"!

---

(١) روى الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الفضائل بسنده عن عمرو بن موسى عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حسد الناس إياي فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا و أنت و الحسن و الحسين أزواجنا عن أيماننا و عن شمائلنا وذرارينا خلف أزواجنا وشيعتنا من ورائنا.(أحمد بن حنبل كتاب فضائل الصحابة ج٢ ص٦٢٤ رقم ١٠٦٨ نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٨٣)

(٢) السنن الكبرى، النسائي، ج ٥ ، ص ١٤٣ الحديث رقم (٨٥٠٨) وخصائص أمير المؤمنين (ع) النسائي ، ص ١١٤ و صحيح ابن حبان، ج ١٥ ، ص ٣٩٩.

وهذا الرّد من النّبي(ص) أثقلُ على الذّهبي من حمل الجبال الرواسي! لأنّ الذّهبي يأبى أن يقرّ أنّ فاطمة ولدت بعد البعثة، لأنّ نفسه لا تطيب أن يكون النّبي (ص) أكل ليلة المعراج من ثمار الجنّة ثم آوى إلى خديجة فحملت بفاطمة(ع) من تلك الثّمرة، أي من غير تربة هذه الأرض. لابدّ من نفي أصل المسألة حتى لا يبقى كلامٌ. فإذا كانت فاطمة وُلدت قبل البعثة كما يقول الذّهبي -ولو بأسبوع- فهذا يعني أنّها في المدينة في حدود الرابعة عشرة من العمر؟ وقد ذكروا أنّ النّبي (ص) بنى بعائشة وعمرها تسع سنين وعشرة أشهر[١].

فكيف يقول النّبي (ص) مثل هذا؟

كيف يقول النّبي (ص) عن فاطمة التي تجاوزت ثلاث عشرة سنةً "إنّها صغيرة" بينما إحدى زوجاته لا تتجاوز "تسع سنين وعشرة أشهر؟

أهكذا يتكلّم الأنبياء؟!

لقد كان في وسع أبي بكر أن يقول له: " وكيف تكون فاطمة صغيرةً وعمرها أكثر من ثلاث عشرة سنةً بينما عائشة في بيتك وعمرها أقلّ من عشر سنين"؟

لا شكّ أنّ الرّواة والمحدّثين قوّلوا رسول الله(ص) ما لم يقله محافظة منهم على مقام الخليفة، لأنّ النّبي (ص) قال: " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض".وأبو بكر -بزعمهم- أفضل الخلق بعد رسول الله(ص) في هذه الأمّة.وقد رفض رسول الله (ص) تزويجه من فاطمة.

فهل هذا يعني أنّ النّبي (ص) لا يرضى دين أبي بكر وخُلُقه؟ أم أنّه يعني أنّ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٩ص١٩٠.

النّبي (ص) يتناقض في كلامه والعياذ بالله تعالى؟

والذين يزكّون المغيرة وأشباهَ المغيرة يدّعون أنّ فاطمة عليها السلام وُلِدت قبل البعثة بأربعة سنوات، وعليه يكون عمرها عند الهجرة سبع عشرة سنة، فهل في عرف العرب أن يقال عن بنت سبع عشرة سنةً "إنّها صغيرةٌ "؟!

عن المسيّب بن رافع، عن ورّاد مولى المغيرة، قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: أيّ شيء كان رسول الله (ص) يقول إذا سلّم في الصلاة[1] ؟

أقول: هل يُفهم من هذا أنّ معاوية لم يصلِّ وراء رسول الله(ص) قطّ؟! لأنّه إن كان يصلّي وراءه فهو يعرف ما يعرفه المغيرة، وليس بين إسلام المغيرة وإسلام معاوية فترة طويلة، فالأوّل أسلم قبيل الحديبية، والثاني أسلم بعد فتح مكّة! ولقد كان هناك صحابةٌ أيّام معاوية أفقه من المغيرة وأكثر ملازمةً لرسول الله(ص)، فلماذا قدّم معاوية المغيرة عليهم؟

عن محمّد بن سلام قال: أخبرنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة " اكتب إليّ بما سمعت من رسول الله (ص)". قال ورّاد فأملى عليّ وكتبت بيدي: "إنّي سمعته ينهى عن كثرة السّؤال وإضاعة المال وعن قيل وقال"[2]..

أقول:

هذا ما سمعه المغيرة من رسول الله (ص)، وكأنّه لم يسمعه يوم خيبر يقول

---

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٣٧.
(٢) الأدب المفرد، البخاري، ص ١٥ رقم (١٦) .

في علي(ع): " يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله"!

وكأنّه لم يسمعه يوم الغدير يقول: " من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه" !

وكأنه لم يسمعه يوم الأحزاب أيضاً يقول: " اللّهمّ قد برز الإيمان كلّه إلى الشّرك كلّه "!

ومع ذلك سوّلت له نفسه وراح يلعنه ويوظّف الخوارج للعنه تقرّباً إلى معاوية وبني أميّة.

لكن المودّة لم تكن إلا شكليّةً بين معاوية والمغيرة، فقد كانت تجمعهما المصلحة التي لا يبالي صاحبها بالدّين؛ كان معاوية بحاجة إلى دهاء ووقاحة المغيرة، وكان المغيرة بحاجة إلى أموال معاوية ونفوذه، وكان معاوية حريصاً على أن يشعر المغيرة بين الحين والحين أنّه بمنزلة الخادم لا أكثر، لكنّه بمنزلة الخادم الوفيّ لأنّ كلا الرّجلين يبغض عليّاً عليه السلام بغضاً لا يرجى زواله، فشدّة بغضهما للإمام علي(ع) تضمن بقاءهما في خطّ واحد وعلى موجة واحدة. بل يمكن القول إنّ معاوية كان لا يتحرّج أن يبدي احتقاره للمغيرة إذا خلا به، ويشعره أنّه لا يعتبره صاحب دين، ولذلك يُصرّح أمامه بما لا يمكن أن يصرّح به أمام أصحاب الدّين. قال محمّد بن عقيل الشّافعيّ: (وأخرج) الزّبير بن بكّار في الموفّقيّات عن المطرف بن المغيرة بن شُعبة قال: دخلت مع أبي على مُعاويَة فكان أبي يأتيه فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إليّ ويذكر مُعاويَة وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيتُه مُغتمّاً ! فانتظرتُه ساعةً وظننتُ أنّه لأمْر حَدث فينا، فقلت: مالي

أراك مغتمّاً منذ اللّيلة؟ فقال يا بنيّ جئت من عند أكْفر النّاس وأخْبثهم[!] قلتُ: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فقد كبرْتَ؛ ولو نظرتَ إلى إخوتك من بني هاشم فوصلتَ أرحامَهم، فوالله ما عندهم اليوم شيءٌ تخافه. وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكْرُه وثوابُه. فقال: هيهات هيهات، أيّ ذكر أرجو بقاءه ؟ مَلَكَ أخو تَيْم[1] فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أنْ هلكَ حتّى هلك ذكْرُه إلاّ أن يقولَ قائلٌ أبو بكر. ثُمّ ملَكَ أخو عديّ فأجتهد وشمّر عشر سنين فما عدا أنْ هلك حتّى هلك ذكرُه إلاّ أنْ يقول قائل عُمَر. وإنّ ابن أبي كبْشة لَيُصاح به كلّ يوم خمْس مرّات أشهد أنّ محمّداً رسول الله! فأيّ عمل يبقى وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك، لا والله إلا دفناً دفناً[2].

قال ابن عقيل بعد ذكر الخبر: الزّبير بن بكّار هذا هو قاضي مكّة، وهو مشهور في المحدّثين، ومن رواة الصّحيح، وهو غير متّهم على مُعاويَة لعدالته وفضله مع أنّ في الزّبير كما علمت بعض انحراف عن عليّ كرّم الله وجهه لما عرف من الأسباب؛ ألا ترى أنّ عبد الله بن الزبير على نسكه وعبادته كان منحرفاً عن عليّ وأهل بيته. فقد روى عمر بن شبّة وابن الكلبيّ والواقديّ وغيرهم من رواة السّير أنّه مكث أيّام ادّعائه الخلافة أربعين جمعةً لا يصلّي فيها على النّبي(ص)وقال لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجالٌ بآنافها.

أقول: إنّ الكلام الذي تفوّه به معاوية أمام المغيرة بن شعبة لا يمكن أن يتفوّه به أمام ذوي التّديّن الصّحيح من الصّحابة والتّابعين، فهو بكلامه ذاك يشعر المغيرة أنّه

(١) أخو تيم هنا هو أبو بكر، لأنه من بني تيم.

(٢) النصائح الكافية، محمّد بن عقيل الشّافعيّ ص ١٢٣.

ليس من أهل الدّين، وكأنّه يقول له: " لا تخادعْني يا مغيرة، ولا تدّع التّديّن، إنّك مثلي لا تعتقد بشيء، فلا تستغفلني، وإن أردت أن تتظاهر بالتّديّن فتظاهر به أمام من شئت لكن لا تفعل ذلك أمامي، فإنّني أعرفك جيّداً، ولولا معرفتي بك ما اتّخذتك عوناً لي فيما أنا فيه". ولأجل ذلك رجع المغيرة إلى بيته مغموماً كما يقول ابنه المطرف، وهو الذي كان " يذكر مُعاويَة وعقله ويعجب بما يرى منه"؛ كان يذكر معاوية وعقله، وإذا به يقول عنه: "أكفر النّاس وأخبثهم "!

كيف تحوّل معاوية بن أبي سفيان في ليلة واحدة من ذي عقل يستحقّ الإعجاب إلى أكفر النّاس وأخبثهم"؟!

نعم، تحوّل معاوية ذلك التحوّل في ليلة واحدة لأنّه جرح مشاعر المغيرة بن شعبة وأشعره بالسّفالة والضّعة، وأنّه ليس بشيء. والمغيرة قتل فيما سبق ثلاثة عشر رجلاً مخافة أن يخبروا النّاس بازدراء مَلك مصر إيّاه! و ها هو الازدراء يعود مرّةً أخرى؛ كان الازدراء تلك المرّة من مَلك مصر، وها هو الازدراء اليوم من مَلك الشّام، وبعد مرور أكثر من ثلاثين سنةً. فكأنّ المغيرة لم يخط خطوةً واحدةً إلى الأمام، وهو الذي يبحث عن التّميّز بأيّ ثمن كان!

وروى الطّبريّ أنّ معاوية بن أبى سفيان لمّا ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد؛ فإنّ لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا، وقد قال المتلمّس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلاّ ليعلما

وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعلّم؛ وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ويصلح به رعيّتي. ولست

تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تتحمّ عن شتم عليّ وذمّه[١]، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان (رض) و الإدناء لهم والسّماع منهم. فقال المغيرة: قد جرّبت وجرّبت، وعملتُ قبلك لغيرك فلم يذمم بى دفْعٌ ولا رفْعٌ ولا وضْعٌ. فستبْلُو فتحمد أو تذمّ. ثمّ قال: بل نحمد إن شاء الله[٢].

وحينما يحاول المغيرة أن يخدع معاوية يجيبه معاوية بسلاح من نفس العيار، لكن مع مسحة استخفاف يمليها النّفوذ والتسلّط. فعن عبد الملك بن عمير قال: كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية يذكر فناء عمره، وفناء أهل بيته، وجفوة قريش إيّاه -قال -فورد الكتاب على معاوية وزيادٌ عنده؛ فلما قرأ الكتاب قال له زيادٌ: ولّني إجابته! قال: فألقى إليه الكتاب. قال: فصدّر زيادٌ الكتاب ثمّ كتب: أمّا ما ذكرت من ذهاب عمرك فإنّه لم يأكله أحدٌ غيرك، وأمّا ما ذكرت من فناء أهل بيتك فلو أنّ أمير المؤمنين قدر أن يقي أحداً الموت لوقى أهل بيته، وأمّا ما ذكرت من جفوة قريش إيّاك فأنّى يكون ذاك وهم أمّروك! فلمّا قدم الكتاب على المغيرة فقرأه قال اللّهم عليك زياداً، اللّهم عليك زياداً[٣].

وللعلم فإنّ المغيرة هو الذي أشار على زياد أن يرضى بالاستلحاق -عناداً لله ورسوله -[٤] ويشهد على أمّه سميّة بالزّنا وعلى أبيه عبيد بالدّياثة، هذا مع أنّ موقف

(١) هذه العبارة مفحمة للذين ينكرون أمر معاوية بسبّ علي(ع) وشتمه.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤ ص.١٨٨.

(٣) الإشراف في منازل الأشراف، ج١ص٢٦٩.

(٤) لأن النبي (ص) قال: "الولد للفراش وللعاهر الحجر ".[الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٢ ، ص١٨٣ : والطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٤ ، ص ١٩٠ : التاريخ الكبير، البخاري ج ٣، ص٣١٥ : تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١١ ، ص ١١٧ : و ج ١٤ ، ص ١٤٩ : و تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ١٩ ، ص ١٩٨ : و ج ٢١ ، ص ٢٨٠ : و ج ٢٢ ، ص ١٧١ : و ج ٣١ ، ص ٢٩١ : و ج ٣٧ ، ص

الإسلام ممّن يدّعى إلى غير أبيه معلوم.قال ابن منظور: وفي الحديث: لا دعوة في الإسلام، الدّعوة في النسب، بالكسر: وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه وجعل الولد للفراش. وفي الحديث: ليس من رجل ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلاّ كفر، وفي حديث آخر: فالجنّة عليه حرامٌ، وفي حديث آخر: فعليه لعنة الله، وقد تكرّرت الأحاديث في ذلك، والادّعاء إلى غير الأب مع العلم به حرامٌ، فمن اعتقد إباحة ذلك فقد كفر لمخالفته الإجماع[1].

وقد كان بين المغيرة وبين زياد مودّةٌ نفعيّةٌ أوجدها نكوص زياد عن الشّهادة يوم شهد أبو بكرة ومن معه على المغيرة بالزّنا.

٧- مع عبد الرحمن بن عوف

٤٢٨: و ج ٤٢، ص ٢٢٢: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٥٩، ص ٤: أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٩٣: أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤، ص ١٠٢ أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤، ص ١٧٩: تهذيب الكمال، المزي، ج ٩، ص ٥٠ و ج ٩، ص ٥١ و ج ٣١، ص ٣٩٩: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٤، ص ٢٣٨ و ج ١٦، ص ٥٢٨: ميزان الاعتدال، الذهبي، ج ٢، ص ٤٨ و ج ٤، ص ٣٨٧: الإصابة، ابن حجر، ج ٤، ص ٦٠٩ و ج ٥، ص ٢٩٦ و ج ٦، ص ٥٤٤: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ٣، ص ٢٠٤: لسان الميزان، ابن حجر، ج ٢، ص ٤٥٨ و ج ٦، ص ٢٦٤: كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج ١، ص ١٠٥: غريب الحديث، ابن سلام ج ٣، ص ٣٤٠: غريب الحديث، الحربي، ج ١، ص ٢٢٩: الصحاح، الجوهري، ج ٢، ص ٧٦٢: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج ١، ص ٢٣ و ج ١، ص ٣٤٣ و ج ٢، ص ١٢١ و ج ٣، ص ٣٢٦: لسان العرب ابن منظور، ج١، ص ٢٤٢: و ج ٤، ص ١٦٦ و ج ٦، ص ٣٢٧ و ج ٨، ص ٢٠٥ وج ١٤، ص ٢٦١ و تاج العروس، الزبيدي، ج ١، ص ٣٤٠ و ج ٧، ص ٢٧٩ و ج ٩، ص ١٦١ و ج ١١، ص ٢٧٨ والمستصفى، الغزالي، ص ٢٣٦: و المنخول الغزالي، ص ٢٢٥: الإحكام الآمدي، ج ٢، ص ٢٤١ و العلل أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٣١٩ و تغليق التعليق، ابن حجر، ج ٥ ص ٢٣٤.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٤، ص ٢٦١.

قال الطّبريّ: ثمّ لقي[أي المغيرة]عليّاً فقال: إنّ عبد الرحمن رجلٌ مجتهدٌ وليس والله يبايعك إلاّ بالعزيمة فاقبل؛ فلذلك قال عليٌّ" خدعة". قال: ثمّ انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس![1] فجلس والنّاس معه فقام المغيرة بن شعبة خطيباً فقال: يا أبا محمّد، الحمد لله الذي وفّقك والله ما كان لها غير عثمان -وعليٌّ جالس - فقال عبد الرحمن: يا ابن الدبّاغ ما أنت وذاك! والله ما كنت أبايع أحداً إلاّ قلت فيه هذه المقالة[2] !

أقول: هذا رأي عبد الرحمن بن عوف في ابن الدبّاغ بمحضر الصّحابة، ومن بينهم بعض المبشّرين بالجنّة ولم يردّ عليه أحدٌ !

وفي كتاب السّقيفة وفدك للجوهري : قال المغيرة بن شعبة لعثمان : أما والله لو بويع غيرك لما بايعناه، فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت، والله لو بويع غيره لبايعته، وما أنت وذاك يا ابن الدبّاغة، والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن، تقرّباً إليه وطمعاً في الدّنيا، فاذهب لا أبا لك. قال المغيرة : لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ما تكره، ومضيا[3].

فإن يكن عبد الرحمن بن عوف صادقاً في كلامه يكن المغيرة من أهل التّقرب والتزلّف لدى المتمكّنين، ومن أهل الطّمع في الدّنيا.

(١) فاطمة بنت قيس هي زوجة أسامة بن زيد وهي التي بعثت إليه وهو على الجيش أن ادخل فإنّ رسول الله يموت ! وأطاع أسامة قاطمة بنت قيس وعصى رسول الله (ص)وآله ودخل المدينة وكان ما كان ! فهي حاضرة دائما في مسألة الخلافة.

(٢) تاريخ الطّبريّ، ج ٣ ص ٣٠٢.

(٣) كتاب السّقيفة وفدك، الجوهري، ص ٨٧

الأمير البخيل:

عن عيسى بن يزيد بن بكر قال : سأل الوليد بن عقبة مروان وهو على المدينة فاعتلّ عليه، فقدم على المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة فأمر له بعشرين ألفاً فأبى أن يقبلها[١] ، فأتى ابن عامر فشكا إليه دَينه فقال: كم هو؟ قال مئة ألف؛ فقضاه عنه وأعطاه مئة ألف أخرى. فقال الوليد :

ألا جعل الله المغيرة وابنَه ومروان نعلي بذلة لابن عامر
لكي تقياه الحرّ والقرّ والأذى ولسع الأفاعي واحتدام الهواجر

و أبياتاً أخرى[٢].

و إنّما ارتحل الوليد إليه من المدينة رجاء أن يعينه على قضاء دينه كما يدلّ عليه كلامه مع ابن عامر، ويقبح بالأمير أن يكون في الرعيّة من هو أجود منه وأسخى مع سعة اليد. وكلّ إناء بالذي فيه ينضح.

وعن ابن أبي الخليل عن عليّ قال: كان المغيرة بن شعبة إذا غزا مع النّبي(ص) حمل معه رمحاً فإذا رجع طرحه كيما يحمل !فقال له عليٌّ لأذكرنّ هذا للنّبيّ (ص) فقال له لا تفعل فإنّك إذا فعلتّ لم تُحمل ضالّةٌ[٣].

وحينما يتعلّق الأمر بالنّساء فإنّ المغيرة يسارع إلى استغلال الفرصة لمحاولة

(١) الوليد بن عقبة هذا، الذي أبى أن يقبل عشرين ألفا من بيت المال، هو الذي سمّاه القرآن الكريم فاسقا.
(٢) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدّنيا، ص٤٦٠.
(٣) السّنن الكبرى ، النّسائي،ج٣ ص٤١٧.

إطفاء نار شهوة لا تنطفئ، والحال أنّ العقلاء ـ خصوصاً إذا تقدّمت بهم السنّ ـ لا يبقون يركضون وراء تعدّد الزّواج لما يقتضيه المقام من تفكّر فيما يقدم عليه الإنسان عند خروجه من الدّنيا، ومَن تَجاوز الخمسين فقد قارب.

قالوا: وإذا أراد وليّ المرأة تزوّجها كابن عمّها أو مولاها جعل أمرها إلى من يزوّجها منه بإذنها لما روي أنّ المغيرة بن شعبة أمر رجلاً أن يزوّجه امرأةً المغيرةُ أولى بها منه، ولأنّه وليّها فجاز أن يتزوّجها من وكيله كالإمام، فإن زوّج نفسه بإذنها ففيه روايتان إحداهما لا يجوز لحديث المغيرة، ولأنّه عقد ملكه بالإذن فلم يجز أن يتولّى طرفيه كالوكيل في البيع؛ والثّانية يجوز لما روي عن عبد الرّحمن بن عوف أنّه قال لأمّ حكيم بنت قارظ: أتجعلين الأمر إليّ؟ قالت: نعم؛ فقال: قد تزوّجتك[١]..

وأنت تراهم هنا يستدلّون بفعل المغيرة كأنّ سلوك المغيرة في غنىً عن الدّليل.

وروي أنّ المغيرة بن شعبة قال لمولىً له وهو على أمواله بالطائف: كيف تصنع في صدقة مالي؟ قال: منها ما أتصدّق به، ومنها ما أدفع إلى السّلطان؛ فقال: وفيم أنت من ذلك؟ قال: إنّهم يشترون بها الأراضي ويتزوّجون بها النّساء! فقال: ادفعها إليهم فإنّ رسول الله (ص) أمرنا أن ندفع إليهم[٢].

أقول: قد أمره الله تعالى بمودّة قربى النبي(ص)، وأمره النّبي(ص)يوم الغدير بموالاة علي(ع)،فلم يكتف بترك أمر الله تعالى وأمر نبيّه(ص) بل راح يحارب أهل البيت عليهم السّلام بكل ما أوتي، ويوظّف الخطباء لسبّ وشتم ولعن الإمام علي

(١) الكافي في فقه ابن حنبل، ج٣ ص٢٠.
(٢) المهذب، أبو إسحاق الشيرازي، ج١ص١٦٨.

(ع)، وهو في القصّة المذكورة يدّعي العمل بأمر رسول الله(ص)!! وليس هذا الكلام منه إلا تقرّباً إلى حكّام الجور، بعد أن أخبره مولاه أنّهم يشترون بها الأراضي ويتزوّجون بها النّساء، وهذا معناه أنّهم كانوا لا ينفقونها في الأصناف المأمور بها شرعا!

و عن عطاء بن يسار أنّ المرأة التي سألت عمر (رض) عن التي راجعها زوجها قبل أن تغتسل كان دسّها المغيرة بن شعبة لعمر و ابن مسعود (رض) لينظر ما يقولان فيها[1].

أقول: تارةً يستعين بزوجته، وتارةً بامرأة أجنبيّة، ومعلومٌ أنّ أهل المروءة بعيدون عن مثل هذه التّصرفات، لأن عزّتهم تمنعهم أن يطلبوا شيئاً على حساب مروءتهم.

أول من رشا في الإسلام!

قال ابن حجر : وقال البغويّ حدثني حمزة بن مالك الأسلمي، حدثني عمّي شيبان بن حمزة، عن دويد، عن المطّلب بن حنطب قال: قال المغيرة: أنا أوّل من رشا في الإسلام، جئت إلى يرفأ حاجب عمر وكنت أجالسه فقلت له: خذ هذه العمامة فالبسها، فإنّ عندي أختها، فكان يأنس بي ويأذن لي أن أجلس من داخل الباب فكنت آتي فأجلس في القائلة، فيمرّ المارّ فيقول: إنّ للمغيرة عند عمر منزلةً، إنّه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحدٌ[2].

وقال ابن الأثير: ـ في ترجمة المغيرة ـ وهو أوّل من وضع ديوان البصرة وأوّل من

(١) كتاب الآثار، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ج١ص١٣٤ (دار الكتب العلمية بيروت١٣٥٥هـ) .
(٢) الإصابة، ابن حجر، ج ٦ ص ١٥٧.

رشا في الإسلام. أعطى برقا[١] حاجب عمر شيئاً حتى أدخله على دار عمر[٢].

أقول: انظر إلى هؤلاء المحدّثين الصّالحين كيف يمرّون عليها بسلام، وهم يعلمون أنّ الرّاشي والمرتشى والساعي بينهما جميعاً ملعونون.

التزوير وإفساد الحج على المحْرمين:

وذكر الخطيب البغداديّ في تاريخه أنّ الليث بن سعد قال: حجّ بالناس سنة أربعين المغيرة بن شعبة، وذلك أنّ المغيرة كان معتزلاً بالطّائف، فافتعل كتاباً بإمارة الموسم عام الجماعة، فقدّم الحجّ يوماً خشية أن يجيء أميرٌ، فتخلّف عنه ابن عمر وصار معظم النّاس مع ابن عمر. قال نافع: فلقد رأيتنا ونحن غادون من منىً واستقبلونا مفيضين من جمع، وأقمنا بعدهم ليلة بمنىً[٣].

أقول: ما ذا يقول المتديّنون الورعون في مثل هذا المقام؟ فالرّجل لم يتورّع عن افتعال كتاب لا وجود له، ولم يلتزم بتعظيم حرمات الله، فقدّم الحجّ، وخالفه ابن عمر وهو مَن هو عند أتباعه! لكنه اكتفى بمخالفته ولم يعترض عليه ولم يفضح أمره.

روى الطّبريّ أنّ معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا، وقد قال المتلمس: "لذي الحلم...[في كلام طويل يأمره فيه

(١) [وفي تاريخ دمشق، ج٦٠ ص١٨ يرفأ].
(٢) أسد الغابة، ابن الأثير، ج٤ ص ٤٠٧.
(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١ ص٢٠٥.

بسبّ الإمام علي(ع) وأتباعه][1].

أقول: وافق المغيرة معاوية على مخالفة النّبي (ص) طائعاً غير مكره، وهذا يؤكّد قول عبد الرّحمن بن عوف له يوم بيعة عثمان: "والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقرّباً إليه وطمعاً في الدّنيا، فاذهب لا أبا لك". ومن تدبّر قول النّبي (ص) لعلي(ع) "لا يبغضك إلاّ منافقٌ" لم يشكّ في نفاق المغيرة، لأنّ النّبي(ص) أطلق في كلامه ولم يستثن أحداً، ولا أورد علّةً؛ وكلام النّبي(ص) بلسان عربيّ مُبين لا يحتاج إلى تُرجمان، وعليه فكلّ من يبغض الإمام علياً(ع) منافقٌ.

المغيرة يتملق عمر:

قالوا: كان يقال لأبي بكر (رض)"خليفة رسول الله"، ثم قيل لعمر: "خليفة خليفة رسول الله"، فدخل المغيرة بن شعبة على عمر فقال: "السّلام عليك يا أمير المؤمنين"، قال عمر: وما هذه؟ قال: ألسنا المؤمنين وأنت أميرنا؟ فكان أخفّ من الأوّل، فجروا عليه[2].

قال السّمعاني:

وفي رواية قيل لعمر "اتّق الله" فأنكر المغيرة بن شعبة على قائله، فقال عمر: إنّكم لا تزالون بخير ما قالوا ذلك لنا وقبلنا منهم[3].

(١) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ١٨٨. سبق ذكر النص، وفيه الأمر بالوقيعة في الإمام علي(ع) وأتباعه.

(٢) أدب الكتّاب للصّولي. وفي كتاب السّلوك في طبقات العلماء والملوك [تأليف: بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي دار النشر: مكتبة الإرشاد، صنعاء،١٩٩٥مالطبعة: الثانية تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي] أن الذي قال ذلك عمرو بن العاص.

(٣) تفسير السمعاني، ج١ص٢٠٨.

أقول: أنكر المغيرة تملّقاً أن يقال لعمر "اتّق الله"، فكأنّه لم يقرأ يوماً (وإذا قيل له اتّق الله أخذته العزة بالإثم).

قال ابن عاشور:

ويقال إنّ أوّل من ارتشى في الإسلام يرفأ غلام عمر بن الخطاب، رشاه المغيرة بن شعبة ليقدّمه في الإذن بالدّخول إلى عمر ؛ لأنّ يرفأ لما كان هو الواسطة في الإذن للنّاس وكان الحقّ في التّقديم في الإذن للأسبق إذ لم يكن مضطرّاً غيره إلى التّقديم كان تقديم غير الأسبق اعتداءً على حقّ الأسبق فكان جوراً، وكان بذل المال لأجل تحصيله إرشاءً؛ ولا أحسب هذا إلاّ من أكاذيب أصحاب الأهواء للغضّ من عدالة بعض الصّحابة فإن صحّ ولا إخاله : فالمغيرة لم ير في ذلك بأساً ؛ لأن الضرّ اللاّحق بالغير غير معتدّ به، أو لعلّه رآه إحساناً ولم يقصد التّقديم ففعله يرفأ إكراماً له لأجل نواله، أما يرفأ فلعلّه لم يهتد إلى دقيق هذا الحكم[1].

أقول: ليست المشكلة في فعل المغيرة في هذه القضيّة وغيرها بقدر ما هي في تصرفات المفسّرين والفقهاء الذين يحتالون للدّفاع عن جيل الصّحابة بكلّ وسيلة حتى لو دفعهم ذلك إلى التقوّل على الله ورسوله؛ ولا مانع لديهم ساعتها أن يتّهموا من يخالف مسلكهم ويصفوه بـ "أهل الأهواء ". فهذا المفسر الفاضل يقول: "فإن صحّ ولا إخاله : فالمغيرة لم ير في ذلك بأساً ..".

لا شكّ أنّ لمثل هذه الاستنباطات قيمتها حينما يكون الدّافع صحيحاً والنيّة سليمةً؛ أمّا حينما يكون الهدف منها الدّفاع عن الرّاشي والمرتشى فإنّ الإسلام لا

(١) التحرير والتنوير، [ج١ ص ٥٣٣].

يتحمّل تصرّفات " أهل الأهواء" من المفسّرين والمحدّثين الذين أعمتهم عدالة الصّحابة إلى درجة أن يردّوا ما تضمّنه الوحي! ولو أن ابن عاشور كان عريّا من الهوى لما قال: " فإن صحّ ولا إخاله: فالمغيرة لم ير في ذلك بأساً؛ لأن الضرر اللاحق بالغير غير معتدّ به.. "، إذ المغيرة لم ير بأساً بقتل ثلاثة عشر رجلاً غيلةً لمجرّد أنّ ملك مصر ازدراه وجعل سهمه من الهدايا دون سهامهم!ولم ير المغيرة بأساً بسبّ وشتم ولعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام! وما أكثر الأمور التي لم ير بها المغيرة بأساً، وهي من مصاديق قول الله تعالى (وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ).

قال الرّازيّ: والدّليل على صحّة قولنا أنّ قدامة بن مظعون زوّج بنت أخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغّب أمّها في المال فجاءوا إلى رسول الله(ص) فقال قدامة: أنا عمّها ووصيّ أبيها. فقال النّبي (ص): إنّها صغيرة وإنّها لا تزوّج إلاّ بإذنها، وفرّق بينها وبين ابن عمر[1].

أقول: هذا الفخر الرّازيّ يسير على خطى أسلافه ويستعمل العبارات النّاعمة كيما يمرّ الباطل مرفوع الرّأس، وإلاّ فما معنى "رغّبها في المال " ؟! كان على الرّازيّ -لو أصغى إلى صوت ضميره - أن يتذكّر في المقام قصّة يرفأ غلام عمر بن الخطّاب وكيف رشاه المغيرة بثمن بخس ويقول بكل بساطة "رشاها المغيرة "؛ لأنّ المغيرة في الواقع رشا زوجة عثمان بن مظعون لتقف إلى جنبه ويتزوّج ابنتها.

قال السّيوطي:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير عن المغيرة بن شعبة أنّه

(١) التفسير الكبير، الرازي، ج١١ص ٥١.

خطب يوم الأضحى فقال: اليوم النّحر واليوم الحجّ الأكبر[١].

أقول: إذا كان المغيرة يعتقد أنّ يوم الأضحى هو الحجّ الأكبر فلماذا لم يتورّع أن يسبّ فيه أخا رسول الله(ص) ووصيّه وصفيّه ومستودع حكمته والدّاعي إلى شريعته؟ ولماذا لم يتورّع عن إفساد الحجّ على المسلمين ؟ فعن هشام بن عروة قال بلغني أن المغيرة بن شعبة ولي الموسم فبلغه أنّ أميرا تقدّم عليه فقدّم يوم عرفة فجعله يوم الأضحى[٢].

وعن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل عن مولاه عبد الله بن الحارث قال: اعتمرت مع عليّ بن أبي طالب في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أمّ هانئ بنت أبي طالب، ولمّا فرغ من عمرته رجع فسُكب له غسلٌ فاغتسل فلما فرغ من غسله دخل عليه نفرٌ من أهل العراق فقالوا: يا أبا حسن، جئناك نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه. قال: أظنّ المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنّه كان أحدث النّاس عهداً برسول الله(ص) قالوا : أجل، عن ذلك جئناك نسألك. قال: أحدث النّاس عهداً برسول الله(ص) قُثم بن العبّاس. إسناده حسنٌ[٣].

والقصّة في طبقات ابن سعد كما يلي:

أخبرنا محمد بن عمر، حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي

(١) الدر المنثور، السيوطي، ج٤ص١٢٨.وفي[معاني القرآن ج٣ص١٨٢]روى شعبة عن سليمان بن عبد الله بن سنان قال سمعت المغيرة بن شعبة يخطب على المنبر وهو يقول يوم الحج الأكبر يوم النحر.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج٦ص١٩٠.

(٣) الأحاديث المختارة، ج٢ص١٨٦ ح ٥٦٥.

بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أنّ المغيرة بن شعبة ألقى في قبر النّبي(ص) بعد أن خرجوا خاتمه لينزل فيه، فقال عليّ بن أبي طالب: إنّما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه فيقال نزل في قبر النّبي(ص)، والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبدا، ومنعه[1].

أقول: هذه شهادةٌ من عليّ بن أبي طالب(ع) على المغيرة بن شعبة أنّه كان يكذب على الصّحابة والتّابعين في الكوفة، ويدّعي أنّه آخر النّاس عهداً برسول الله(ص)، وتكذيب الإمام علي (ع) إيّاه صريحٌ حيث قال: " أظنّ المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنّه كان أحدث النّاس عهداً برسول الله(ص) ". والقصّة الثّانية تكشف أنّ الإمام عليا(ع) كان خبيراً بحيل المغيرة ومُغالطاته، فإنّه(ع) قال له : " إنّما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه، فيقال نزل في قبر النّبي(ص) والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً"؛ وقد كان الإمام علي (ع) يومها في حزن لا يوصف لفقد رسول الله(ص)، ومن شأن ذلك أن يصرف همّه عن الخلاف والاختلاف والاهتمام بتصرّفات أمثال المغيرة، لكن الواضح أنّ ذلك لم يمنعه من التّدخّل وجبْه المغيرة بتلك الكلمة أمام الشهود.

ولعلّ هذا يفسّر شدة بغض المغيرة للإمام علي(ع) حتى كان يلعنه ويوظّف الخطباء من خوارج الكوفة للعنه(ع) أيّام حكم معاوية؛

ثمّ لماذا جاء أهل الكوفة إلى الإمام علي(ع) يسألونه؟ لماذا لم يذهبوا إلى غيره؟

لاشكّ أنّ مجيئهم إلى الإمام علي(ع) هو تصرّفٌ حكيمٌ، لأنّهم لا يشكّون في

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٢، ص ٣٠٣.

كونه حاضراً يوم دفن رسول الله(ص)، فهو الذي تولّى غسله(ص)وكفنه ودفنه بحضور جماعة من بني هاشم وبعض الأنصار، ولم يحضر دفنه(ص) لا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان! والمغيرة من بداية إعلان إسلامه انضمّ إلى ذاك الفريق وبقي ملازماً له، وبفضل ذلك الانضمام بقي يتقلّب في المناصب ويتصرّف في بيت المال على هواه؛ فحضوره دفن النّبي(ص) إنّما كان لتلك المحاولة حتّى يفتخر فيما بعد أنّه آخر النّاس عهداً برسول الله(ص)، فينفرد بذلك ولا يلحقه فيه أحدٌ؛ وبما أنّ الإمام علياً(ع) ينفي ذلك[وفي رواية ابن سعد وغيره منعه من النّزول في القبر الشّريف] ويخبر أنّ آخر النّاس عهداً برسول الله (ص) قُثم بن عبّاس فقد تبخّرت أحلام المغيرة وتبيّن لأهل الكوفة السّائلين كذبُه، وهكذا انقلب السّحر على السّاحر، فبدل أن يصبح حضور المغيرة دفن النّبي(ص) مفخرةً له صار عاراً وشناراً عليه، لأنّه ادّعى شيئاً وتبيّن خلاف دعواه؛ كيف لا يبغض الإمام علياً(ع) بعدها وقد حرمه شهرةً وسمعةً وصيتاً؛ وفي المقابل هل يسوغ للإمام علي (ع) أن يسمح لأكذوبة المغيرة أن تبقى حيّةً تنتقل من جيل إلى جيل، والكذب منكرٌ، وموقف الإسلام من المنكر معلومٌ، خصوصاً حينما يتعلّق الأمر برسول الله(ص)؟ وأهل الكوفة سألوه لأنّهم يريدون أن يضعوا حدّاً لهذه القضيّة، ويبدو أنّ المغيرة تبجّح بها أكثر من مرّة وإلاّ فما الذي يحمل نفراً من أهل العراق على أن يعظّموا شأن القضيّة وهم في العمرة؟

لكن المغيرة داهيةٌ، ولابدّ له أن يدافع ويحاول حتى الموت، ولذا فإنّه لم يستسلم، بل روى ـ بكلّ وقاحة ـ أنّ الإمام علياً(ع) قال له : انزل وخذ خاتمك، وهذا ما جعل التّناقضات كثيرةً في روايات ابن سعد بخصوص هذه القصّة؛ فقد روى عن محمّد بن عمر بن عليّ عن أبيه قال: قال عليّ بن أبي طالب" لا يتحدّث النّاس أنّك

نزلت فيه ولا يتحدّث النّاس أنّ خاتمك في قبر النّبي(ص)" ونزل عليّ وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه. وعن محمّد بن عمر، حدّثني حفص بن عمر، عن عليّ بن عبد الله بن عبّاس قال قلت: زعم المغيرة بن شعبة أنّه آخر الناس عهداً برسول الله(ص)، قال: كذب والله، أحدث النّاس عهداً برسول الله (ص)قثم بن العبّاس، كان أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعد[1].

حدثنا أبو عبد الله الأصبهانيّ، حدّثنا الحسن بن الجهم، حدّثنا الحسين بن الفرج حدّثنا محمّد بن عمر، حدثّني عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي عن أبيه عن جدّه قال: قال عليّ (رض)لما ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر النّبي (ص): لا يتحدّث النّاس أنّك نزلت في قبر النّبي (ص)، ولا تحدّث أنت النّاس أنّ خاتمك في قبره. فنزل عليّ (رض) وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه[2].

نعم، كان المغيرة داهيةً فعلاً، فهو في القصّة المذكورة إمّا أن يدخل قبر النّبي(ص) فيفتخر على الآخرين أنّه آخر النّاس عهداً به، وإمّا أن يبقى خاتمه في قبر النّبي (ص) فيفتخر بذلك أيضاً ويدّعي فضيلةً لا يشاركه فيها أحدٌ! لكنّ عليّ بن أبي طالب(ع) قطع عليه الطّريق، وحرمه لذة الرّياء.لأجل هذا وأمثاله كان المغيرة يبغض عليّا (ع).

ودعاوى المغيرة ومزاعمه في هذا الباب كثيرة، قال ـ في قصّة إرساله إلى زعيم الفرس ـ: فلما أتيتهم رأيت تلك الحراب والدّرق يلتمع منه البصر ورأيتهم قياما على رأسه وإذا هو على سرير من ذهب وعلى رأسه التّاج، فمضيت كما أنا ونكست رأسي

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٢، ص ٣٠٤.
(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣ص ٥٠٧ الحديث رقم٥٨٩١ .

لأقعد معه على السّرير، قال فدُفعت ونُهرت فقلت: إنّ الرّسل لا يفعل بهم هذا، فقالوا لي: إنّما أنت كلبٌ، أتقعد مع الملك؟ فقلت: لأنا أشرف في قومي من هذا فيكم! قال: فانتهرني وقال: اجلس؛ فجلست، فترجم لي قوله: فقال يا معشر العرب..[1].

أقول: ادّعى المغيرة أنّه في قومه أشرف من قائد الفرس فيهم، وهذا شيء لا أساس له من الصحّة، فالرّجل كان مهدور الدَّم عند قومه، وعمّه يقول له يا غُدر! فمتى كان الغدّار شريفاً في قومه؟! والمسلمون ينادونه أيام محاصرة عثمان ″ يا أعور″ وعبد الرّحمن بن عوف يناديه : ″يا ابن الدبّاغة ″! هل هو فعلاً أشرف في قومه من زعيم الفرس فيهم؟!

نعم، المغيرة يبحث عن شيء يرائي به كقصّة رمي الخاتم في قبر النّبي (ص)، وخطبة عجوز عمياء لأنّها بنت ملك، ولمَ لا يكون من ذلك أيضاً بأن يجلس على سرير ملك من ملوك الفرس؟!

وقد تضاربت الأقوال في القصّة، والمغيرة كان يومها أعور، وليس من شأن العقلاء أن يرسلوا أعورَ في مهمّة دبلوماسيّة بذلك المستوى. فمن قائل إنّهم أرسلوا المغيرة لأنّه كان عالماً بلغة الفرس[2]؛ ومن قائل إنّ المترجم كان يترجم كلام المغيرة، وهذا يعني أنّ المغيرة لم يكن يعرف اللّغة الفارسيّة، لأنّ تكلّمه مع الفرس بالعربية حال معرفته بالفارسيّة عبثٌ لا معنى له، وليس المقام مقام عبث؛ والمغيرة نفسه يقول: ″فجلست، فترجم لي قوله: فقال يا معشر العرب..″[3]..

---

(١) صحيح ابن حبان، ج١١ص٦٦.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، ج٩ص١٩١: فأُخرج إليه المغيرة بن شعبة وكان رجلا قد اتّجر وعلم الألسنة قال فقام ترجمان القوم فتكلم دون ملكهم قال فقال للناس ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة سل عما شئت فقال ما أنتم فقال نحن ناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء.

(٣) صحيح ابن حبان، ج١١ص٦٦.

وقد ذكروا أيضا أنّ المغيرة بن شعبة لما دنا من سرير رستم وثب فجلس معه على سريره فنخروا، فقال لهم المغيرة بن شعبة: ما الذي تفزعون من هذا؟ أنا الآن أقوم فأرجع إلى ما كنت عليه ويرجع صاحبكم إلى ما كان عليه! قالوا: أخبرنا ما جاء بكم؟ قال المغيرة: كنّا ضلاّلاً فبعث الله فينا نبيّاً، وهدانا إلى دينه، ورزقنا فيما رزقنا حبة تكون في بلدكم هذا، فلمّا أكلنا منها وأطعمنا أهلنا قالوا لا صبر لنا حتى تنزلونا هذه البلاد. قالوا إذاً نقتلكم قال: إن قتلتمونا دخلنا الجنّة وإن قتلناكم دخلتم النّار[1]..

أقول: كان المغيرة هنا بمنزلة السّفير، فكان عليه أن يريَهم أخلاق وآداب الإسلام لا أن يثب على السّرير، ولا يختلف العقلاء في أنّ مثل هذا العمل مستهجَنٌ قبيحٌ، لكنّ المغيرة يبحث دائماً عن شيء يميّزه ولو بطرق غير نزيهة. والدليل على أنّ ما قام به المغيرة غيرُ سديد هو أنّ رسول الله(ص) أرسل سفراء إلى الملوك ولم يقم أحدٌ من أولئك السّفراء بمثل ما قام به المغيرة، بل كانوا في منتهى الأدب والوقار، فكان سلوكهم جزءاً من مهمّتهم في الدّعوة إلى الله تعالى.

المغيرة يسعى ليفسد بين بني هاشم:

قال ابن قتيبة الدينَوري: .. فأتى المغيرة بن شعبة، فقال: الرّأي يا أبا بكر أن تلقوا العبّاس، فتجعلوا له في هذه الإمرة نصيباً يكون له ولعقبه، وتكون لكما الحجّة على عليّ وبني هاشم، إذا كان العبّاس معكم. قال : فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العبّاس (رض)، فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه، ثم قال :

(١) المعجم الكبير، ج٢٠ص٤٠٦، الحديث رقم٩٧٠.

إنّ الله بعث محمّداً(ص) نبيّاً وللمؤمنين وليّاً فمنّ الله تعالى بمقامه بين..[١].

أقول: هو ذا المغيرة يريد أن يفرّق بين بني هاشم، ويمارس سياسة فرِّق تسُد، ولا عجب من أنّ الخليفة أخذ برأيه بدل أن يعنّفه، لأنّ أصحاب بيعة السّقيفة كانوا يومها في حاجة إلى ما يُضعف جانب الإمام علي (ع) أيّاً كان الأسلوب، وأيّاً كان صاحب الأسلوب!

روى الدّارقطنيّ عن مروان بن جعفر السّمري عن أبيه أنّ المغيرة بن شعبة ومصقلة بن هبيرة الشيبانيّ تنازعا بالكوفة، ففخر المغيرة بمكانه من معاوية على مصقلة فقال له مصقلة : والله لأنا أعظم عليه حقّاً منك! قال له المغيرة: ولمَ؟ قال له مصقلة: لأنّي فارقت عليّ بن أبي طالب في المهاجرين والأنصار ووجوه أهل العراق ولحقت بمعاوية فضربت معه بسيفي، واستعملني علي على البحرين فأعتقت له بني سامة بن لؤيّ بن غالب بعد ما مُلكت رقابهم وأُبيحت حرمتهم، وأنت مقيمٌ بالطّائف تناغي نساءك وترشح أطفالك، طويل اللّسان، قصير اليد، تلقي بالمودّة من مكان بعيد؛ حتى إذا استقامت الأمور، غلبتنا غلبةً! فقال له المغيرة: والله يا مصقلة ما زلت منذ اليوم تكثر الحزّ وتخطيء المفاصل، أمّا تركك عليّاً فقد فعلت فلم تؤنس أهل الشّام ولم توحش أهل العراق! وأمّا قولك في عتق بني سامة بن لؤي فإنّما أعتقهم ثقة عليّ بك، أما والله ما صبرت لهم نفسك ولا أعتقتهم من مالك، وأمّا مقامي بالطّائف فقد أبلاني الله تعالى في الخفض ما لم يبلك في الظّعن، ولله تعالى علينا[كذا] فإن أنت عاديتنا فإن الله عزّ وجلّ من ورائك[٢].

---

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، ج ١ ص ٢١.

(٢) سنن الدارقطني، ج٤ص٢٤٥ الحديث رقم١٥٢.

أقول: هذا وصفٌ نادرٌ للمغيرة بن شعبة جاء على لسان مصقلة بن هبيرة، والتأمّل في قوله " وأنت مقيمٌ بالطائف تناغي نساءك وترشح أطفالك، طويل اللّسان..الخ" يكشف عن مدى انتهازيّة المغيرة ودهائه، فإنّه كما قال، يتأقلم مع الظروف لينال مراده في سهولة ودعة، دون أن يكلّف نفسه عناءً ومشقّةً، وهذا سلوكٌ يربأ بأنفسهم عنه أولو المروءة والورع، لأنّه يفسد العلاقات بين النّاس ويستبيح كلّ شيء في سبيل الوصول إلى الغاية، وهو أيضاً أسلوبٌ يكشف عن ضعة صاحبه، لأنّ المرء يأنف أن يصل إلى الأمور بالتملّق والمراوغة والختل والغدر، وكل ذلك واضح في سيرة المغيرة، لكنْ ممنوع على المحدّثين والرّجاليّين الخوض فيه، ومن تجرّأ منهم على ذلك حكم على نفسه بالإعدام.

وعن أشعث عن الشعبي قال: وُجد قتيلٌ بين حيّين من همدان بين وادعة وحيوان، فبعث معهم عمر المغيرةَ بن شعبة فقال: انطلق معهم فقس ما بين القريتين فأيّهما كانت أقرب فالحق بهم القتيل[1].

أقول: ألم يجد عمر غير هذا القاتل للتّحقيق في الجريمة؟وانظر إلى هذا التّفكير الذي لا يستقيم في قوله " فأيّهما كانت أقرب فألحق بهم القتيل ".وكأن القضيّة متعلّقة بالمسافات والأمتار، وما أسهل على القاتل أن يحمل المقتول ويضعه حيث شاء! لكنّ عمر بن الخطّاب يعتمد على دهاء المغيرة، فالحلّ مضمونٌ، وويلٌ لمن ينتقد أو يسفّه تفكير الخليفة ومبعوث الخليفة.

عن أبي موسى قال: قال المغيرة بن شعبة لعليّ: أكتب إلى هذين الرجلين

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج٥ ص٤٤٥ الحديث رقم ٢٧٨٥١.

بعهدهما إلى الكوفة والبصرة ـ يعني الزّبير وطلحة ـ واكتب إلى معاوية بعهده إلى الشّام، فإنّه سيرضى منك بذلك قال: قال عليّ: لم أكن أعطي الرّيبة في ديني قال: فلمّا كان بعدُ لقي المغيرة معاوية فقال له معاوية: أنت صاحب الكلمة؟! قال: نعم، أما والله ما وقى شرّها إلا الله[(١)].

أقول: ولو أنه قدّر للإمام علي(ع) أن يقضي على معاوية وحزبه لاعتذر إليه المغيرة بمثل ما اعتذر به إلى معاوية، وهذا يذكّر بقول عبد الرحمن بن عوف له : " كذبت، والله لو بويع غيره لبايعته، وما أنت وذاك يا ابن الدبّاغة، والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن، تقرّباً إليه وطمعاً في الدنيا، فاذهب لا أبا لك"[(٢)].

قالوا: فجيء به[أي برسول الله (ص)] يُحمل في كساء بين أربعة، فقال يا عائشة أرسلي إلى النّسوة، فأرسلت إليهنّ، فلما جئن قال: إنّي لا أستطيع أن أختلف بينكنّ فأذنّ لي فأكون في بيت عائشة، فقلن نعم؛ قالت فرأيته يوماً تحمّر وجهه وتعرّق، ولم أكن رأيت ميتاً قطّ! فقال: يا عائشة اسنديني إلى صدرك! ففعلت ووضعت يدي عليه، فغلبت رأسه فرفعت يدي عنه وظننت أنّه يريد أن يصيب من رأسي[!] فوقعت من فيه نطفة باردة على صدري أو ترقوتي، ثمّ مال فسقط على الفراش ولم أكن رأيت ميتاً قطّ، فعرفت بعد ذلك الموت بغيره. فجاء عمر بن الخطاب ومعه المغير بن شعبة وقد سجّيته ثوباً واستأذن فأذنت له، فدخل ومعه المغيرة بن شعبة ومددت الحجاب فكشفت عن وجهه ثم قال: ما لرسول الله (ص) يا عائشة؟ فقلت: أغمي عليه منذ ساعة، فغطّاه فقال: وا غمّاه، إنّ هذا لهو الغمّ. ثمّ خرجا فلما بلغا عَتبة الباب

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، ج٦ص١٨٦، الحديث رقم٣٠٥٤١.

(٢) كتاب السقيفة وفدك، الجوهري، ص ٨٧

قال المغيرة: مات رسول الله (ص) يا عُمر؛ قال: كذبت، والله ما مات رسول الله (ص) ولا يموت حتى يأمر بقتل المنافقين بل أنت تحوسك فتنةٌ[1]...

أقول: هذه القصّة لا تخلو من إشكالات، لأنّ المذكور فيها يفيد أنّ فاطمة (ع) لم تشهد وفاة النّبي(ص) وأنّه مات على صدر عائشة!! أين كان الإمام علي(ع)وبنو هاشم حين كان رسول الله(ص) يودّع الدنيا؟ أين كانت فاطمة(ع)؟ ثمّ تأمّل هذه العبارة المنسوبة إلى النّبي(ص) ولا يأخذك العجب، فإنّ مثيلاتها في تراثنا كثيرةٌ. تنسب الرواية إلى النّبي (ص) أنّه قال: "يا عائشة، أرسلي إلى النّسوة فأرسلت إليهنّ فلما جئن قال إنّي لا أستطيع أن أختلف بينكن فأذنّ لي فأكون في بيت عائشة. فقلن نعم"!

ما الذي غيّر رسول الله(ص) فجأةً فأصبح بيت عائشة أحبّ إليه من بيت فاطمة(ع)؟

لقد رووا أنّ بيت فاطمة وعلي(ع) كان آخر بيت يودّعه(ص) وهو ذاهبٌ إلى الغزو أو غيره، وأنه كان أوّل بيت يدخله(ص) عند عودته، فما عدا ممّا بدا؟ أصبح رسول الله(ص) لا يهمّ أحداً من المسلمين عند موته سوى عائشة بنت أبي بكر! وقبل المسلمون هذا الكلام، وردّدوه لأبنائهم، وطفحت به الشّروح لأنّ النّقد ممنوعٌ والبحث ممنوعٌ، والتّحقيق ممنوعٌ، والسنّة عين السنّة أن يقبل المسلم المتناقضات والمتعارضات، ويعفي عقله من التّفكّر والتّدبّر والتّأمّل، حتّى يدخل الجنّة بسلام ببركة قريش.

---

(١) مسند إسحاق بن راهويه، ج٣ص٧٢٧.

عن داود عن عامر قال: بعث رسول الله (ص) جيش ذات السّلاسل فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب، فقال لهما: تطاوعا. قال: وكانوا يؤمرون أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاعة لأنّ بكراً أخواله، فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال: إنّ رسول الله (ص) استعملك علينا، وإنّ بن فلان قد ارتبع أمر القوم وليس لك معه أمرٌ؛ فقال أبو عبيدة: إنّ رسول الله (ص) أمرنا أن نتطاوع فأنا أطيع رسول الله (ص) وإن عصاه عمرو[1]..

أقول: مرّةً أخرى يسعى المغيرة للوقيعة بين الصّحابة، وانظر إلى الصّحابيّ عمرو بن العاص يهجم على قضاعة ويترك بكراً لأنّ بكراً أخواله وإن كانوا على الشّرك! فالقرابة مقدّمةٌ على الإيمان في دين عمرو بن العاص.

عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب قال: أوّل من حيّي عمر بن الخطاب بأمير المؤمنين المغيرة بن شعبة فسكت عمر[2].

أقول: ما أبعد رمي المغيرة في فنّ التملّق! و لو كان التّملّق شخصاً لكان المغيرة. أليس هو الذي أشار على عمر أن يستخلف ابنه عبد الله فجبهه عمر بقوله: "والله ما أردتَ الله بهذا"!

دعا [عمر بن الخطّاب]عمر جبير بن مطعم خالياً ليولّيه الكوفة وقال له: لا تذكره لأحد؛ فبلغ المغيرة بن شعبة أنّ عمر قد خلا بجبير بن مطعم فرجع إلى امرأته وقال لها: اذهبي إلى امرأة جبير بن مطعم فاعرضي عليها متاع السّفر، فأتتها فعرضت عليها،

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج١ص١٩٦.

(٢) التاريخ الأوسط، البخاري، ج١ص٥٤ الحديث رقم٢٠٢.

فاستعجمت عليها ثمّ قالت: ائتينى به؛ فلمّا استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر وقال: بارك الله لك فيمن ولّيت، وأخبره أنّه ولى جبير بن مطعم، فقال عمر: لا أدرى ما أصنع! فولّى المغيرة بن شعبة الكوفة، فلم يزل عليها إلى أن مات عمر[1].

أقول: هكذا كانت الحال بين الصّحابة، يحتال صحابيٌّ على صحابيّين أحدهما خليفة، لينال حظّاً من حظوظ الدّنيا، ويستعمل في حيلته زوجته، وتدخل زوجته في اللّعبة، ولا ندري راضيةً كانت أم مُكرهةً، ويحصل الصّحابي المغيرة على مبتغاه بعد أن شوّه صورة الصّحابي جبير بن مطعم عند عمر بن الخطّاب، ويمضي إلى الكوفة لولاية حصل عليها بالحيلة والغشّ، ولا يجد المحدّثون والمؤرّخون في ذلك عيباً أو خرم مروءة ما دام صادراً من صحابيّ، لأنّ الصّحابي قاب قوسين أو أدنى من القداسة المطلقة حتىّ حين يمارس الغشّ والحيلة، فالغشّ والحيلة من الأمور المذمومة في جميع الثّقافات والملل، لكن حينما تصدر الأمور المذمومة من صحابيّ تتحوّل بقدرة قادر إلى فضائل لا تقبل النّقاش، وكل ذلك في دين يهتف (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)..

دخل المغيرة بن شعبة[على الإمام علي (ع)] فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي مشيرٌ عليك بخلال ثلاث فافعل أيّها شئت. فقال: ما هي يا أعور؟فقال: إنّي أرى من النّاس بعض التثاقل فيك، فأرى أن تأتي بحمل ظهر فتركبه وتركض في الأرض هارباً من النّاس فإنّهم إذا رأوا ذلك منك ابتاعوا جمالاً أظهر من جمالك وخيولاً ثم ركضوا في أثرك حتى يدركوك حيث ما كنت، ويقلّدوك هذا الأمر على اجتماع منهم شئت أو أبيت، فان لم تفعل هذا فأقرّ معاوية على الشّام كلّه، واكتب إليه كتاباً بذلك

(١) الثقات، ج٢ ص٢٣٤.

تذكر فيه من شرفه وشرف آبائه، وأعلمه أنّك ستكون له خيراً من عمر وعثمان واردد عمرو بنَ العاص على مصر، واذكر في كتابك شرفه وقدمه فإنّه رجل يقع الذّكر منه موقعاً، فإذا ثبت الأمر أذنت لهما حينئذ في القدوم عليك تستخبرهما عن البلاد والنّاس، ثمّ تبعث بعاملين وتقرّهما عندك؛ فان أبيت فاخرج من هذه البلاد فإنّها ليست ببلاد كراع وسلاح. فقال علي: أما ما ذكرت من فراري من النّاس فكيف أفرّ منهم وقد بايعوني؟ وأمّا أمر معاوية وعمرو بن العاص فلا يسألني الله عن إقرارهما ساعةً واحدةً في سلطاني، و(ما كنت متخذ المضلين عضداً). وأمّا خروجي من هذه البلاد إلى غيرها فإني ناظرٌ في ذلك. فخرج من عنده المغيرة ثمّ عاد وهو عازم على الخروج إلى الشّام واللّحوق بمعاوية[!] فقال له: يا أمير المؤمنين أشرت عليك بالأمس في رأيي بمعاوية وعمرو، إنّ الرأي أن تعاجلهم بالنّزع، فقد عرف السّامع من غيره، وتستقبل أمرك؛ ثمّ خرج من عنده فلقيه ابن عبّاس خارجاً وهو داخلٌ فلما انتهى إليه قال: رأيت المغيرة خارجاً من عندك فيم جاءك؟ قال: جاءني أمس برأي واليوم برأي، وأخبره بالرّأيين، فقال ابن عبّاس: أمّا أمس فقد نصحك، وأمّا اليوم فقد غشّك[1]..

أقول: عرف المغيرة من خلال كلام الإمام علي(ع) عن معاوية وعمرو أنّه لن يكون له مكانٌ في ساحته، خصوصاً عندما استَشهد أمير المؤمنين(ع) بقوله تعالى (وما كنت متخذ المضلّين عضداً) فقرّر أن يلتحق بمعاوية الذي لا يبالي بالدّين طالما سلمت المصلحة، وأمثال المغيرة يحتاج إليهم معاوية للضّحك على عقول أهل الشّام والبلدان التي لم يحظ أهلها برؤية رسول الله(ص) ومعرفته عن قرب..

(١) الثقات، ابن حبان، ج٢ص ٢٧١.

قال ابن عبد البرّ:

وحجّ بالنّاس تلك السنة ـ سنة أربعين ـ المغيرة بن شعبة من غير أن يؤمّره أحدٌ وكان بالطّائف(١).

أقول: ما الذي يدعو المغيرة إلى هذا الفعل سوى حبّ الظّهور والسّمعة؟ ومن هو العاقل الذي يقبل أن يحجّ في ظلّ أمثال المغيرة الذين لا يأخذون من الدّين إلاّ ما خالطته الدّنيا؟ وقد كان المغيرة معروفا بقصّة قتل أصحابه في السّفر غيلة وشهود الصّحابة عليه بالزّنا، ومع ذلك تولّى الحجّ بالنّاس دون أن يؤمّره أحدٌ مستغلاًّ الفراغ الذي أحدثته الفتن!

والقصّة في تاريخ بغداد كما يلي:

عن اللّيث بن سعد قال: حجّ سنة أربعين بالناس المغيرة بن شعبة، وذلك أنّ المغيرة كان معتزلاً بالطّائف فافتعل كتاباً عام الجماعة بأمارة الموسم، فقدّم الحجَّ يوماً خشية أن يجيء أميرٌ؛ فتخلّف عنه ابن عمر، وصار معظم النّاس مع ابن عمر، قال نافع: فلقد رأيتنا ونحن غادون من منىً واستقبلونا مفيضين من جمع، وأقمنا بعدهم ليلة بمنىً(٢).

أقول: هذا رجلٌ رأى رسول الله(ص)وسمعه وعاشره، ومع ذلك لا يتورّع عن افتعال كتاب ليفسد على الناس حجّهم، ولا يرى علماء الرّجال في ذلك عيبا قادحاً! فإذا كان لا يبالي أن يفتعل كتاباً فمن الذي يمنعه أن يفتعل حديثاً؟ وقد تخلف عنه ابن عمر ومن معه، ولو كان يثق في دينه لما تخلّف عنه وهو من أقرب المقرّبين إلى

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ١ ص١١٥.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١ص ١٩٢.

أبيه، فهل يكون العمريّون أشدّ عمريّةً من ابن عمر نفسه؟!

قالوا: خطب المغيرة بن شعبة وفتىً من العرب امرأةً وكان شابّاً جميلاً، فأرسلت إليهما أن يحضرا عندها فحضرا، وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما، فلما رأى المغيرة ذلك الشابّ وعاين جماله علم أنّها تُؤثره عليه، فأقبل على الفتى وقال: لقد أوتيت جمالاً فهل عندك غيره هذا؟ قال: نعم فعدّد محاسنه ثمّ سكت: فقال له: المغيرة كيف حسابك مع أهلك؟ قال: ما يخفى عليّ منه شيءٌ، وإنّي لأستدرك منه أدقّ من الخردل. فقال المغيرة: لكنّي أضع البدرة في بيتي فينفقها أهلي على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها! فقالت المرأة: والله لهذا الشّيخ الذي لا يحاسبني أحبّ إليّ من هذا الذي يحصي عليّ مثقال الذرّة، فتزوّجت المغيرة[1].

أقول: كان للشّاب جمالٌ ومحاسن، ولم يكن للمغيرة شيءٌ من ذلك، لكن كان لديه الدّهاء! والدّهاء والتّقوى خطّان متوازيان لا يلتقيان أبداً.ولو كان لدى المغيرة شيء من التّقوى لأخبر ذلك الشابّ بمسمع من المرأة ـ أنّه يتزوّج المرأة وسرعان ما يطلّقها لأنّه مذواقٌ مطلاقٌ كما تشهد به الكتب والأخبار. لكنّ المغيرة داهية، يوهم المرأة أنّه سخيٌّ، فليس عليها من بأس ما عاشت وعاش، ويُخفي عنها أنّه سرعان ما يتخلّص منها بعد أن يقضي منها وطره! ومثل هذا السّلوك تنفر منه الطباع السّليمة والقلوب الباقية على الفطرة، لكنّ طباع المحدّثين والمؤرّخين وقلوبهم لا تنفر منه، بل تفتح له أبواب التّبرير والتّصويب،ولو شاء ربّك لهدى من في الأرض جميعا.

عن أبي سلام مولى قريش قال: أتيت الكوفة فجلست يوم الجمعة في مجلس عظيم، فأقبل رجلٌ فسلّم على القوم فقال: أنا أبو ظبية صاحب منحة رسول الله (ص)

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي: ج٢ ص٢٠٠.

كان يخبرني أنّي سأفتقر بعده، وكنت في العطاء فحاف عليّ المغيرة بن شعبة، فأنا أسأل فيكم من الجمعة إلى الجمعة[١]..

أقول: أبو ظبية هذا يقال له صاحب منحة رسول الله(ص)، قال ابن عبد البرّ: أبو ظبية صاحب منحة رسول الله (ص) روى عن النبي(ص) أنّه قال: بخ بخ، خمسٌ ما أثقلهنّ في الميزان : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، والمؤمن يموت له الولد الصّالح[٢]. وقال ابن ماكولا: وفى الاستدراك :أبو ظبية صاحب منحة رسول الله(ص) ذكره أبو عبد الله بن مُنْدِه في الكُنى من معرفة الصحابة، روى حديثه أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي سلام[٣]

أقول: أخبر النّبي (ص) أبا ظبية أنه سيفتقر بعده، ولو كان أبو ظبية ظالماً لنفسه في ذلك لأخبره كما أخبر الزّبير أنّه سيحارب الإمام علياً(ع) وهو له ظالمٌ، وأخبر إحدى أزواجه أنّها تنبحها كلاب الحوأب، وأخبر عمّار بن ياسر أنّه تقتله الفئة الباغية؛ فأبو ظبية مظلومٌ حاف عليه المغيرة بن شعبة.

وعن نافع، قال: تزوّج ابن عمر زينب بنت عثمان بن مظعون بعد وفاة أبيها زوّجه إيّاها عمّها قدامة، فأرغبهم المغيرة بن شعبة في الصّداق، فقالت أم الجارية للجارية: لا تجيزي، وأعلمت ذلك رسول الله(ص) هي وأمّها، فردّ نكاحها فنكحها المغيرة بن شعبة[٤].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، [ج ٧، ص٢٤٥]
(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٤ ص ١٧٠٠ تحت رقم ٣٠٥٩.
(٣) الإكمال، ابن ماكولا ، ج ٥ ، ص ٢٥١.
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧ ص ٦٧٧.

أقول : أرغبهم المغيرة بن شعبة في الصّداق من مال الذين قتلهم غيلةً وغدراً، وقد أبى النّبي(ص) أن يقبل شيئاً من ذلك المال وقال: لأنّ هذا غدرٌ والغدر لا خير فيه. ولا يعرف للمغيرة أيّامها مالٌ غير ذلك المال، فهو رأس ماله وأيّ رأس مال، ومنه كان مهر المسكينة زينب بنت عثمان بن مظعون رحمه الله.

قال ابن سعد: ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميّة، وأمّها لبابة بنت أبي العاص بن أميّة، تزوّجها عروة بن مسعود الثّقفي فولدت له، ثمّ خلف عليها المغيرة بن شعبة الثقفي[١].

أقول: خلف عليها بعد عمّه الذي تسبّب هو في قتله!!

وعن غندر وعبد الملك الجدي: قالا حدّثنا شعبة عن المغيرة عن سماك بن سلمة قال أوّل من سلّم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة[٢].

وعن الشّعبي، قال المغيرة بن شعبة: ما خدعني أحدٌ في الدّنيا إلاّ غلامٌ من بني الحارث، خطبت امرأةً منهم فأصغى إليّ الغلام وقال: أيّها الأمير لا خير لك فيها، إنّي رأيت رجلاً يقبّلها؛ فبلغني أنّ الغلام تزوّجها فقلت: أليس زعمت أنّك رأيت رجلاً يقبّلها؟ قال: ما كذبت أيّها الأمير، رأيت أباها يقبّلها! فكلّما ذكرت قوله علمت أنّه

---

(١) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، ٨ ص ٢٤٠. وفي تهذيب الكمال [جزء ١٢ ، ص ١٢٢] عن تميم بن حذلم قال: أول من سلّم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة فكرهها ثم إنّه أقرّ بها. رواه عن موسى بن إسماعيل عن أبي عوانة أتمّ من هذا.. وفي تاريخ دمشق [جزء ٤٤، ص ٩] وهو أول من سمي أمير المؤمنين لما توفي أبو بكر قال عمر: قيل لأبي بكر خليفة رسول الله(ص) فكيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله (ص) ؟هذا يطول. فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا ونحن المؤمنون وأنت أمير المؤمنين قال فذاك.

(٢) العلل ومعرفة الرجال، ج ٢ص ١٧٥.

خدعني[١].

أقول: لكنّ المغيرة ينسى أو يتناسى أنّه خدع شابّاً في قصّة مشابهة مرّت بك، زعم فيها أنّه لا يحاسب أهله عن شيء من المال!

عن يونس بن عبيد قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة إني قد احتجت إلى مال فأمدّني بمال، فجهّز المغيرة إليه عيراً تحمل المال، فلمّا فصلت العير بلغ حجراً وأصحابه فجاء حتى أخذ بالقطار فحبس العير، قال: لا والله حتى توفّي كل ذي حقّ حقَّه، فبلغ المغيرة أنّه قد ردّ العير معه، فقال شباب ثقيف: ائذن لنا أصلحك الله فيه فنأتيك برأسه السّاعة قال: لا والله، ما كنت لأركب هذا من حجر أبداً! فبلغ معاوية فاستعمل زياداً وعزل المغيرة[٢].

أقول: إن كان قد عرف لحجر حرمةً فما له عمِي عن حرمة عليّ بن أبي طالب؟

عن أشياخ من ثقيف والهذليّ ويعقوب بن داود عن أبيه وغيرهم يزيد بعضهم على بعض أنّ المغيرة بن شعبة قال لزياد وهو بفارس وجّهه إليه معاوية: أبا المغيرة خذ لنفسك من هذا الرّجل. قال: أشر عليّ فإنّ المستشار مؤتمن؛ قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وتعير الناس منك أذنا صماء[٣]..

أقول: هذا من مصاديق قول الله تعالى " شياطين الجنّ والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. يقول الله تعالى:(ادعوهم لآبائهم)، ويقول المغيرة بن شعبة ادعوهم للزّناة.ويقول النبي(ص): "الولد للفراش" ويقول المغيرة: "الولد لغير

(١) تاريخ بغداد ، ج٤ ص٢٤٥.
(٢) تاريخ دمشق، ج ١٢ص ٢١٣.
(٣) تاريخ دمشق، ج١٩ ص ١٣٠.

الفراش"!ويقول الله تعالى: (وتعاونوا على البرّ والتّقوى)، ويقول المغيرة: "وتعير النّاس منك أذنا صمّاء".

قالوا : وأما اللّذان أفسدا أمر النّاس فعمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحكمت الخوارج، فلا يزال هذا التّحكيم إلى يوم القيامة، والمغيرة بن شعبة فإنّه كان عامل معاوية على الكوفة، فكتب إليه معاوية إذا قرأت كتابي هذا فأقبل معزولا، فأبطأ في مسيره، فلمّا ورد عليه قال له: يا مغيرة ما الذي أبطأ بك؟ قال: أمر والله كنت أوطّئه وأهيّئه. قال وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك! قال: أو فعلتَ؟ قال: نعم. قال: ارجع إلى عملك فأنت عليه. فلمّا خرج من عند معاوية قال له أصحابه: ما وراءك يا مغيرة؟ قال: ورائي والله أنّي قد وضعت رجل معاوية في غرز بغي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن[البصريّ]: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة(١).

وعن هشام بن عمّار قال: وسمعت مالك بن أنس يقول: قال عمر بن الخطّاب من يدلّني على رجل برّ تقيّ أُولّيه؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا أدلّك عليه. قال: من هو؟ قال: عبد الله بن عمر! قال: قاتلك الله! والله ما اللهَ أردت بها(٢).

أقول: المغيرة هنا يتملّق عمر، وانظر إلى قول عمر: " قاتلك الله والله ما اللهَ أردت بها ". فإذا لم يكن أراد الله فقد أراد الشّيطان..

عن ابن شهاب عن سليمان بن أبي خيثمة عن جدّته الشفّاء، وكانت من المهاجرات الأُول، وكان عمر بن الخطّاب إذا دخل السّوق أتاها! قال: سألتها من

(١) تاريخ دمشق، ج ٣٠ ص ٢٨٧.

(٢) تاريخ دمشق، ج ٣١ ص ١٧٩.

أوّل من كتب عمر أمير المؤمنين فقالت: كتب عمر أمير المؤمنين إلى عامله عن العراقين أن ابعث إليّ برجلين جلدين نبيلين أسألهما عن أمر النّاس، قال فبعث إليه بعديّ بن حاتم طيء ولبيد بن ربيعة، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثمّ دخلا المسجد فاستقبلا عمرو بن العاص فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، هو الأمير ونحن المؤمنون! فانطلقت فدخلت على عمر فقلت: يا أمير المؤمنين. فقال لتخرجنّ ممّا قلت أو لأفعلنّ. قال: يا أمير المؤمنين بعث عامل العراقين بعديّ بن حاتم ولبيد بن ربيعة فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثمّ استقبلاني فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين. فقلت أنتما والله أصبتما اسمه، هو الأمير ونحن المؤمنون. وكان قبل ذلك يكتب من عمر خليفة خليفة رسول الله(ص) فجرى الكتاب من عمر أمير المؤمنين من ذلك(١).

أقول: هذه القصّة تبطل قصّة المغيرة بن شعبة السّابقة، وساعتها تفوته أيضاً منقبة أن يكون أوّل من سمّى عمر بن الخطاب "أمير المؤمنين"؛ ولم يكن عمرو بن العاص بعيداً من المغيرة فيطلب السّمعة.

عن سفيان بن عيينة عن عمر قال: كان بين عمرو بن العاص وبين المغيرة بن شعبة كلامٌ في الوهط، فسبّه المغيرة فقال عمرو: يا آل هصيص، أيسبّني ابن شعبة؟ قال ابنه عبد الله: " إنا لله وإنّا إليه راجعون " دعوت بدعوى القبائل وقد نهى رسول الله(ص) عن دعوى القبائل، قال فأعتق ثلاثين رقبة(٢).

أقول: هذه القصّة ـ إلى جنب قصص أخرى كثيرة ـ تكشف مدى احترام

(١) تاريخ دمشق، ج٤٤ ص٢٦٠.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٤٦ ص ١٨١.و تاريخ الإسلام، الذهبي، ج١ ص٥٠٩.

الصّحابة بعضهم لبعض، إذ يكفي أن يختلف أحدهم مع الآخر بخصوص شيء من حطام الدّنيا حتى يسبّه. ويكون جواب المسبوب أن يدعو بدعوى الجاهليّة. وإذا صحّ الحديث الذي يقول "سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ" فإنّ المغيرة بن شعبة يكون قد فسق.

وعن سماك بن سلمة قال: أوّل من سلّم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة، يعني قول المؤذّن عند خروج الإمام إلى الصّلاة: السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله[1].

وعن يوسف بن موسى قال: سمعت جريراً يقول: أخبرني بعض البصريين قال لمّا قُبض النّبي (ص) قال المغيرة بن شعبة لعليّ: قم فاصعد المنبر، فإنّك إن لم تصعد صعد غيرك! قال فقال علي: والله إنّي لأستحيي أن أصعد المنبر ولم أدفن رسول الله (ص). قال فصعد غيره؛ قال وقال له المغيرة بن شعبة حين كانت الشّورى: انزع نفسك منهم فإنّهم لن يبايعوا غيرك. قال وأخبرنا يوسف [أخبرنا]عن جرير عن المغيرة قال: قال المغيرة بن شعبة لعليّ حين قتل عثمان: اقعد في بيتك ولا تدع النّاس إلى نفسك، فإنّك لو كنت في جحر بمكّة لم يبايع النّاس غيرك.قال وقال المغيرة بن شعبة: لئن لم تطعني في هذه الرّابعة لأعتزلنّك، ابعث إلى معاوية عهده ثمّ اخلعه بعد ذلك، فلم يفعل، فاعتزله المغيرة بن شعبة باليمن؛ فلما اشتغل عليٌّ و معاوية فلم يبعثوا إلى الموسم أحداً جاء المغيرة بن شعبة فصلّى بالناس ودعا لمعاوية[2].

يقول جرير: "أخبرني بعض البصريّين: قال لما قبض النبي (ص) قال المغيرة بن شعبة لعلي قم فاصعد المنبر فإنّك إن لم تصعد صعد غيرك..".فهل كان بعض

(١) تاريخ دمشق، ج ٦٠ ص ٤١.
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ ص ٤٣.

البصريّين هذا حاضراً يوم قبض النّبي (ص)؟! وهل غاب عن بعض البصريّين هـذا مـا جرى بعد وفاة النّبي(ص) من هجوم على بيت كان جبريل يستأذن لدخوله؟ وقد مـرّ بك ما يثبـت أنّ المغيـرة كـان يـوم وفـاة النّبـي (ص) إلـى جنـب أبـي بكـر وعمـر لا يفارقهما، وهو الذي كان معهما من أوّل يوم جاء فيه إلـى المدينـة بعـد قتـل أصـحابه في السّفر غيلةً وغدراً، وبعد أن سمّى النّبي (ص) فعلته غدراً. وحتى لو صحّ وثبت مـا ذكره فإنّه لا يعدو مناورةً من مناورات المغيرة، لأنّ المهمّ عنده هـو ضـمان المصـالح عند المرشّح للحكم، سواء كان المرشّحُ الإمام علياً(ع) أو أبا بكر أو معاوية!

عن مالك بن أنس عن عمّه أبي سهيل بن مالك عن أبيه قال: لقـي عمّـار بـن ياسـر المغيرة بن شعبة في زقاق من سكك المدينة وهو متوشّحٌ سيفاً فناداه: يا مغير ة! فقـال: ما تشاء؟ قال: هل لك في الله عزّ وجلّ؟ قال: وأين هو؟! قال: تدخل في هـذه الـدّعوة فتسبق من معك وتدرك مـن سـبقك. قـال فقـال المغيـرة: وددت والله أنّـي لـو علمـت ذلك. إني والله ما رأيت عثمان مصيباً ولا رأيت قتله صواباً! فهل لك يا أبـا اليقظـان أن تدخل بيتك وتضع سيفك، وأدخل بيتـي، حتّـى تنجلـي هـذه الظّلمـة ويطلـع قمرهـا، فنمشي مبصرين نطأ أثر المهتدين، ونجتنب سبيل الحـائرين؟ فقـال عمّـار: أعـوذ بـالله أن أعمى بعد إذ كنت بصيراً، يدركني من سبقته، ويعلّمني مـن علّمتـه. فقـال المغيـرة بن شعبة: يا أبا اليقظان إذا رأيت السّيل جار فاجتنب جريته ـ قال الزنبـري يعنـي بجـار جارياً ـ ولا تكن كقاطع السلسلة فرّ من الضّحل فوقع في الغمر. فقال عمـار: اسـمع مـا أقول وانظر ما أفعل، فلن تراني إلاّ في الرّعيل الأوّل. قال: واطّلع عليهما عليّ فقال: مـا يقول لك الأعور ؟! إنّه والله على عمد يلبس عزله ولن يأخذ من الدّين إلا مـا خلطتـه الدنيا. فانتجاه عمّار فأخبره فقال عليٌّ: ويحك يا مغيرة، إنّ هذه الدّعوة المودية تـودي

من دخل فيها إلى الجنّة، وأنا أجتاز إليهما، توهل من وهل، فإذا غشيناك فالزم بيتك. فقال له المغيرة: أنت أعلم منّي وأوقر ، أما إذا لم أعنك فلن أعين عليك(١).

أقول: هل كان المغيرة بن شعبة صادقاً حين قال لعمار بن ياسر (رض) : "تدخل بيتك وتضع سيفك وأدخل بيتي حتى تنجلي هذه الظلمة ويطلع قمرها فنمشي مبصرين نطأ أثر المهتدين ونجتنب سبيل الحائرين"؟ فإنّه انضمّ إلى معاوية بن أبي سفيان الذي قاتل المسلمين من أجل الحكم، وهادى وهادن(٢) ملك الرّوم ليتفرغ لحرب المسلمين. وبقي المغيرة عوناً لمعاوية على الإمام علي(ع)، ولا زال يسبّه ويشتمه ويلعنه على المنبر تقرّباً إلى بني أميّة حتى خرج من الدّنيا مصرّاً على ذلك.

قال الغزالي: ونقل أبو طالب المكّي إباحة السّماع من جماعة، فقال سمع من الصّحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال: قد فعل ذلك كثير من السّلف الصّالح، صحابيّ وتابعي بإحسان(٣).

أقول: كيف لا يكون المغيرة كذلك وصاحبته بنت الأفقم من أضرب النّاس على العود؟!

قال المدائني: حدّثني من سمع الزّهري يقول هرب قوم من المدينة إلى الشّام ولم يبايعوا عليّا، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة(٤)..

(١) تاريخ دمشق ، ابن عساكر، ج ٦٠ ص ٤٣.
(٢) هادى من المهاداة وهي تبادل الهدايا وهادن من الهدنة وهي وقف الحرب مؤقتا.
(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٢ ص٢٦٩.
(٤) البداية والنهاية، ابن كثير.

أقول: كيف يبايع المغيرة الإمام علياً(ع) وقد سمعه يقول: "لا يأخذ من الدّين إلا ما خالطته الدّنيا"،ويعلم أنّه لن يكون له نصيب من حكمه، فالإمام علي (ع) في غنى عن دهاء المغيرة ومؤامراته، وقد كان الإمام (ع) يقول: لو قد أدركت المغيرة لرجمته بأحجاره، وهذا يعني أنّه يعتقد أنّ المغيرة مارس الزّنا وهو محصن، وأنّ ما قام به عمر بن الخطّاب من درء الحدّ عنه لا قيمة له عند الله تعالى، لأنّه قام به باعتباره حاكماً لا باعتباره فقيهاً، ولم تكن دولة السّقيفة لتضحّي بأحد أعضائها تطييباً لخاطر أبي بكرة نفيع الحارث وشبل بن معبد ومن معهما. والمغيرة لم يبايع الإمام عليا(ع)، وفي ضوء حديث "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهليّة" يكون المغيرة قد عاش الجاهليّة بعد الإسلام..

قالوا: دخل [علي الإمام علي (ع)] [١] المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له إني أرى أن تقرّ عمّالك على البلاد فإذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت؛ ثمّ جاءه من الغد فقال له: إنّي أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممّن يعصيك! فعرض ذلك عليّ على ابن عبّاس فقال: لقد نصحك بالأمس وغشّك اليوم. فبلغ ذلك المغيرة فقال: نعم، نصحته فلمّا لم يقبل غششته. ثم خرج المغيرة فلحق بمكّة، ولحقه جماعة منهم طلحة والزّبير وكانوا قد استأذنوا عليّا في الاعتمار فأذن لهم [٢]..

أقول: المعلوم لدى العقلاء أنّ النّاصح مشيرٌ أدّى ما عليه،وليس على المنصوح العمل بنصيحته حرفيّاً، إذ لو كان كذلك للزم أن يعمل بالشّيء وضدّه حين يختلف

(١) أي دخل على الإمام علي(ع).
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٧ ص ٢٢٩.

النّاصحون، وليس بعضهم أولى من بعض إلاّ بما تمليه المصلحة؛ لكنّ المغيرة يشترط غير ذلك، فإمّا أن يعمل الإمام علي (ع) بنصيحته وإمّا أن يغشّه، وقد قال النّبي (ص): من غشّنا فليس منّا.

قال خليفة: كانت ولاية الحسن بن عليّ سبعة أشهر وسبعة أيّام. أقرّ عمال أبيه. وافتعل المغيرة بن شعبة عهدا على لسان الحسن فأقام الحجّ سنة أربعين[1].

وقال ابن كثير: وحجّ بالنّاس في هذه السّنة أعنى سنة أربعين المغيرة بن شعبة. وزعم ابن جرير فيما رواه عن إسماعيل بن راشد أنّ المغيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية ليليَ إمرة الحجّ عامّته، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبى سفيان وكان معه كتاب من أخيه بإمرة الحجّ، فتعجّل المغيرة فوقف بالنّاس يوم الثّامن ليسبق عتبة إلى الإمرة وهذا الذي نقله ابن جرير لا يُقبل[!] ولا يظنّ بالمغيرة (رض) ذلك، وإنّما نبّهنا على ذلك ليُعلم أنّه باطل، فإنّ الصّحابة أجلّ قدراً من هذا ،ولكنْ هذه نزعةٌ شيعيّةٌ[2].

أقول: هذا الفقيه المفسّر المحدّث ابن كثير يقول بسذاجة: " ولا يظنّ بالمغيرة (رض) ذلك " كأنّه لا يعلم شيئاً من جرائم المغيرة بن شعبة، بدايةً بقتله رفاقه في السّفر غيلةً وغدراً، إلى قصّة الزّنا التي شاعت وانتشرت في الآفاق، وانضمامه إلى الفئة الباغية طمعاً في الدّنيا، وتوظيفه الخطباء من الخوارج يسبّون ويلعنون الإمام عليا(ع)، وتبجّحه أنّه أوّل من رشا في الإسلام، وأمور أخرى موزّعة في كتب التّاريخ والأدب. يقول ابن كثير: " وهذا الذي نقله ابن جرير لا يُقبل[!] " وكأنّ مسألة

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ج١ ص ٤٨.
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ١٥.

القبول والردّ بيده لا يشاركه فيها أحدٌ ولا تخضع لميزان أو معيار. ويختم كلامه كالعادة بقوله: " فإنّ الصّحابة أجلّ قدراً من هذا ولكنْ هذه نزعةٌ شيعيّةٌ "، وهو يعلم أنّ الذين رووا الخبر ليس فيهم شيعيٌّ واحدٌ، وهو بقوله" فإنّ الصحابة أجلّ قدراً من هذا" يردّ كثيراً من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف، وهو من أعلم النّاس بقصّة الوليد بن عقبة الذي صلّى بالناس الصّبح أربعاً وهو سكران ثمّ التفت إليهم وقال: إن شئتم زدتكم !! فهل كان الصّحابيّ الوليد أجلّ قدراً من ذلك؟ولكنّ مدرسة ابن كثير تعفي نفسها من المسئوليّة أمام القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف، لأنّها تبنّت ما يخالفهما، ولوتْ أعناق الآيات البيّنات والأحاديث الواضحات لأنّها تعتقد أنّها دائما على الحقّ، يدور معها حيث دارت!

وفي تاريخ ابن كثير:.. ثمّ إنّ معاوية أراد أن يستخلف على الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له المغيرة بن شعبة: تولّيه الكوفة وأباه مصر، وتبقى أنت بين لحيي الأسد؟! فثناه عن ذلك وولّى عليها المغيرة بن شعبة؛ فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال: أتجعل المغيرة على الخراج؟ هلا ولّيت الخراج رجلاً آخر؟فعزله عن الخراج و ولاّه على الصّلاة. فقال المغيرة لعمرو في ذلك فقال له: ألست المشير على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو؟ قال: بلى. قال: فهذه بتلك[1].

أقول: هؤلاء الذين تربّوا على يد رسول الله(ص) كما يقال، فهل ربّاهم رسول الله(ص) على الغيبة والنّميمة والغشّ والاحتيال؟!

قال الشّافعيّ: سمعت من يذكر أنّ المغيرة بن شعبة دخل على امرأته وهي تتخلّل

(١) البداية والنهاية، ج ٨ ص ٢٢.

ـ أي تخلّل أسنانها لتخرج ما بينها من أذى ـ وكان ذلك في أوّل النّهار فقال: والله لئن كنت باكرت الغذاء إنّك لرعينةٌ دنيّةٌ، وإن كان الذي تخلّلين منه شيءٌ بقى في فيك من البارحة إنّك لقذرةٌ، فطلّقها؛ فقالت: والله ما كان شيءٌ ممّا ذكرت ولكنّني باكرت ما تباكره الحرّة من السّواك، فبقيت شظيّةٌ في فمي منه فحاولتها لأخرجها؛ فقال المغيرة ليوسف أبي الحجّاج: تزوّجها فإنّها لخليقة بأن تأتي برجل يسود. فتزوّجها يوسف أبو الحجّاج، قال الشّافعي: فأخبرت أنّ أبا الحجّاج لمّا بنى بها واقعها فنام، فقيل له في النّوم: "ما أسرع ما ألقحت بالمبير"(١).

أقول: المعلوم أنّ أهل المروءة لا يجادلون النّساء في مثل هذه الأمور، ولو أنّ كلّ رجل تتبّع حركات زوجته صغيرها وكبيرها لتحوّلت الحياة في البيوت الزوجيّة إلى شيء لا يُطاق. ويبقى المرء متحيّراً في إقدام المغيرة على الطّلاق لأجل ما ذكر، فهل هو ـ فعلاً ـ مبرّر للطّلاق؟

قالوا: كان التّرجمان يوم الهرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم، وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسيّة، فقال عمر للمغيرة: قل له من أيّ أرض أنت؟ فقال المغيرة: أز كدام أرضي؟ فقال: مهرجاني. فقال: تكلّم بحجّتك. قال: كلام حيّ أو ميت؟ قال: بل كلام حيّ. قال: قد آمنتني. قال: خدعتني، إنّ للمخدوع في الحرب حكمه، لا والله لا أؤمنك حتّى تسلم، فأيقن أنّه القتل أو الإسلام فأسلم،ففرض له على ألفين وأنزله المدينة، وقال للمغيرة: ما أراك بها حاذقاً! ما أحسنها منكم أحدٌ إلاّ خبّ، وما خبّ إلاّ دقّ، إيّاكم وإيّاها فإنّها تنقض الإعراب(٢).

(١) البداية والنهاية، ج ٩ ص ١١٨.
(٢) تاريخ الطّبريّ، ج٢ ص ٥٠٢.

قولهم " وكان المغيرة يفقه شيئاً من الفارسيّة " يفيد أنّ المغيرة كان على علاقة ببعض الفرس، إذ لا طريق لتعلّم الفارسيّة إلاّ بالحياة في بلد فارسيّ أو مخالطة ناس من الفرس، وقد كان في الصّحابة سلمان الفارسيّ، لكن لم يعرف عنه أنّه كان يعلّم الصّحابة أو التّابعين اللّغة الفارسيّة؛ وقد تبيّن فيما بعد أنّ أبا لؤلؤة كان يتحدّث باللغة العربية، وأبو لؤلؤة سكن المدينة، وكان غلاماً للمغيرة بن شعبة، فهل تعلّم المغيرة اللّغة الفارسيّة منه؟ إن كان الأمر كذلك فهو يعني أنّ أبا لؤلؤة عاش في المدينة مدّةً كافيةً لتعلّم اللّغة العربيّة وكافية ليتعلّم المغيرة الفارسيّة أيضاً؛ ولم يظهر من أحد من الصّحابة ميلٌ إلى تعلّم الفارسيّة باستثناء المغيرة بن شعبة، فهل كان ذلك بدافع حبّ التميّز أم بدافع آخر؟ الله أعلم.

وأمّا قول عمر بن الخطاب "إيّاكم وإيّاها فإنّها تنقض الإعراب " فيبطله أنّ معظم اللّغويين والنّحاة كانوا من أبناء فارس، يتقدّمهم سيبويه وأبو عليّ الفارسيّ، وقد شاع اللّحن في العرب حتّى كان ابن عبّاس وابن عمر يضربان على ذلك أولادهما، وهم جميعاً ـ الآباء والأبناء ـ من صميم قريش، وكان الحجّاج بن يوسف يلحن في القرآن الكريم، وكذلك أولاد عبد الملك بن مروان. فلا علاقة لتعلّم الفارسيّة باللّحن في اللّغة العربيّة.

قال الطّبريّ: وعطف عليهم النّعمان فضرب عسكره، ثمّ عبأ كتائبه وخطب النّاس فقال: إن أُصبت فعليكم حذيفة بن اليمان، وإن أُصيب فعليكم جرير بن عبد الله، وإن أصيب جرير بن عبد الله فعليكم قيس بن مكشوح، فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه فأتاه فقال له: ما تريد أن تصنع؟ فقال: إذا أظهرت قاتلتهم لأنّي رأيت رسول الله (ص) يستحبّ ذلك؛ فقال المغيرة: لو كنت بمنزلتك باكرتهم

القتال [1]..!

أقول: وجد المغيرة في نفسه أن حرمه ملك مصر ولم يلتفت إليه، ووجد في نفسه أن انتهره رسول الله(ص)، ووجد في نفسه أن لم يستخلفه النّعمان، ووجد في نفسه أن لم يعمل الإمام علي(ع) بنصيحته.. ما أكثر ما يجد المغيرة في نفسه! ثمّ هو يصرّح بأن الصواب في مخالفة رسول الله(ص)! فبعد أن قال له النعمان: "إذا أظهرت قاتلتهم لأنّي رأيت رسول الله (ص) يستحبّ ذلك" ردّ هو قائلا: " لو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال "! أي دع عنك ما يستحبّه رسول الله(ص) وافعل ما أستحبّه أنا! هكذا يقول المغيرة.

كان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متواقفين بالكوفة بالكناسة، فطلع عليهم أعرابيٌّ، فقال لهم المغيرة: دعوني أحرّكه! قالوا: لا تفعل فإنّ للأعراب جواباً يؤثّر. قال: لا بدّ. قالوا: فأنت أعلم. قال له: يا أعرابي هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال نعم أعرفه أعور زانياً! فوجم ثم تجلّد فقال: هل تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم ذاك رجلٌ لا يعْرى قومه[2]..

أقول: لم يكن الأعرابيّ يعرف المغيرة بن شعبة شخصيّاً، وإنّما كان يعرفه من خلال ما يُنقل عنه في قضيّة النساء، وأغلب الظّنّ أنّ هذه القصّة كانت بعد شهادة أبي بكرة وإخوته على المغيرة بن شعبة بالزّنا في البصرة، وقد ولي المغيرة الكوفة بعد أن عزل عن ولاية البصرة. وبخصوص شهرة المغيرة بالزّنا قال الأصفهانيّ: "وقد روى المدائنيّ أنّ المغيرة كان أزنى النّاس في الجاهلية، فلمّا دخل في الإسلام قيّده

(١) تاريخ الطّبريّ، ج ٢ ص ٥١٩.
(٢) الأغاني، الأصفهاني، ج١٦ ص٩٨.

الإسلام، وبقيت عنده منه بقيّةٌ ظهرت في أيام ولايته البصرة"[١].

فنحن إذاً نتحدّث عن أزنى النّاس في الجاهليّة والإسلام، فإنّ المغيرة كان معروفا بالزّنا.

قال ابن قتيبة: وأوّل من رشا في الإسلام المغيرة بن شعبة وقال: ربّما عرق الدّرهم في يدي أرفعه ليرفأ ليسهّل إذني على عمر[٢].

أقول: لم تكن القضيّة إذاً تتعلّق بعمامة وهبها المغيرة ليرفأ غلام عمر، وإنّما هناك دراهم أيضاً، وهو ما يفيد أنّ المغيرة كان يرشو يرفأ مولى عمر بصورة مستمرّة.

وفي البصائر والذخائر:وقال المغيرة لعمر بن الخطاب (رض): نحن بخير ما أبقاك الله لنا، فقال له عمر: أنت بخير ما اتّقيت الله تعالى[٣].

قال ابن حبّان: في هذه السنة كان فتح همذان ثانياً، وكانت قد انتقضت على أميرها المغيرة بن شعبة على رأس ستّة أشهر من مقتل عمر[٤].

وفي الحجة: أفنقبل هذا بترك السنّة والآثار المعروفة بقول رجل لا يروي حديثاً واحداً، وقد روينا حديث رسول الله هذا بعينه عن إمام كان من أئمّة المسلمين يأمنه عمر بن الخطّاب(رض)على الأمصار ويستعمله عليها، أعرف بالرّواية وأعلم بها وأشهر بصحبة رسول الله(ص)[٥]!

---

(١) الأغاني، الأصفهاني، ج ١٦ ص ٨٩

(٢) المعارف، ابن قتيبة، ص ٥٥٨:

(٣) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي ج١. ص١٥.

(٤) الثقات، ابن حبان، ج٢ص٢٤٣.

(٥) كتاب الحجّة، محمد بن الحسن الشيباني، ج١ص٢٢٦ (عالم الكتب بيروت ١٤٠٢.

هذا هو رأي محمد بن الحسن الشّيبانيّ في المغيرة بن شعبة : " إمام كان من أئمّة المسلمين " لأنّ عمر بن الخطّاب كان يولّيه على الأمصار.ومن هوان الدنيا على الله أن تضفى عبارة "إمام" على من وُصف بأنّه كان أزنى الناس في الجاهلية والإسلام.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنّ عمر استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه، فعزله عمر، فخافوا أن يردّه. قال قائلهم : إن فعلتم ما آمركم لم يردّه علينا. قالوا : مُرنا. قال: تجمعون مئة ألف حتى أذهب بها إلى عُمر، فأقول: إنّ المغيرة اختان هذا، فدفعه إليّ. قال فجمعوا له مئة ألف، وأتى عُمر، فقال ذلك. فدعا المغيرة، فسأله، قال: كذب أصلحك الله، إنّما كانت مائتي ألف، قال: فما حملك على هذا ؟ قال: العيال والحاجة. قال: عمر للعلج: ما تقول ؟ فقال: لا والله لأصدقنّك، ما دفع إليّ قليلاً ولا كثيراً. قال: عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا ؟ فقال: الخبيث كذب عليّ، فأحببت أن أخزيه[1].

أقول: لقد اضطرّ أهل البحرين إلى الحيلة لأنّهم يعلمون أنّ للمغيرة عند عمر منزلةً، فجوّزوا لأنفسهم الاجتماع و التّواطؤ على الكذب كي يتخلّصوا منه، وأهل زمانه أدرى به؛ و إنّ وجود أمير يضطرّ أمّة إلى الكذب حتى تتخلّص منه لَدليل على عدم الالتزام بالأوامر والآداب الشرعيّة التي تقضي أن يكون الإمام مقبولاً من المأمومين، ولا يحلّ لرجل أن يؤمّ قوماً وهم له كارهون.

و في الكامل في التّاريخ ، قال ابن الأثير: وفي هذه السنة[أي سنة ٥٦] بايع النّاس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه، وكان ابتداء ذلك وأوّله من المغيرة بن شعبة فإنّ

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣ ص ٢٦، ٢٧.

معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك فقال: الرّأي أن أشخص إلي معاوية فأستعفيه ليظهر للنّاس كراهتي للولاية، فسار إلي معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه: إن لم أكسبكم الآن ولايةً وإمارةً لا أفعل ذلك أبداً! ومضي حتّى دخل علي يزيد وقال له: إنّه قد ذهب أعيان أصحاب النّبي وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنّة والسّياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟ قال: أو ترى ذلك يتمّ؟ قال: نعم! فدخل يزيد علي أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له: ما يقول يزيد؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدّماء والاختلاف بعد عثمان وفي يزيد منك خلفٌ فاعقد له، فإن حدث بك حادثٌ كان كهفاً للنّاس وخلفاً منك، ولا تسفك دماءٌ ولا تكون فتنةٌ. قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زيادٌ أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحدٌ يخالفك. قال: فارجع إلي عملك، وتحدّث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى؛ فودّعه ورجع إلي أصحابه فقالوا: مه ؟ قال: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية علي أمّة محمّد وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً وتمثل:

بمثلي شاهدي النجوى وغالي بي الأعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق إليه ومن يعلم أنّه شيعةٌ لبني أميّة أمر يزيد، فأجابوا إلي بيعته، فأوفد منهم عشرةً ويقال أكثر من عشرة وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة، وقدموا علي معاوية فزيّنوا له بيعة يزيد ودعوه إلي عقدها، فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا علي رأيكم؛ ثمّ قال لموسى: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال بثلاثين ألفاً! قال:

لقد هان عليهم دينهم. وقيل أرسل أربعين رجلاً وجعل عليهم ابنه عروة، فلمّا دخلوا علي معاوية قاموا خطباء فقالوا: إنّما أشخصهم إليه النّظر لأمّة محمّد وقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنّك، وخفنا انتشار الحبل، فانصب لنا علَماً، وحُدّ لنا حدّاً ننتهي إليه! فقال: أشيروا عليّ، فقالوا: نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين. فقال: أو قد رضيتموه؟ قالوا: نعم. قال: وذلك رأيكم؟ قالوا: نعم، ورأي من وراءنا! فقال معاوية لعروة سرّاً عنهم: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة دينار! قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً، وقال لهم ننظر ما قدمتم له، ويقضي الله ما أراد والأناة خيرٌ من العجلة[١]...

هذه شهادة معاوية على الوفد الذي أرسله المغيرة بن شعبة يزيّن له فعلته التي لا زالت آثارها إلى اليوم تدمي القلوب....

ماذا يقول علماء الرجال في حقّ أمير وفد الرّشوة عروة بن المغيرة بن شعبة ؟

قال محمد بن سعد:

عروة بن المغيرة بن شعبة الثّقفيّ ويكنى أبا يعفور، روى عن أبيه. أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا سلام بن مسكين قال حدثنا أبو النّضر المازني عن الشعبي أنّ

(١)الكامل في التاريخ، ج ٣ ص٥٠٤، دار صادر للطباعة والنشر – دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٦ – ١٩٦٦م

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ج ٦ ص ٢٦٩.

عروة بن المغيرة بن شعبة كان أميراً على الكوفة وكان خير أهل ذلك البيت[١].

قال ابن حبّان بخصوص عروة بن المغيرة:

عروة بن المغيرة بن شعبة الثّقفي، كنيته أبو يعفور، وكان من أفاضل أهل بيته وكان عاملاً لعليّ على الكوفة! يروى عن أبيه. روى عنه الشّعبيّ والنّاس وأولاد المغيرة عروة وعقار وحمزة ويعقوب وقد حدّثوا كلّهم وروى عنهم[٢].

أقول: أفضل أهل ذلك البيت رجلٌ يرأس وفداً إلى معاوية لتملّقه و تزيين فعل السوء له، ويشهد معاوية المستفيد من ذلك على الوفد بأنّ المغيرة وجد دينهم عندهم رخيصاً[٣].

---

(٢) الثقات، ابن حبان، ج ٥ ص ١٩٥.

(٣) وهاهي الأمانة العلمية تتجلى في سلسلة عجيبة: ، في الثقات ، ابن حبان ج ٧ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ...عباد بن زياد بن أبى سفيان يروى عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه روى عنه الزهري. عباد: قال الرازي في الجرح والتعديل ج ٦ ص ٨٠: عباد بن زياد قال مالك هو من ولد المغيرة بن شعبة ووهم مالك في نسب عباد وليس من ولد المغيرة ويقال انه من ولد زياد بن أبى سفيان روى عن عروة وحمزة ابني المغيرة بن شعبة روى عنه الزهري سمعت أبى يقول ذلك. زياد : الذي ادعى إلى غير أبيه فهو إذن ملعون على لسان رسول الله (ص).عروة : أمير وفد الرشوة و التملق إلى معاوية بن أبي سفيان. المغيرة بن شعبة: في الموبقات أشهر من نار على علم.الزهري: خادم بني أمية.ذكر ابن حبان في الثقات ج ٨ ص٥ ما يلي: ...أحمد بن عبدويه قال سمعت خارجة يقول قدمت على الزهري وهو صاحب شرط لبعض بني مروان قال فرأيته يركب وفي يده حربة وبين يديه الناس بأيديهم كافركوبات فقلت قبح الله ذا من عالم فانصرفت فلم أسمع منه ثم قدمت على يونس فسمعت منه عن الزهري. و في تاريخ ابن معين ج ١ ص ١٢٥ : (٧٣٨) سمعت يحيى يقول حدثنا أبو ضمرة عن عبيد الله بن عمر قال كنت أرى الزهري يؤتى بالكتاب ما قرأه ولا قرئ عليه فيقال له نروي هذا عنك فيقول نعم !و المغيرة بن شعبة هو الذي احتال على جبير بن مطعم وخدعه لما ولاّه عمر فعزله قبل أن يسافر إلى عمله وولى المغيرة بن شعبة مكانه بعد أن كان عزله(البداية و النهاية ج٧ ص١٢٨) وشهد على نفسه أنه غشّ عثمان في النصيحة وهو خليفة المسلمين (البداية و النهاية

ثم إنّ المغيرة بن شعبة يقول لشرّ خلق الله يزيد بن معاوية: "إنّه قد ذهب أعيان أصحاب النّبي وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً، وأعلمهم بالسنّة والسّياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة "! فمتى كان يزيد بن معاوية من أفضلهم و أحسنهم رأياً، و أعلمهم بالسنّة و السّياسة. و هل هتك حرمة الإسلام إلاّ يزيد و أبوه و الممهّدون لهما؟

قال [معاوية]: يا مغيرة ما ترى ؟ قال: يا معاوية، لو وسعني أن أنصرك لنصرتك، ولكن عليّ أن آتيك بأمر الرّجلين. فركب حتى أتى دومة الجندل فدخل على أبى موسى كأنه زائر له، فقال : يا أبا موسى، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدّماء ؟ قال : أولئك خيار النّاس، خفّت ظهورهم من دمائهم، وخمصت بطونهم من أموالهم. ثمّ أتى عمراً فقال : يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره هذه الدّماء؟ قال : أولئك شرار النّاس، لم يعرفوا حقّا ولم ينكروا باطلاً. فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له : قد ذقت الرّجلين، أما عبد الله بن قيس فخالعٌ صاحبَه وجاعلُها لرجل لم يشهد هذا الأمر، وهواه في عبد الله بن عمر. وأمّا عمرو فهو صاحبك الذي

ج٧ص٢٥٠) و غشّ عليا (ع) إذ نصحه بتولية معاوية الشام فأبى عليه مستشهدا بقوله تعالى (ما كنت متخذ المضلين عضدا) البداية و النهايةج٨ ص ١٣٧ وقد قال رسول الله (ص) الدين النصيحة. و مات المغيرة و هو مصرّ على لعن علي بن أبي طالب (ع) على المنبر. ففي سير أعلام النبلاء ج١ ص١٠٥: خطب المغيرة فنال من علي.....و أيضا ص١٠٣: أن المغيرة كان في المسجد الأكبر و عنده أهل الكوفة فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب و سب فقال سعيد بن زيد من يسب هذا يا مغيرة قال: يسب علي بن أبي طالب... وفي ص١٠٤ منه: خطب المغيرة فنال من علي...

تعرف، وقد ظنّ النّاس أنّه يرومها لنفسه، وأنّه لا يرى أنّك أحقّ بهذا الأمر منه[١].

قالوا: وكانوا يعدّون دهاة النّاس حين ثارت الفتنة خمسة رهط فقالوا: ذوو رأى العرب ومكيدتهم: معاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي. وكان قيس وابن بديل مع عليّ (ع) وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية، إلاّ أن المغيرة كان معتزلاً بالطّائف حتى حكّم الحكمان فاجتمعوا بأذرح[٢].

أقول: ألم يكن المغيرة مبعوثاً من طرف معاوية ليمارس التجسّس في قضية حسّاسة فتحت على المسلمين باب فتنة لا يزال مفتوحاً إلى اليوم؟ أيسمّى مثل هذا معتزلاً للفتنة و القتال وهو في قلب المسألة، يطّلع على ما لا يطّلع عليه المقاتلون الذين يعرضون أنفسهم للموت ؟! هل كان معاوية يعرف ما انطوى عليه باطن أبي موسى الأشعريّ لولا التّقرير السّري الذي رفعه إليه المغيرة ؟

و حينما يحاول الدّاهية مخادعة الدّاهية ينقلب السّحر على الساحر، و يجد المغيرة نفسه في وضعيّة مزرية: فعن معمر عن جعفر بن برقان أنّ المغيرة كتب إلى معاوية أمّا بعد، فإنّي قد كبرت سنّي ودقّ عظمي وشنفت لي قريش، فإن رأيت أن تعزلني فاعزلني. فكتب إليه معاوية جاءني كتابك تذكر فيه أنّه كبرت سنّك فلعمري ما أكل عمرك غيرك، وتذكر أنّ قريشاً شنفت لك، ولعمري ما أصبت خيراً إلاّ منهم، وتسألني أن أعزلك فقد فعلت، فإن تك صادقاً فقد شفّعتك، وإن تك مخادعاً

(١) وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، ص ٥٣٩.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ١٢٥.

فقد خدعتك[١].

قال السيّد جعفر مرتضى (من علماء الشّيعة) :
فقد ذكر لنا التّاريخ أسماء عدد من المهاجمين، مثل أبي بكر، عمر، قنفذ، أبي عبيدة بن الجراح، سالم مولى أبي حذيفة، المغيرة بن شعبة، خالد بن الوليد، عثمان، أسيد بن حضير، معاذ بن جبل، وعبد الرحمان بن عوف، وعبد الرحمان بن أبي بكر، ومحمّد بن مسلمة، -وهو الذي كسر سيف الزبير -وزيد بن أسلم، وعيّاش بن ربيعة، وغيرهم [٢].

وحين البحث عن هذه المسألة في كتب التّاريخ لا يجد الباحث إلاّ مصادر شيعية تحدّثت عنها، كما هو شأن كتاب الاحتجاج للطّبرسيّ، و بيت الأحزان للشّيخ عبّاس القمّيّ. فقد روى الطّبرسيّ في الاحتجاج قول الحسن عليه السّلام : وأمّا أنت يا مغيرة بن شعبة ! فإنك لله عدوٌّ، ولكتابه نابذٌ، ولنبيّه مكذّبٌ، وأنت الزّاني وقد وجب عليك الرّجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخّر رجمك، ودفع الحقّ بالأباطيل، والصّدق بالأغاليط وذلك لما أعدّ الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدّنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله(ص)حتّى أدميتها وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله(ص)ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته، وقد قال لها رسول الله(ص): " يا فاطمة أنت سيّدة نساء أهل الجنّة " ، والله مصيّرك[يا مغيرة] إلى النار، وجاعلٌ وبال ما نطقت به عليك[٣].

(١) تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٦٥.
(٢) مأساة الزهراء عليها السلام، جعفر مرتضى العاملي(الشيعي)، ج ١ ص ٢٢٦.
(٣) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (الشيعي) ، ج ١، ص ٤١٣.

ولا عجب في ذلك، لأنّ الذين كتبوا التّاريخ راعوا مبانيهم كما ينبغي، فلم يكتبوا إلاّ ما لا يضرّ العامّة سماعه، و أفلتت منهم أمورٌ فوجدوا لها من التّأويل والتّوجيه ما لا غرابة فيه لمن عرف دَيْدَنهم. فالنّص الموجود في جمهرة خطب العرب[1] ـ وهو كتاب سنّيّ ـ يشبه إلى حدّ بعيد النّصّ الموجود في كتاب الاحتجاج .... و إذا كان النّظّام يرى أنّ عمر ضرب فاطمة، فلا عجب أن يضربها المغيرة.

قالوا: ثم تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم عليّاً وقال: والله ما أعيبه في قضيّة يخون ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان[2].

يقول المغيرة ذلك وهو أعلم الناس ببراءة الإمام علي(ع) من كلّ ما يتّهم به. ففي تاريخ الطّبري عن سيف عن المجالد عن الشّعبيّ عن المغيرة بن شعبة قلت لعلي: إنّ هذا الرّجل مقتولٌ، وإنّه إن قتل وأنت بالمدينة اتّخذوا فيك، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا، فإنّك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس، فأبى وحُصر عثمان اثنين وعشرين يوماً، ثمّ أحرقوا الباب وفي الدّار أناس كثير فيهم عبد الله بن الزبير ومروان[3]..

فالمغيرة بن شعبة يقول:قلت لعليّ إنّ هذا الرّجل مقتولٌ، وهذا يعني أنّ قتل عثمان كان حتميا في نظر المغيرة، والإمام علي بعيد عن ذلك تماما، لكن المغيرة يغيّر أفكاره وعباراته حسب ما تقتضيه المصلحة الدنيوية.

إنّ المغيرة سمع حديثا كثيرا من رسول الله (ص) في فضائل أهل البيت (ع)، و

(١) جمهرة خطب العرب ، ج٢ ص٢٢.
(٢) جمهرة خطب العرب، ج٢ ص٢٢.
(٣) تاريخ الطبري، ج٢ ص٦٧٦.

لكن يمنعه من ذكرها دناءة نفسه و انحطاط همّته وخسّة طبعه، و ما دام النبي (ص) قد قال لعلي(ع) لا يبغضك إلاّ منافق أو ابن زنا،و قد ثبت بغض المغيرة لعلي (ع) فلا غرابة فيما يصدر من المغيرة بعدها.

المغيرة و الرشوة

وقد علم المسلمون أنّ النبي (ص) لعن صريحا الرّاشي و المرتشى ...

و يشهد المغيرة على نفسه أنّه أوّل من رشا:

قال ابن حجر : وقال البغوي حدّثني حمزة بن مالك الأسلمي حدّثني عمّي شيبان بن حمزة عن دويد عن المطّلب بن حنطب قال: قال المغيرة أنا أوّل من رشا في الإسلام؛ جئت إلى يرفأ حاجب عمر وكنت أجالسه فقلت له: خذ هذه العمامة فالبسها، فإنّ عندي أختها. فكان يأنس بي ويأذن لي أن أجلس من داخل الباب، فكنت آتي فأجلس في القائلة فيمرّ المارّ فيقول: إنّ للمغيرة عند عمر منزلة، إنّه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد[1].

و في أسد الغابة: وهو أوّل من وضع ديوان البصرة و أوّل من رشا في الإسلام. أعطى برقا[وفي تاريخ دمشق ج ٦٠ ص١٨ يرفأ] حاجب عمر شيئا حتى أدخله على دار عمر[2].

و افتعل كعادته وفدا رشاهم و أرسلهم إلى معاوية و كان في الوفد ابنه، ذكر

(١) الإصابة ابن حجر، ج ٦ ص ١٥٧.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير، ج٤ ص ٤٠٧، في ترجمة المغيرة ، .

ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق.. [١].

قال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة لمعاوية: إن الحسن بن علي عييّ وإنّ له كلاما ورأيا، وإنّه قد علمنا كلامه فيتكلّم كلاما فلا يجد كلاما، فقال: لا تفعلوا؛ فأبوا عليه فصعد عمرو المنبر فذكر عليّا ووقع فيه، ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى علي عثمان ثم وقع في عليّ (رض) ثمّ قيل للحسن بن علي اصعد؛ فقال: لا أصعد ولا أتكلّم حتى تعطوني إن قلت حقّا أن تصدّقوني وإن قلت باطلاً أن تكذّبوني، فأعطوه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: بالله يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلمان أن رسول الله (ص) قال: " لعن الله السائق والراكب " أحدهما فلان؟ قالا: اللهمّ نعم. قال: أنشدك الله يا معاوية ويا مغيرة أتعلمان أن رسول الله (ص) لعن عمرا بكلّ قافية قالها لعنةً ؟ قالا: اللهمّ بلى! قال: أنشدك الله يا عمرو وأنت يا معاوية بن أبي سفيان أتعلمان أنّ رسول الله (ص) لعن قوم هذا؟ قالا: بلى. قال الحسن: فإني أحمد الله الذي وقعتم فيمن تبرأ من هذا وذكر الحديث [٢]..

عن سفيان بن منصور عن هلال عن عبد الله بن ظالم وذكر سفيان رجلاً فيما بينه وبين عبد الله بن ظالم قال: سمعت سعيد بن زيد قال: لما قدم معاوية الكوفة أقام

(١) عن جويرية يعني ابن أسماء حدثني خالد الحذاء أن المغيرة بن شعبة حيث أراد معاوية البيعة ليزيد وفد أربعين من وجوه أهل الكوفة وأمر عليهم ابنه عروة بن المغيرة فدخلوا على معاوية فقاموا خطباء فذكروا أنه إنما أشخصهم إليه التيه والنظر لأمة محمد (ص) فقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنك وتخوفنا الانتشار من بعدك يا أمير المؤمنين اعلم لنا علما وحدّ لنا حدّا ننتهي إليه! قال: أشيروا عليّ. قالوا: نشير عليك بيزيد بن أمير المؤمنين قال: وقد رضيتموه؟ قالوا : نعم. قال: وذاك رأيكم؟قالوا: نعم ورأي من بعدنا فأصغى إلى عروة وهو أقرب القوم منه مجلسا فقال: لله أبوك بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة! قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصا [ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٢٩٨].

(٢) المعجم الكبير، الطبراني ج ٣ ص ٧١، ٧٢.

المغيرة بن شعبة خطباء يتناولون عليّاً فأخذ بيدي سعيد بن زيد فقال: ألا ترى هذا الظالم الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة[١].

لقد استعظم الإمام أحمد بن حنبل لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولذلك هذّب العبارة فقال ينالون من عليّ بدل يلعنون عليّاً، لكنّه في معرض رواية الحديث لا بدّ له من روايته بلفظه كما تقتضيه أصول الفنّ، فوقع في ما فرّ منه. وتلك شهادة سعيد بن زيد أحد العشرة المبشّرين بالجنة على المغيرة بن شعبة بأنّه ظالمٌ، فهو يتحدّث عمّن أمر بلعن عليّ بن أبي طالب (ع)، و فاعل ذلك هو مَن أقام خطباء يتناولون من عليّ إرضاءً لمعاوية وهو المغيرة بن شعبة. و العجيب أنّ المغيرة نفسه يذكر أنّه سمع رسول الله(ص) ينهى عن سبّ الأموات، فما أعظم احترام المغيرة لكلام رسول الله(ص)!

عن سفيان عن زياد بن علاقة أنّه سمع المغيرة بن شعبة يقول قال رسول الله (ص) لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء[٢].

يقيم المغيرة خطباء يلعنون عليّاً (ع) بعدما علم أنّ النّبي(ص) قال: يا عليّ من سبّك فقد سبّني و من سبّني فقد سبّ الله تعالى. ومع ذلك يبقى المغيرة يتمتّع بحصانة منيعة، و يتقلّد المناصب الرّفيعة، ويستمع إليه من عميت قلوبهم التي في صدورهم، ليقولوا بعد ذلك بكل وقاحة وصلافة : حدثنا المغيرة..

---

(١) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل ص ٣٢.

(٢) موارد الظمآن ، الهيثمي، ص ٤٨٧.

منزلة المغيرة عند الخلفاء

أوّل ما أسلم المغيرة بن شعبة عرف أنّه لا يستطيع أن يكون من خواصّ النّبي (ص)، وأسباب ذلك واضحة، فقد أخبره النّبي (ص) من أوّل يوم أنّه قام بغدر، وأنّ الغدر لا خير فيه؛ ولم يخف ذلك على الصّحابة خصوصا بعد أن بلغهم تهائج الحيّين في الطّائف؛ إضافة إلى كونه قتل ثلاثة عشر نفراً من رفقائه في السّفر وهو أمر تنفر منه طباع بني آدم، حتى القَتَلة أنفسهم. لذلك اختار أن يكون مع المهاجرين دون الأنصار، ويسهّل عليه ذلك كونه على علاقة سابقة بأهل مكّة، وقد مرّ خبر شهوده حواراً بين النّبي (ص) وأبي جهل، وقوله أيضاً: " فنظر إلى أبي بكر بن أبي قحافة وكان بي عارفاً "؛ فلا عجب أن يختار المغيرة ملازمة أبي بكر وعُمر في حياة النّبي (ص). وفي الحقيقة لم يكن ذاك الاختيار وتلك الملازمة إلاّ استثماراً يجني عائداته فيما بعد، وبعد وفاة النّبي (ص) بلا فصل. وقد كان المغيرة في طاعة أبي بكر وعمر كالسّكّة المحماة، حتّى حين يقتضي الأمر الهجوم على بيت كان يستأذن لدخوله جبريل (ع). قال المغيرة: وكنت أكون مع أبي بكر الصديق (رض)، وألزم النّبي (ص)فيمن يلزمه[1]. وقد كان المغيرة في حياة النّبي (ص) يتصرّف تصرّفات بعيدةً من المروءة ، حتى إذا نكشف أمره تعلّل وتسكع في المعاذير؛ فعن أبي الخليل عن عليّ قال : كان المغيرة بن شعبة إذا غزا مع النّبي (ص) حمل معه رمحاً، فإذا رجع طرَحه كي يحمل له، فقال له عليٌّ : لأذكرنّ هذا للنّبيّ (ص) فقال : لا تفعل

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٣ ص٥٠٦.

فإنّك إن فعلت لم ترفع ضالّة[١].

فالمغيرة يعلم أنّ ما يقوم به يتنافى وقيم الإسلام، وهو مع ذلك يحرص ألاّ يعلم به رسول الله(ص)، ويدّعي أنّ المصلحة في بقاء ذلك خافياً على رسول الله(ص). و إذا كان ما يفعله مباحاً أو مشروعاً فلماذا يخشى أن يبلغ رسول الله(ص)؟! وإذا كان يكتم الأمور ويصرّ على كتمانها عن رسول الله (ص) في حياته، فكيف يتورّع أن يكتم من كلامه وفعله أو أن يضيف إلى كلامه وفعله بعد وفاته(ص)؟!

عن قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة أنّه كان قائماً على رأس رسول الله (ص) بالسّيف وهو ملثّم، وعنده عروة، قال فجعل عروة يتناول لحية النّبي (ص) ويحدّثه، قال فقال المغيرة لعروة: لتكفّنّ يدك عن لحيته أو لا ترجع إليك! قال فقال عروة: مَن هذا؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة؛ فقال عروة: يا غدر، ما غسلت رأسك من غدرتك بعد[٢]..

يريد عروة بن مسعود أن يقول لابن أخيه: " لا تتظاهر بغير حقيقتك، فإنّما أنت غدّارٌ غدرت برفقتك في السّفر، ولازالت غدرتك رطبةً طريّة ". وللعلم فإنّ مجيء عروة بن مسعود إلى رسول الله(ص) في صلح الحديبية كان بُعيد فعلة المغيرة.

قالوا: كان المغيرة بن شعبة من كبار المدمنين للشّراب، لم ينهه الإسلام وصحبة الرسول عليه السلام حتّى قال لصاحب له يوم خيبر: قدمت إلى الشّراب ومعي درهمان زائفان، فأعطني زكرتين[كذا]، فأعطاه، فصبّ في إحداهما ماء، وجاء بعضَ الخمارين فقال: كل بدرهمين، فكال في زكرته، فأعطاه الدرهمين فردّهما

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٦٣٨.
(٢) صحيح ابن حبان، ج ١٠ ص ٤٤٤.

وقال: هما زئفان، فقال: ارتجع ما أعطيتني، فكاله وأخذه، وبقيت في الزّكرة بقيّة فصبّها في الفارغة، ثمّ فعل ذلك بكل خمار بخيبر حتى ملأ زكرته ورجع ومعه درهماه. وهذا الفعل يجمع نذالةً وإثماً وخبثاً وسقوطاً"(1).

هكذا يتصرّف المغيرة بن شعبة في حياة النبي(ص)؛

في دولة أبي بكر:

قال الزّبيديّ: وفي حديث أبي بكر (رض) وقد شُكي إليه بعض عمّاله يعني المغيرة بن شعبة ليقتصّ منه فقال أنا أقيد من وزعة الله؟ أراد أأقيد من الّذين يكفّون النّاس عن الأقدامِ على الشّرِّ(2).

أقول: هذه منزلة المغيرة عند أبي بكر، " من وزعة الله " وهذه صفةٌ عظيمةٌ أو لقبٌ عظيمٌ، فما هي المعايير التي بنى عليها أبو بكر حكمه هذا؟ومتى كان المغيرة بن شعبة من وزعة الله؟ وهل هناك "وزعة" هم فوق الشّريعة والقصاص؟وهل اعتبر رسول الله(ص) المغيرة يوماً من وزعة الله؟

إنّ الأمر يزداد تعقيداً حينما نضمّ إلى عبارة الخليفة أبي بكر قول الإمام علي (ع) بخصوص المغيرة " لا يأخذ من الدّين إلا ما خالطته الدّنيا "، ومن كانت هذه صفته لا يمكن أن يكون من وزعة الله، إذ وزعة الله لا تهمّهم الدّنيا وزخارفها، ولا يخلطون نيّاتهم بالمصالح العاجلة؛ والخليفة أبو بكر في هذه المسألة يختلف تماما مع الإمام علي (ع)، ولا سبيل إلى الجمع بين القولين. فإذا كان المغيرة من وزعة الله كما يقول الخليفة أبو بكر فلماذا لم يعرف له بقيّة الصّحابة ذلك المقام؟! ولماذا بقوا

---

(1) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، ج ١ ص ٣٢٨.

(2) تاج العروس، الزبيدي، ج ٢٢ص٣١٩.

ينادونه "الأعور" ؟! على أنّ وزعة الله تعالى يكونون في صفّه لا في صفّ أعدائه، ويحبّون فيه سبحانه وتعالى ويبغضون فيه، وقد ثبت أن النّبي (ص) قال في حقّ الإمام علي(ع) يوم خيبر "يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله "[١] والمغيرة بن شعبة لم يبال بهذه المحبّة الإلهيّة، وإنّما كان معلناً ببغض أهل بيت النّبي (ص)جميعاً، فهل يصحّ أن يكون وزعة الله تعالى مبغضين لأحبّ الخلق إليه؟!

وللخليفة أبي بكر كلمات أخرى مشابهةٌ بخصوص من ينسجمون معه في مزاجه ومراده، منها قوله في حق خالد بن الوليد "سيفٌ سلّه الله على الأعداء" علماً أنّ رسول الله(ص) تبرّأ من عمل خالد ورفع صوته بذلك حتى سمعه كل من كان معه.ولو كان خالد سيفاً من سيوف الله لما تبرّأ رسول الله(ص) من فعله[٢]، لأنّه(ص) لا يتبرأ إلاّ مما هو مناف للإسلام.

ربّما كان كذلك لأنّه شارك في الهجوم على بيت فاطمة (ع)، فإنّ السقيفة منحت ألقاباً وحصانات لمن شارك في الهجوم على بيت فاطمة الزّهراء عليها

---

(١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٢ وج ٤، ص ٢٠ : و ج ٤، ص ٢٠٧ : وج ٥، ص ٧٦ : و، صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٩٥ : و، ج ٧، ص ١٢٠ و، ، ج ٧، ص ١٢٢ و، سنن ابن ماجه ، ج ١، ص ٤٤ـ٤٥ و ، ج ١ ، ص ٤٩٧ و سنن الترمذي ج ٣، ص ١٢٤ وج ٥، ص ٣٠٢ و، فضائل الصحابة ، النسائي ، ص ١٥ و، المستدرك ، الحاكم النيسابوري ، ج ٣، ص ٣٨ : و مسند أحمد ، ج ١، ص ٩٩ج ١، ص ١٨٥ و ج ١، ص ٣٣١ وج ٢، ص ٣٨٤ و ، ج ٤، ص ٥٢ و،، ج ٥، ص ٣٣٣ و، ج ٥، ص ٣٥٨ و..

(٢) في مصنف عبد الرزاق ج١٠ص١٧٤ تحت رقم ١٨٧٢١ أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال بعث النبي(صلى الله عليه وسلم) خالد بن الوليد إلى بني أحسبه قال جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد قتلا وأسرا قال ودفع إلى كل رجل منا أسيرا حتى إذا كان يوما أم رنا خالد أن يقتل كل واحد منا أسيره قال ابن عمر قلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره فقدمنا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له صنيع خالد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.

السّلام، ولم تسمح الرّقابة والحظر لأحد أن يتناول تلك الشّخصيات بعين النّقد والتّحليل والتّحقيق، وحتى حينما تخالف تلك الشّخصيّات القرآن الكريم والشّريعة المحمّدية فإنّ الإسعاف السريع جاهزٌ ببركة المشايخ(الأحبار والرّهبان) الذين اتُّخذوا أرباباً من دون الله، وتفنّنوا في خلق الانسجامات والتّوافقات، واجتهدوا في إطفاء كلّ ما من شأنه أن يندّد بالباطل.

عن ابن شهاب أنّ قبيصة بن ذؤيب أخبره أنّ الجدّة جاءت إلى أبي بكر الصديق تسأله حقّها، فقال: ما أعلم لك شيئاً، وسأسأل النّاس؛ فلمّا صلّى النّاس الصّبح سألهم فقال المغيرة بن شعبة: أنا سمعت رسول الله(ص) أعطاها السّدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقال محمّد بن سلمة: أنا سمعت رسول الله (ص) أعطاها ذلك؛ فأعطاها ذلك أبو بكر[1].

أقول: هذه مسألة فيها نظر عند مَن دينُه من قلبه بمكان، فإنّه لا يُعقل أن تكذَّب فاطمة والحسنان وعليٌّ وكلّهم مطهّرون بنصّ الكتاب العزيز، وتكذّب معهم المرأة الصّالحة أمّ أيمن، ويُصدّق المغيرة الذي غدر برفاقه في السّفر وقتلهم جميعاً ـ وكان عددهم ثلاثة عشر رجلاً ـ بعد أن سقاهم الخمر حتّى همدوا، وكان يتبجّح ـ فيما بعد ـ أنّه أوّل من رشا في الإسلام!

في دولة عمر

في تاريخ دمشق عن هشام عن محمّد قال: كان الرّجل يقول للرّجل غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة واستعمله على

(١) السنن الكبرى النسائي ج ٤، ص ٧٣.

الكوفة[١].

هكذا كان يتفكّه النّاس بسيرة عمر مع المغيرة. فقد عزله عن البصرة بعد الشهادة عليه بالزنا، ثمّ ولاّه الكوفة التي هي أكبر وأهمّ من البصرة، وبها أكابر الصحابة والقرّاء، وبهذا الفعل يكون قد حباه بترقية يستحقّها مَن قام بإنجاز كبير فترقّى من منصب إلى منصب أعلى منه.

قال ابن كثير: وكان نائبه على مكّة عتاب وعلى الشام أبو عبيدة وعلى العراق سعد، وعلى الطائف عثمان ابن أبي العاص، وعلى اليمن يعلي بن أميّة، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرميّ، وعلى عمان حذيفة بن محصن، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة، وعلى الموصل ربعيّ الأفكل، وعلى الجزيرة عياض بن غانم الأشعريّ[٢].

والعلاقة الحميمة بين المغيرة وعمر تعود إلى أيّام حياة النّبي (ص). ففي مسند أحمد عن سويد بن سرحان عن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله(ص)أكل طعاما ثمّ أقيمت الصّلاة فقام وقد كان توضّأ قبل ذلك، فأتيته بماء ليتوضّأ منه فانتهرني وقال: وراءك. فساءني والله ذلك ثمّ صلّى، فشكوت ذلك إلى عمر ! فقال: يا نبيّ الله، إنّ المغيرة قد شقّ عليه انتهارك إيّاه، وخشي أن يكون في نفسك عليه شيء. فقال النّبي (ص): ليس عليه في نفسي شيءٌ إلاّ خيرٌ، ولكن أتاني بماء لأتوضّأ، وإنّما أكلت طعاماً، ولو فعلته فعل ذلك النّاس بعدي[٣].

---

(١) تاريخ دمشق ، ابن عساكر ٦٠ ص ٤١.
(٢) البداية والنهاية، ج ٧ ص ٧٣.
(٣) مسند أحمد بن حنبل، ج٤ ص٢٥٣ (تحت رقم ١٨٢٤٤) .

أقول: النّبي (ص)على خلق عظيم، لا ينتهر لأجل قضيّة بسيطة، وقد علم النّاس تعامله مع الأعرابيّ الذي بال في المسجد؛ ويبدو أنّه انتهر المغيرة لقضيّة أخفاها المغيرة حتّى على عمر؛ ولولا وجود حميميّة بين المغيرة وعمر لما شكا إليه دون غيره! علماً أنّ شكوى رسولِ الله إلى غيره أمرٌ عظيمٌ! وكيف يسمح مسلمٌ لنفسه أن يشكو رسول الله الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ؟ أيكون المشكوّ إليه أرأفَ وأرحمَ من رسول الله(ص)؟ وكون الرّاوي هو المغيرة نفسه يجعل من المتعذّر معرفة القصّة على وجهها الصّحيح. وبما أنّ الله تعالى قد أطلع نبيّه(ص) على كثير من القضايا الغيبيّة كحرب الجمل، وحرب صفّين، وقتل الحسين(ع) وخروج الزبير على الإمام علي(ع) ظالماً له، ونبح كلاب الحوأب إحدى أزواجه(ص)،فإنّه لا يبعد أن يكون سبحانه وتعالى أطلعه على موقف المغيرة من حبيب الله ورسوله عليّ بن أبي طالب(ع)، وأنّه سوف يلعنه ويوظّف الخطباء للعنه، ويموت مصراً على ذلك، وساعتها لا غرابة في أن ينتهره النّبي (ص)لأنّه يستحقّ أكثر من الانتهار.

قالوا: افتتح عتبة بن غزوان الأبلّة، ثمّ اختطّ مسجد البصرة وأمر محجن بن الأدرع فاختطّ مسجد البصرة الأعظم وبناه بالقصب؛ ثمّ خرج عتبة حاجّاً وخلّف مجاشع بن مسعود، وأمره أن يسير إلى الفرات، وأمر المغيرة بن شعبة أن يصلّي بالنّاس، فلم ينصرف عتبة من سفره ذلك في حجّته حتّى مات، فأقرّ عمر المغيرة بن شعبة على البصرة (١).

وقال ابن عساكر: قتل عُمر وهو ـ أي المغيرة ـ على الكوفة(٢).

(١) الاستيعاب، ابن عبد البرّ، ج ١ ص ٣١٥ وج ٣ ص ١٠٢٧.
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ ص ٤٢.

لكن ابن كثير يقول: "لما استكمل عتبة فتح تلك النّاحية استأذن عمر في الحجّ فأذن له، فسار إلى الحجّ، واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبي رهم، واجتمع بعمر في الموسم وسأله أن يقيله فلم يفعل، وأقسم عليه عمر ليرجعنّ إلى عمله؛ فدعا عتبة الله عزّ وجلّ فمات ببطن نخلة وهو منصرفٌ من الحجّ، فتأثّر عليه عمر وأثنى عليه خيراً، وولّى بعده بالبصرة المغيرة بن شعبة، فوليها بقيّة تلك السّنة والتي تليها لم يقع في زمانه حدثٌ. وكان مرزوق السّلامة في عمله، ثمّ وقع الكلام في تلك المرأة من أبي بكرة، فكان أمره ما قدّمنا، ثم بعث إليها أبا موسى الأشعري والياً عليها (رض)". وهذا يطرح أكثر من سؤال، لأنّ الولاة عادةً يتعلّقون بأعمالهم ولا يطلبون الإقالة والإعفاء، وعتبة بن غزوان في القصّة المذكورة سأل عمر بن الخطاب أن يعفيه من عمله، فأبى عليه عمر! لماذا؟

يفصّل ابن عساكر ما دار بين عمر وعتبة فيقول: كان سعد بن أبي وقّاص يكتب إلى عتبة بن غزوان كتاب الأمير عليه، فأنِف من ذلك عتبة، وكتب إلى عمر أن يقدم عليه فأذن له، واستخلف المغيرةَ بن شعبة وخرج حتّى أتى عمر فشكا إليه تسليط سعد بن أبي وقّاص عليه، فسكت عمر عنه، فأعاد ذلك مراراً حتى إذا أكثر عليه فقال: وما عليك يا عتبة أن تقرّ بالإمارة لرجل من قريش له صحبةٌ مع رسول الله(ص) وشرفٌ! فلمّا قضى حاجته أمره عمر أن يرجع إلى عمله فأبى أن يفعل وحلف أن لا يرجع إليه أبداً ولا يلي عملاً[(١)]. وهذا يعني أنه لم يدعُ على نفسه بالموت!

ثم إنّ ههنا حرصاً من عمر بن الخطّاب على إذلال النّاس لكبراء قريش، ولو كان عتبة بن غزوان عاملاً لرسول الله(ص) و استعفاه لأعفاه، لأنّه لا إكراه في الدّين. ومع

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ص ٣٤.

ذلك فإنّ في ما استدلّ به عمر حجّةً على عمر نفسه، إذ كلّ ما أثبته عمر لسعد بن أبي وقّاص ثابتٌ لعتبة بن غزوان، وقد مرّ بك قولهم "هاجر عتبة بن غزوان إلى أرض الحبشة وهو ابن أربعين سنة، ثمّ عاد إلى رسول الله(ص) وهو بمكّة فأقام معه حتّى هاجر إلى المدينة مع المقداد، وكان من السّابقين". وهذا يعني أنّ له هجرتين، هجرةً إلى الحبشة وهجرةً إلى المدينة، وليس سعد بن أبي وقّاص من المهاجرين إلى الحبشة. وقد ذكر عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقّاص عيوباً حين رشّحه ضمن من رشّح للخلافة فقال له: " إنّما أنت صاحب مِقنب من هذه المقانب، تقاتل به، وصاحب قنص وقوس وأسهم، وما زُهرة[1]، والخلافة وأمور الناس" ! فأين قولُه من فعلِه؟!

ونقل ابن أبي الحديد عن الجوهريّ أنّ عثمان " أقبل على النّاس[في المسجد]، وقال : إنّ هاتين [يعني عائشة وحفصة] لفتّانتان، يحلّ لي سبّهما، وأنا بأصلهما عالمٌ. فقال له سعد بن أبي وقّاص: أتقول هذا لحبائب رسول الله (ص)! فقال: وفيم أنت وما ها هنا ! ثم أقبل نحو سعد عامداً ليضربه، فانسلّ سعدٌ. فخرج من المسجد، فاتبعه عثمان، فلقي عليّاً عليه السلام بباب المسجد، فقال له عليه السّلام: أين تريد ؟ قال: أريد هذا الذي كذا وكذا - يعنى سعداً يشتمه - فقال له علي(ع): أيّها الرّجل، دع عنك هذا. قال فلم يزل بينهما كلامٌ، حتى غضبا.. "[2]. فإذا كان سعد بن أبي وقّاص شريفاً بالقدر الذي يصوّره عُمر فلِمَ يعامله عثمان بهذه الطريقة المهينة، ويهمّ بضربه لولا أنّه انسلّ؟ وهل يُضرب الأشراف؟

---

(١)زهرة هي قبيلة سعد بن أبي وقاص.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٩ ص٥.

وقد مات عتبة بن غزوان بعد ذلك بمدّة قصيرة، ويبقى موته بهذه الطّريقة لغزاً للباحثين يشبه إلى حدّ بعيد موت سعد بن عبادة الذي ادّعوا أنّ الجنّ قتلته، وهذا معناه أنّ الجنّ صارت جهاز أمن سرّيّ في دولة السّقيفة. وهم قد ذكروا على كلّ حال أنّه دعا على نفسه بالموت كي لا يرجع إلى عمله!

عن مجالد عن الشّعبيّ قال: بعث عمر بن الخطّاب أوّل ما بعث إلى الكوفة أبا عبيد الثقفيّ أبا المختار فقُتل، فبعث سعد بن أبي وقّاص فمكث خمس سنين، ثمّ نزعه، ثمّ بعث عمّار بن ياسر فمكث سنةً ثمّ نزعه، وبعث المغيرة بن شعبة فمكث سنةً، ثمّ قُتل عمر؛ فلمّا ولي عثمان بعث سعداً إلى الكوفة فمكث سنةً ثمّ نزعه، وبعث الوليد بن عقبة فمكث خمس سنين ثمّ نزعه، وبعث سعيد بن العاص فمكث خمس سنين ثمّ نزعه وبعث أبا موسى الأشعريّ فمكث سنة، ثمّ قُتل عثمان وكانت الفتنة، ثمّ كان أوّل من أمّره معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة تسع سنين ثمّ مات[١].

عن معمر عن قتادة قال: اجتمع نفرٌ فيهم المغيرة بن شعبة، فقالوا: من ترون أمير المؤمنين مستخلفاً ؟ فقال قائلٌ: عليّ، وقال قائل: عثمان، وقال قائل: عبد الله بن عمر فإنّ فيه خلفاً، فقال المغيرة: أفلا أعلم لكم ذاك ؟ قالوا: بلى[٢]...

هكذا يتحدث المغيرة متأكّداً من النتيجة، فهو يستطيع أن يسأل عمر بن الخطّاب عن أشدّ الأمور حساسيّةً. وللمغيرة مثلها في دولة عليّ بن أبي طالب(ع).

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج٢٠ ص٣٦٧ (تحت رقم ٨٥٧) . ومجمع الزوائد، الهيثمي ج١٠ص١٢.
(٢) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٥ ص ٤٤٧ تحت رقم٩٧٦٢.

قالوا: .. ووافى معاوية بأهل الشّام، ووافى أبو موسى الأشعريّ وعمرو بن العاص، وهما الحكمان، وأبي علي وأهل العراق أن يوافوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي رأي أهل قريش: هل ترون أحداً يقدر على أن يستطيع أن يعلم أيجتمع هذان الحكمان أم لا ؟ فقالوا له: لا نرى أن أحداً يعلم ذلك، قال: فوالله إنّي لأظنني سأعلمه منهما حين أخلو بهما[١].

تقلب المغيرة في المناصب على عهد عمر

عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى أنّ عمر بعث على البصرة المغيرة بن شعبة ثمّ عزله عنها حين كان من أمر أبي بكرة ما كان، وبعث عليها أبا موسى، ثمّ بعث المغيرة على اليمن، ثمّ عزله عنها وبعثه إلى الكوفة، فقتل عمر وهو على الكوفة[٢].

أقول: يعزله ويولّيه، إن كان أهلاً للولاية فلماذا يعزله؟! وإن كان عزله بحقّ فلماذا يولّيه بعد ذلك؟! ثمّ بأيّ حقّ استحقّ هذا التّقلبّ في المناصب، إن قيل بدهائه قلنا إنّ الإسلام لا يقيم وزناً للدّهاء، وإنّما يحترم أولي المروءة والقائمين بالقسط من النّاس، ولم يولّ رسول الله(ص)شخصاً لأجل دهائه!

قال الطّبريّ: فخلا[عمر] في ناحية المسجد فنام، فأتاه المغيرة بن شعبة فكلأه حتى استيقظ فقال: ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم فهل نابك من نائب؟ قال وأيّ نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير، ولا يرضى عنهم أمير، وقال

(١) المصنف،عبد الرزاق الصنعاني، ج ٥ ص ٤٦٣.
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ص ٤٢.

في ذلك ما شاء الله[١]...

قال ابن خلدون: ثمّ ولّى عمر على الكوفة سنة إحدى و عشرين المغيرة بن شعبة و عزل عمّارا[٢].

وقد ذكروا أنّ المغيرة هو أوّل من دعا عمر "أمير المؤمنين". قال ابن عبد البرّ: وأما القصّة التي ذكرت في تسمية عمر نفسه أمير المؤمنين فذكر الزّبير قال: قال عمر لمّا ولي: كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله (ص) فكيف يقال لي خليفة خليفة رسول الله؟ يطول هذا. قال فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا ونحن المؤمنون، فأنت أمير المؤمنين قال: فذاك إذن[٣].

أقول: يقول المغيرة بن شعبة: "فنحن المؤمنون" وكأنّه يحمل تفويضاً من جميع المسلمين بأن يتكلّم باسمهم! لكن تبيّن في مواطن عدّة أنّهم كانوا ينادونه" يا أعور" خصوصاً في الفتنة التي عصفت بعثمان.

في دولة عثمان

أبدى المغيرة سروراً بمبايعة عثمان يوم بُويع، وزعم أنّه لو بويع غيره لما قبل! ولم يكن ذلك الـ"غير" سوى عليّ بن أبي طالب(ع). وبما أنّ عبد الرحمن بن عوف لم يعجبه كلام المغيرة فإنّه قال له بمحضر الصّحابة: "كذبت يا أعور، لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة"[٤]! فإذا كان الصّحابة من أمثال عبد الرحمن بن عوف لا

(١) تاريخ الطّبريّ، ج٢ ص٥٤٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ،ج ٢ ص ٥٥٦.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٣ص ١١٥٠.

(٤) تاريخ الطّبري، ج٢ ص ٥٨٣ و ص ٥٨٦.

يقبلون من المغيرة مثل هذا فكيف يصحّ لنا قبوله؟! لكنّ عثمان قِبل ذلك، و به وبأمثاله جعل المغيرة من بطانته حتى كان يقال " لمكانه من عثمان"[١].

في تاريخ المدينة ومسند ابن المبارك عن محمّد بن عبد الملك أنّ المغيرة بن شعبة دخل على عثمان بن عفّان وهو بالباب قد حاصروه، فقال: اختر إحدى ثلاث، إمّا أن يُخرق لك بابٌ سوى الباب الذي هم عليه فتخرج، ثمَّ تقعد على راحلتك فتلحق بمكّة، فإنّهم لن يستحلّوك وأنت بها؛ وإمّا أن تقعد على راحلتك فتلحق بالشّام، فإنّهم أهل الشّام وفيهم معاوية؛ وإمّا أن تخرج بمن معك، فإنّ معك عددا وقوّة تقاتل فإنّك على الحقّ وهم على الباطل. فقال عثمان: أمّا قولك أن أخرج على راحلتي حتّى ألحق بمكّة فإنّهم لن يستحلّوني وأنا بها فإنّي سمعت رسول الله(ص) يقول يلحد رجل من قريش بمكّة[٢] عليه نصف عذاب العالم فلن أكون إيّاه! وأمّا قولك أن أقعد على راحلتي فألحق بالشّام فإنّهم أهل الشّام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله(ص) فيها؛ وأما قولك أخرج بمن معك فلن أكون أوّل من خالف رسول الله(ص) بهراقة ملء محجمة من دم بغير حقّ"[٣].

هذا كلام المغيرة وهو يشير على عثمان وينصحه، بعد أن بلغ السيل الزّبى والحزام الطّبيين، ولم يقبل منه عثمان، ومع ذلك لم يغضب؛ وقد أشار المغيرة بضمير

(١) طالع قصّته مع الزّبير في تاريخ المدينة لابن شبة النميري، ج ١ص ١٢٦.

(٢) هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل: ج١ ص٦٧ والأحاديث المختارة: ج١ ص٥٢١ ومسند البزّار: ج٦ ص٣٤٨ ومجمع الزوائد: ج٣ ص٢٨٤ و ج٧ ص٢٣٠وتاريخ مدينة دمشق: ج٣٩ ص٣٨١ وأخبار المدينة: ج٢ ص٢٤٦ والصّواعق المحرقة: ج١ ص٣٢٧والسّيرة الحلبية: ج١ ص٢٨٤وفضائل الصّحابة لابن حنبل: ج١ ص٤٨٥والبداية والنّهاية: ج٧ ص٢١١و تاريخ الخلفاء: ج١ ص١٦١ والرجل الذي ألحد بمكّة هو عبد الله بن الزبير.

(٣) تاريخ المدينة لابن شبة ج ٤ ص ١٢١٢ومسند ابن المبارك ج١ ص١٥١ (تحت رقم ٢٤٦) و بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص: ٢٩٣ : (تحت رقم٩٧٩)

الجمع في قوله "فإنّهم لن يستحلّوك " وقوله " إنّك على الحقّ وهم على الباطل" فلماذا يقول المغيرة فيما بعد إنّ الإمام عليا(ع) هو الذي قتل عثمان؟ وهل كان الإمام علي(ع) ممّن حاصر عثمان؟! وقد شهد مروان بن الحكم وهو أقرب إلى عثمان من المغيرة أنّه " ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من عليّ "[١]، فلماذا يصرّ المغيرة على تهمة الإمام علي (ع).

وأنت ترى كيف ردّ عثمان على المغيرة جميع مقترحاته، لأنّ المغيرة لا يقترح إلاّ ما يكون له فيه فائدةٌ، وقد بيّن ذلك الإمام علي(ع) بوضوح حين قال لعمّار بن ياسر وعمّار يحاور المغيرة: "دعه يا عمّار فإنّه لا يأخذ من الدّين إلا ما خالطته الدنيا"!

عن جرير بن حازم قال، سمعت محمد بن سيرين يحدّث قال: لمّا قدم أهل مصر على عثمان (رض) قال المغيرة بن شعبة: إنّ القوم تفرّقوا في الدّور فليس أمرهم بشيء، وإن نزلوا زمزمةً واحدةً فأمرهم سديدٌ. قال: فنزلوا زمزمةً واحدةً، فقال: دعني فلآتهم، قال: فأتاهم المغيرة، فلما رأوه قالوا: إليك عنّا يا أعور ثقيف. فرجع إليه فأخبره بذلك، فدعا عليَّ بن أبي طالب فقال: آت هؤلاء فأعطهم كتاب الله. فأتاهم عليٌّ (رض) فعرض عليهم فأبوا عليه، فانصرف عنهم. فقال القوم: أتاكم ابن عمّ نبيّكم فعرض عليكم كتاب الله فرددتموه!! فبعثوا إلى عليّ (رض) فدعوه، وقبلوا ما أعطاهم، واشترطوا أشياء -قال ابن عون، عن ابن سيرين -: فمنها أشياء كتبوها في كتابهم، ومنها أشياء لم يكتبوها[٢].

أقول: وأنت ترى كيف خاطبوه وما خاطبوه به وهم أعلم بحاله،" إليك عنّا يا

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، ص٣٣.
(٢) تاريخ المدينة، ابن شبّة النميري، ج ٣ ص ١١٣٨.

أعور ثقيف "! وهم أعلم بحاله من محمّد بن الحسن الشّيبانيّ والذّهبي، لأنّهم معاصرون له، وشهادة المعاين شهادةٌ حقيقية مقدّمةٌ على ما يقوله الغائب عن الواقعة.

في دولة علي بن أبي طالب(ع):

أمّا في دولة عليّ بن أبي طالب(ع)فإنّ المغيرة لم يجد بُغيته، وظنّ أو لبّس على نفسه أنّ الإمام علياً (ع)قد يحتاج إلى دهائه شأن الخلفاء السّابقين، لكنّه وُوجه من البداية بتصرّف تمليه التّقوى وسلوك يحدوه الورع، وعباراتٌ معطّرةٌ بالذّكر الحكيم، فقرّر أن يلتحق بأصحاب الدّنيا يشاطرهم الكيد لأولياء الله تعالى. قال ابن عبد البرّ: ولمّا قُتل عثمان وبايع النّاس عليّاً دخل عليه المغيرة بن شعبة فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ لك عندي نصيحةً قال: وما هي؟ قال: إن أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة والزّبير بن العوّام على البصرة، وابعث إلى معاوية بعهده على الشّام حتّى تلزمه طاعتك، فإذا استقرّت لك الخلافة فأدرها كيف شئت برأيك. قال عليّ: أمّا طلحة والزّبير فسأرى رأيي فيهما، وأمّا معاوية فلا والله لا رآني الله مستعملاً له ولا مستعيناً به ما دام على حاله، ولكنّي أدعوه إلى الدّخول فيما دخل فيه المسلمون، فإن أبى حاكمته إلى الله؛ وانصرف عنه المغيرة مغضباً لما لم يقبل عنه نصيحته. فلمّا كان الغد أتاه فقال: يا أمير المؤمنين نظرت فيما قلت بالأمس وما جاوبتني به فرأيت أنّك وفّقت للخير، فاطلب الحقّ، ثمّ خرج عنه، فلقيه الحسن وهو خارجٌ فقال لأبيه: ما قال لك هذا الأعور؟ قال: أتاني أمس بكذا وأتاني اليوم بكذا قال: نصح لك والله أمس، وخدعك اليوم. فقال له عليٌّ: إن أقررت معاوية على ما في يده كنت متّخذ المضلّين عضداً. وقال المغيرة في ذلك:

نصحت عليّاً في ابن هند نصيحةً فردّ فلا يسمع له الدّهر ثانية
وقلت لـه أرسـل إليـه بـعـهـده على الشّام حتى يستقرّ معاوية
ويعلم أهل الشّـام أن قـد ملكته فأمّ ابن هـند عنـد ذلك هاوية
فلم يقبل النّصح الذي جـئـته به وكانت له تلك النّصيحة كافية[١]

أقول: انصرف المغيرة مغضباً لأنّ الإمام علياً(ع) لم يقبل نصيحته، مع أنّ النّصيحة ليست ملزمة بالاّتباع، وهذا في كلّ الثّقافات والملل لا يختلف فيه اثنان، لكنّ الذي يثير تعجّب اللّبيب، هو أنّ المغيرة بن شعبة يلزم غيره بما لا يلتزم به هو نفسه، ويرى لنفسه حقّاً على غيره ولا يرى للآخرين حقّاً عليه. فهو قد استشار عمّه عروة بن مسعود الثّقفي قبل الخروج إلى مصر، ونصحه عمّه بعدم الخروج، وقال له " ليس معك من بني أبيك أحدٌ"! وكُتب التّراجم والتّاريخ والأدب شاهدةٌ على أنّ عروة بن مسعود أفضل من المغيرة بن شعبة بلا نزاع، ومع ذلك خالف المغيرة وضرب بنصيحة عمّه عرض الحائط، وتصرّف كأن لم يحدث شيءٌ؛ وهذا يفيد أنّ المغيرة يعتقد بحقّ المنصوح في قبول النّصيحة أو ردّها، ومع ذلك غضب حين لم يعمل الإمام (ع) بنصيحته[٢]. ثمّ إنّ الإمام علياً(ع) لم يذهب إلى المغيرة يستنصحه، وإنّما المغيرة هو الذي تطوّع بنصيحته، فالمغيرة بذلك قد ذهب إلى مائدة لم يُدع إليها، ولو أنّ الإمام علياً(ع) قال له: "لا حاجة بنا إلى نصيحتك" لما رأى العقلاء في ذلك إلاّ عين الصّواب، لأنّ النّصيحة تكون في محلّها عند الاستنصاح أو الخوف على من

(١) الاستيعاب، ابن عبد البرّ، ج ١ ص ٤٥٤.

(٢) في سير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩ عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة أن المغيرة بن شعبة قال لعلي حين قتل عثمان اقعد في بيتك ولا تدع إلى نفسك فإنك لو كنت في جحر بمكة لم يبايعوا غيرك! وقال لعلي إن لم تطعني في هذه الرابعة لأعتزلنك! ابعث إلي معاوية عهده ثم اخلعه بعد فلم يفعل فاعتزله المغيرة باليمن فلما شغل علي ومعاوية فلم يبعثوا إلى الموسم أحدا جاء المغيرة فصلى بالناس ودعا لمعاوية!

يُراد نُصحه من الوقوع فيما يصعب عليه الخروج منه، وليس ذلك شأن الإمام(ع)؛ ومتى احتاج الإمام علي (ع)إلى أحد من قريش أو غيرها لمعرفة الحقّ والصّواب والنّبي (ص) يقول في حقّه "عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليّ، يدور معه حيث دار" ؟ وهو أعلم الأمّة وأقضاها بعد رسول الله(ص). أفمن كانت هذه حاله يحتاج إلى نصيحة مَن أثّر طول عبادة الأصنام في أقوالهم وأفعالهم؟! وهلاّ نصح المغيرة نفسه ليلة قتل رفاقه في السّفر ؟

لم يكن عليّ بن أبي طالب(ع)ليقبل نصيحة خاليةً من الورع، لأنه يرسم للأجيال صورة الحاكم الصّالح الذي لا تحفّزه المنافع الشّخصيّة، ولا يستهويه حبّ البقاء في المنصب، ولا كثرة الأنصار والمتعاطفين؛ لذلك تراه ردّ على المغيرة بن شعبة بمنطق قرآنيّ محض، واختصر الكلام في آية قرآنيّة عالية المضامين(وما كنت متّخذ المضلّين عضداً). فهو أعلم بمعاوية وحزبه، صحبهم صغاراً وكباراً فكانوا شرَّ صغار وشرَّ كبار[1]:

قال ابن حبّان : " في هذه السّنة كان فتح همدان ثانياً، وكانت قد انتقضت على أميرها المغيرة بن شعبة على رأس ستّة أشهر من مقتل عمر"[2]. ولم يتعرّض المؤرّخون وكتّاب السير والتراجم لسبب انتقاض همدان على المغيرة[3].

(١) قال الإمام علي(ع) كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [ج ٢ص ٢١٦] في وصف معاوية وحزبه: أيّها الناس إني أحقّ مَن أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ مُعاويَة وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وابن أبي سرح، وابن مسلمة، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرفُ بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال.ويْحَكُم إنّها كَلمةُ حقّ يُرادُ بها باطل !إنّهم ما رفعُوها أنّهم يعرفُونها ويعملُون بها ولكنّها الخَديعة والوهنُ والمَكيدة !أعيرُوني سَواعدَكم وجَماجمَكم ساعة واحدةً فقدْ بلغَ الحقّ مقطَعَهُ، ولمْ يبْقَ إلاّ أنْ يُقطعَ دابرُ الذين ظَلَمُوا.

(٢) الثقات، ابن حبّان ، ج٢ ص٢٤٣.

(٣) اختلفوا في تسمية من انتقضت عليه همذان، وهو عند ابن حبان المغيرة بن شعبة .

و مع أنّ الخلفاء كانوا يُعنون بالمغيرة ويولّونه على الأمصار، إلا أنّهم لم يكونوا يثقون فيه، بل كانوا يجبهونه أحياناً بقولهم " إنّك امرؤٌ فاسقٌ". اتّهم أبو بكر المغيرة بن شعبة إذ ردّ خبره في ميراث الجدّة حتّى شهد معه محمّد بن مسلمة، ذكر ذلك جماعة منهم الغزاليّ في المستصفى(١). و ذكر أبو جعفر الإسكافيّ أنّ المغيرة كان يضع الأحاديث القبيحة في أمير المؤمنين عليه السّلامُ بترغيب من معاوية بن أبي سفيان. واتّهمه عمر بن الخطاب إذ ردّ خبره في دِية الإملاص، فقد جاء في [تذكرة الحفّاظ] : " وروى هشام عن أبيه[عن] المغيرة بن شعبة : أنّ عمر استشارهم في إملاص المرأة ـ يعني السّقط ـ فقال له المغيرة : قضى فيه رسول الله (ص)بغرّة، فقال له عمر : إن كنت صادقاً فأت أحداً يعلم ذلك. قال : فشهد محمّد بن مسلمة أنّ رسول الله(ص)قضى به(٢).

أقول: يقول له عمر بن الخطّاب : " إن كنت صادقاً"، وهذا يعني أنّه لا يصدّقه، وكذلك كان أيضاً في قصّة العبّاس بن عبد المطّلب حين ذكر لعمر أنّ النّبي (ص) أقطعه البحرين، فقد شهد له المغيرة بن شعبة، لكنّ عمر بن الخطّاب لم يقبل شهادته، وغضب العبّاس يومها وأسمع عمر ما يكره، غير أنّ مقصّ الرّقابة حرمنا من قول العبّاس يومها، لأنّ كلّ ما من شأنه أن يمسّ شخص عمر ينبغي أن يحذف!

(١) المستصفى، الغزالي، ج ١ ص ١٣٥.

(٢) صحيح البخاري، ج ٨، ص ٤٥و مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، ج ٤، ص ٢٤٤ وفتح الباري، ابن حجر، ج ١٢، ص ٢٢١ وتغليق التعليق، ابن حجر، ج ٥، ص ٣٢٣وعمدة القاري، العيني، ج ٢٤، ص ٦٧ المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١٠، ص ٦١ و المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩، ص ٢٢٧ المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩، ص ٢٢٧و المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠، ص ٤٣٩و كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١٥، ص ١٢٦و تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٥٥، ص ٢٥٢و تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج ١، ص ٢و نيل الأوطار، الشوكاني، ج ٧، ص ٢٢٧.

وفي قضية استشارة عمر الناس في مسألة الجنين تطرحه المرأة، تشير أكثر الرّوايات في القضيّة تشير إلى أنّ عمر بن الخطاب " استشار النّاس "[١]، وفي رواية "سأل عن الجنين"[٢]، وهذا يدعو إلى العجب، لأنّ عُمر بن الخطّاب سمع رسول الله(ص) يقول: " أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها"، والقضيّة قضيّة علم لأنّها تتعلّق بالأحكام الشّرعيّة، والأحكام الشّرعية لا تثبت باستشارة العوامّ؛ هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنّ الروايات تذكر أنّ الواقعة نفسها حدثت في عهد أبي بكر وقضى فيها أبو بكر بشهادة المغيرة بن شعبة ومحمّد بن مسلمة. ذكروا أن الجدّة "جاءت إلى أبي بكر الصدّيق تسأله ميراثها في كتاب الله، فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شيءٌ، وما علمت لك في سنّة رسول الله (ص) شيئاً، فارجعي حتى أسأل النّاس؛ فسأل النّاس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله (ص) أعطاها السّدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمّد بن مسلمة الأنصاريّ فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر"[٣]. فإذا كان أبو بكر قد قضى لها وأنفذ لها، فما معنى سؤال عمر؟ اللهمّ إلاّ أن يكون ينسب في ذلك الخطأ إلى أبي بكر. وأعجب ما في المسألة أنّ محمّد بن مسلمة هو الذي شهد مع المغيرة في الواقعتين. ومحمّد بن مسلمة هذا معروف بعدائه للإمام علي (ع)، وقد كان رئيس جهاز مخابرات في دولة عمر بن الخطّاب، وهو الذي حرّق على سعد بن أبي وقّاص قصره بالكوفة، وله مع ذلك

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩ ص ٢٢٧.
(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩ ص ٢٢٧.
(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٩ ص ٢٢٩.

أحوال[١]. وتبقى المسألة محلّ تأمّل للمتدبّرين.

في دولة معاوية:

أمّا في دولة معاوية فإنّ المغيرة مارس التّملّق ممارسةً لم يسبقه إليها غيره، لذلك تركه معاوية أميراً على الكوفة مدى الحياة، بعد أن تحقّق لديه بغضه للإمام علي (ع). قال ابن حجر: وكانت إمارة المغيرة على الكوفة من قبل معاوية من سنة إحدى وأربعين إلى أن مات وهو عليها سنة خمسين[٢].

وفي تهذيب الكمال: قال أبو عمر بن عبد البرّ لمّا شُهد على المغيرة عند عمر عزله عن البصرة وولاّه الكوفة، فلم يزل عليها إلى أن قتل عمر، فأقرّه عثمان ثمّ عزله، فلم يزل كذلك واعتزل صفّين، فلماّ كان حين الحكمين لحق بمعاوية، فلمّا قتل عليٌّ وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولاّه عليها[٣].

وقال الطبراني: ثم كان أوّل من أمّره معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة تسع سنين، ثمّ مات، ثمّ بعث زياد بن أبيه فمكث أربع سنين[٤]...

وهكذا تأمّر المغيرة بن شعبة على البدريّين، وأنفق المال على المغنّيات، وغرق

---

(١) قال سهل بن أبي خيثمة رأيت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك على أجار من أجاجير المدينة فقلت له: أتفعل هذا؟ فقال: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا ألقى الله في قلب أحدكم خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها[المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤ص٣٩٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٣ ص١٦٢. ونقله المباركفوري في تحفة الأحوذي ج٤ ص٦٩ قال: كان المغيرة بن شعبة أميرا على الكوفة وكانت إمارة المغيرة على الكوفة من قبل معاوية من سنة إحدى وأربعين إلى أن مات وهو عليها سنة خمسين كذا في فتح الباري.

(٣) تهذيب الكمال، ج ٢٨ ص ٣٧٤.

(٤) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠ ص ٣٦٧.

في شهوة النّساء، وتحدّى مشاعر المسلمين بسبّ ولعن عليّ بن أبي طالب(ع)، كلّ ذلك بفضل المشاركة في الهجوم على بيت فاطمة(ع)وموالاة بني أميّة.

قال ابن حجر العسقلاني. كانت إمارة المغيرة على الكوفة من قبل معاوية من سنة إحدى وأربعين إلى أن مات وهو عليها سنة خمسين(١).

وعن معاوية بن صالح قال: مات المغيرة بن شعبة وهو وال لمعاوية على الكوفة(٢).

أقول: لم يتزحزح عن إمارة الكوفة إلاّ إلى قبره.

قال ابن عبد البرّ: وولى المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى قتل عمر (رض) فأقرّه عثمان يسيراً ثم عزله(٣).

أقول: لقد كان للمغيرة بن شعبة منزلة عند حكّام بني أميّة، لكنّ ذلك لم يكن ليجعله أحدهم رغم كلّ ما قام به في خدمتهم، ولذلك ترى عثمان بن عفّان يقرّه قليلاً على ولاية الكوفة ثمّ يعزله، ليجعل مكانه سعداً تمهيداً لولاية أمويّ سمّاه القرآن الكريم فاسقاً(٤).

عن المدائني، عن مسلمة بن محارب، قال: قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب (رض): ألا تتزوّج أم كلثوم بنت أبي بكر، فتحفظه بعد وفاته، وتخلفه في أهله. فقال: عمر: بلى، إنّي لأحبّ ذاك؛ فاذهب إلى عائشة، فاذكر لها ذلك، وعد إليّ

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج ٣ ص١٦٢.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ ص٥٦.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٢ ص ٦٠٩.

(٤) اتفق المؤرخون أن قول الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [الحجرات: ٦]" في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر، فأجابته إلى ذلك، وقالت له: حبّاً وكرامةً. ودخل عليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة، فرآها مهمومة[١]، فقال لها: مالك يا أمّ المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر، وقالت: إنّ هذه جاريةٌ حدثةٌ، وأردت لها ألين عيشاً من عمر. فقال لها: عليّ أن أكفيك. وخرج من عندها، فدخل على عمر، فقال: بالرّفاء والبنين، قد بلغني ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله، وخطبتك أمّ كلثوم. فقال: قد كان ذاك. قال: إلاّ أنّك، يا أمير المؤمنين، رجل شديد الخلق على أهلك، وهذه صبيّةٌ حديثة السّنّ، فلا تزال تنكر عليها الشّيء، فتضربها فتصيح: يا أبتاه! فيغمّك ذلك، وتتألّم له عائشة، ويذكرون أبا بكر، فيبكون عليه، فتجدّد لهم المصيبة به، مع قرب عهدها في كلّ يوم. فقال له: متى كنت عند عائشة، واصدقني؟ فقال: آنفاً. فقال عمر: أشهد أنّهم كرهوني، فتضمن لهم أن تصرفني عمّا طلبت، وقد أعفيتهم. فعاد إلى عائشة، فأخبرها بالخبر، وأمسك عمر من معاودتها[٢].

.....عبد الملك بن عبيد الله الثقفيّ عن أشياخ من ثقيف والهذليّ ويعقوب بن داود عن أبيه وغيرهم يزيد بعضهم على بعض أن المغيرة بن شعبة قال لزياد وهو بفارس وجهه إليه معاوية: أبا المغيرة خذ لنفسك من هذا الرجل قال أشر علي فإن المستشار مؤتمن؛ قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وتعير الناس منك أذنا صماء! قال: قلت ما لا يكون يا ابن شعبة، مغرس في غير منبته لا عرق يسقيه ولا مدرة[٣] !

(١) المفروض أن نساء النبي(ص) لا يُسألن إلاّ من وراء حجاب، لكن المغيرة هنا رآها، هكذا تقول الرواية. فكيف رآها وهو ليس لها بمحرم؟!

(٢) إمتاع الأسماع، المقريزي، ج ٦، ص ٢٠٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ١٩ ص ١٣٠.

أقول: لا بأس أن يعير زياد الناس منه أذنا صماّء، لكن هل يعير رسول الله(ص) أيضا أذنا صمّاء؟ما العمل مع قول النّبي(ص): الولد للفراش وللعاهر الحجر؟ وقول الله تعالى (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله...)و هل هناك أرذل ممّن ينتفي من أبيه لينتسب إلى زانٍ؟ و إنّما فضح الله أعداء الإمام علي (ع)، فأحدهم ينتفي من أبيه، و الآخر يشهد على أبيه بالزّنا، وثالث بينهما يزيّن ذلك.

وحينما يكون المغيرة بن شعبة أميراً فإنّه يتصرّف بالمزاج، ويزيّن الأعمال القبيحة، ويسجّل البخاريُّ ذلك في باب المعرفة! فعن يونس عن أبي إسحاق عن المغيرة بن شعبة، قال رجلٌ: أصلح الله الأمير، إنّ آذنك يعرف رجالاً فيؤثرهم بإذن؛ قال: عَذَره الله، إنّ المعرفة لتنفع عند الكلب العقور وعند الجمل الصّؤول[1]...

عن زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجّاج بن يوسف، قال: كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشّيباني تنازعٌ، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتى طمع فيه مصقلة. واستعلى عليه، فشتمه. فقدّمه المغيرة إلى شريح، وهو القاضي يومئذ، فأقام عليه البيّنة، فضربه الحدّ. فآلى مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيّاً، وخرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثمّ دخل الكوفة، فتلقّاه قومه، وسلّموا عليه. فما فرغ من التّسليم حتّى سألهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننّا أنّك تريد أن ترجم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتّى وقف على قبره، ثمّ قال: والله لقد كنت ما علمت نافعاً لصديقك، ضائراً لعدوّك، ما مثلك إلاّ كما قال مهلهل في أخيه كليب:

(١) الأدب المفرد، البخاري، ص ٢٧٥ تحت رقم١٣٣٢.

إنّ تحت الأحجار حزماً وعزماً... وخصيما ألدّ ذا معلاق

حيّةً في الوجار أربد لا ينـ... فع منه السّليم نفث الرّاقي

وأخبرني بهذا الخبر محمّد بن خلَف بن المرزبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد، عن الشعبيّ: أنّ مصقلة قال له: والله إنّي لأعرف شبهي في عروة ابنك. فأشهد عليه بذلك، وجلده الحدّ. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله[1].

دور المغيرة في بيعة يزيد:

قالوا: وكان ابتداء بيعة يزيد وأوّله من المغيرة بن شعبة، فإنّ معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة، ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك، فسار إلى معاوية، وقال لأصحابه: إن لم أكسبكم ولايةً وإمارةً لا افعل ذلك أبداً[2]....

وتفصيل القصّة أنّ المغيرة رجع إلى الكوفة، وأوفد مع ابنه موسى عشرةً ممّن يثق بهم من شيعة بني أميّة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، فقدموا عليه، وزيّنوا له بيعة يزيد... ثم قال (معاوية) لموسى سرّاً: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً، قال: لقد هان عليهم دينهم!!.

وقد انبرى بعض المتأخّرين للدفاع عن المغيرة زاعمين أنّه لا علاقة له ببيعة يزيد، ودليلهم في ذلك أنّهم يستبعدونه كما استبعد ابن كثير وابن خلدون قبلهم سمَّ الحسن من طرف معاوية؛ وما أسهل الاستبعاد.

(١) الأغاني، الأصفهاني، ج ٤ ص ٢٧٩.

(٢) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير، ج ٣ ص ٢١٤ ـ٢١٥ وتاريخ الطبري ج ٦ ص ١٦٩١٧٠.

المغيرة والرّياء[١]:

موقف الإسلام من الرّياء معلومٌ، فليس إلى تبريره سبيلٌ. وكلّما ابتعد الإنسان من الرّياء ازداد معرفةً بربّه، كما أنّه كلّما ازداد رسوخاً فيه ازداد ولاؤه للشّيطان، حتى يغدو هو نفسه شيطاناً من شياطين الإنس.

ولا تكاد تجد أمّة من الأمم إلاّ وهي تمقت الرّياء، وتعدّه من خوارم المروءة، سواءٌ كانت الأمّة متديّنةً أو غير متديّنة؛ وقد ورد في الحديث النّبويّ الشّريف أنّ المرائي يُنادَى يوم القيامة "يا فاسقُ"، " يا فاجرُ"،"يا كافرُ"، وهو نداءٌ يدلّ على عظم الجريمة والحرص على فضح صاحبها في ذلك الموقف الرّهيب. وقد حذّر النّبي (ص) من الرّياء حتى عدّه الشّركَ الأصغرَ[٢]، وهذا يعني أنّ المرائيَ مشركٌ، فهو وإن

(١) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي [ج ٧، ص ٤٤]: قال الحافظ في الفتح الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد وهو مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها. والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر. انتهى وقال الغزالي: الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة من السماع وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإرائهم الخصال المحمودة فالرياء هو إراءة العبادة بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمرائي له هو الناس والمراءى به هو الخصال الحميدة والرياء هو قصد إظهار ذلك (من يرائي يرائي الله به) بإثبات الياء في الفعلين على أن من موصولة مبتدأ والمعنى من يعمل عملا ليراه الناس في الدنيا...

(٢) الأحاديث في التحذير من الرياء كثيرة منها: مسند احمد ، الإمام احمد بن حنبل ، ج ٢، ص٢١٢: عن الأعمش عن عمرو ابن مرة قال كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبي يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله (ص)من سمع الناس بعمله سمع الله بن سامع خلقه يوم القيامة فحقره وصغره. وفي مسند احمد ، الإمام احمد بن حنبل ، ج ٥، ص ٤٢٨:
عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله (ص)قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء.وفي سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد

كان لا يشرك بالله صنماً أو شيطاناً إلاّ أنّه يشرك معه نفسَه فيعبدها وينقاد لها ويضحّي لأجل أن يقال عنه فعل، وهذا معناه أنّه لا يعمل لله تعالى، وإنّما يعمل لتحصيل ما وراء شهوة السُّمعة والشُّهرة. فأهمُّ شيء عنده أن يقال عنه "فعل"! قال ابن أبي الحديد: وقد جاء في الآثار من النّهى عن الرّياء والسّمعة كثيرٌ، روى عن النّبي (ص)أنّه قال " يُؤتَى في يوم القيامة بالرّجل قد عمل أعمال الخير كالجبال

القزويني ، ج ٢، ص ١٣٢١ : أن عمر بن الخطاب خرج يوما إلى مسجد رسول الله (ص) فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبي (ص) يبكى فقال : ما يبكيك ؟ قال : يبكيني شيء سمعته من رسول الله (ص). سمعت رسول الله (ص) يقول " إن يسير الرّياء شرك. وإن من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة. إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا. وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا. قلوبهم مصابيح الهدى. يخرجون من كل غبراء مظلمة ".وفي مستدرك ، الحاكم النيسابوري ، ج ١ ص ٤وج ٣، ص ٢٧٠ و ج ٤، ص ٣٢٨ و، المستدرك ، الحاكم النيسابوري ، ج ٤، ص ٣٢٨: أن عمر خرج إلى المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله (ص)وآله يبكى فقال ما يبكيك يا معاذ قال يبكيني حديث سمعته من رسول الله (ص) وآله يقول اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة. هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين وقد احتجا جميعا بزيد بن أسلم.وفي مجمع الزوائد للهيثمي ج ١ ص١٠٢ : عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قال وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء. وفي مجمع الزوائد، الهيثمي ، ج ٨، ص ٩٦ : وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقوم في الدنيا مقام رياء وسمعة إلا سمع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة.وفي مجمع زوائد للهيثمي [ج ١٠، ص ٢٢٠]عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله (ص) بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والتمكين في الأرض وهو يشك في الثالثة قال فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب. رواه أحمد وابنه من طرق ورجال أحمد رجال الصحيح. وفي مجمع الزوائد أيضا [ج ١٠، ص ٢٢٢] يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج وربما قال كأنه حمل يقول يا ابن آدم أنا خير قسيم أنظر إلى عملك الذي عملته فأنا أجزيك به وانظر إلى عملك الذي عملته لغيري فيجازيك على الذي عملت له .

ـ أو قال كجبال تهامة ـ وله خطيئةٌ واحدةٌ، فيقال إنّما عملتها ليقال عنك، فقد قيل، وذاك ثوابك وهذه خطيئتك، أدخلوه بها إلى جهنّم "[١].

نعم، الرّياء شركٌ، لأنّ المرائيَ حالَ ريائِه ينسى الله تعالى، فلا يكون لعظمته جلّ شأنه في تصوّره وجودٌ، بل يكون هناك إلهٌ آخرُ ينفخ فيه النّشوة والحماس، وذلك الإله هو الهوى، وقد سمّاه القرآن الكريم فعلاً "إلهاً" حيث قال (أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً)[٢]. ولا يزال المجتمع بخير ما دام أهل الرّياء فيه قلّةً، فإذا كثُروا وتسلّقوا المناصب والمسؤوليّات دخل المجتمع فيما لا قبل له به من المغامرات والحماقات والفتن، وتعطّلت فيه المواهب، وكثرت الدّعاوى، وسيطر السفهاء، وانزوى العقلاء، واختلطت الأمور. وما أكثر الذين قضوا سنين من أعمارهم في السّجون لأجل سلوك تافه أملاه الرّياء وحبّ الرّياء في لحظة ما، فكانت الخسارة التي لا تُجبر. والمرائي في الحقيقة يعيش في عالم وهميّ محدود، وهو يتصوّر أنّه يحوط نفسه ويحميها ويضعها في مكان مناسب في المجتمع، وقد يؤدّي به الرّياء إلى قطيعة الرّحم أو المشاركة في سفك دماء أهلها أبرياء.

وإذا عدنا إلى تراثنا وما تضمّنه من كتب أخلاقيّة وأدبيّة وغيرها، فإنّنا نجد العلماء يتفنّنون في البيان والشّرح، ويبيّنون للنّاس مضارّ الرّياء وسوء عاقبته، ويضربون لذلك الأمثال، حتى إذا ثبت الرّياءُ من طرف صحابيّ معروف تراجعوا عن كلّ ما أسلفوه وسكتوا عن الحقّ على طريقة الشّيطان الأخرس، وداهنوا في دين الله لا لشيء سوى أنّ مشايخهم أوصوهم بما أوصاهم به مشايخهم عن مشايخهم

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٢٥.
(٢)الفرقان:٤٣.

الأوائل، أنّ الصّحابيّ مُعفىً من الشّريعة والعدل، وعليكم أن تلتمسوا له الأعذار مهما أوغل في الباطل، لأنّه رأى رسول الله(ص) وسمع منه! وهذه كتب التّراث شاهدةٌ على ذلك. ففي مصنّف ابن أبي شيبة [..] عن سعيد بن سويد: صلّى بنا معاوية الجمعة بالنّخيلة في الضّحى ثمَّ خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وقد أعرف أنّكم تفعلون ذلك، ولكن إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون"[1]. وهذا إقرارٌ وتصريحٌ من معاوية أنّه يستحلّ قتال المسلمين من أجل الوصول إلى الحكم، ولا يكون ذلك إلاّ من شدّة حبّ الرّياسة، وحبّ الرياسة أكبرُ أقسام الرّياء وأبغضُها إلى الله تعالى ؛ لكن، هل يتجرّأ المحدّثون والرّواة والشرّاح على ذكر ذلك أو التّلميح إليه ولو من بعيد؟! هل تعرّض الذّهبي أو ابن تيمية أو ابن كثير أو ابن حجر أو السّبكيّ إلى شيء من ذلك؟! أبداً، ولا ينبغي لهم، لأنّ عدالة جميع الصّحابة بسحرها الخلاّب في وسعها قلب الحقائق وتحقيق المعجزات، فيتحوّل الرّياء المذموم عند الله تعالى إلى اجتهاد للصّحابيّ الجليل، والمجتهد مأجورٌ في كلّ الأحوال، أخطأ أم أصاب! ومن هذا الباب حينما يرفع المغيرة بن شعبة صوته قائلا: "أنا أوّل من رشا في الإسلام " فإنّه لا حرج عليه، لأنّه صحابيّ! وإن يكن النّبي(ص) قد لعن الرّاشي والمرتشي والسّاعي بينهما، فإن اللّعنة ستصطدم بعدالة الصّحابة وتفقد وزنها، وتبقى للمغيرة حصانته التي تزول الجبال ولا تزول هي! هكذا شاءت ثقافة الكرسيّ باسم الإسلام، فليكن كذلك.

في مصنّف ابن أبي شيبة أنّ عليّ بن أبي طالب (ع) قال لجماعة من أهل الكوفة

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٢٥١ الحديث رقم ٢٣.

سألوه: أظنّ المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنّه كان أحدثّ النّاسّ عهداً برسول الله (ص)؟ قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك. قال: أحدث النّاس عهداً برسول الله (ص) قُثم بن عبّاس[1].

و المسألة نفسها في تاريخ الطّبريّ: (قال ابن إسحاق) وكان المغيرة بن شعبة يدّعى أنّه أحدث النّاس عهداً برسول الله (ص) ويقول أخذت خاتمي فألقيته في القبر وقلت: إنّ خاتمي قد سقط. وإنّما طرحته عمداً لأمسّ رسول الله فأكون آخر النّاس به عهداً. عن عبد الله بن الحارث قال اعتمرت مع عليّ بن أبى طالب في زمان عمر أو زمان عثمان فنزل على أخته أمّ هانئ بنت أبي طالب. فلمّا فرغ من عمرته رجع وسكبت له غسلا فاغتسل، فلمّا فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا: يا أبا الحسن جئناك نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا به. فقال: أظنّ المغيرة يحدّثكم أنّه كان أحدث النّاس عهداً برسول الله (ص)؟! قالوا: أجل، عن ذا جئناك نسألك قال: كذب؛ كان أحدثَ النّاس عهداً برسول الله قثمُ بن العبّاس[2].

لكن المغيرة يقول: إنّي آخر النّاس عهداً برسول الله (ص)، حفرنا له ولحدنا له لحداً، فلما دفنّاه وخرجوا ألقيت الفأس في القبر فدخلت فأخرجتها ومسحت على النّبي(ص)[3].

وقد روى ابن سعد وغيره ما يكذّب المغيرة في دعواه. وفي هذا الصّدد قال ابن عبد البر في الاستيعاب: وأصحّ ذلك أنّه نزل في قبره العبّاس عمّه وعليّ ـ رضي الله

(١) سير أعلام النّبلاء، الذهبي، ج٥ ص٢٩٠.
(٢) تاريخ الطّبريّ، ج ٢ ص ٤٥٢ و٤٥٣.
(٣) الآحاد والمثاني، الضحاك، ج ٣، ص ٢٠٠.

عنهما ـ معه وقثم بن العبّاس والفضل بن العبّاس؛ ويقال كان أوس بن خولي وأسامة بن زيد معهم، وكان آخرَهم خروجاً من القبر قثمُ بن العبّاس، وكان آخر النّاس عهداً برسول الله. ذكر ذلك ابن عبّاس وغيره وهو الصّحيح. وقد ذُكر عن المغيرة بن شعبة في ذلك خبر لا يصحّ، أنكره أهل العلم ودفعوه (١).

هكذا يقول ابن عبد البرّ: " خبر لا يصحّ، أنكره أهل العلم ودفعوه ".

و في ترجمة قُثم بن العباس : استشهد قثم بسمرقند، قال ابن عبّاس: هو آخر النّاس عهداً برسول الله (ص)، وذلك أنّه كان آخرَ من خرج من قبره ممّن نزل فيه، وقد ادّعى ذلك المغيرة بن شعبة لقصّة ذكرها، فأنكر ذلك ابنُ عبّاس وقال: آخرُ النّاس عهداً بالنّبي(ص)قثمُ بن العبّاس، وقد روى عن عليّ مثل ذلك سواء في أنّه أنكر ما ادّعى المغيرة من ذلك وقال آخرُ النّاس عهداً بالنّبي (ص)قثم بن العباس (٢).

وهذا يعني أنّ الإمام علياً(ع) وابنَ عبّاس(رض) يدفعان ما يدّعيه المغيرة، وهما قد حضرا الدّفن قطعاً، ولا يقدح في حفظهما قادحٌ.

و في الاستيعاب أيضاً: عن أبي عمران الجونيّ عن أبي عسيم قال لما قبض النّبي(ص) قالوا : كيف نصلّي عليه؟ قال: ادخلوا من هذا الباب أرسالاً أرسالاً، ثمّ صلّوا عليه واخرجوا من الباب الآخر؛ قال: فلمّا وضعوه في لحده قال المغيرة بن شعبة: إنّه قد بقي من قبل قدميه شيء لم يصلح قالوا: فادخل فأصلحه[!] فدخل فمسّ قدمي النّبي(ص) (٣).

(١) الاستيعاب، ابن عبد البرّ، ج١ ص٤٨ [ط دار الجيل ١٤١٢هـ].
(٢) المصدر السابق، ج٣ ص ١٣٠٤.و تهذيب الأسماء، ج٢ص ٣٧٠.
(٣) المصدر السابق، ج٤ ص ١٧١٥.

وأنت ترى المغيرة لا يثبت على قول واحد، فتارةً يقول: أخذت خاتمي فألقيته في القبر، وقلت إنّ خاتمي قد سقط، وإنّما طرحته عمداً لأمسّ رسول الله فأكون آخرَ النّاس به عهداً؛ وأُخرى يقول: إنّه قد بقي من قبل قدمي النّبي(ص)شيءٌ لم يصلح [قالوا فادخلْ فأصلحْه] فدخل فمسّ قدمي النّبي (ص). وثالثةً يقول: ألقيت الفأس في القبر، فدخلت فأخرجتها ومسحت على النّبي. وأُخرى يزعم أنّ ذلك كان بعد تمام الدّفن، وأنّهم فتحوا فتحةً في القبر[1]. على أنّ الحاكم النيسابوري يروي في مستدركه ما يبيّن أنّ علي بن أبي طالب (ع)كان عارفاً بما يرمي إليه المغيرة؛ فعن عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ عن أبيه عن جدّه قال: قال عليٌّ رضي الله عنه لما ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر النّبي(ص): لا يتحدّث النّاس أنّك نزلت في قبر النّبي (ص) ولا تحدّث أنت النّاس أنّ خاتمك في قبره، فنزل عليٌّ رضي الله عنه وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه[2].

وحتى على فرض أنّ المغيرة نزل فعلاً في قبر النّبي (ص)كما يدّعي فإنّه لا يعدو أن يكون لِضعَته وإفلاسه من القيم لا يبالي أن يحاول استغلال أعظم مصيبة حلّت بالمسلمين لإشباع شهوة الرّياء والسّمعة في نفسه. فهو متّهمٌ بالزّنا، والنّاس أمثال عبد الرحمن بن عوف والمصريّين ينادونه يا "أعور"، وعمر بن الخطاب يجبهه بقوله: "أنت رجلٌ فاسقٌ" فأيّ سبيل إلى المعالي والهمم بعد هذا إلاّ الكذب، ولا شيء غير الكذب؟! و بينما يحزن المسلمون لوفاة النّبي(ص) وانقطاع الأخبار من السّماء،

---

(١) في المغني ج٢ ص٢١٦: قيل فإن أعطاه أولياء الميت قال إن أعطوه حقه أي شيء يريد وقد روي أنّ المغيرة بن شعبة طرح خاتمه في قبر النبي(ص)ثمّ قال خاتمي! ففتح موضع منه فأخذ المغيرة خاتمه فكان يقول أنا أقربكم عهدا برسول الله(ص).

(٢) المستدرك الحاكم، النيسابوري، ج ٣ ص ٤٤٨.

يخطّط المغيرة كيف يفتخر على غيره من النّاس بأنّه آخرهم عهداً برسول الله(ص).

مرّة ألقى المغيرة خاتمه ومرّة ألقى الفأس! وهذا معناه أن النّبي (ص)دفن مرّتين!! اللهمّ إلاّ أن يكون المغيرة ألقاهما جميعا في آن واحد! وحتّى يضحك المغيرة على عقول المسلمين كما يحلو له، يوهم أنّ ذلك كان بإذن من عليّ بن أبي طالب (ع). ففي المطالب العالية: قال أحمد بن منيع حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد عن الشّعبي، عن المغيرة بن شعبة (رض) قال: كان يحدّثنا هاهنا بالكوفة فقال أنا آخر النّاس عهداً برسول الله قال: لمّا خرج علي بن أبي طالب من القبر ودفن النّبي ألقيت خاتمي فقلت: يا أبا الحسن خاتمي! قال: انزل فخذ خاتمك. فنزلت وأخذت خاتمي ووضعته على الكفن ثمّ خرجت[1].

لكنّ عليّ بن أبي طالب (ع) يُكذّب هذا في جمع من النّاس من أهل الكوفة ويقول: أظنّ المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنّه كان أحدث النّاس عهداً برسول الله (ص)؟! قالوا : أجل عن ذلك جئنا نسألك. قال: أحدث النّاس عهداً برسول الله (ص) قُثم بن عبّاس[2].

والكلام في طبقات ابن سعد أصرح وأبلغ في نفس المغيرة، فعن عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم أنّ المغيرة بن شعبة ألقى في قبر النّبي (ص) بعد أن خرجوا خاتمه لينزل فيه، فقال عليّ بن أبي طالب: إنّما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه فيقال نزل في قبر النّبي (ص)، والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً ومنعه. أخبرنا محمّد

---

(١) المطالب العالية، ج١٧ ص٥٥٠ تحت رقم ٤٣٣٢.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ١ص ٩٠٧وسير أعلام النّبلاء ج٥ ص٢٩٠. و ، مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٠٠.

بن عمر حدثني عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي عن أبيه قال: قال علي بن أبي طالب :لا يتحدّث النّاس أنّك نزلت فيه ولا يتحدّث الناسُ أنّ خاتمك في قبر النّبي (ص) ونزل عليّ وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه. أخبرنا محمّد بن عمر حدثني حفص بن عمر عن عليّ بن عبد الله بن عبّاس قال، قلت: زعم المغيرة بن شعبة أنه آخر الناس عهداً برسول الله (ص)؟ قال: كذب والله، أحدث النّاس عهداً برسول الله (ص) قُثم بن العبّاس، كان أصغرَ من كان في القبر وكان آخرَ من صعد[١].

وفي رواية لمّا خرج عليّ من القبر ألقى المغيرة خاتمه في القبر وقال لعليَ خاتمي! فقال عليَ للحسن بن عليَ: ادخل فناوله خاتمه ففعل[٢].

ولعلّ هذا ما كان يلهب قلب المغيرة حقدا على الإمام علي (ع) حتى أقام خطباء يسبّونه ويلعنونه.

وروى ابن سعد عن عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم أنّ المغيرة بن شعبة ألقى في قبر النّبي (ص)بعد أن خرجوا خاتمه لينزل فيه فقال عليّ بن أبي طالب: إنّما ألقيت خاتمك لكي تنزل فيه فيقال نزل في قبر النّبي (ص)،والذي نفسي بيده لا تنزل فيه أبداً ومنعه. أخبرنا محمّد بن عمر حدّثني عبد الله بن محمّد بن عمر بن عليّ عن أبيه قال: قال عليّ بن أبي طالب لا يتحدّث النّاس أنّك نزلت فيه ولا يتحدّث النّاس أنّ خاتمك في قبر النّبي (ص)، ونزل عليّ وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه[٣].

وقد علّق ابن كثير بقوله: وهذا الذي ذكر عن المغيرة بن شعبة لا يقتضي أنّه

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٢ ص ٣٠٣.
(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٢ص٣٠٢.
(٣) نفس المصدر، ج٢ ص٣٠٣.

حصل له ما أمّله، فإنّه قد يكون عليّ رضي الله عنه لم يمكّنه النّزول في القبر بل أمر غيره فناوله إيّاه، وعلى ما تقدّم يكون الذي أمره بمناولته له قُثم بن عبّاس. وقد قال الواقديّ: حدّثني عبد الرّحمن بن أبي الزّناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر رسول الله (ص) فقال عليّ إنّما ألقيته لتقول نزلت في قبر النّبي(ص) فنزل فأعطاه أو أمر رجلا فأعطاه[1]. وبنفس المعنى في السّيرة[2].

وفي جوامع الكلم: وقد قيل: إنّ المغيرة بن شعبة نزل في قبره بحيلة[3].

أقول: بئس العمل أن يمارس الرّجل الحيلة عند قبر رسول الله(ص)وأثناء دفنه لا لشيء إلاّ ليقال إنّه آخر النّاس عهداً به(ص).

وحكم الذّهبي على رواية المغيرة بالانقطاع. قال الذّهبي: قال ابن إسحاق : وكان المغيرة بن شعبة يدّعي أنّه أحدث النّاس عهداً برسول الله (ص) قال : أخذت خاتمي فألقيته في قبر النّبي (ص) وقلت حين خرج القوم : إنّ خاتمي قد سقط في القبر، وإنّما طرحته عمداً لأمسّ رسول الله(ص) فأكون آخر النّاس عهداً به. هذا حديث منقطعٌ[4].

وإلى نفس المنحى يميل ابن حبّان،فقد قال : ونزل في قبر رسول الله(ص) عليّ

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٤ ص٥٣٧.

(٢) في سيرة ابن كثير [جزء ٤ ، ص ٥٣٧] : و قد قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال علي : إنما ألقيته لتقول : نزلت في قبر النبي(ص) فنزل فأعطاه أو أمر رجلا فأعطاه.

(٣) جوامع الكلم، ج١ ص٦.

(٤) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١ ص ١٦٠.

بـن أبـى طالـب والفضـل بـن العبّـاس وقـثم بـن العبّـاس وشـقران مـولى رسـول الله(ص)وطرح تحته قطيفة، وكان آخرَهم عهداً به قثمُ بن العبّاس وكـان المغيـرة بـن شعبة يقول: لا، بل أنا، وكان يحكى قصةً[1].

ولو كان لقصّة المغيرة وزنٌ لحفل بها ابن حبّان.

فابن إسحاق يقول: "وكان المغيرة بن شعبة يـدّعي"، وابـن عبـد البـرّ يقـول: "وقـد ذكر عن المغيرة بن شعبة في ذلك خبرٌ لا يصحُّ، أنكره أهل العلم ودفعوه".

وههنا قصّةٌ أخرى تفيد أنّ الصّحابة كانوا يسيئون الظـنّ بـالمغيرة ويعرفـون مـدى تعلّقه بالرّياء وحرصه على السّمعة أيّاً كـان الـثّمن. تصـوّر القصّـة أصـحاب الشّـورى وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائبٌ وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم، وجـاء عمـرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقـال: تريـدان أن تقولا حضرنا وكـنّا في أهل الشورى [2]...

فما أعرفَ سعداً بحال المغيرة وعمرو بـن العـاص، ومـا أشـهرَ حـال المغيـرة عنـد الصّحابة. والرّواية لا تذكر صراحةً أنّ المغيرة دافع عن نفسه أو ردّ على سعد بن أبـي وقّاص بشيء؛ وهو ما يعني أنّ سعداً أصاب الهدف. لكنّ روايـة فـي تـاريخ الطّبـريّ نفسه تفيد أنّ القوم تنافسوا بعد قول سـعد وكثُـر الكـلام بيـنهم. ففـي الروايـة : وجـاء عمرو بن العاص والمغيرة بـن شـعبة فجلسـا بالبـاب، فحصـبهما سـعد وأقامهمـا وقـال تريدان أن تقولا حضرنا وكنّا في أهل الشّورى، فتنافس القوم فـي الأمـر وكثُـر بيـنهم

(١) الثقات، ابن حبان، ج٢ ص١٥٩ :

(٢) تاريخ الطّبريّ، ج ٣ ص٢٩٥، و تاريخ ابن خلدون، ج٢ ص١١٦.

الكلام[١].

وللمغيرة قصّةٌ أخرى في الرّياء وحبّ السّمعة تكشف عن خبايا نفسه. قال ابن عساكر: ... قال المعافى وقد روينا بإسناد لم يحضر الآن ولعلّه يأتي فيما بعد أنّ المغيرة بن شعبة خطب حرقة هذه فقالت له: إنّما أردت أن يقال تزوّج ابنة النّعمان بن المنذر وإلاّ فأيّ حظّ لأعور في عمياء[٢] ؟!

و القصّة في المستطرف كما يلي : حُكي أنّ المغيرة بن شعبة لمّا ولي الكوفة سار إلى دير هند بنت النّعمان وهي فيه عمياء مترهّبة، فاستأذن عليها فقالت: من أنت؟قال: المغيرة ين شعبة الثّقفيّ. قالت: ما حاجتك؟ قال: جئت خاطباً! قالت: إنّك لم تكن جئتني لجمال ولا مال، ولكنّك أردت أن تتشرّف في محافل العرب فتقول تزوّجت بنت النّعمان بن المنذر ، وإلاّ فأيّ خير في اجتماع عمياء وأعور[٣].

ويفصّل الأصفهاني فيقول: ... وكانت وفاتها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردّته؛ أخبرني عمّي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمّد بن الكلبي عن أبيه والشرفي بن القطامي قالا: مرّ المغيرة بن شعبة لمّا ولاّه معاوية الكوفة بدير هند فنزله، ودخل على هند بنت النّعمان بعد أن استأذن عليها فأذنت له، وبسطت له مسحا، فجلس عليه ثم قالت له: ما جاء بك؟ قال: جئتك خاطباً! قالت: والصّليب، لو علمت أنّ فيّ خصلةً من جمال أو شباب رغّبتك فيّ لأجبتك، ولكنّك أردت أن تقول في المواسم ملكت

(١) تاريخ الطّبريّ، ج ٢ ص٥٨٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢١ ص ٣٧٦.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، ج٢ ص٤٨٢.

مملكة النّعمان بن المنذر ونكحت ابنته[١]، فبحقّ معبودك أهذا أردت؟ قال: أي والله! قالت: فلا سبيل إليه. فقام المغيرة وانصرف وقال فيها:

أدركت ما منّيت نفسي خاليا ... لله درّك يا ابنة النّعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه ... إنّ الملوك نقيّة الأذهان

يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي ... فالصّدق خير مقالة الإنسان

وفي رواية أخرى إنّ الملوك بطيّة الإذعان[٢].

وفي رواية، قال أبو الفرج: ودخل عليها المغيرة بن شعبة وقد عميت فحادثها طويلا، ثمّ خطبها، فضحكت وقالت: شيخٌ أعور وعجوزٌ عمياء! والصّليب ما أردتني طلباً للنّسل ولا رغبةً في مال ولا شغفاً بجمال، ولكنّك أردت أن تقول نكحت ابنة النّعمان. انصرف راشداً[٣].

---

(١)شرح فتح القدير، ج٣ص٢٣٠ (دار الفكر بيروت).

وخطب المغيرة بن شعبة هندا بنت النعمان بن المنذر وكانت تنصرت وديرها باق إلى اليوم بظاهر الكوفة، وكانت قد عميت فأبت وقالت: أي رغبة لشيخ أعور في عجوز عمياء؟ ولكن أردت أن تفتخر بنكاحي فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر فقال صدقت وأنشأ يقول:

أدركت ما منيت نفسي خاليا ..... لله درك يا ابنة النعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه... إن الملوك ذكية الأذهان

وكانت بعد ذلك تدخل عليه فيكرمها ويسألها عن حالها فقالت في أبيات:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها .... تقلب تارات بنا وتصرف

(٢) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج٢ص١٢٤.

(٣) معجم ما استعجم، [ج ٢، ص٦٠٥].

و إلى هذه القصّة أيضاً أشار ياقوت الحمويّ في معجم البلدان بقوله : وهند هذه صاحبة القصّة مع المغيرة بن شعبة[١].

هذه القصّة[٢] تؤكّد سوء نيّة المغيرة وبحثه عن السّمعة على مذهب من قال "الغاية تبرّر الوسيلة"، حتى لو اقتضى ذلك الزّواجَ من عجوز عمياء ؛ المهمّ أن يقال إنّه تزوّج بنت ملك من ملوك العرب. ولله درّ هذه العربيّة التي حافظت على أخلاق بنات الملوك وأوجعت قلبه بتلك الكلمة الصّريحة القارصة، وأخبرته بما في نفسه من خبث الطّويّة حيث قالت: إنّما أردت أن يقال تزوّج بنت النّعمان بن المنّذر ! مثل هذه المرأة ـ على نصرانيّتها ـ أوعى من كثير من أهل زماننا الذين يطالعون بأعينهم كلّ الموبقات التي أقدم عليها المغيرة، ومع ذلك يبقى في أعينهم جليل القدر، وفوق كلّ اعتبار، ويسألون الله تعالى أن يرضى عنه ويرفع مقامه. يسألون الله تعالى ذلك ولا يعتريهم حياءٌ وهم يتلون قوله تعالى: (فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين).

المهمّ عند المغيرة بن شعبة أن يقال "آخر النّاس عهداً برسول الله(ص)"، ويقال "حضر الشورى"، ويقال "تزوّج بنت النّعمان". المهمّ أن يقال في الأرض، لا ما يكون

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٢ ص ٥٤٢.

(٢) في الكامل في اللغة والأدب، ج ١ص ١٢٤.وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة سار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهي فيه عمياء مترهّبةٌ فاستأذن عليها فقيل لها: أمير هذه المدرة بالباب فقالت: قولوا له: أمن ولد جبلة بن الأيهم أنت؟ قال: لا. قالت: أمن ولد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا قالت فمن أنت؟ قال: المغيرة بن شعبة الثّقفي قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً قالت: لو كنت جئتني لجمال أو مال لأطلبتك ، ولكنّك أردت تتشرّف بي في محافل العرب فتقول: نكحت ابنة النّعمان بن المنذر، وإلاّ فأيّ خير في اجتماع أعور وعمياء!

عليه الأمر في السّماء، وهذا ما يُتوقّع ممّن هو محجوبٌ عن السّماء.

ومن عجيب ما يصادفه الباحث في هذه القصّة دعوى ابن خلدون أنّ المغيرة بن شعبة تزوّج هذه المرأة فعلاً! قال ابن خلدون : وقد كان المغيرة بن شعبة تزوّج هنداً بنت النّعمان و سعد بن أبي وقّاص تزوّج صدقة بنت النّعمان و خبرهما معروف ذكره[1].

فابن خلدون يدّعي أن المغيرة تزوّج هنداً، وهو يعلم أنّه لم يتزوّجها، لكنّها ليست أوّل مكابرة يقوم بها ابن خلدون، فإنّ له هنات وهنات، وهو مولعٌ بتمجيد كلّ مَن ناصب الإمام عليا(ع) العداء؛ ومن ذلك الباب تمجيده معاوية بن أبي سفيان وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة، ومن على شاكلتهما.

عن المطلب بن عبد الله قال: قال المغيرة بن شعبة: أنّا أوّل من رشا في الإسلام. كنت آتي فأجلس بالباب فانتظر الدخول على عمر بن الخطّاب، فقلت ليرفا حاجِبه: خذ هذه العمامة فإنّ عندي أختاً لها لتلبسها؛ فكان يدخلني حتّى أجلس وراء الباب، فمن رآني قال إنّه ليدخل على عمر في ساعة ما يدخل عليه فيها أحدٌ[2].

أقول: في هذه القصّة لا يكتفي المغيرة بالرّشوة، وهو يعلم أنّ رسول الله(ص) لعن الرّاشيَ والمُرتشَى والسّاعي بينهما، بل يتبجّح بفعلته وكأنّ الإسلام يشجّع على مثل هذه الأمور، والحال أنّ المسلم الورع يجتنب كل ما من شأنه أن يجلب اللّعن، لأنّ اللّعن هو الطّرد والإبعاد من رحمة الله، فمن بلغه أنّ رسول الله لعن من تلبّس بفعل ما، ثمّ تلبّس هو بذلك الفعل عامداً غير مكره، فهو لا يبالي أن يكون ملعوناً

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٣١٠.
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٦٥ ص ٧٠.

على لسان رسول الله(ص). وهذا يعني أنّه لا يبالي بأمور الآخرة. ويقول المغيرة: فمن رآني قال إنّه ليدخل على عمر في ساعة ما يدخل عليه فيها أحدٌ! وهذا رياءٌ لا غبار عليه، فإنّه يفرح بأن يقال عنه ذلك ، علماً أنّ الأمر على خلافه، لأنّ الذي أذن له هو يرفأ لا عُمر!

وكان المغيرة يصرّح أيضا أنّه صاحب الدّور الأكبر في تولية يزيد بن معاوية العهد، ووصوله إلى سدّة الحكم، ولا يكتفي بالتّصريح وإنّما يتبجّح بذلك على عادته في إتيان المنكر.عن الشّعبي قال أخبرني بعض الوفد من سمع المغيرة بن شعبة يقول: لقد وضعت رجلي معاوية في غرز طويل غيّه على أمّة محمّد يعني بيعة يزيد[1]..

ويهوى المغيرة رفع صوته في المجامع والمحافل. قال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن[يوم بيعة عثمان]: يا أبا محمّد، قد أصبت إذا بايعت عثمان، وقال لعثمان لو بايع عبدُ الرحمن غيرَك ما رضينا! فقال عبدُ الرحمن كذبت يا أعور[2] لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة[3]. فعبدُ الرّحمن بن عوف يُؤكّد أنّ المغيرة يقول نفس الكلام لأيّ شخص يبلغ منصب الخليفة، وقد صدقتْ فراسة عبد الرحمن إذ كان المغيرة بعد ذلك بسنين طويلة يتملّق معاوية بأمثال الكلام السّابق.والقصّة عند الجوهريّ كما يلي : قال المغيرة بن شعبة، لعثمان : أما والله لو بويع غيرك لما بايعناه،

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٦٥ ص٤١٠.

(٢) في تاريخ الطّبري، ج ٢ ص ٥٨٦. قام المغيرة بن شعبة خطيبا فقال يا أبا محمّد الحمد لله الذي وفّقك والله ما كان لها غير عثمان، وعليّ جالس. فقال عبد الرحمن: يا ابن الدّباغ ما أنت وذاك !والله ما كنت أبايع أحدا إلا قلت فيه هذه المقالة.

(٣) تاريخ الطّبريّ، ج ٢ ص ٥٨٣.

فقال عبد الرّحمن بن عوف : كذبت، والله لو بُويع غيرُه لبايعتَه، وما أنت وذاك يا ابن الدبّاغة، والله لو وليها غيرُه لقلت له مثل ما قلت الآن، تقرّباً إليه وطمعاً في الدّنيا، فاذهب لا أبا لك. قال المغيرة: لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ما تكره، ومضيا[1].

وفيها شهادةٌ من طرف عبد الرّحمن بن عوف على المغيرة أنّه من أهل التّقرب إلى من يحكم والطّمع في الدّنيا.

عن عثمان بن مقسم قال: قال المغيرة بن شعبة لعُمَر أدلّك على القويّ الأمين؟قال بلى! قال: عبد الله بن عمر. قال ما أردت بقولك هذا ؟ والله لأن يموت فأكفّنه بيدي أحبّ إليّ من أن أولّيه وأنا أعلم أنّ في النّاس من هو خير منه[2].

أقول: هل كان عبد الله بن عمر ـ فعلاً ـ القويَّ الأمينَ؟ أين القوّة و الأمانة في سيرة عبد الله بن عمر الذي استنكف أن يبايع عليّ بن أبي طالب(ع) وبايع الحَجّاج بن يوسف؟أين قوّته وهو الذي خالف أهل المدينة جميعا وزعم أنّ بيعة يزيد شرعيّة ملزمة؟ هل هناك موقف بطوليٌّ واحدٌ يستطيع ابن عمر أن يستشهد به؟ أليس هو الذي تحسّر نادماً في آخر حياته لكونه لم يحارب الفئة الباغية؟

عن الشعبي عن عثمان بن يسار عن تميم بن حذلم[3] قال : أوّل ما سُلّم على أمير بالإمرة بالكوفة ، قال : خرج المغيرة بن شعبة من القصر فعرض له رجلٌ من كندة فسلم عليه بالإمرة، فقال : ما هذا ؟ ما أنا إلاّ رجلٌ منهم، فتُركت زماناً ثمّ أقرّها بعد[4].

(١) كتاب السقيفة وفدك، الجوهري، ص ٨٧

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣١ ص ١٧٨.

(٣) اختلف في ضبط اسمه .

(٤) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٨ ص ٣٢٥و الأدب المفرد، البخاري، ص ٢٢٠.

أقول: لا يزال المغيرة بن شعبة يسعى وراء الأوائل والأواخر والمشاهير، فهو أوّل من رشا في الإسلام، وهو ـ بزعمه ـ آخرهم عهداً برسول الله(ص).

وحتّى يوهم المغيرة النّاس أنّه كان لديه منزلةٌ عند رسول الله(ص) تراه يصوّر نفسه بين الحين والحين مبعوثَ رسول الله(ص) إلى جهة ما، والحال أنّ رسول الله (ص) كان يرسل النّاس دون أن يكون لديهم خصوصيّةٌ، فهذا الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط بعثه إلى بني المصطلق،وهو أحد الطّلقاء، وقد سمّاه القرآن فاسقاً، وذاك أبو سفيان بعثه مصدّقاً وهو من المؤلفة قلوبهم، والأمثلة في ذلك كثيرةٌ.

و عن المغيرة بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة (رض) قال: كان شاربي قد وفي فقصّه رسول الله (ص) على سواك[1].

أقول: وهنا أيضاً يريد المغيرة تميّزاً لم يدّعه غيره، فهو يقول إنّ النّبي(ص) لم يكتف بأمر المغيرة بقصّ شاربه حتى قصّه بيده الشّريفة.

عن معاوية بن مرّة ،عن عبد الله بن المغفل قال: " أوّلُ من رأيت عليه خفّين في الإسلام المغيرةُ بن شعبة، فأتانا رسول الله (ص) وعليه خفان "[2]..

أقول: أين الخصوصية في لبس الخفّين، و بم فاق غيره ممّن لم تخطر ببالهم فكرة لبس الخفّين؟!على أنّ مضمون الرواية لا يخلو من نظر، فإنّها تقول" في الإسلام" وهذا لا يمنع وجود من كان يلبسها في الجاهليّة. وليس هذا مما يميّز فيه بين الجاهليّة والإسلام.

(١) الآحاد والمثاني، الضحاك، ج ٣، ص ٢٠٢.
(٢) الآحاد والمثاني،الضحاك، ج ٥، ص ٧٢.

عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار قال: كنّا عند رسول الله (ص) إذ دخل المغيرة بن شعبة وعليه خفّان، فكان أوّلُ من رأيت عليه الخفّين في الإسلام المغيرةَ فجعل القوم يمسحونها ويقولون ما هذا؟ قالوا هذه الخفاف، فقال رسول الله (ص) إنكم سيكثر لكم من الخفاف[1]...

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠، ص ٢١٨.

الفصل الخامس

أعمال المغيرة المنافية للإسلام

١) سب علي (ع)

نسمع في أيّامنا حديثاً طويلاً عريضاً عن اللّعن، وأنّه ليس من السّلوك الحضاريّ؛ حتى قتَلة الحسين عليه السّلام لا ينبغي أن يلعنهم أحدٌ! لأنّ لهم ربّاً يحاسبهم، إن شاء عذّبهم وإن شاء عفا عنهم؛ أمّا اللّعن فلا!ومن بين ما نسمعه أيضاً أنّه لا ينبغي لعنُ من آذَوا فاطمة الزّهراء عليها السلام ولا الدّعاءُ عليهم، لأنّه - في نظر الزّاعمين - لا معنى له، والقضيّة سالبةٌ بانتفاء الموضوع، ففاطمة لم يؤذِها أحدٌ، وإنّما اختلق شيعةُ أهل البيت عليهم السّلام أحداثاً ورتّبوا عليها آثاراً، واستمرّ ذلك في حياتهم حتّى امتزج بدمائهم وأنفاسهم! وأمّا ما جاء في صحيح البخاريّ وغيره من أنّها عليها السلام تأذّت وهجرت النّاس فينبغي أن يُحمل على المحمل الحسن، وإنّما هي امرأة كسائر النّساء، وإن كانت سيّدة النّساء دنيا وآخرة، فإنّ تلك السّيادة إنّما هي لكونها بنت رسول الله(ص)، فالسّيادة أصالةً للنّبي(ص)! وفاتَ هؤلاء الزّاعمين أنّ ربّنا سبحانه وتعالى يلعن[1]، وملائكتُه أيضاً تلعن، واللاّعنون أيضاً يلعنون؛ وعليه فقد غدا

---

(١) وَقَالُوا قلوبنَا غلف بَل لَّعَنَهم الله بكفرهم فَقَليلا مَّا يؤمنونَ [البقرة : ٨٨]و: لَمَّا جَاءهم كتَاب مِّن عند الله مصَدّق لّمَا مَعَهم وَكَانوا من قَبل يَستَفتحونَ عَلَى الَّذينَ كَفَروا فَلَمَّا جَاءهم مَّا عَرَفوا كَفَروا به فَلَعنَة الله على الكَافرينَ [البقرة : ٨٩]و: إنَّ الَّذينَ يَكتمونَ مَا أَنزلنَا منَ البَيّنَات وَالهدَى من بَعد مَا بَيَّنَّاه للنَّاس في الكتَاب أولَـئكَ يَلعَنهم الله وَيَلعَنهم اللَّاعنونَ [البقرة : ١٥٩]و: إنَّ الَّذينَ كَفَروا وَمَاتوا وَهم كفَّار أولَئكَ عَلَيهم لَعنَة الله والملائكة وَالنَّاس أَجمَعينَ [البقرة : ١٦١]و: فَمَن حَآجَّكَ فيه من بَعد مَا جَاءكَ منَ العلم فَقل تَعَالَوا نَدع أَبنَاءنَا وَأَبنَاءكم وَنسَاءنَا وَنسَاءكم وَأَنفسَنَا وأنفسَكم ثمَّ نَبتَهل فَنَجعَل لَّعنَةَ الله على الكَاذبينَ [آل عمران : ٦١]

و: مّنَ الَّذينَ هَادوا يحَرّفونَ الكَلمَ عَن مَّوَاضعه وَيَقولونَ سَمعنَا وَعَصَينَا وَاسمَع غَيرَ مسمَع وَرَاعنَا لَيّا بألسنَتهم وَطَعنا في الدّين وَلَو أَنَّهم قَالوا سَمعنَا وَأَطَعنَا وَاسمَع وَانظرنَا لَكَانَ خَيرا لَّهم وَأَقوَمَ وَلَكن لَّعَنَهم الله بكفرهم فَلاَ يؤمنونَ إلاَّ قَليلا [النساء : ٤٦]و: يَا أَيّهَا الَّذينَ أوتوا الكتَابَ آمنوا بمَا نَزَّلنَا مصَدّقا لّمَا مَعَكم مّن

فعل ربّنا سبحانه وتعالى لا ينسجم مع السّلوك الحضاريّ الذي لا لعنَ فيه. وبما أنّ القرآن الكريم قد صرّح أنّ الله تعالى لعن الظّالمين، والفاسقين والكافرين، والذين يحبّون أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا، والذين يؤذون الله ورسوله، ومن يقتل

قَبل أن نَّطمسَ وجوها فَنردَّهَا عَلَى أدبَارهَا أو نَلعَنَهم كَمَا لَعَنَّا أصحَابَ السَّبت وَكَانَ أمر الله مَفعولا [النساء : ٤٧]و: وَمَن يَقتل مؤمنا مّتَعَمّدا فَجَزَآؤه جَهَنَّم خَالدا فيهَا وَغَضبَ الله عَلَيه وَلَعَنَه وَأعَدَّ لَه عَذَابا عَظيما [النساء : ٩٣]و: لَّعَنَه الله وَقَالَ لَأتَّخذَنَّ من عبَادكَ نَصيبا مَّفروضا [النساء : ١١٨]و: فَبمَا نَقضهم مّيثَاقَهم لَعَنَّاهم وَجَعَلنَا قلوبَهم قَاسيَة يحَرّفونَ الكَلمَ عَن مَّوَاضعه وَنَسوا حَظًّا مّمَّا ذكّروا به وَلاَ تَزَال تَطَّلع عَلَىَ خَآئنَة مّنهم إلاَّ قَليلا مّنهم فَاعف عَنهم وَاصفَح إنَّ الله يحبّ المحسنينَ [المائدة : ١٣]و: قل هَل أنَبّئكم بشَرّ مّن ذَلكَ مَثوبَة عندَ الله مَن لَّعَنَه الله وَغَضبَ عَلَيه وَجَعَلَ منهم القرَدَةَ وَالخَنَازيرَ وَعَبَدَ الطَّاغوتَ أولَـئكَ شَرّ مَّكَانا وَأضَلّ عَن سَوَاء السَّبيل [المائدة : ٦٠]و: وَقَالَت اليَهود يَد الله مَغلولَة غلَّت أيديهم وَلعنوا بمَا قَالوا بَل يَدَاه مَبسوطَتَان ينفق كَيفَ يَشَاء وَلَيَزيدَنَّ كَثيرا مّنهم مَّا أنزلَ إلَيكَ من رَّبّكَ طغيَانا وَكفرا وَألقَينَا بَينَهم العَدَاوَةَ وَالبَغضَاء إلَى يَوم القيَامَة كلَّمَا أوقَدوا نَارا لّلحَرب أطفَأهَا الله وَيَسعَونَ في الأَرض فَسَادا وَالله لاَ يحبّ المفسدينَ [المائدة : ٦٤]و: لعنَ الَّذينَ كَفَروا من بَني إسرَائيلَ عَلَى لسَان دَاوودَ وَعيسَى ابن مَريَمَ ذَلكَ بمَا عَصَوا وَّكَانوا يَعتَدونَ [المائدة : ٧٨]و: وَنَادَى أصحَاب الجَنَّة أصحَابَ النَّار أن قَد وَجَدنَا مَا وَعَدَنَا رَبّنَا حَقًّا فَهَل وَجَدتّم مَّا وَعَدَ رَبّكم حَقًّا قَالوا نَعَم فَأذَّنَ مؤَذّن بَينَهم أن لَّعنَة الله على الظَّالمينَ [الأعراف : ٤٤]و: وَعَدَ الله المنَافقينَ وَالمنَافقَات وَالكفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالدينَ فيهَا هيَ حَسبهم وَلَعَنَهم الله وَلَهم عَذَاب مّقيم [التوبة : ٦٨]و: وَمَن أظلَم ممَّن افتَرَى عَلَى الله كَذبا أولَـئكَ يعرَضونَ عَلَى رَبّهم وَيَقول الأَشهَاد هَـؤلاء الَّذينَ كَذَبوا عَلَى رَبّهم ألاَ لَعنَة الله على الظَّالمينَ [هود : ١٨]و: وَأتبعوا في هَـذه الدّنيَا لَعنَة وَيَومَ القيَامَة ألا إنَّ عَادا كَفَروا رَبَّهم ألاَ بعدا لّعَاد قَوم هود [هود : ٦٠]و: وَأتبعوا في هَـذه لَعنَة وَيَومَ القيَامَة بئسَ الرّفد المَرفود [هود : ٩٩]و: وَالَّذينَ يَنقضونَ عَهدَ الله من بَعد ميثَاقه وَيَقطَعونَ مَا أمَرَ الله به أن يوصَلَ وَيفسدونَ في الأَرض أولَئكَ لَهم اللَّعنَة وَلَهم سوء الدَّار [الرعد : ٢٥] إنَّ الَّذينَ يَرمونَ المحصَنَات الغَافلَات المؤمنَات لعنوا في الدّنيَا وَالآخرَة وَلَهم عَذَاب عَظيم [النور : ٢٣]و إنَّ الَّذينَ يؤذونَ الله وَرَسولَه لَعَنَهم الله في الدّنيَا وَالآخرَة وَأعَدَّ لَهم عَذَابا مّهينا [الأحزاب : ٥٧]و إنَّ الله لَعَنَ الكَافرينَ وَأعَدَّ لَهم سَعيرا [الأحزاب : ٦٤]و يَومَ لَا يَنفَع الظَّالمينَ مَعذرَتهم وَلَهم اللَّعنَة وَلَهم سوء الدَّار [غافر : ٥٢]و أولَئكَ الَّذينَ لَعَنَهم الله فَأصَمَّهم وَأعمَى أبصَارَهم [محمد : ٢٣]و وَيعَذّبَ المنَافقينَ وَالمنَافقَات وَالمشركينَ وَالمشركَات الظَّانّينَ بالله ظَنَّ السَّوء عَلَيهم دَائرَة السَّوء وَغَضبَ الله عَلَيهم وَلَعَنَهم وَأعَدَّ لَهم جَهَنَّمَ وَسَاءت مَصيرا [الفتح : ٦].

مؤمناً متعمّداً،ومن عرف الحق ثمّ جحده، والذين يكتمون ما أنزل الله من البيّنات والهدى من بعدما بيّنه في الكتاب، والذين كفروا وماتوا وهم كفّار، والذين يحرّفون الكلم من بعد مواضعه،و الذين نقضوا ميثاقهم.. بما أنّ الله تعالى قد لعن هؤلاء جميعاً فإنّ الكرة تبقى في ملعب الزّاعمين أصحاب السّلوك الحضاريّ.

والحق أن اللّعنَ منه مشروعٌ ومنه غير مشروع؛ والمشروع ما كان في محلّه كما في الأمثلة المذكورة أعلاه؛ وأما اللّعنُ في غير محلّه فظلمٌ وتجاوزٌ، ولا شكّ أنّه يعود على صاحبه كما يقتضي العدلُ الإلهيُّ؛ وقد ابتليت الأمّة بما ابتليت به الأمم قبلها كما أخبر بذلك رسول الله(ص) إذ قال: "لتتّبعنّ سنن مَن قبلكم حذوَ النّعل بالنّعل حتى لو دخلوا جُحر ضَبّ لدخلتموه "(١) فحدثَ الانقلابُ على الأعقاب، والتنكّرُ لرسول الله(ص) وسنّته، والغدرُ بعترته، وأمورٌ كثيرةٌ يصرُّ صنفٌ من النّاس على إنكارها وجحودها، رغم أنّ آثارها ومعالمها تتكلّم بلسان الحال معبّرةً عن أسوإ حال!

والمقصود أنّ الأمّة تعرّضت لأولياء الله تعالى بالسّبّ والشّتم واللّعن تقرّباً إلى الحاكمين وطمعاً في الدّنيا. قال ابن حجر في فتح الباري: ثمّ كان من أمر عليّ ما كان فنجمتْ طائفةٌ أخرى حاربوه، ثمّ اشتدّ الخطب فتنقّصوه واتّخذوا لعنه على المنابر سنّةً، ووافقهم الخوارجُ على بُغضه وزادوا حتّى كفّروه مضموماً ذلك منهم

(١) صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٥١ وج٨، ص ١٥١، صحيح مسلم، ج ٨، ص ٥٧ و، سنن ابن ماجه القزويني، و ج ٢، ص ١٣٢٢: و مستدرك الحاكم النيسابوري، ج ١، ص ٣٧ وج١ص، ص ١٢٩و، ج ٤، ص ٤٥٥ و، مجمع الزوائد للهيثمي، ج ٧، ص ٢٦٠و، مسند أبي داود الطيالسي، ص ٢٨٩ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ج ١١، ص ٣٦٩ و، كتاب السنة، لعمرو بن أبي عاصم، ص ٣٦: و مصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٥، ص ٥٤٥ وج٥، ص ٥٤٦و ج ٨، ص ٦٣٣.

إلى عثمان، فصار النّاس في حقّ عليّ ثلاثةً: أهلَ السنّة، والمبتدعةَ من الخوارج، والمحاربين له من بني أميّة وأتباعهم، فاحتاج أهل السنّة إلى بثّ فضائله، فكثر النّاقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك[1].. وهذا الكلامُ من ابن حجر وإن كان لا يخلو من مغالطة إلاّ أنه صريح في الاعتراف بأنّ أصنافاً من الأمّة من الجيل الأوّل فمن بعدهم سبّوا الإمام علياً(ع) وشتموه على المنابر واتّخذوا ذلك سنّةً. وعبّر ابن حجر بقوله "نجمت طائفةٌ" ليهوّن القضية ويمرّرها بسلام كما يلزمه به مذهبه في الاعتقاد بعدالة جميع الصّحابة، وإلاّ فإن الطّائفة التي يتحدّث عنها ما هي إلاّ طبقة الصّحابة والتّابعين، ولم يأت أناسٌ من الصين أو اليابان ليسبّوا علياً(ع) ويلعنوه على منابر المسلمين، بل لعنه مسلمون أكثرهم من قريش!

لكنّ ابن حجر هذا نفسه يفتري على رسول الله(ص) ويقوّله ما لم يقل خضوعاً لانتمائه المذهبيّ، وهو بذلك يدخل في صنف من كذبوا على رسول الله متعمّدين!

قال ابن حجر في تهذيب التّهذيب: وقد كنت أستشكل توثيقهم الناصبيّ[2] غالباً وتوهينهم الشّيعة مطلقاً، ولا سيما أنّ عليّا ورد في حقّه لا يحبّه إلاّ مؤمنٌ ولا يبغضه إلاّ منافقٌ. ثمّ ظهر لي في الجواب عن ذلك أنّ البغض ها هنا مقيّدٌ بسبب، وهو كونه نصر النّبي (ص)، لأنّ من الطّبع البشريّ بغض من وقعت منه إساءةٌ في حقّ المبغض والحبّ بعكسه، وذلك ما يرجع إلى أمور الدّنيا غالباً والخبر في حبّ عليّ وبغضه ليس على العموم[!] فقد أحبّه من أفرط فيه حتّى ادّعى أنّه نبيٌّ أو أنّه إلهٌ تعالى الله

(١) فتح االباري، شرح صحيح البخاري، ج ٧ ص ٧١.
(٢) الناصبي هو من يبغض الإمام عليا(ع) وذريته وأهل بيت النبي(ص) وهو في نفس الوقت يدّعي الإسلام ومحبة النبي(ص).

عن إفكهم، والذي ورد في حقّ عليّ من ذلك قد ورد مثله في حقّ الأنصار وأجاب عنه العلماء أنّ بغضهم إن كان لأجل النّصر كان ذلك علامة نفاقه[١] وبالعكس؛ فكذا يقال في حقّ عليّ. وأيضاً فأكثر من يوصف بالنّصب يكون مشهوراً بصدق اللّهجة والتّمسّك بأمور الدّيانة[!] بخلاف من يوصف بالرّفض، فإنّ غالبهم كاذبٌ ولا يتورّع في الإخبار، والأصل فيه أنّ النّاصبة اعتقدوا أنّ عليّاً (رض) قتل عثمان أو كان أعان عليه، فكان بغضهم له ديانةً بزعمهم، ثمّ انضاف إلى ذلك أنّ منهم من قُتلت أقاربه في حروب عليّ"[٢]..

هكذا يقول ابن حجر " ثمّ ظهر لي"! ولو فتح هذا الباب لتغيّرت أمورٌ وأمورٌ.

هل المسلمون معنيّون بما يظهر لابن حجر وغيره؟وإذا ظهر لغير ابن حجر عكس ما ظهر لابن حجر فأين يكون الصّواب؟ ومن قال إنّ كل ما يظهر لابن حجر يصلح للاحتجاج به؟

إنّ قول رسول الله (ص) للإمام علي (ع): "لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ ولا يبغضك إلاّ منافقٌ" هو كلام عربيٌّ بلسان عربيّ مبين فلا يحتاج إلى ترجمان؛ ولو صحّ أن يفتح فيه بابٌ للتّأويل البعيد لصحّ ذلك فيما بقي من أحاديث النّبي (ص)، وساعتها تكون الفوضى العارمة. ثمّ إنّ رسول الله(ص) مأمورٌ بالبيان، فلا يصحّ أن يعتقد فيه أنّه يلقي كلاماً حمّالَ أوجه ولا يجعل إلى جنبه قرينةً ثمّ يتوقّع أن يكون ذلك الكلام حجّةً

---

(١) كان معاوية وأتباعه يبغضون الأنصار لأجل نصرتهم لرسول الله(ص) واستعمل معاوية الشعراء النصارى والنواصب لهجاء الأنصار بعد أن مدحهم القرآن الكريم، ومع ذلك يترضى ابن حجر عن معاوية وحزبه ويدافع عنهم ويحكم لهم بالنجاة؛ فهو يناقض بفعله ما يقول وهو بذلك يجعل نفسه ضمن مصاديق﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تعلمون﴾.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ٨ ص ٤١١.

على النّاس. على أنّهم ذكروا في علم الأصول أنّ التقييد بلا مقيّد باطلٌ، والتّخصيص بلا مخصّص باطلٌ، والتّرجيح بلا مرجّح باطلٌ، وما قام به ابن حجر لا يعدو أحد الأمور الثلاثة، فإنّ رسول الله(ص) لم يذكر شرط النّصرة في كلامه لا من قريب ولا من بعيد ، وإنّما أراد ابن حجر أن يدفع عن مبغضي الإمام علي (ع) صفة النّفاق، ومبغضو علي (ع) هم أسلاف ابن حجر ومشايخه، فاستلهم من شياطينه كما استلهم سلفه ابن تيمية من شياطينه، وبما أنّ شياطين الجنّ والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرفَ القول غروراً، فقد جاء الحلّ السّحريُّ وأراح ابن حجر النّاس، وحفظ للنّواصب ماء الوجه، لكن بأيّ ثمن؟ بعد أن سجّل نفسه في قائمة الكذّابين على رسول الله(ص)، ومن كذب عليه(ص) متعمّداً فمقعده معلوم.

كلام ابن حجر في فتح الباري تضمّن ما يلي: "حاربوه ثمّ اشتدّ الخطب فتنقّصوه واتّخذوا لعنه على المنابر سنّة، ووافقهم الخوارج على بغضه وزادوا حتى كفروه "[1].

ماذا يقول الزّاعمون أصحاب السّلوك الحضاريّ بخصوص لعن عليّ بن أبي طالب(ع)؟ هل يلتزمون بما ألزموا به أنفسهم أم ينكصون على أعقابهم؟

عن بكير بن عثمان البجلى قال سمعت أبا إسحاق التميمي يقول سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: حججت وأنا غلامٌ ،فمررت بالمدينة، وإذا النّاس عنقٌ واحدٌ فاتّبعتهم فدخلوا على أمّ سلمة زوج النّبي(ص) فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي؛ فأجابها رجل جلفٌ جاف :لبّيك يا أمّاه؛ قالت: يُسبّ رسول الله (ص)في ناديكم؟ قال: وأنّى ذلك؟ قالت: فعليٌّ بن أبي طالب؟ قال: إنّا لنقول أشياء نريد عرض الدّنيا.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج ٧ ص ٧١.

قالت: فإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول: من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى [١].

فالرّجل يسبّ عليّاً(ع) لأجل الحياة الدّنيا، ومعنى هذا أنّ سبّ عليّ ولعنه وشتمه وتنقّصه صار سبباً من أسباب الوصول إلى المناصب العالية والحصول على الأموال الوافرة في زمان المرأة الصالحة أمّ سلمة (رض). كيف حدث ذلك في الجيل الأوّل خير القرون؟ وهل كان الإمام علي(ع) مستحقّاً لذلك؟

هذه المسألة على خطورتها يصرّ كثيرٌ من المثقّفين ـ وأكثرهم من أتباع ابن تيمية ـ على التّهوين من شأنها، ويتعبّدون بتمريرها في صمت لئلاّ تثير انتباه والتفات العوامّ؛ والتأمّل في النّصوص التّالية يوضّح بعض ما يساعدنا على فهم القضيّة أكثر.

قال ابن حجر: فبايعه المهاجرون والأنصار وكلّ من حضر وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلاّ معاوية في أهل الشّام، فكان بينهم بعدُ ما كان. (قوله عن أبيه) هو أبو حازم سلمة بن دينار (قوله إنّ رجلاً جاء إلى سهل بن سعد) لم أقف على اسمه (قوله هذا فلان لأمير المدينة) أي عنى أمير المدينة وفلان المذكور لم أقف على اسمه صريحاً ووقع عند الإسماعيليّ هذا كان فلان بن فلان (قوله يدعو عليّا عند المنبر قال فيقول ماذا) في رواية الطّبرانيّ من وجه آخر عن عبد العزيز بن أبي حازم يدعوك لتسبّ عليّاً(قوله والله ما سمّاه إلاّ النّبي (ص) يعني أبا تراب[٢]..

فابن حجر لم يقف على اسم الرّجل، ولم يقف على اسم أمير المدينة، ربّما لأنّ

(١) المستدرك ، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٢١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج ٧ص ٥٨.

الوقوف على اسميهما يحذف رقمين من عدد العدول من الصّحابة والتّابعين! ويتردّد ابن حجر بين " يدعو عليّاً " و " يدعوك لتسبّ عليّاً"! المهمّ هو أن تغيب مظلوميّة الإمام علي بن أبي طالب(ع) بين طيّات الشّروح.

وقال اليعقوبيّ: روي أنّه ـ أي زياد بن أبيه ـ كان أحضر قوماً بلغه أنّهم شيعةٌ لعليّ ليدعوهم إلى لعن عليّ والبراءة منه أو يضرب أعناقهم، وكانوا سبعين رجلاً، فصعد المنبر وجعل يتكلّم بالوعيد والتهديد(١)..وهذا يعني في دين زياد بن أبيه[والمفروض أن كلّ رجل هو ابن أبيه] مخيّرٌ بين البراءة من الإمام علي بن أبي طالب(ع) وبين القتل، بينما يرى الإسلام أنّ الإمام علياً (ع) مولى المسلمين لا يحلّ لهم أن يؤذوه فضلاً عن البراءة منه. فقد قال النّبي (ص) أمام مئة ألف أو يزيدون "من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ".

قالوا: ..ثم أقبل [أي معاوية] على عبد الرحمن العنزي فقال: إيه يا أخا ربيعة، ما قولُك في عليّ؟ قال: دعني ولا تسألني فإنّه خيرٌ لك. قال: والله لا أدعك حتّى تخبرني عنه. قال: أشهد أنّه كان من الذّاكرين الله كثيراً، ومن الآمرين بالحقّ والقائمين بالقسط، والعافين عن النّاس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح باب الظّلم وأرْتج أبواب الحقّ! قال: قتلت نفسك. قال: بل إيّاك قتلت ولا ربيعة بالوادي ـ يقول حين كلّم شمر الخثعميّ في كريم بن عفيف الخثعميّ ولم يكن له أحد من قومه يكلّمه فيه ـ فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: أمّا بعد، فإنّ هذا العنزيّ شرٌّ من بعثت فعاقبه عقوبته التي هو أهلها واقتله شرّ قتلة! فلما قدم به على زياد بعث به زياد إلى قسّ النّاطف فدُفن به حيّاً.[!].

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٣٥ (دار صادر بيروت) .

دفنه حيّاً! الأمير المسلم يدفن أحد المسلمين حيّاً لأنّه رفض أن يتبرّأ من عليّ بن أبي طالب(ع)؟ هل هذا من الإسلام؟ في أيّ سورة قرآنية يوجد هذا ؟ في أيّ حديث نبويّ؟ منذ متى صارت البراءة من الإمام علي بن أبي طالب من الإسلام والمؤرّخون يروون هذا ولا يظهرون شيئاً يفيد أنّهم من أهل الوجدان، وأن ضمائرهم بقيت حيّة!

وحينما يبحث الباحث في كتب الرّجال عن عبد الرّحمن العنزي لا يكاد يجد له ذكراً، بينما يجد من الرّواة من هو من أبناء عبد الرحمن العنزي.

وقد زعم بعض المتعمّقين في فهم الأحداث أنّ معاوية بن أبي سفيان لم يكن يبغض عليّاً، ولا كان يلعنه ويسبّه ويشتمه، وإنّما تعجب من سعد بن أبي وقاص لمَ لا يسبّ الإمام علياً (ع) فقط، فقال له "ما منعك أن تسبّ أبا تراب "؟ عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: ثمّ أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تَسبّ أبا التّراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له النّبي(ص) فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدةٌ منهنّ أحبُّ إليَّ من حُمر النَّعم. سمعت النّبي(ص)يقول له وخلّفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول الله خلّفتَني مع النّساء والصّبيان فقال له النّبي (ص)أما ترضَى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي؟ وسمعته يقول يومَ خيبر: لأعطينّ الرّاية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليّاً؛ فأُتيَ به أرمد فبصق في عينه ودفعَ الرّاية إليه ففتح الله عليه. ولمّا نزلت هذه الآية فقل تَعالوا ندع أبنَاءنَا وأبناءَكم دعا النّبي (ص) عليّاً وفاطمةَ وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهلي[1]. فمعاوية لم يأمر بسبّ الإمام

(١) صحيح مسلم، ج٤ص١٨٧١ الحديث رقم٢٤٠٤دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق الأرنؤوط.

علي (ع) وإنّما تعجّب من سعد بن أبي وقّاص لامتناع الأخير من سبّ علي(ع)! وبناءً على كلامهم يكون المولى سبحانه وتعالى قد تعجبّ من امتناع إبليس ـ لعنه الله ـ من السّجود ولم يأمره بذلك! فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور.

في رأيي أنّ الذين كانوا يحملون النّاس على البراءة من علي (ع) لم يكونوا يتصرّفون بدافع انتقام شخصيّ، وإنّما كانوا يريدون من النّاس البراءة من رسول الله(ص) نفسه، لأنّ الإمام عليا (ع) هو الامتداد الطبيعيّ لرسول الله(ص)، وهو خليفته الشرعيّ في مقابل خليفة السّقيفة، وتهميشه وحمل النّاس على سبّه وشتمه قد يؤدّي في الأخير إلى نسيانه ونسيان خطّه الذي هو خطّ رسول الله(ص)؛ وبذلك يمكن للحاكمين أن يخطّطوا ويمهّدوا لإسلام أمويّ يحتفظ ببعض الشعائر ويفرغ الإسلام من محتواه الحقيقيّ؛ وقد كان معاوية يصرّح لمقرّبيه بشدّة عداوته وبغضه لرسول الله(ص)، ويتألّم من سماع المآذن تردّد" أشهد أنّ محمداً رسول الله ". فسبُّ وشتمُ ولعنُ الإمام علي (ع) هو مخططٌ له أهدافه على المدى البعيد، وقد أثمر هذا المخطّط إلى حدّ ما، وأوجد للإمام علي (ع) أعداءً في بقاع كثيرة من الأرض، وبفضل ذاك المخطّط انتشرت ثقافة النّصب في الأرض، وصارت دينا يدان به؛ وجاء ابن تيمية وتلاميذه فشنّوا على الإمام علي(ع) حرباً شعواء، وافتروا عليه وتنقّصوه كما تنقّصه آباؤهم من قبل، وزعموا أن حبّه لا ينفع وأن بغضه لا يضرّ، فكذّبوا بذلك رسول الله(ص) طائعين غير مكرهين؛ ثم استلم أتباعهم من نجد راية الحقد على أولياء الله تعالى وسمّوها التّوحيد، وكفّروا من يخالفهم وعاثوا في الأرض فساداً ولازالوا يعيثون.فالمخطّط الأمويّ قد نجح إلى حدّ ما، لكنّه نجاح

مؤقّت يعيش على التّضليل والتّجهيل، ولا يخدع أهل البصيرة والدّين.

كان بنو أميّة يعلمون أنّ مخطّطهم يحتاج إلى أناس يبغضون الإمام علياً(ع) فعلاً، لا إلى أشخاص انتهازيّين يعملون حسب الطّلب لنفخ جيوبهم وإشباع غرائزهم، فإن ّالانتهازيّ قد يتوقّف يوماً ما عن عمل معيّن لأنّه لم يعد مناسباً له، أو لأنّ المرحلة من العمر لم تعد مناسبةً، أو لأنّ العمل نفسه صار مُتعباً أو مُرهقاً.. أمّا الحقود فإنّ حقده يزداد بمرور السّنين شدّة وقوّة، والحقد أيّاً كان منشؤه فإنّ نتيجته هي نفسها في كلّ زمان ومكان، وقد ظهر ذلك للعالم أجمع في أحداث البوسنة وأحداث رواندا، وما يتعرّض له الفلسطينيون يوميّاً على يد أعداء البشريّة. فالحقد يبقى شابّاً على مرّ القرون، والحاقدون يعيشون مع حقدهم ويأخذون شيئاً منه معهم إلى قبورهم، ويوصون بالباقي إلى من يثقون فيه من بعدهم. وقد كان بنو أميّة من هؤلاء الحاقدين، وكان المغيرة بن شعبة شريكَهم في تلك الصّفة المشئومة؛ فالرّوايات والأخبار تشير إلى مواقف افتضح فيها المغيرة على يد الإمام علي (ع)، وليس الإمام علي (ع) ممن يتتبّعون العثرات،لكنّه من المؤتمنين على الدّين، ومن حقّه أن يحذّر المسلمين من المتلبّسين بالدّين لأجل الأغراض الدّنيويّة، وقد كان المغيرة بن شعبة ومعاوية وعمرو بن العاص منهم؛ ولذلك فإنّه(ع) يقول بخصوص معاوية وعمرو بن العاص: " أيّها الناس، إنّي أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وابن أبي سرح، وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم صغارا ورجالا، فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال، ويحكم إنّها كلمة حقّ يراد بها باطلٌ! إنّهم ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة! أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعةً واحدةً،

فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا" [١]. فهو يقول عنهم بصراحة" ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن "، وإذا لم يكونوا أهل دين ولا قرآن فهم قطعا أصحاب دنيا وطمع، وصاحبُ الدّنيا ليس بالشّخص المؤتَمن.

وكما وصف الإمام علي (ع) معاوية وأصحابه وصف المغيرة أيضاً، فقد قال (ع) لعمّار بن ياسر وقد رآه يوماً يحاور المغيرة: " دعه فإنّه لن يأخذ من الآخرة إلاّ ما خالطته الدّنيا "[٢]. وفعلاً، لم يأخذ المغيرة من الدّين إلاّ ما خالطته الدّنيا، وكانت حياته عبارةً عن طلب الدّنيا بشتّى الوسائل، وهو ما يشهد به سجل حياته. وأشدّ ما فيها أنّه كان متبرّعاً لبني أميّة بسبّ وشتم ولعن الإمام علي بن أبي طالب(ع) محاولاً بذلك شفاء غيظه وإشباع حقده، وقد كان له ما أراد لكنّه لم يفلح في إطفاء نور الإمام(ع) ، وإنّما أفلح في إغواء أشباهه ممّن ظاهرهم الدّين وباطنهم الشّهوات والأحقاد.ورغم أنّ المحدّثين والمؤرّخين تفنّنوا في دفن الرّوايات التي تشير إلى سوء السّيرة لدى الصّحابة إلاّ أنّ روايات كثيرةً وصلتنا تشير إلى أنّ عدداً مهمّاً منهم لم يتخلّ عن الجاهليّة لحظةً واحدةً وإن كان يحافظ على الظّاهر من الإسلام، والدّليل على ذلك أنّهم عمدوا إلى ما أمر به النّبي (ص) فحاربوه، وإلى ما نهى عنه النّبي (ص) فتبنّوه واتّخذوه ديناً. فقد قضى النّبي (ص) مدّةً من عمره الشّريف ينوّه بالإمام علي (ع) ويقيم الحجّة على مخالفيه، إلاّ أنّ معاويةَ والمغيرةَ بن شعبة ومن معهما أبوا إلاّ أن يشنّوا عليه حرباً لا هوادة فيها، وحملوا النّاس بالسّيف على سبّه وشتمه والبراءة منه، والمسلم العاقل يعلم أنّه لا يحلّ له أن يتبرّأ من مسلم بسيط من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢ص ٢١٦.
(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدّينوري[تحقيق الزّيني] ج ١ ص ٥٠.

عوامّ المسلمين، فكيف بالبراءة ممّن هو من رسول الله بمنزلة هارون من موسى؛ وحينما يذكر المغيرة بن شعبة الإمام علياً(ع) على ملإ من النّاس في الجمعة وغير الجمعة، فإنّه يفتري عليه افتراءً ظاهراً لا يوافقه عليه من كان في قلبه ذرّةٌ من إيمان. قال البلاذريّ: سمع حجر المغيرة يقول يوماً "لعن الله فلاناً - يعني عليّاً - فإنّه خالف ما في كتابك، وترك سنّة نبيك،وفرّق الكلمة وهراق الدّماء،وقتل ظالماً، اللّهم العنْ أشياعَه وأتباعَه ومحبّيه والمهتدين به، والآخذين بأمره.. " فوثب حجر (رض) فنعر بالمغيرة نعرةً سمعت من كل جانب من المسجد، وسمعت خارجاً منه[1]..

كان ذلكم كلام المغيرة بخصوص الإمام علي (ع)، فهو يقول عنه: خالف ما في كتاب الله، وترك سنّة نبيّه،وفرّق الكلمة وهراق الدّماء،وقتل ظالماً!

فمتى حصل ذلك؟ وما هي المواطن التي خالف فيها الإمام علي(ع) كتاب الله تعالى؟ وكيف يكون ذلك وقد قال النّبي (ص): "عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ" وأكّد بعد ذلك بقوله: "ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض"[2]؟!

كيف يكون الإمام علي (ع) مع القرآن ومخالفاً له في نفس الوقت؟!

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ج٥ص٢٥٢دار الفكر، الطبعة الأولى.

(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٣، ص١٢٤ومجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٩، ص ١٣٤ و المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي، ، ص ٤٥و المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٥ ، ص ١٣٥ و المعجم الصغير، الطبراني، ج ١ ، ص ٢٥٥ و الجامع الصغير،جلال الدين السيوطي ج ٢ ، ص ١٧٧وكنز العمال، المتقي الهندي، ج ١١ ص ٦٠٣ حديث ٣٢٩١٢ تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١ حديث ٧٦٤٣ و المناقب، الموفق الخوارزمي، ، ص ١٧٧، وينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ١ ، ص ١٢٤ و ج ٢ ، ص ٩٦ وج٢ ، ص ٣٩٦وج٢، ص ٤٠٣ والنصائح الكافية، محمد بن عقيل ص٢٥١.

ثمّ يقول المغيرة: " وترك سنّة نبيّه " فمتى كان ذلك؟ ومن ذا الذي ادّعاه غير المغيرة والقاسطين والنّاكثين والمارقين؟! أليس الإمام علي (ع) هو الذي أحيا سنّة النّبي (ص) بعد أن كادت تندرس؟! ألم تعرض عليه الخلافة مقابل أن يجعل سيرة الشيخين من شريعة الإسلام فأبى؟ هل يستطيع المغيرة وأنصاره أن يشيروا إلى موطن من المواطن ترك فيه الإمام علي(ع) سنّة رسول الله(ص)؟

ثمّ يقول المغيرة: "وفرّق الكلمة وهراق الدّماء،وقتل ظالماً "!

أليس الإمام علي (ع) هو الذي صبر وهو يرى تراثه نهباً لأجل جمع كلمة المسلمين؟

ويقول: "قتل ظالماً"! وقد اتّفق العلماء أنّ الإمام عليا(ع) كان مصيباً في حروبه كلها سواء ما كان منها مع الخوارج أم ما كان مع أصحاب الجمل وأصحاب صفّين. وقد سمّى رسول الله(ص) الفرق الثلاث بـ"الناكثين والقاسطين والمارقين ".

هل يستطيع أحدٌ أن يثبت أنّ المغيرة كان صادقاً في كلمة واحدة ممّا قال؟

وهذه أمثلةٌ أخرى لما كان يقوم به المغيرة بن شعبة بخصوص الإمام علي (ع):

تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم عليّاً وقال: والله ما أعيبه في قضيّة يخون ولا في حكم يميل، ولكنّه قَتل عثمان(١).

و في البيان و التّبيين : جلس معاوية (رض) بالكوفة يبايع على البراءة من عليّ بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه، فجاءه رجلٌ من بني تميم فأراده على ذلك فقال: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم؛ فالتفت إلى المغيرة فقال: إنّ

(١) جمهرة خطب العرب، ج٢ ص٢٢أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت.

هذا رجلٌ فاستوص به خيراً [١].

وخطب المغيرة فنال من عليّ[٢]

و أيضاً: كان [المغيرة] في المسجد الأكبر و عنده أهل الكوفة، فجاء رجلٌ من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ و سبّ، فقال سعيد بن زيد: من يسبّ هذا يا مغيرة، قال: يسبّ عليّ بن أبي طالب[٣]...

وفي معجم الطّبرانيّ، عن عمران بن حدير أظنّه عن أبي مجلز قال: قال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة لمعاوية إنّ الحسن بن علي عييٌّ وإن له كلاما ورأيا، وإنه قد علمنا كلامه، فيتكلّم كلاماً فلا يجد كلاماً، فقال لا تفعلوا فأبوا عليه ، فصعد عمرو المنبر فذكر عليّاً ووقع فيه، ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى علي عثمان ثمّ وقع في عليّ رضي الله عنه، ثمّ قيل للحسن بن عليّ: اصعد؛ فقال لا أصعد ولا أتكلّم حتى تعطوني إن قلتُ حقّاً أن تصدّقوني وإن قلت باطلاً أن تكذّبوني فأعطوه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: بالله يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلمان أنّ رسول الله (ص) قال : ″ لعن الله السائق والراكب ″ أحدهما فلان؟ قالا: اللّهمّ نعم. قال أنشدك الله يا معاوية ويا مغيرة، أتعلمان أن رسول الله (ص) لعن عمرا بكل قافية قالها لعنة ؟ قالا: اللّهم بلى[٤]. قال أنشدك الله يا عمرو وأنت يا معاوية بن أبي سفيان أتعلمان أن رسول الله (ص) لعن قوم هذا قالا: بلى. قال الحسن: فإنّي

(١) البيان و التبين، الجاحظ، ج ١ ص ٢٦٦: دار صعب بيروت ١٩٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ج١ ص١٠٥ و سير أعلام النبلاء الذهبي، ج١ ص١٠٤ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ج١ ص١٠٣.

(٤) الجواب بعبارة بلى في هذا المقام محل إشكال، لأن بلى يجاب بها عن سؤال مصحوب بالنفي.

أحمد الله الذي وقعتم في من تبرّأ من هذا وذكر الحديث [١]..

عن عبد الله بن الأسود بن أبي عاصم الثّقفيّ عن أبيه عن المغيرة بن شعبة قال رأيت رسول الله (ص)يوم حنين وقف على رجل من ثقيف مقتول فقال: أبعدك الله فإنّك كنت تبغض قريشا[٢].

أقول: إذا كان هذا شأن من يبغض قريشاً، فكيف بمن يبغض بني هاشم قبيلة النّبي (ص) ويسبّ من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؟! هذا الحديث حجّة على المغيرة يوم القيامة.

وقال ابن أبي الحديد [بخصوص المغيرة بن شعبة]: فلهذا قال أصحابنا البغداديّون : "من كان إسلامه على هذا الوجه، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به، من لعن عليّ عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل، وكان المتوسّطُ من عمره الفسقَ والفجورَ وإعطاءَ البطنِ والفرجِ سؤالَهما، وممالأةَ الفاسقين، وصرفَ الوقت إلى غير طاعة الله، كيف نتولاّه ؟! وأيُّ عذر لنا في الإمساك عنه، وألاّ نكشفَ للنّاس فسقه[٣]"! وفيه شهادةٌ صريحةٌ على المغيرة بن شعبة أنّه كان يلعن الإمام علياً(ع) وأنّه مات مصرّاً على ذلك.

وأخرج الحافظ محمّد بن ماجه بإسناده عن عبد الرّحمن بن سابط عن سعد قال : قدمَ معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد، فذكروا عليّاً فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت النّبي(ص) يقول من كنت مولاه فعليّ مولاه.

(١) المعجم الكبير،الطبراني، ج ٣ ص ٧١، ٧٢. دار إحياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠ص٣٨٢ تحت رقم٨٩٥
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ١٠.

وسمعته يقول: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.و سمعته يقول: لأعطينّ الرّاية اليوم رجلاً يحبّ اللهَ ورسولَه[١].

وقد بقي سبُّ ولعنُ الإمام علي(ع) عملاً رسميّاً تشرف عليه الدّولة الأمويّة، وهذه بعض الشواهد على ذلك:

خرج عطيّة مع ابن الأشعث على الحجّاج فلمّا انهزم جيش ابن الأشعث هرب عطيّة إلى فارس، فكتب الحجاج إلى محمّد بن القاسم الثّقفيّ أن ادعُ عطيّةَ فإنْ لَعَنَ عليّ بن أبي طالب وإلاّ فاضربْه أربعمائة سوط واحلقْ رأسَه ولحيتَه! فدعاه فأقْرأه كتابَ الحجّاج فأبى عطيّة أن يفعل، فضربه أربعمائة وحلق رأسه ولحيته[٢]...

قال اليعقوبيّ: ثمّ أدلج معاوية إلى الشّام، ولم يقض لهم حاجةً. وفي هذه السّنة عمل معاويةُ المقصورةَ في المسجد، وأخرج المنابر إلى المصلّى في العيدين، وخطب الخطبة قبل الصّلاة، وذلك أنّ النّاس إذا صلّوا، انصرفوا لئلا يسمعوا لعن عليّ، فقدّم معاوية الخطبة قبل الصّلاة، ووهب فدكاً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله[٣]..

وقال في معرض الحديث عن عمر بن العزيز: كتب إلى عمّاله جميعا : أمّا بعد، فإنّ النّاس قد أصابهم بلاء وشدّة وجور في أحكام الله، وسُنن سيّئة سنّتها عليهم عمّالُ السّوء، قلّما قصدوا قصدَ الحقِّ والرِّفق والإحسان، ومن أراد الحجّ، فعجّلوا عليه عطاءَه، حتى يتجهّز منه، ولا تُحدثوا حدثاً في قطْع وصلْب حتى تُؤامروني،

(١) سنن ابن ماجه، ج١ص٤٥.
(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٦، ص ٣٠٤.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٣.

وتَرَك لعْن عليّ بن أبي طالب على المنبر، وكتب بذلك إلى الآفاق، فقال كثير: وليت فلم تشتم عليّاً ولم تخف بريّاً ولم تتبع مقالة مجرم. وأعطى بني هاشم الخمس، وردّ فدكاً وكان معاوية أقطعها مروان، فوهبها لابنه عبد العزيز، فورثها عمر منه، فردّها على ولد فاطمة(١)..

ولم ينجُ من هذه البليّة إلاّ أهل سجستان فإنّهم لم يسمحوا أن يُلعن على منابرهم أحدٌ.

المغيرة يغشّ حزبه

عن الليث: قال كان المغيرة بن شعبة قد اعتزل، فلمّا صار الأمر إلى معاوية كتب المغيرة إلى معاوية إنّي أشكو إلى الله وإليك كِبر سنّي، ونفاد أهل بيتي، وجفوة قريش عني؛ فكتب إليه معاوية: أمّا ما ذكرتَ من كبر سنّك فإنّه لم يكن يشركك فيما ذهب منك أحدٌ، وأمّا ما ذكرتَ من نفاد أهل بيتك فقد تُوفّي آل أبي سفيان فما عدمت أحداً منهم شيئاً. وأمّا جفوةُ قريش عنك، فهم حملوك على رقاب النّاس! فلمّا رأى أنّه ليس عنده من الغضب إلاّ هذا قدم عليه، فلمّا دخل عليه دعا له فيما أعطاه الله من الظّفر،والنّصر، والعون على ما حمّل، ثمّ قال: وجزاك الله عن أبي عبد الله خيرا ـ يريد عمرو بن العاص وكان قد أمّره على مصر وأمّر ابنه على العراق ـ فقد صنعت به وصنعت فقال معاوية: إنّي والله لقد فعلت. فقال المغيرة في آخر ذلك: أي معاوية داهية العرب، جعلت الأسد بين يديك، وشبليه بين كتفيك، وجعلت في الشّام هذا الذي لو نالت منه عجوز أمعدته؟ قال: فكيف لي به؟ قال: أكفيك. قال فخرج

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٥.

المغيرة ودخل عمرو على معاوية فقال: قد جاءك أعورُ ثقيف من كل طير بريشة؟ قال: لا تفعل يا أبا عبد الله، فإنّه أوّل ما كلّمني به بعد الدعاء لي فيما حمّلت ما غبطني به فيما فعلت بيني وبينك، وما عظم من حقّك، وذكر من فضلك. فخرج عمرو من عند معاوية بما أخبره عنه وقد تفتّح قلبه للمغيرة بما أخبره عنه، وذهب الذي في نفسه عليه؛ فأقبل عمرو إلى منزله فوجد المغيرة بالباب يلتمس الدّخول عليه، فأذن له، فدعا لهم فيما أعطاهم الله من الظّفر وما جمع من أمر أمّة محمّد (ص) على أيديهم، ثم قال بعد ذلك لعمرو بن العاص: داهية العرب، جعلت شطرك بالمغرب وشطرك بالمشرق وإنّما هذا ـ يريد معاوية ـ هامة اليوم أو غداً، فكيف بك إذا اختلف أمر النّاس على أيّ شقّيك تقبل؟ وبأيّهما تهتمّ؟ قال: صدقت لعمر الله، ثمّ ذهب إلى معاوية فقال: اعف لي عبد الله من العراق. فقال معاوية: ما أنا بفاعل! فألحّ عليه عمرو بن العاص، وألحّ معاوية في الإباء حتى قال عمرو: فإن شئت فررناه جذعة. فقال معاوية: أمّا إذا بلغ هذا منك فقد أعفيناه لك. وأرسل معاوية مكانَه حين خرج عمرو بن العاص إلى المغيرة بن شعبة فولّاه العراق، فذُكر ذلك لعمرو فقال: خدعني! فأتى معاوية فقال: بعثت المغيرة إلى العراق؟ قال: نعم، هذا عملك غلبتني على عبد الله فلم أجد منه بدّاً؛ فقال عمر: فتأمنه على المال؟ قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث على الأموال رجلاً، فلا يُقدم المغيرة منه على قليل ولا كثير إلاّ بأمرك. ففعل معاوية ذلك؛ فقال المغيرة حين جاءه ذلك: قد استوفى بعض الاستيفاء ولم يبلغ الذي بلغنا[1].

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ ص ٤٧.

المغيرة والرشوة

ذكر ابن حجر في ترجمة المغيرة بن شعبة ما يلي:

قال قبيصة بن جابر: صحبت المغيرةَ، فلوْ أنّ مدينةً لها ثمانية أبواب لا يُخرج من باب منها إلاّ بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلّها، وولاّه عمر البصرة ففتح ميسان وهمدان، وعدّة بلاد، إلى أن عزله لمّا شهد عليه أبو بكرة ومن معه. قال البغويّ: كان أوّل من وضع ديوان البصرة. وقال ابن حبّان: كان أوّل من سُلّم عليه بالإمرة. ثمّ ولاّه عمر الكوفة وأقرّه عثمان ثمّ عزله، فلمّا قتل عثمان اعتزل القتال إلى أن حضر مع الحكمين[!] ثمّ بايع معاوية بعد أن اجتمع النّاس عليه، ثمّ ولاّه بعد ذلك الكوفة، فاستمرّ على إمرتها حتّى مات سنة خمسين عند الأكثر... قال البغويّ: حدّثني حمزة بن مالك الأسلميّ، حدّثني عمّي شيبان بن حمزة عن دويد، عن المطّلب بن حنطب قال، قال المغيرة: أنا أوّل من رشا في الإسلام؛ جئت إلى يرفأ حاجب عمر، وكنت أجالسه، فقلت له: خذ هذه العمامة فالبسها، فإنّ عندي أختَها. فكان يأنس بي ويأذن لي أن أجلس من داخل الباب، فكنت آتي فأجلس في القائلة، فيمرّ المارّ فيقول: إنّ للمغيرة عند عمر منزلةً! إنّه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحدٌ... وذكر البغويّ من طريق زيد بن أسلم أنّ المغيرة استأذن على عمر فقال أبو عيسى قال: من أبو عيسى؟ قال: المغيرة بن شعبة. قال فهل لعيسى من أب؟ فشهد له بعض الصّحابة أنّ النّبي(ص) كان يكنّيه بها فقال: إنّ النّبي(ص) غفر له وإنّا لا ندري ما يفعل بنا وكنّاه أبا عبد الله..

وأخرج ابن شاهين من طريق كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب عن المغيرة

قال: كنت آتي فأجلس على باب عمر أنتظر الإذن على عمر، فقلت ليرفأ حاجب عمر خذ هذه العمامة فالبسها فإن عندي أختها، فكان يأذَن لي أن أقعُد من داخل الباب، فمن رآني قال إنّه ليدخل على عُمر في ساعة لا يدخل غيره[1].

عن نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: توفّى عثمان بن مظعون، وترك ابنةً له من خويلة بنت حكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوقص، قال وأوصى إلى أخيه قُدامة بن مظعون، قال عبد الله وهما خالاي، قال فخطبت إلى قُدامة بن مظعون ابنة عثمان بن مظعون فزوّجنيها، ودخل المغيرة بن شعبة يعني إلى أمّها فأرغبها في المال[!] فحطت إليه وحطت الجارية إلى هوى أمّها، فأبيا حتى ارتفع أمرُهما إلى رسول الله (ص)، فقال قدامة بن مظعون: يا رسول الله، ابنة أخي أوصى بها إلي فزوّجتُها ابن عمّتها عبد الله بن عمر، فلم أُقصّر بها في الصّلاح ولا في الكفاءة، ولكنّها امرأة وإنّما حطت إلى هوى أمّها، قال فقال رسول الله (ص): هي يتيمةٌ ولا تُنكح إلاّ بإذنها، قال فانتُزعت والله منّي بعد أن ملكتُها فزوّجوها المغيرة بن شعبة[2].

أقول: رغّب المغيرة أمّ البنت في المال ـ أي رشاها ـ وانتزعها من عبد الله بن عمر (ابن عمّتها)، فهل احتفظ بها المغيرة أم أنّه طلّقها كما طلّق المئات قبلها؟! والعجيب أن المغيرة يقول عن عبد الله بن عمر "القويّ الأمين" !

قد يقول قائل: لو كان المغيرة غير مُحقّ في القضيّة لما أنفذها رسول الله(ص)، وهذا كلامٌ من هو غير ملتفت إلى المسألة، لأنّ الذين ترافعوا إلى النّبي (ص) الأمّ

(١) الإصابة، ابن حجر، ج٦ ص ١٩٧.
(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٢ص ١٣٠.

والبنت وقدامة بن مظعون، وليس المغيرة طرفاً في النّزاع، والنّبي (ص) إنّما حكم بينهم وفقا للواقع، بغضّ النظر عن أيّ شخص خارج الأطراف الثّلاثة، فحتّى لو كان الشّخص الذي رغّب أم البنت في المال شخصا آخر غير المغيرة فإنّ الحكم سيكون هو نفسه.ويبقى هناك سؤال يوجّه إلى محبّي المغيرة والمعجبين به، إذ المغيرة كان ذوّاقاً مطلاقاً، والسّؤال هو: هل بقيت هذه البنت اليتيمة عند المغيرة أم أنّه طلّقها بعد أن ذاقها كما طلّق العشرات ـ أو المئات ـ قبلها؟ هذا هو السؤال المهمّ.

الفصل السادس

المغيرة والنساء

قال أبو سليمان في حديث المغيرة أنّه قال: أحصنتُ ثمانين امرأةً، فأنا أعلمكم بالنساء [1].

هكذا يتكلّم المغيرة، حريصاً على أن يكون له خصوصيّةٌ في كلّ شيء؛ فهو آخرهم عهداً برسول الله، وهو أوّلُ مَن رشا في الإسلام، وأوّل من سُلّم عليه بالإمرة، و..و..وهو أعلمهم بالنّساء!

وعن ابن وضّاح قال : حدّثنا سحنون عن ابن نافع قال : أحصن المغيرة بن شعبة ثلاثمائة امرأة في الإسلام. قال ابن وضّاح : غير ابن نافع يقول : ألف امرأة[2].

أقول: هذا في الإسلام! فما هو عدد النّساء اللاتي خالطهنّ قبل الإسلام، وهو الذي كان يقال عنه أزنى ثقيف[3]، أي أكثرهم زناً.

وقال ابن الأثير: قيل: إنّ المغيرة أحصن ثلاثمائة امرأة في الإسلام وقيل: ألف امرأة[4].

هكذا تحدّثوا عن زواجات المغيرة بن شعبة وطلاقاته كما لو كانت إنجازات، ولم يُشر أحدٌ منهم إلى فظاعة المسألة، وهم يعلمون أنّه لو أصبح كلّ الناس أوْ جُلّهم على طريقة المغيرة لما ترك على ظهرها من دابّة، لأنّ الفساد ساعتها يكون

(١) غريب الحديث، الخطابي، ج ٢ص ٥٤٥ تحت رقم٥٤.
(٢) الاستيعاب، ابن عبد البرّ، ج ١ ص ٤٥٣.
(٣) قال الأصفهاني : وقد روى المدائنيّ أنّ المغيرة كان أزنى النّاس في الجاهليّة، فلمّا دخل في الإسلام قيّده الإسلام وبقيت عنده منه بقية ظهرت في أيام ولايته البصرة.
(٤) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ١ ص ١٠٤٠.

أوسع من أن يُرتق، كما يكون استهزاءً بالدّين. وهم في نفس الوقت يذكرون أنّ النّبي(ص) لعن كلّ مذواق مطلاق.

ما هو موقف النّبي (ص) من مثل هذه الأعمال التي يسعى وراءها المغيرة بن شعبة وأمثاله؟ ونحن نفهم من موقف النّبي (ص) موقفاً إلهيّاً سماويّاً تنسجم معه الفطرة، لأنّ النّبي (ص) ليس من أهل المزاج والهوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحيٌ يوحى.

عن شهر بن حوشب قال: تزوّج رجل وامرأة على عهد النّبي(ص)فطلّقها، فقال له النّبي : (ص)طلّقتها؟ قال: نعم؛ قال: من بأس؟ قال: لا، يا رسول الله. ثمّ تزوّج أخرى ثمّ طلّقها، فقال له رسول الله(ص): طلّقتها؟ قال: نعم! قال: من بأس؟ قال: لا، يا رسول الله! ثم تزوّج أخرى ثمّ طلّقها، فقال له رسول الله (ص): أطلقتها؟ قال: نعم، قال: من بأس؟ قال: لا، يا رسول الله(ص). فقال رسول الله (ص)في الثالثة: إن الله لا يحبّ كل ذوّاق من الرّجال، ولا كلّ ذواقة من النساء[1].

أقول: كلام رسول الله(ص) واضحٌ، وبلسان عربيّ مبين، لا يحتاج إلى مترجم، بل يفهمه كلّ من يعرف اللّغة العربيّة، ويفهمه أيضاً كلّ من يترجم إلى لغته بنزاهة وأمانة بما أنّ النّبي (ص) صادقٌ في كلّ ما يقول، فإنّ الله لا يحبّ كل ذوّاق من الرّجال، والمغيرة ذوّاقٌ من الرجال، فلا ريب أن تكون النتيجة "إنّ الله لا يحبّ المغيرة بن شعبة".

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج٤ ص١٨٧ الحديث رقم ١٩١٩٣.

و في مرقاة المفاتيح : وأما ما روى "لعن الله كل ذوّاق مطلاق" فمحمله الطّلاق لغير حاجة، بدليل ما روى من قوله "أيّما امرأة اختلعت" من زوجها بغير نشوز فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.[١].

أقول: إذا كان الله تعالى يلعن المرأة التي تختلع من زوجها بغير نشوز، فكيف يكون موقفه ممّن يختلع[٢]من عشرات النّساء بدون نشوز؟!

ونقل الآلوسي عن البيهقيّ قوله: "البغض على إيقاعه كلّ وقت من رعاية لوقته المسنون وبطلاقه (ص) حفصة، ثمّ أمْره تعالى إيّاه أن يراجعها فإنّها صوّامةٌ قوّامةٌ. وقال غير واحد هو محظورٌ لما فيه من كفرانِ نعمة النّكاح، ولقوله عليه الصّلاة والسّلام لعن الله كلّ مذواق مطلاق وإنّما أبيح للحاجة "[٣].

وفي شرح فتح القدير : وأما ما روى " لعن الله كلّ ذواق مطلاق " فمحمله الطّلاق لغير حاجة، بدليل ما رُوى من قوله (ص) أيّما امرأة اختلعت من زوجها بغير نشوز فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ولا يخفى أنّ كلامهم فيما سيأتي من التّعاليل يصرّح بأنّه محظورٌ لما فيه من كفران نعمة النّكاح وللحديثين المذكورين وغيرهما، وإنّما أبيح للحاجة، والحاجةُ ما ذكرنا في بيان سببه، فبين الحكمين منهم تدافعٌ، والأصحُّ حظره إلا لحاجة للأدلّة المذكورة[٤].

وقال السّرخسي في المبسوط:

---

(١) مرقاة المفاتيح، ج٦، ص٣٨٦

(٢) عبارة يختلع هنا للمشاكلة، وإلاّ فإنّ الخلع خاص بالنّساء.

(٣) روح المعاني، الآلوسي، ج٢٨ ص١٣٢.

(٤) شرح فتح القدير، ج٣ ص٤٦٥.

ومن النّاس من يقول لا يباح إيقاع الطّلاق إلاّ عند الضّرورة لقوله(ص): " لعن الله كلّ ذوّاق مطلاق" وقال (ص): "أيّما امرأة اختلعت من زوجها من نشوز فعليها لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين". وقد رُوي مثلُه في الرّجل يخلع امرأته ولأنّ فيه كفران النّعمة، فإنّ النّكاح نعمةٌ من الله تعالى على عباده، قال الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً) وقال الله تعالى: (زيّن للنّاس حبّ الشّهوات من النّساء..)الآية، وكفران النّعمة حرامٌ وهو رفع النّكاح المسنون، فلا يحلّ إلاّ عند الضّرورة، وذلك إمّا كبر السّنّ لما روي أنّ سودة لما طعنت في السّنّ طلّقها رسول الله (ص)[1]. وقال في كتاب الحجر: وكذلك لو تزوّج أربع نسوة أو تزوّج كلّ يوم واحدة ثمّ طلقها، وبهذا يحتجّ أبو حنيفة رحمه الله أنّه لا فائدة في الحجر عليه لأنّه لا ينسد باب إتلاف المال عليه وأنّه يتلف ماله بهذا الطّريق إذا اعجز عن إتلافه بطريق البيع والهبة وهو يكتسب المحمدة في البرّ والإحسان والمذمّة في التّزوّج والطّلاق، قال عليه الصلاة والسلام: لعن الله كل ذوّاق مطلاق[2].

وفي تفسير الثّعلبيّ: وقال(ص): لاتطلّقوا نساءكم إلاّ عن ريبة، فإنّ الله لا يحب الذوّاقين ولا الذوّاقات[3].

وفي البحر الرّائق: وفي المعراج إيقاع الطّلاق مباحٌ وإن كان مُبغضا في الأصل عند عامّة العلماء، ومن النّاس من يقول لا يباح إيقاعة إلاّ لضرورة كبر سنّ أو ريبة لقوله عليه السّلام "لعن الله كلّ مذواق مطلاق" ولنا إطلاق الآيات، فإنّه يقتضي الإباحة مطلقاً، وطلّق النّبي حفصةَ (رض)فأمره الله تعالى أن يراجعها، فإنّها صوّامة

(١) المبسوط، السرخسي، ج٦ ص٢.
(٢) المبسوط، السرخسي، ج٢٤ ص ١٧٠.
(٣) تفسير الثعلبي، ج٢ ص١٨٨.

قوّامة، ولم يكن هناك ريبةُ ولا كبر سنّ، وكذا الصّحابة (رض) فإنّ عمر (رض) طلّق أمّ عاصم وابن عوف تماضر والمغيرة بن شعبة أربع نسوة والحسن بن علي[1]..

أقول: في هذا الكلام افتراءُ على سيّد شباب أهل الجنّة الحسن بن علي(ع)، فإنّه كلامٌ مرويٌّ من طرق أعدائه وأعداء أبيه، وشهادة الخصم على خصمه مردودةٌ في جميع الشّرائع والملل. ثمّ أعود إلى التّعليق عمّا ورد بخصوص الذّواقين فأقول:

الذّوّاق ملعونٌ على لسان رسول الله(ص)، لكن حينما يكون الذّواق صحابيّاً اسمه المغيرة بن شعبة، يفقد حديث النّبي مصداقيّته، ويتحوّل إشباع الشّهوة الحيوانيّة إلى إحصان!

وتكلّموا في سلوك المغيرة الجنسيّ، لكن لم يجرؤْ أحدٌ منهم أن يتأسىّ برسول الله(ص) ويظهر نفوره من هذا العمل، لأنّ عدالة جميع الصّحابة ـ من النّاحية العمليّة ـ مقدّمة عندهم على ما يحبّه الله ورسوله وما يمقته الله ورسوله! ولعلّهم احتاطوا لمعتقدهم فرووا في صحيح البخاريّ ومسلم وغيرهما أنّ سليمان بن داوود (ع) طاف في ليلة واحدة على ستّين امرأةً! نعم، طاف على ستّين امرأةً في ليلة واحدة من ليالي الشّرق الأوسط التي لا تتجاوز أطولُ ليلة فيها [وهي ليلة ٢١ ديسمبر] خمس عشرة[١٥] ساعةً!دون استراحة أو ترانزيت أو تزوّد بوقود أو...وهم يرون بأعينهم الرّياضيّين في الملاعب يأخذون ربع ساعة أو أكثر بين الشّوطين للاستراحة قبل الاستئناف، وحينما تفضي المقابلات إلى الوقت الإضافيّ والرّكلات التّرجيحيّة يظهر التّعب واضحاً على اللاّعبين حتى إنّ بعضهم يسقط أكثر من مرّة، علماً أنّ تلك

(١) البحر الرائق، ج٣ ص٢٥٣.

الرّياضة أقلّ مشقّةً من ذلك الشأن المنسوب إلى سليمان بن داوود(ع) في الصّحيحين وغيرهما، إضافةً إلى بشاعة المنظر حيث تُرى ستّون(٦٠) امرأةً في صفّ طويل، طويل، في انتظار النّوبة، وكلّ واحدة منهنّ عالمة بسبب وقوفها ووقوف الأخريات، وإلاّ فمنظر ستّين غرفةً مجهّزةً لاستقبال نبيّ من أنبياء الله تعالى صلوات الله على نبينا وآله وعليهم، وهو ما يعادل حيّاً سكنيّاً كاملاً؛ فإذا كان هذا ديدن نبيّ الله سليمان(ع) ـ وحاشاه من ذلك ـ فإنّ المغيرة بلهثه وراء الشّهوة سيكون متشبّهاً بسليمان(ع)!! هل صلىّ سليمان(ع) ليلتها فرائضه؟ هل تهجّد؟ هل ذكر الله تعالى قائماً أو قاعداً أو لجنبه؟ هل كان يغتسل لكلّ شوط؟ هل كان يأخذ وقتاً مستقطعاً يلتقط فيه أنفاسه؟

على البخاريّ وأبي هريرة أن يجيبا عن هذه الأسئلة دون اللّجوء إلى فكرة المعجزة أو ما يجري مجراها، فإنّ الله تعالى أجلّ من أن يضع معجزاته في هذه الأمور، والمعجزة إنّما تكون في مقام التحدّي ولم يكن هناك تحدّ! وإذا كان الإسراف في شهوتي الطّعام والشّراب غير مقبول عند الله تعالى، فكيف بالإسراف في هذه الشّهوة؟ وعلى كلّ حال، فإنّ كاتب هذه السّطور لا يشكّ في أنّ قصّة سليمان المذكورة في صحيح البخاريّ هي من ذلك الكمّ الهائل من الإسرائيليّات التي نُقلت إلى تراث المسلمين عن طريق كعب الأحبار، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، ووهب بن منبه، وتميم الداري.

قال ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب: أحصن المغيرة بن شعبة أربعاً من بنات أبي سفيان! وروى بكر بن عبد الله المزنيّ عن المغيرة بن شعبة ـ في حديث ذكره ـ: ولقد تزوّجت سبعين امرأةً أو بضعاً وسبعين امرأةً. وقال ليث بن أبي سليم قال المغيرة بن

شعبة: أحصنت ثمانين امرأةً! وقال حرملة بن يحيى عن بن وهب: سمعت مالكاً يقول: كان المغيرة بن شعبة نكّاحاً للنّساء، وكان يقول صاحبُ الواحدة إن مرضت مرض معها، وإن حاضت حاض معها، وصاحبُ المرأتين بين نارين تشتعلان، وكان ينكح أربعاً جميعاً ويطلّقهنّ جميعاً[1][!]. وقال محمّد بن وضّاح عن سحنون بن سعيد عن عبد الله بن نافع الصائغ: أحصن المغيرة بن شعبة ثلاث مائة امرأة في الإسلام. قال ابن وضّاح غير بن نافع يقول ألف امرأة. وقال الهيثم بن عديّ عن مجالد عن الشّعبيّ: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ما غلبني أحدٌ قطُّ، وفي رواية ما خدعني أحدٌ في الدّنيا إلاّ غلامٌ من بني الحارث بن كعب، فإنّي خطبت امرأةً منهم فأصغى إليّ الغلام وقال: أيّها الأمير، لا خير لك فيها، إنّي رأيت رجلاً يقبّلها. فانصرفتُ عنها، فبلغني أنّ الغلام تزوّجها، فقلت: أليس زعمت أنّك رأيت رجلاً يقبّلها؟ قال: ما كذبت أيّها الأمير، رأيت أباها يقبّلها؛ فكلّما ذكرت قوله علمت أنّه خدعني؛ وفي رواية فإذا ذكرت ما فعل بي غاظني ذلك.

أقول: لم يزل المغيرة يتلوّع ويتغيّظ ممّا فعل به الغلام، وكلّما ذكر ذلك تحرّك الألم في جوفه، وهذا واضح في قوله: "فإذا ذكرت ما فعل بي غاظني ذلك"؛ أي غاظه أنّه فوّت عليه شهوةً؛ لكنّه لم يظهر ـ ندماً أو مشاعر إنسانيّةً بخصوص ثلاثةَ عشر بريئاً كانوا رفقته في السّفر ذبحهم وهم نيامٌ. فما أشدّ حسرة المغيرة حينما تفوته شهوةٌ واحدةٌ، وما أبلد حسّه ومشاعره حين يقتل الأبرياء ويتبجّح بفعلته وكأنّها إنجازٌ عظيمٌ.

وحينما يقول المغيرة بن شعبة " صاحب الواحدة إن مرضت مرض معها وإن

(١) تهذيب الكمال، المزي، ج ٢٨ص ٣٧٣).

حاضت حاض معها " هل يُدخل في قوله هذا أيضاً رسول الله(ص) أيّام كان مع خديجة،وعليّاً (ع) في حياة فاطمة (ع)، وآدم مع حوّاء، وموسى مع أهله، وإبراهيم مع سارة، ونوحاً مع زوجته، وغيرهم من الأنبياء والأوصياء والصّالحين الذين لم يكن لهم إلاّ زوجة واحدة ؟ هل يصحّ أن يقال عن نبيّ من الأنبياء: " إن مرضت مرض معها وإن حاضت حاض معها "؟!

وعن يحيى قال: قال المغيرة بن شعبة: "كنت أسترضى النّساء بالباه، فأمّا اليوم فإنّي أترضّاهن بالمال" (١).

أقول : هو ذاك، بعد سبعين سنة من الشّبق والنّهم الجنسيّ لم يعد للمغيرة طاقةٌ، وقد خرج أبو بكرة من الدّنيا مصرّاً على أنّ المغيرة زنى، وجعل ذلك في وصيّته حتى يقطع الطّريق على المزوّرين والمحرّفين، حتى لا يقولوا تاب أبو بكرة من شهادته على المغيرة؛ وهذا الفعل من أبي بكرة دليلٌ على ذكائه وفطنته وتمسّكه بموقفه، مع تديّن وورع، فقد رمى الكرة في شباك المغيرة وعُمر في آخر لحظة!

عن الشعبيّ قال: لما كان يوم القادسيّة طعن المغيرة بن شعبة في بطنه، قال فجئ بامرأة من طيء تخيط بطنه، فجعلت تخيطه، فلمّا نظر إليها وهي تخيط قال: ألك زوجٌ؟ قالت: وما يشغلك ما أنت فيه من سؤالك إيّاي (٢)؟!

أقول : حتّى في مثل هذه الحال لاتفتر شهوة المغيرة.

عن ليث بن أبي سليم قال: قال المغيرة بن شعبة أحصنتُ ثمانين امرأةً، فأنا

(١) تاريخ ابن معين، رواية الدوري، ج ٣، ص ١٩٩ رقم ٩١٤.
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ ص ٥٤.

أعلمكم بالنّساء. كنت أحبس المرأة لجمالها، وأحبس المرأة لولدها، وأحبس المرأة لقومها، وأحبس المرأة لمالها. فوجدت صاحب الواحدة إن زارت زار، وإن حاضت حاض، وإن نفست نفس، وإن اعتلت اعتلّ معها بانتظاره لها؛ ووجدت صاحب الاثنتين في حرب، هما ناران تشتعلان؛ ووجدت صاحب الثّلاث في نعيم. وإذا كنّ أربعاً كان في نعيم لا يعدله شيءٌ، ولا يقتصرنّ أحدكم على الواحدة فيكون مثله مثل أبي جفنة[1].

أقول: هذا كلام من لا يهمّه الحساب والمعاد؛ فقد شهد القرآن الكريم أنّ العدل بين النّساء أمر صعبٌ شديدٌ، وأخبر رسول الله(ص) أنّ من كانت عنده امرأتان فمال مع إحداهما جاء يوم القيامة يجرّ أحد شقّيه؛ فالإسلام الحنيف حينما أجاز للرّجل أربع نسوة لم يهمل مسألة العدل والحقوق؛ والمغيرة رجل لا يبالي أن يصفّ أربع نسوة معاً، ويطلّقهن في لحظة واحدة لأنّه قضى منهن وطره، ويريد أذواقاً جديدةً.

قال الشّنقيطي: وأخذ بعض العلماء من هذه الآية أن الوليّ إذا أراد نكاح من هو وليّها جاز أن يكون هو النّاكح والمنكِح، وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة والأوزاعيّ والثوري وأبو ثور، وقاله من التّابعين الحسن وربيعة، وهو قول اللّيث. وقال زفر والشافعيّ لا يجوز له أن يتزوّجها إلا بإذن السّلطان، أو يزوّجها وليّ آخر أقرب منه أو مساو له. وقال أحمد في إحدى الروايتين يوكّل رجلاً غيره فيزوّجها منه. وروي هذا عن المغيرة بن شعبة كما نقله القرطبيّ وغيره[2].

وفي هذا الصدد ذكر ابن حجر أنّ المغيرة خطب امرأةً هو أولى النّاس بها، فأمر

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ ص٥٥.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ج١ص٢٢١.

رجلاً فزوّجه، هو عثمان بن أبي العاص، بيّنه سعيد بن منصور، وأمّا المرأة فلم تسمّ"[١].

وقال النّوويّ: كان المغيرة بن شعبة (رض) أحد دهاة العرب، كنيته أبو عيسى ويقال أبو عبد الله وأبو محمّد. مات سنة خمسين وقيل سنة أحدى وخمسين، أسلم عام الخندق، ومن طريف أخباره أنّه حكي عنه أنّه أحصن في الإسلام ثلاثمائةِ امرأة وقيل ألف امرأة[٢].

أقول: يكتفي النّوويّ بقوله "ومن طريف أخباره أنّه حكي عنه أنّه أحصن في الإسلام ثلاثمائة امرأة وقيل ألف امرأة "وكأنّ الأمر طريفٌ فعلاً، ولو صدر مثل هذا العمل من غير صحابيّ لفتح عليه النّوويّ نيراناً تتلوها نيرانٌ، ووصفه بالمتلاعب بالشّرع والميثاق الغليظ[٣].

قال السّرخسي: والمغيرة بن شعبة(رض) كان له أربع نسوة فأقامهنّ بين يديه صفّاً وقال: أنتنّ حسان الأخلاق، ناعمات الأرداف، طويلات الأعناق، اذهبن فأنتنّ طلاق[٤].

قال السّخاوي: والمعنى أن الذي له شيخٌ واحدٌ ربما احتاج من الحديث لما لا يجده عند شيخه فيصير حائراً، وكذلك من له زوجةٌ واحدةٌ قد يتّفق توقانه إلى النّكاح في حال حيضها فيصير حائراً، فإن كانت له زوجةٌ أخرى أو أمَةٌ حصل

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج١ ص٣٢٢.

(٢) شرح النووي على مسلم، ج ١ ص٦٣، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

(٣) باعتبار أن القرآن الكريم وصف الزواج أنه ميثاق غليظ﴿**وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْض وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً** [النساء: ٢١] ﴾.

(٤) المبسوط، السرخسي،ج ٥ ص ٣.

الغرض. وفي معاشرة الأهلين عن المغيرة بن شعبة (رض) قال: وجدت صاحب الواحدة إن زارت زار، وإن حاضت حاض، وإن نفست نفس، وكلّما اعتلّت اعتلّ معها بانتظاره لها، ثمّ ذكر صاحب الاثنتين وصاحب الثّلاث والأربع[١].

أقول: استشهاد السّخاويّ بكلام المغيرة غير سديد، لأنّ هذا يُقبل في حقّ من يحتاج إلى امرأة ثانية وثالثة، أمّا المغيرة فإنّه لم يكن كذلك، بل كان يجمع بين أربع من النّساء ويطلّقهن دفعةً واحدةً، ويتزوّج أربعاً أُخر! فالمغيرة كان يتلاعب بما سمّاه الله تعالى ميثاقاً غليظاً.

قال الصّفديّ: وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر أنّ الفارعة أم الحجّاج هي المتمنّية، ولما تمنّت كانت تحت المغيرة بن شعبة[٢].

قال الذّهبي في معرض أحداث سنة ٥٠: وفيها توفّي المغيرة بن شعبة الثّقفيّ. أسلم عام الخندق وولي العراق لعمر ولغيره. وكان من رجال الدّهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاءً. يُقال إنّه أحصن ثلاث مئة امرأة وقيل ألف امرأة[٣].

هذا مبلغ علم الذّهبي، وهذا مبلغ مصداقيّة كلام عمر بن الخطّاب عنده! فبينما يقول عمر بن الخطّاب للمغيرة بن شعبة وجهاً لوجه: "إنّما أنت رجلٌ فاسقٌ"، يقول الذّهبي عن المغيرة " من رجال الدّهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاءً "!فما أبعد ما بين كلام الرّجلين، وعمر بن الخطّاب أعلم بالمغيرة لأنّه عاش معه في زمن واحد، وكان

(١) فتح المغيث، السخاوي، ج ٢ ص ٣٤٥.
(٢) الوافي في الوفيات، الصفدي، ج ١ ص ١٥٩٠.
(٣) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج ١، ص ٥٦ دار النشر: مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤، الطبعة: ط٢، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.

بينهما حميميّةٌ يعرفها أهل ذاك الزّمان وأهل هذا الزّمان.

و قال ابن وهب سمعت مالكاً يقول: كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحب المرأة الواحدة يحيض معها و يمرض معها، و صاحب المرأتين بين نارين يشتعلان وصاحب الأربعة قرير العين، وكان يتزوج أربعة[كذا] معاً، و يطلقهنّ معاً، وقال عبد الله بن نافع الصائغ: أحصن المغيرة ثلاثمائة امرأة. وقال غيره ألف امرأة. وقيل مئة امرأة و قيل ثمانين امرأة[١]!

أقول: القدر المتيقّن من أقوالهم ثمانون امرأةً، وإن كان المغيرة نفسه يقف عند الستّين كما سيأتي، و الحال أنّ أبغض الحلال إلى الله الطّلاق، و المغيرة لم يكن يبالي بطلاق أربع دفعةً واحدةً. ترى ما يكون موقف امرأة من غير المسلمين مثقّفة باحثة تحدّث نفسها باعتناق الإسلام و هي تطالع سلوك المغيرة صاحب ألف امرأة، وتقف بعد ذلك على أنّه مشهودٌ له بالعدالة، و أنّه من الذين رضي الله عنهم، و أنّه من أهل الجنّة؟!

وفي المعجم الكبير: قال المغيرة.. "ولقد تزوّجت ستّين امرأةً"[٢].

عن بكر بن عبد الله، عن المغيرة بن شعبة قال: لقد تزوّجت سبعين امرأةً أو أكثر. أبو إسحاق الطّالقاني : حدّثنا ابن المبارك قال : كان تحت المغيرة بن شعبة أربع نسوة. قال : فصفّهنّ بين يديه وقال : أنتنّ حسنات الأخلاق، طويلات الأعناق، ولكنّي رجلٌ مطلاق، فأنتنّ الطلاق[٣].

(١) البداية و النهاية، ابن كثير، ج٨ ص٤١.
(٢) المعجم الكبير، الطبراني ج ٠٢ ص ٣٧٠.
(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٣ ص ٣١.

وفي شرح فتح القدير: ومن قول المغيرة بن شعبة حين طلّق الأربع: اذهبن فأنتن الطلاق أو طلاق[١].

أقول: وأنت ترى أنّه يقول عن نفسه " لكنّي رجلٌ مطلاق "، ومع ذلك لم يقولوا عنه " مطلاقٌ"، ونسبوا هذا العمل المشين إلى سيّد شباب أهل الجنّة ظلماً وعلوّاً، فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون.

قال ابن شوذب : أحصن المغيرة أربعاً من بنات أبي سفيان، وكان آخر من تزوج منهن بها عرجٌ[٢].

أقول: هذه الزّواجات من دهاء المغيرة، ومعاوية بن أبي سفيان على علم بما يرمي إليه المغيرة، فهو لا يتزوّج بنات أبي سفيان حبّاً فيهنّ، وإنّما يستثمر العلاقات ويحافظ على منصبه وامتيازاته، لأنّ رجلاً يتزوّج أربعاً من عائلة واحدة قد أصبح عضواً من تلك العائلة بلا شكّ؛ و معاوية محتاجٌ إلى دهاء المغيرة ومكره وفسقه[٣]، فلا بأس أن يتزوّج من بنات أبي سفيان، و نعم الصّهر المغيرة تجمعه بمعاوية عداوة راسخة للإمام علي بن أبي طالب (ع). ومن حقّ الباحث في سير وسلوك الصّحابة أن يتساءل عن سرّ هذا التّعلّق ببنات رأس الأحزاب !

قال الأبشيهيّ: وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأةً وكان شابّاً جميلاً فأرسلت إليهما أن يحضرا عندها فحضرا، وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما؛ فلما رأى المغيرة ذلك الشّابّ وعاين جماله علم أنّها تؤثره عليه، فأقبل على الفتى

(١) شرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد السيواسي، ج٤ص ٦٣.
(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣ ص ٣٠.
(٣) بناء على قول عمر بن الخطاب له " إنما أنت رجل فاسق".

وقال: لقد أوتيت جمالاً ، فهل عندك غير هذا؟ قال: نعم، فعدّد محاسنه ثمّ سكت. فقال له المغيرة: كيف حسابُك مع أهلك؟ قال: ما يخفى علي منه شيءٌ، وإنّي لأستدرك منه أدقّ من الخردل. فقال المغيرة: لكنّي أضع البدرة في بيتي، فينفقها أهلي على ما يريدون، فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها. فقالت المرأة: والله لهذا الشّيخ الذي لا يحاسبني أحبُّ إليَّ من هذا الذي يحصي عليَّ مثقال الذّرّة، فتزوّجت المغيرة[(١)].

أقول: قد كذب المغيرة ههنا ودلّس، فإنّه كان معروفا بالشُّح، وتأتي لاحقاً قصّته مع الوليد بن عقبة، ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى شيخٌ كذّابٌ!

وقال البخاريّ في [باب إذا كان الوليّ هو الخاطب]: وخطب المغيرة بن شعبة امرأةً هو أولى النّاس بها، فأمر رجلاً فزوّجه[(٢)].

والرواية في مصنّف عبد الرزاق: عن الثوري عن عبد الملك بن عمير قال : أراد المغيرة بن شعبة أن يتزوّج امرأةً هو أقرب إليها من الذي أراد أن يزوّجها إيّاه، فأمر غيره أبعد منه، فزوّجها إياه[(٣)].

أقول: رغم أنّ المغيرة يعلم أنّها لن تبقى عنده إلاّ مدّةً قليلةً، باعتبار أنّه رجلٌ مطلاقٌ يقرّ بذلك على نفسه، إلاّ أن المبدأ عنده هو : المصلحة قبل كلّ شيء!

عن ثابت عن أنس، أنّ المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوّج امرأة فقال له النّبي(ص)إذهب فانظر إليها فإنّه أحرى أن يؤدم بينكما، قال ففعل فتزوّجها، فذكر

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، ج٢ ص٢٠٠.
(٢) صحيح البخاري، ج٥ص١٩٧٢تحت رقم٣٨.
(٣) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ٦، ص ٢٠١ تحت رقم(١٠٥٠٢) .

من موافقتها. إسناده صحيحٌ[١].

عن أبي عمران الجونيّ عن أبي فراس رجل من أصحاب النّبي (ص)عن المغيرة بن شعبة قال: جئت إلى رسول الله (ص) أريد النّساء فقال رسول الله (ص) ائت [بنت]فلان فانظر إلى ما بهم[كذا] فإنّه أثبت للودّ، فإن رضيتها أنكحتك، فأتاهم فسلّم عليهم فقال أرسلني رسول الله(ص)وأمرك أن يروك إيّاي، قالت: نعم؛ فكشفت عن خدرها وقالت: أنظر. فتزوّجتها فما تزوّجت شيئاً قطّ أحبّ إليّ منها ولقد تزوّجت ستّين امرأةً[٢].

أقول: أين ذهبت الستّون امرأةً؟ وهل يرضى مؤمنٌ أن تكون ابنته أو أخته إحداهنّ؟ ومع ذلك لم يقولوا عن المغيرة "مطلاق"!!وهو الذي تزوّج ستّين على أقلّ تقدير، ولا يصحّ في الإسلام الجمع بين أكثر من أربع. وقد اهتمّ الرّواة بهذه الواقعة التي يرويها المغيرة وهو يوهم أنّه من أهل العفّة الذين يستشيرون النّبي (ص) في الزّواج ويستأذنون منه في النّظر إلى المرأة المراد خطبتها!

ففي منتخب مسند عبد بن حميد : عن ثابت عن أنس أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج امرأة فقال له النبي (ص) اذهب فانظر إليها فإنّه أحرى أن يؤدم بينكما قال ففعل فتزوجها فذكر من موافقتها[٣].. وفي سنن الدارقطني : عن عاصم الأحول، عن بكر المزني، عن المغيرة بن شعبة قال: خطبت امرأة، فقال لي رسول الله (ص): "

(١) الأحاديث المختارة، ج٥ ص١٦٩تحت رقم١٧٨٩.
(٢) المعجم الكبير، ج٢٠ص ٣٧٠تحت رقم٨٦٢
(٣) منتخب مسند عبد بن حميد، ، ص ٣٧٥.

نظـرت إليهـا ؟ "، قلـت : لا، قـال : " فـأنظر إليهـا فإنّـه أحـرى أن يـؤدم بينكمـا"[١].

وعن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال: قال المغيـرة بـن شـعبة لرسـول الله (ص): إنّي ذكرت فلانة أتطلق لي أن أراها؟ قال: نعم. فإن كنت لأحتالها في أصـول النّخـل لتمرّ بي[٢].

أقول: يريد المغيرة أن يقول إنّـه أخـذ إذنـاً مـن رسـول الله(ص) لمطـاردة النّسـاء، وحاشا لنبيّ الإسلام من ذلك، بل الرّواية الصّحيحة ما ذكره الحسن بـن علـي(ع) مـن أنّ النبي(ص) قال له في جواب سؤاله: ما لم ينو الزّنا يا مغيرة! ثـمّ أردف الحسـن بـن علي(ع): لعلمه أنّك زان!!.

قال النّوويّ: أسلم[المغيرة بن شعبة] عام الخندق، ومن طرف أخبـاره أنّـه حكـي عنّه أنّه أحصن في الإسلام ثلاثمائة امرأة وقيل ألْف امرأة[٣].

وعن الزبير بن بكار قال: حدّثني أبو سلمى الكلابيّ قال: لمّا شُهد على المغيرة بـن شعبة بما شُهد به عليه، كتب عمر بن الخطّاب في حمله في الحديـد. فـورد مـاءً عليـه جاريةٌ من بني البكاء بن عامر بن ربيعة، مثلُ الظّبيـة، مـع أبيهـا تمـتح علـى إبلـه وهـي تقول:

(١) سنن الدارقطني، ج ٣، ص ١٧٧.

(٢) المعجم الكبير، ج٢٠ص٤٣٧تحت رقم١٠٦٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١ ص٦٣. وفي الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٤، ص ١٤٤٦: حدثنا سعيد بن مسور قال حدثنا عبد الله بن محمد بن علي حدثنا محمد بن قاسم حدثنا ابن وضاح قال حدثنا سحنون عن ابن نافع قال أحصن المغيرة ابن شعبة ثلاثمائة امرأة في الإسلام قال ابن وضاح غير ابن نافع يقول ألف امرأة ولما شهد على المغيرة عند عمر عزله عن البصرة وولاّه الكوفة فلم يزل عليها إلى أن قتل عمر.

ليس بنا فقرٌ إلى التّشكّي صلادِمٌ كحمرِ الأبكّ لا ضرعٌ فيها ولا مذكّي

قال: فخطبها إلى أبيها فقال: كيف وأنت على هذه الحال؟

قال: إن أعش فكفايتي ما قد علمت، وإن أمت أورثها الغنى. فزوّجها إيّاه، فوقع بها على الماء مكانه[١].

أقول: حتى في مثل هذه الحال لا يستطيع المغيرة كبح جماح شهوته، فإنّه " وقع بها على الماء مكانه".فكأنّما خلق للشّهوة لا غير!وانظر إلى ذاك الأعرابيّ الذي يعلم أنّ الرّجل مشهود عليه بالزّنا، وأنه في طريقه إلى المحاكمة، ومع ذلك يزوّجه لأنّه صاحب مال!

و لا يُخفي المغيرة خبرته بالنّساء، فقد أورد له في النّهاية في غريب الحديث ما يكشف عن ذلك، ففيه: ومنه حديث المغيرة إياك وكُلّ مجفرة مبخرة يعنى من النساء[٢].

و فيه : ومنه حديث المغيرة يصف امرأة كأنها يُغاث[٣].

و فيه: وفي حديث المغيرة إيّاك وكلّ مُجفِرة أي مُتغيرةِ ريح الجسد والفِعل منه أجفر ويجوز أن يكون من قولهم امرأة مُجفِرة الجنبين: أي عظيمتهما. وجفر جنباه: إذا اتّسعا كأنه كرِه السِّمن[٤].

وقوله: ومنه حديث المُغيرة طلاقُها حريبة أي لهُ مِنها أولاد إذا طلّقها حُرِبُوا

(١) أشعار النساء، المرزباني ص٦٦.

(٢) النّهاية في غريب الحديث، ج١ص١٠١.

(٣) نفس المصدر السابق، ج١ ص١٤٣.

(٤) نفس المصدر السابق ، ج١ ص١٤٣ ج١ ص٢٧٨.

وفُجعُوا بها فكأنّهم قد سُلِبوا ونُهِبوا [١].

و قوله: وفي حديث المغيرة كأنه أمةٌ مُخرّبة أي مثقُوبة الأُذُن وتلك الثُّقبة هي الخُربة[٢].

و قوله: وفي حديث المُغيرة حملُها رِبابُ رِبابُ المرأةِ حِدثانُ ولادتها، وقيل هو ما بين أن تضع إلى أن يأتِي عليها شهران، وقيل عشرون يوماً، يريد أنها تحمل بعد أن تِلِد بيسير، وذلك مذمُومٌ في النِّساءِ، وإنّما يُحمد أن لا تحمل بعد الوضع حتى تُتِمّ رضاع ولدها[٣].

و فيه: وفي حديث المغيرة مِلِيلة الإرغاءِ أي مملُولة الصّوت يصِفُها بكثرة الكلام ورفع الصّوت حتى تُضجِر السامعين؛ شبّه صوتها بالرُّغاء، أو أراد إزباد شِدقيها لكثرة كلامِها من الرّغوة الزّبد[٤].

وفيه: وقيل هو الذي في أنامِله غِلظٌ بلا قِصر، ويُحمد ذلك في الرجال لأنه أشدُّ لقبضِهم، ويُذمُّ في النساء؛ ومنه حديث المغيرة شثنة الكفِّ أي غلِيظته[٥].

و فيه: ومنه حديث المغيرة "فضلٌ ضباثٌ" أي مُختالة مُعتقِلة بكُلِّ شيء مُمسِكةٌ له . هكذا جاء في رواية. والمشهورُ "مِئناثٌ" : أي تلِد الإناث[٦].

---

(١) نفس المصدر السابق ،ج١ ص١٤٣ ج١ ص٢٧٨ ج١ ص٣٥٨.
(٢) نفس المصدر السابق، ج٢ ص١٨.
(٣) النّهاية في غريب الحديث، ج٢ ص١٨١.
(٤) النّهاية في غريب الحديث، ج٢ ص٢٤٠.
(٥) نفس المصدر السابق، ج٢ ص٤٤٤.
(٦) نفس المصدر، ج٣ ص٧١.

و فيه: في حديث المُغيرة " عارية الظُّنْبُوب " هو حرف العظم اليابِسُ من السّاق : أي عرِي عظمُ ساقها من اللحم لهُزالها[١].

و فيه: ومنه حديث المغِيرة لا تُحرِّم العيفةُ قيل: وما العيفة؟ قال: المرأةُ تلِد فيُحصرُ لبنها في ضرعها فتُرضِعُه جارتها[٢].

و فيه: ومنه حديث المُغِيرة: ولا غرِيبةٌ نجِيبةٌ، أي أنها مع كونه غريبةً فإنّها غيرُ نجِيبة الأولاد[٣].

و فيه: وفي حديث المغيرة في صفة امرأة: فضل ضباثٌ كأنها بغاث وقيل أراد أنّها مختالةٌ تفضل من ذيلها[٤].

و فيه: وحديث المغيرة يصِف امرأةً : فقماء سلفع؛ الفقماء : المائلة الحنك. وقيل : هو تقدّم الثّنايا السّفلى حتى لا تقع عليها العليا. والرجُل أفقم. وقد فقم يفقم فقما[٥].

و فيه: ومنه حديث المغيرة دائِمة القُطوب أي العُبوس، يقال قطب يقطِب قُطوباً وقد تكرر في الحديث[٦].

و فيه: وفي حديث المغيرة تأكل لمّاً وتُوسِعُ ذمّاً، أي تأكل كثيراً مجتمعاً[٧].

---

(١) نفس المصدر، ج٣ ص١٦٢.
(٢)النّهاية في غريب الحديث ، ج٣ ص ٣٣٠.
(٣) نفس المصدر، ج٣ ص٣٤٨.
(٤) نفس المصدر، ج٣ ص٤٥٦.
(٥) نفس المصدر، ج ٣ ص٤٦٥.
(٦) نفس المصدر، ج٤ ص٧٩.
(٧) نفس المصدر السابق، ج٤ ص٢٧٣.

و فيه: وفي حديث المغيرة مِلِيلةُ الإرغاء أي مملولة الصوت فعيلةٌ بمعنى مفعولة يصفها بكثرة الكلام ورفع الصوت حتى تُمِلّ السّامعين(١).

و فيه: وفي حديث المغيرة منتفِخة الوريد، هو العِرق الذي في العُنُق ينتفِخ عِند الغضب، وهُما ورِيدانِ يصِفُها بسوءِ الخُلقِ وكثرة الغضب(٢).

هذا بعض ما وصلنا من وصف المغيرة بن شعبة للنساء، وهو وصفٌ دقيقٌ، ربّما عجزت النساء عن مثله. لكن المغيرة دقيقٌ في الملاحظة، ولعل ذلك لحاجة في نفسه؛ و حسبك أنه كان يتزوّج أربعاً ثم يطلّقهنّ دفعةً واحدةً .

وأما الحجّاج فهو الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثّقفي، أمّه فارعة بنت همام بن عقيل بن عروة بن مسعود الثّقفيّ، كانت قبل أبيه تحت المغيرة بن شعبة؛ كان الحجّاج عند جمهور العلماء أهلاً أن لا يروى عنه، ولا يؤثر حديثه، ولا يذكر بخير لسوء سرّه وإفراطه في الظّلم؛ ومن أهل العلم طائفةٌ تكفّره، وقد ذكرنا أخبارهم فيه بذلك في باب مفرد له(٣).

أقول: يتزوّج من تزوّجها عمُّه عروة بن مسعود، ومن ولدَها عمُّه عروة بن مسعود. المهمّ أن يحطّم الرّقم القياسيّ فيقال عنه في حياته وبعد خروجه من الدّنيا إنّه تزوّج أكبر عدد من النّساء!

---

(١) نفس المصدر السابق، ج٤ ص٣٦٢.
(٢) نفس المصدر السابق، ج٥ ص١٧٢.
(٣) التمهيد، ابن عبد البر، ج ١٠، ص ٦.

الزنا في الجاهلية[١]

قبل الخوض في قصّة زنا المغيرة لا بأس بالتّذكير أنّ ثقيفاً كانوا أهل زنا، وأهل ربا! كما أنّ الزّنا كان شائعاً في العرب قبل الإسلام.

قال ياقوت الحموي: فخافت ثقيف أن يعود إليهم فبعثوا إليه وفدهم، وتصالحوا على أن يُسلموا ويقرّوا على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، فصالحهم رسول الله (ص)، على أن يسلموا وعلى أن لا يزنوا ولا يربوا، وكانوا أهل زنا وربا[٢]

كانت ظاهرة الزّنا متفشّيةً في العرب في الجاهليّة، ولم يكن أكثرهم يرون في ذلك بأساً، بل إنّ في أشعارهم الجاهلية كثيراً من الشّواهد عليه. وقد بقيت آثار ذلك واضحةً في التعامل بينهم بعد وفاة النّبي (ص)؛ وكان بعض الصّحابة يعزَون إلى ثلاثة أو أربعة أشخاص كما هو شأن معاوية وعمرو بن العاص[٣]، كما كان أميّة بن عبد شمس معروفا بالفجور؛ قال المقريزي: قال نفيل بن عبد العزى جدّ عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أُميّة وعبد المطلب بن هاشم، فنفر عبد المطلب

(١) القصة مشهورة روتها كثير من كتب الفقه والحديث والتاريخ منها: الزواجر،ج٢ص٦٢٨: جمهرة الأمثال ج٢ص٢٦٩: المغرب في ترتيب المعرب، ج١ص٤٣١المستدرك على الصحيحين ج٣ص٥٠٨تحت رقم٥٨٩٣ في سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٣ ص ٧ و فتح الباري ج٥ص٢٥٦ ذكر ابن جرير الطّبريّ في تاريخه ج٣ عند ذكره أحداث سنة ١٧ وفي تاريخ المدينة ، ابن شبة النميري ج ١ ص ١٢٦...... الإصابة، ابن حجر، ج ٢ ص ٢٨ ، ٢٩. الجوهري في كتاب ، السقيفة وفدك، ص ٩٥، ٩٦: فتوح البلدان ، البلاذري ج ٢ ص ٤٢٣ و، المعجم الكبير ، الطبراني ، ج ٧، ص ٣١١.

(٢) معجم البلدان، الحموي، ج ٤ ص ١١.

(٣) وأما أنت يا بن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولا من عهر وسفاح فتحا كم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها ألأمهم حسبا وأخبثهم منصبا ثم قام أبوك فقال أنا شانئ محمد الأبتر فأنزل الله فيه ما أنزل وقاتلت رسول الله وآله في جميع المشاهد وهجوته وآذيته بمكة وكدته[جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ج ٢ ص ١٩.

وتعجّب من إقدامه عليه، وقال :

أبوك مُعاهرٌ وأبوه عفٌّ وذاد الفيل عن بلد حرام(١)

فقوله "مُعاهر" من العُهر وهو الزنا والفجور(٢).

وعن ابن عبّاس، في قول الله تعالى: (ولا تقربوا الفواحِش ما ظهر منها و ما بطن)قال : كانوا في الجاهليّة لايرون بالزِّنا بأسا في السِّرّ، و يستقبحونه في العلانية، فحرّم الزِنا فِي السِّرّ والعلانية"(٣).

وقالوا أيضا: "كنّ نساءٌ بغايا في الجاهلِيّة لهنّ راياتٌ يعر فن بها"(٤).

وهذا يعني أنّه كان هناك نوعٌ من الاعتراف بهنّ و بحقّهن في ممارسة ما كنّ يمارسن، وإلاّ لكان المجتمع يلجأ إلى نفيهن وإبعادهن أو شيء من ذلك القبيل(٥). فكونهن ذوات رايات يعرفن بها يشير إلى غض البصر عن ذلك الفعل على أقلّ تقدير. ولم يتغيّر الوضع كثيراً بعد مجيء الإسلام، فقد رووا عن مجاهد في قوله تعالى (الزّاني لا ينكح إلاّ زانيةً أو مُشركةً و الزّانيةُ لا ينكِحُها إلا زان أو مُشركٌ و حُرِّمَ ذلك على المُؤمِنين)قال : كنّ نساءٌ في الجاهليّة باغيات فيهنّ امرأةٌ تدعى أمّ

(١) كتاب النزاع والتخاصم، المقريزي، ص.٥٠

(٢) الصحاح، الجوهري، ج ٢ ص ٧٦٢و كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج ١ ص١٠٥ و لسان العرب، ابن منظور، ج ٤ ص ٦١١ وترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت الأهوازي، ص ٢٧٢، ومعجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، ج ٤ ص ١٧٠ و النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج ٣ ص ٣٢٦،و و القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ٢ ص ٩٨.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ج ٥، ص ٤٣٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ١١.

(٥) ذكر في الأخبار أن عبد المطلب نفى البغايا ذوات الرايات.

مهزول جميلةٌ فكان الرّجل من المسلمين يتزوّج بإحداهنّ لتنفق عليه من كسبها[!] فنهى عن ذلك أن يتزوّجهنّ أحدٌ من المسلمين "[١]. وقالوا أيضا بخصوص ذلك: " كانت بيوتٌ تسمّى المواخير في الجاهليّة، و كانوا يؤاجرون فيها فتياتهم، و كانت بيوتاً معلومة الزّنا لا يد لّ عليهنّ و لا يأتيهنّ إلاّ زان من أهل القبلة، أو مشركٌ من أهل الأوثان، فحُرّم ذلك على المؤمنين "[٢]. فإذا تأمّلت قوله " و لا يأتيهنّ إلاّ زان من أهل القبلة أو مشركٌ" تبيّن لك أنّ الوضع في الإسلام بقي على ما كان عليه في الجاهليّة، فإنّه يقول بوضوح "زان من أهل القبلة"، وأهلُ القبلة هم المسلمون. ونفس الشّيء بالنسبة إلى قوله: " فكان الرّجل من المسلمين يتزوّج بإحداهنّ لتنفق عليه من كسبها " وهو تصوير تشمئزّ له نفس كلّ غيور، إذ كيف يجمع الإنسان بين الإسلام دين العزّة ، وبين الأكل من كسب البغايا الذي هو في غاية الذلّة والمهانة!

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ١٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠ ص ١٤.

قصة زنا المغيرة[(١)]

هذه قصّة زنا المغيرة وهي بيت القصيد، لأنّها تكشف عن حقيقة المغيرة بن شعبة، كما تكشف عن تعامل الدّولة أيّامها مع الحدود الشّرعيّة حينما يتعلّق الأمر بالأشخاص الموالين لخطّ السّقيفة. وقد تكرّر تسامح الدّولة مع الموالين لها بداية بخالد بن الوليد الذي اعتدى على مالك بن نويرة، فقتله وبات بين أحضان أرملته في نفس اللّيلة التي قتله فيها؛ وزعم خالد أنّ مالك بن نويرة ارتدّ عن الإسلام، لكنّ مالكاً لم يخف عليه هدف خالد الذي سال لُعابه لمجرّد رؤية ليلى (زوجة مالك) التي كانت فائقةَ الجمال؛ وكان عمر بن الخطّاب يومها حريصاً على إقامة الحدّ على خالد ـ فيما يبدو ـ لولا أنّ أبا بكر بن أبي قحافة سمّى فعل خالد تأويلاً وأبطل الحدّ. والذي أثبتته كتب التّاريخ أنّ عمر بن الخطاب كان يهتف في وجه خالد يومها: " لأرجمنّك بأحجارك "! لكن كان خالد بن الوليد عنصرا أساسيّاً فعّالاً في حزب السّقيفة، كما أنّه كان من خواصّ أبي بكر بن أبي قحافة، وكان بينه وبين عمر حساسيّاتٌ جعلت العلاقات بينهما متوتّرةً طيلة حكم أبي بكر، ولهذا كان من أولويّات عمر وأوائل سياسته بمجرّد وصوله إلى الحكم أن يعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش، وفعلاً، اتّخذ القرار الذي يقضي بعزله، فعزله وحاسبه بطريقة مهينة. أمّا

(١)القصة مشهورة روتها كثير من كتب الفقه والحديث والتاريخ منها: الزواجر،ج٢ص٦٢٨: جمهرة الأمثال ج٢ص٢٦٩: المغرب في ترتيب المعرب، ج١ص٤٣١المستدرك على الصحيحين ج٣ص٥٠٨تحت رقم٥٨٩٣ في سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٣ ص ٧ و فتح الباري ج٥ص٢٥٦ ذكر ابن جرير الطّبريّ في تاريخه ج٣ عند ذكره أحداث سنة ١٧ وفي تاريخ المدينة ، ابن شبة النميري ج ١ ص ١٢٦...... الإصابة، ابن حجر، ج ٢ ص ٢٨، ٢٩. الجوهري في كتاب ، السقيفة وفدك، ص ٩٥، ٩٦ : فتوح البلدان ، البلاذري ج ٢ ص ٤٢٣ و، المعجم الكبير ، الطبراني ، ج ٧، ص ٣١١.

قصّة المغيرة فإنّها تختلف عن قصّة خالد، إذ كان المغيرة بن شعبة ملازماً لأبي بكر وعمر على حدّ سواء، وقد بدأ ارتباطه بهما فور وصوله إلى المدينة وإعلانه الإسلام ـ بلسانه ـ فراراً من ثأر المالكيين الذين قتل أبناءهم غدراً في طريق عودتهم من مصر.

قصّة زنا المغيرة بعثرتْ أوراقَ دولة السّقيفة، واضطرّتها إلى قطع الطّريق أمام الذين سيقولون بعدالة جميع الصّحابة فيما بعد، و لهذا فإنّها تحتاج إلى تأنّ وتروّ وتدبّر أثناء القراءة، كما تحتاج إلى تحليل دقيق معمّق للوصول إلى معرفة حقيقة ما جرى. وحينما أقول هذا الكلام، فإنّني أتوجّه إلى من تهمّهم معرفةُ الحقيقة، لا إلى الذين قرّروا بصفة نهائيّة أنّ الحقيقة عندهم لا عند غيرهم، قد احتكروها وليس لغيرهم أن يطّلع عليها بدون إذن منهم، ولا إلى أولئك الذين يتكلّمون ـ بأذواقهم ـ وينسبون أحلامهم وأمانيهم إلى الله تعالى، فيوزّعون قصور الجنّة على أحبّائهم، ويحكمون بالخلود في النّار على كل مخالف لأهوائهم، فالأمور بالنّسبة إليهم قد قُضيت، وليس لله تعالى أيّ هامش ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

لقد كان المغيرة بن شعبة معروفاً في الجاهليّة بالزّنا، لا الزّنا العادي الذي كان متفشّياً في العرب يومها، وإنّما الزّنا المفرط الذي يقرّب صاحبه إلى البهيميّة بحيث تكون همّته شهوته. قال الأصفهاني : وقد روى المدائني أنّ المغيرة كان أزنى النّاس في الجاهلية فلمّا دخل في الإسلام قيّده الإسلام، وبقيت عنده منه بقيّة ظهرت في أيام ولايته البصرة[1]. فالرجل يقول عنه إنه كان " أزنى النّاس " ولم يقل: " من أزنى النّاس ". وقد أطلق المغيرة لشهوته العنان حينما أصبح يتقلّب في المناصب على عهد

(١) الأغاني، الأصفهاني، ١٦: ٨٩

الخلفاء وأيّام دولة معاوية. وقد ذكر ابن أبي الحديد في ذلك أخباراً أورد منها ما يلي: قال أبو الفرج : وروى المدائني أنّ المغيرة لما شخص إلى عمر في هذه الوقعة رأى في طريقه جاريةً فأعجبته فخطبها إلى أبيها، فقال له : وأنت على هذه الحال ! قال: وما عليك؟ إن أبقَ فهو الذي تريد، وإن أُقتل ترثني! فزوّجه. وقال أبو الفرج : قال الواقديّ كانت امرأةً من بني مرّة، تزوّجها بالرّقم[1] فلمّا قدم بها على عمر، قال: إنّك لفارغ القلب طويل الشّبق[2]. وقد علّق ابن أبي الحديد بعد رواية قصّة زنا المغيرة بقوله: " فهذه الأخبار كما تراها تدلّ متأمّلها على أنّ الرّجل زنى بالمرأة لا محالة، وكلّ كتب التّواريخ والسّير تشهد بذلك "[3].

أقول: فتأمّل قوله "لا محالة "، ثمّ انظر ـ حفظك الله ـ إلى مدى تدنّي الأخلاق وضياع القيم لدى القوم؛ رجل متّهم بالزّنا وهو يشغل منصب الوالي [محافظ ولاية بمصطلح أيّامنا] لا يستحي وهو في تلك الحال أن يخطب جارية أعجبته، أي سال لها لعابه، لأنّ الزّواج عند المغيرة قضيّة شهوة لا أكثر، وإلاّ فما الدّاعي إلى تكرار الطّلاق لديه بتلك الطريقة الممقوتة، والطّلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى؛ وقد كان المغيرة يومها في حدود الأربعين، وهو يعلم أنّه لن يحتفظ بتلك الجارية إلاّ قدر ما يطفئ نار شهوته ليبحث عن لون جديد. ومن حقّ تلك الجارية أن تتزوّج من شابّ قريب منها في السنّ، وتؤسّس معه بيتاً عائليّاً، وتربّي أولاداً، لكن أنّى لها ذلك بعد أن وقعت عليها عين المغيرة [الأمير] وتحرّكت لها شهوته. وانظر إلى والدها الذي قطع رحمها فزوّجها من زان، وهو يعلم أنّه زان، وكان في طريقه إلى المحاكمة في قضيّة

(١) الرقم: موضع بالحجاز قريب من وادي القرى.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٣٩ – ٢٤١.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٣٩.

زنا. ومع ذلك يبقى هو أيضا ضحيّةً للمغيرة الدّاهية، فإنّ المغيرة قال في كلامه: " إن أبق فهو الذي تريد، وإن أقتل ترثني " فذكر الميراث، فتحرّكت شهوة الشّيخ للمال كما تحرّكت شهوة المغيرة للوقاع، وضاعت البنت بين الشّهوتين، وكان الذي كان.

تلكم كانت ثقافة القرن الأوّل ثمّ الذين يلونهم، شهوة المال وشهوة النّساء، ولا يزوّج ابنتَه من زان إلا ديّوثٌ، ولا يريح الدّيّوث ريح الجنّة!

وابن أبي الحديد وإن كان لا يشكّ في أن المغيرة زنى بأمّ جميل وقال: إنّ الخبر بزناه كان شايعاً مشهوراً مستفيضاً بين الناس ـ إلاّ أنّه لم يخطّئ عمر بن الخطّاب في درء الحدّ عنه ،بل دافع عنه بقوله : لأنّ الإمام يستحبّ له درأ الحدّ وإن غلب على ظنّه أنّه قد وجب الحدّ عليه. وقد علّق بعض العلماء على ذلك بقوله: "عزب على ابن أبي الحديد أنّ درأ الحدّ بالشّبهات لا يخصّ بالمغيرة فحسب بل للإمام رعاية حال الشّهود أيضاً ودرأ الحد عنهم، فأنّى للإمام درأ الحد عمّن يقال: إنه كان أزنى النّاس في الجاهليّة فلما دخل في الإسلام قيّده الإسلام وبقيت عنده منه بقيّةٌ ظهرت في أيام ولايته بالبصرة ؟ أنّى له رفع اليد عن مثل الرجل وقد غلب على ظنّه وجوب الحدّ عليه، وحكمه بالحدّ على أبرياء ثلاثة يشكّ في الحدّ عليهم وفيهم من يعد من العبّاد؟ وأنّى يتأتّى الاحتياط في درء الحدّ عن واحد مثل المغيرة برمي ثلاثة بالكذب والقذف وتشويه سمعتهم في المجتمع الدّيني وتخذيلهم بإجراء الحدّ عليهم "؟

على أنّ مسألة الشّهوة التي استعصت على المغيرة، وفضحت سيرته بين المسلمين وغير المسلمين جيلا بعد جيل، لها حلّ في الصيام وفي غير الصّيام. قال ابن أبي

الحديد في الشرح: ويروى أنّه[1] عليه السّلام كان جالساً في أصحابه إذ مرّت بهم امرأةٌ جميلةٌ فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السّلام : إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنّما هي امرأة كامرأته[2].وهذا هو الحلّ المناسب الذي يضمن استمرار حياة اجتماعيّة متوازنة تُصان فيها الأعراض، وتحفظ فيها الحرمات، ولو كان النّاس جميعا على شاكلة المغيرة في الاستجابة لشهواتهم لكانت الحياة جحيماً لا يطاق.

عودة إلى كلام ابن أبي الحديد : قال ابن أبي الحديد:

" فهذه الأخبار كما تراها تدلّ متأمّلها على أنّ الرّجل زنى بالمرأة[3] لا محالة وكلّ كتب التّواريخ والسّير تشهد بذلك، وإنّما اقتصرنا نحن منها على ما في هذين الكتابين. وقد روى المدائني أنّ المغيرة كان أزنى النّاس في الجاهلية، فلمّا دخل في الإسلام قيّده الإسلام وبقيت عنده منه بقيّة ظهرت في أيام ولايته البصرة. وروى أبو الفرج في كتاب الأغاني عن الجاحظ أبى عثمان عمرو بن بحر قال: كان المغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي يوما متوافقين بالكناسة في نفر، وطلع عليهم أعرابيٌّ فقال لهم المغيرة : دعوني أحرّكه، قالوا : لا تفعل فإنّ للأعراب جوابا يؤثّر، قال: لا بدّ، قالوا : فأنت أعلم، فقال له : يا أعرابيّ أتعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعور زانيا؛ فوجم ثمّ تجلّد، فقال: أتعرف الأشعث بن قيس ؟

(١) يقصد الإمام عليا عليه السلام.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٢٠،ص٦٣.

(٣) يريد المرأة التي اتهم بالونا بها لا الجارية التي جاء بها معه إلى عمر، فإن ارتباطه بهذه كان بواسطة أبيها كما مر بك في القصة.

قال: نعم ذاك رجل لا يعرى قومه، قال: وكيف ذاك ؟ قال: لأنّهم حاكة[1]. قال: فهل تعرف جرير بن عبد الله ؟ قال: كيف لا أعرف رجلا لولاه ما عرفت عشيرته ! فقالوا : قبّحك الله فإنك شرّ جليس؛ هل تحبّ أن يوقر لك بعيرك هذا مالا وتموت أكرم العرب موتة ؟ قال: فمن يبلغه إذن أهلي؟ فانصرفوا عنه فتركوه[2]. قال أبو الفرج : وروى علي بن سليمان الأخفش، قال: خرج المغيرة بن شعبة وهو يومئذ على الكوفة ومعه الهيثم بن التيهان النّخعي غبّ مطر يسير في ظهر الكوفة والنّجف فلقي ابن لسان الحمرة أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة ولا يعرفه المغيرة، فقال له : من أين أقبلت يا أعرابيّ، قال: من السّماوة قال: كيف تركت الأرض خلفك ؟ قال: عريضة أريضة[3]، قال: فكيف كان المطر ؟ قال: عفي الأثر وملأ الحفر، قال: فمن أنت ؟ قال: من بكر بن وائل، قال: كيف علمك بهم ؟ قال: إن جهلتهم لم أعرف غيرهم، قال: فما تقول في بني شيبان ؟ قال: سادتنا وسادة غيرنا. قال فما تقول في بنى ذهل ؟ قال: سادة نوكى، قال: فقيس بن ثعلبة ؟ قال: إن جاورتهم سرقوك وإن ائتمنتهم خانوك، قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال: رعاء النقد[4] وعراقيب الكلاب، قال: فبني يشكر ؟ قال: صريح تحسبه مولى. قال هشام بن الكلبي : لأنّ في ألوانهم حمرةً، قال: فعجل؟ قال: أحلاس[5] الخيل، قال: فعبد القيس؟ قال: يطعمون الطّعام ويضربون الهام، قال: فعنزة ؟ قال: لا تلتقي بهم الشفتان

(١) جمع حائك،حاكَ الثوبَ يَحِيكُ حَيكاً وحَيَكاً وحِياكةً نسجه والحِياكةُ حرفته قال الأزهري هذا غلط الحائِكُ يحُوك الثوب وجمع الحائِك حَوَكةٌ والحَيك النسج وحاك في مشيه يَحيك حَيكاً وحَيَكاناً فهو حائك وحَيّاك تبختر واختال وحاك يحُوك إذا نسج. (لسان العرب،ج ١٠، ص ٤١٨) .

(٢) الأغاني ١٦: ٨٩

(٣) الأريضة : المعشبة.

(٤) النقد: صغار الغنم، وفي الأغاني: (البقر).

(٥) أحلاس الخيل : شجعان فرسان ملازمون لركوب الخيل.

لؤماً، قال: فضبيعة أضجم؟ قال: جدعاً وعقراً! قال: فأخبرني عن النّساء، قال: النساء أربعٌ: ربيع مربعٌ وجميع مجمعٌ وشيطانٌ سمعمعٌ وغلٌّ لا يخلع، قال: فسّر، قال: أما الرّبيع المربع، فالتي إذا نظرت إليها سرّتك وإذا أقسمت عليها برّتك، وأمّا التي هي جميعٌ مجمعٌ، فالمرأة تتزوّجها ولها نسبٌ، فيجتمع نسبها إلى نسبك، وأمّا الشيطان السمعمع فالكالحة في وجهك إذا دخلت، المولولةُ في أثرك إذا خرجت، وأمّا الغلّ الذي لا يخلع فبنت عمّك السوداء القصيرة، الفوهاء الدّميمة، التي قد نثرت لك بطنها، إن طلّقتها ضاع ولدك وإن أمسكتها فعلى جدع انفك، قال المغيرة بل أنفك. قال: فما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال: أعورُ زان، فقال: الهيثم بن الأسود : فضّ الله فاك ! ويلك إنّه الأمير المغيرة ! قال: إنّها كلمة تُقال. فانطلق به المغيرة إلى منزله وعنده يومئذ أربع نسوة وستّون –أو سبعون –أمَةً وقال: ويحك ! هل يزنى الحرّ وعنده مثل هؤلاء ! ثم قال لهنّ: ارمين إليه بحليكنّ ففعلن، فخرج بملء كسائه ذهباً وفضّةً. وإنّما أوردنا هذين الخبرين ليعلم السّامع أن الخبر بزناه كان شائعاً مشهوراً مستفيضاً بين النّاس ولأنّهما يتضمّنان أدباً وكتابنا هذا موضوعٌ للأدب"(١).

أقول: ماذا يصنع شيخ بستّين أو سبعين أمةً لو لم تكن الشّهوة قد سدّت عليه الآفاق، فلم يعد يرى غيرها؟!

وقد كان عمر عارفاً بشَبَق المغيرة سيّء الظّنّ به؛ روى عبد الرّزاق عن معمر عن أيّوب عن نافع أن عمر قال لرجل من ثقيف قال غير أيوب وهو المغيرة بن شعبة قال فقال له عمر: ما فعل غلامُك المولد؟ قال فذلك حين دعاه عمر فسأله عنه فقال خيراً يا أمير المؤمنين، وقد أنكحته. قال: فلعلّك تُخالفه إلى امرأته إذا غاب؟ فقال:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٣٩ – ٢٤١.

لا يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو أخبرتني أنك تفعل لجعلتك نكالاً ؛ قال وبلغني أنّ عليّاً أشار إليه أن لا يعترف[١].

شهد صحابةٌ على المغيرة بالزّنا لأنّهم باغتوه وعاينوا بأعينهم عن قرب ما جرى، وعرفوا المرأة التي كان معها في فراش واحد، وهي امرأةٌ مغنّيةٌ من أضرب الناس على العود، كانت تغشى الأمراء في زمانها، وأمراء زمانها هم أمراء خير القرون. وحتّى لا نظلم المغيرة وأتباع المغيرة، لابدّ لنا من تتبّع القصّة ومطالعتها في مصادر شتّى كلّها تابعةٌ لمدرسة الجمهور، مدرسة أهل السنّة والجماعة، لأنّ ملفّ المغيرة في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام مفروغٌ منه، وبما أنّه قد صحّ عند الفريقين أنّ النّبي(ص) قال للإمام علي (ع) لا يبغضك إلاّ منافق، والمغيرة كان يبغض الإمام عليا(ع) ويسبّه ويشتمه ويلعنه في الجُمَع والأعياد والمجالس وغير ذلك، فإنّه لا حرج في تصنيف المغيرة في المنافقين؛ وبما أنّ المغيرة بن شعبة لم يتراجع عن بغضه للإمام علي (ع) وسبّه وشتمه ولعنه حتّى خرج من الدّنيا، فإنّه يكون قد خرج من الدّنيا منافقاً، ومن خرج من الدّنيا منافقاً فقد مات على غير ملّة رسول الله(ص).

الشهود:

لا بد في أيّ قضيّة زنا من الشّهود، اللّهمّ إلاّ أن يقرّ الزّاني على نفسه مرّات وهو في كامل قواه العقليّة غير مستكره[٢]. و لابدّ أن يكون الشّهود عدولاً وإلاّ لم تمض الشّهادة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما عليه أتباع المذاهب القائلة بعدالة جميع الصّحابة

---

(١) مصنف عبد الرزاق، ج٧ص٢١٧تحت رقم١٢٨٥٩.

(٢)تفصيل ذلك في كتب الفقه في باب الحدود.

فإنّ الإشكال سيكون عريضاً، والمسألة لا تحتمل تعدّد الحلول؛ لأنّنا إذا قبلنا شهادة الصّحابي على صحابيّ آخر في قضيّة زنا نُسفت عدالة جميع الصّحابة فصارت قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. والمقصود أنّه -والحال هذه- إمّا أن يكون الصّحابي الشّاهد صادقاً، فيكون المشهود عليه زانياً، وبين الزّاني والعدالة بعد المشرقين. وإما أن يكون الصّحابي الشّاهد كاذباً فيكون قاذفاً، والقاذف قال في حّقه القرآن الكريم(ولا تَقْبَلُوا لهُم شَهَادَةً أَبَداً وَأُولئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ)[1]. والفاسق ليس عدلاً.

والشّهود في قصّة المغيرة بن شعبة هم: أبو بكرة نفيع بن الحارث.وشبل بن معبد المزنّي.ونافع. وزياد بن أبيه. وهم أربعة إخوة لأمّ اسمها سميّة[2].

ذكر الطّبريّ في الجزء الثالث من تاريخه عند استعراضه أحداث سنة ١٧ ما يلي:

[.... فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدّثون في مشربته، فهبّت ريح ففتحت باب الكوّة، فقام أبو بكرة ليصفقه فبصُر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوّة مشربته وهو بين رجلي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا! فقاموا فنظروا ثمّ قال: اشهدوا قالوا: ومن هذه؟ قال: أمّ جميل ابنة الأفقم؛ وكانت أمّ جميل إحدى بني عامر بن صعصعة، وكانت غاشيةً للمغيرة وتغشى الأمراء والأشراف [من الصّحابة طبعا لأنّ هذا كان في زمن عمر] وكان بعض النّساء يفعلن ذلك في زمانها [صحابيّاتٌ أو تابعيّاتٌ أيضا] فقالوا: إنّما رأينا أعجازاً ولا ندري ما الوجه ! ثمّ إنّهم صمّموا حين قامت! فلمّا خرج المغيرة إلى الصّلاة حال أبو بكرة بينه وبين الصّلاة وقال: لا تصلّ بنا. فكتبوا إلى عمر

(١) النور، ٤.
(٢) المغرب في ترتيب المعرب، ج ١ ص ٤٣١.

بذلك وتكاتبوا، فبعث عمر إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، إنّي مستعملك، إنّي أبعثك إلى أرض قد باض بها الشّيطان وفرّخ فالزم ما تعرف.. ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم قال: رأيته جالساً بين رجلي امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان واستين مكشوفتين وسمعت حفزاناً شديداً!

لا مناصَ من تصديق ذلك أيّها القارئ الكريم، لأنّ الشّاهد صحابيٌّ والمشهود عليه صحابيٌّ، والحاكم صحابيٌّ... والصّحابة كلّهم عدولٌ. كما أنّه لا مناص من تصديق أنّه مع ذلك، وبعد هذه الفعلة الفظيعة والتّهمة الشّنيعة، لم يتأثّر المغيرة بن شعبة ولم يتعرّض لأيّ مكروه، بل ولاّه عمر على الكوفة!

ولك أن تتصوّر سلوك الطّبقة الحاكمة انطلاقاً من قوله [تغشى الأمراء والأشراف]، [وكان بعض النّساء يفعلن ذلك في زمانها]، وهذا معناه أنّها كانت تنتقل من حضن إلى حضن، وأنّها لم تكن وحدها في تلك السّيرة بدليل قوله: "وكان بعض النّساء يفعلن ذلك في زمانها"، ولم يذكر في كتب التّاريخ والتراجم أنّ واحدا من هؤلاء الأمراء والأشراف أقيم عليه الحدّ الشّرعيّ. ولم يذكر في كتب التّاريخ صراحةً أنّ الدّعارة المنظّمة كانت موجودةً في بلاد المسلمين على عهد عمر بن الخطّاب، وأنّه كان يشرف عليها الأمراء الذين يعيّنهم عمر بن الخطاب!

هذا ما كان سنة١٧ في خلافة عمر وقد درأ عنه عمر الحدّ بما شاء وأقامه على الشّهود...

و هذا ما أورده الذّهبي بخصوص هذه القضية، قال: قال البيهقي في سننه إن صحّ هذا، فلأنّه امتنع من التّوبة من قذفه، وأقام على ذلك. قلت: كأنّه يقول: لم أقذف

المغيرة، وإنّما أنا شاهدٌ، فجنح إلى الفرق بين القاذف والشّاهد، إذ نصاب الشّهادة لو تمّ بالرّابع لتعيّن الرّجم، ولذا سمّوا قاذفين. قال أبو كعب صاحب الحرير: حدّثنا عبد العزيز بن أبي بكرة، أنّ أباه تزوّج امرأةً، فماتت، فحال إخوتها بينه وبين الصّلاة عليها، فقال: أنا أحقُّ بالصّلاة عليها، قالوا صدق صاحب رسول الله (ص). ثمّ إنّه دخل القبر، فدفعوه بعنف، فغُشي عليه، فحُمل إلى أهله، فصرخ عليه عشرون من ابن وبنت، وأنا أصغرهم، فأفاق، فقال: لا تصرخوا ، فوالله ما من نفس تخرج أحبّ إليّ من نفسي، ففزع القوم، وقالوا : لم يا أبانا ؟ قال: إني أخشى أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر، وما خير يومئذ[1].

والقصّة عند البلاذريّ كما يلي:

... قالوا : إنّ المغيرة جعل يختلف إلى امرأة من بني هلال يقال لها أمّ جميل بنت محجن بن الأفقم بن شعيثة بن الهزم. وقد كان لها زوج من ثقيف يقال له الحجّاج بن عتيك. فبلغ ذلك أبا بكرة بن مسروح، مولى النّبي(ص)من مولدي ثقيف، وشبل بن معبد بن عبيد البجليّ، ونافع بن الحارث ابن كلدة الثقفيّ، وزياد بن عبيد، فرصدوه. حتى إذا دخل عليها هجموا عليه، فإذا هما عريانان وهو متبطّنها[2] ! فخرجوا حتّى أتوا عمر بن الخطّاب فشهدوا عنده بما رأوا. فقال عمر لأبي موسى الأشعريّ : إنّي أريد أبعثك إلى بلد قد عشّش فيه الشّيطان. قال: فأعنّي بعدّة من الأنصار. فبعث معه البراء بن مالك، وعمران بن الحصين أبا نجيد الخزاعيّ، وعوف بن وهب الخزاعيّ، فولاّه البصرة، وأمره بإشخاص المغيرة. فأشخصه بعد قدومه

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٣ ص ٧.
(٢)متبطنها: أي جاعل بطنها تحت بطنه!

بثلاث. فلمّا صار إلى عمر جمع بينه وبين الشّهود. فقال نافع بن الحارث: رأيته على بطن المرأة يحتفز عليها، ورأيته يدخل ما معه ويخرجه كالميل في المكحلة. ثمّ شهد شبل بن معبد على شهادته، ثمّ أبو بكرة، ثم أقبل زياد رابعاً. فلمّا نظر إليه عمر قال: أما إنّي أرى وجه رجل أرجو أن لا يُرجم رجلٌ من أصحاب رسول الله(ص)على يده ولا يخزى بشهادته[!]. وكان المغيرة قدم من مصر فأسلم، وشهد الحديبية مع رسول الله(ص). فقال زياد: رأيت منظراً قبيحاً وسمعت نفساً عالياً. وما أدرى أخالَطها أم لا ؟ ويقال لم يشهد بشيء. فأمر عمر بالثّلاثة فجلدوا. فقال شبل: أتجلد شهود الحقّ وتبطل الحدّ ؟ فلما جلد أبو بكرة قال: أشهد أنّ المغيرة زان. فقال عمر: حدّوه. فقال عليٌّ: إن جعلتها شهادةً فارجم صاحبك. فحلف أبو بكرة أن لا يكلّم زياداً أبداً، وكان أخاه لأمّه سميّة. ثم إنّ عمر ردّهم إلى مصرهم(١).

وقال عمر بن شبّة في معرض حديثه عن أخبار البصرة بإسناد له: إنّ المرأة التي رُمي بها المغيرة هي أمّ جميل بنت عمرو بن الأفقم الهلاليّة، ويقال إنّ أصل أبيها من ثقيف،[أي من نفس قبيلة المغيرة] قال واسم زوجها الحجّاج بن عتيك بن الحارث بن عوف بن وهب بن عمرو الجشمي، وكان ممّن قدم البصرة أيّام عتبة بن غزوان وولي حائط المسجد مما يلي بني سليم أيّام زياد، وكان قد رحل بامرأته إلى الكوفة لمّا جرى للمغيرة ما جرى، ثمّ رجع إليها في إمارة أبي موسى فاستعمله على بعض أعماله(٢) !

أقول: وهذا - إن صحّ - كلامٌ عجيبٌ، وأعجب منه ألاّ يعلّق عليه المؤرّخون

(١) فتوح البلدان، البلاذري، ج ٢ ص ٤٢٣.

(٥) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري، ج ١ ص ١٢٦.

والمحدّثون لكونه حدث في عهد عمر بن الخطّاب. وإلاّ فما معنى قوله "وكان قد رحل بامرأته إلى الكوفة لمّا جرى للمغيرة ما جرى"؟ أيعقل أن يكون المسلم في عصر أفضل القرون ديّوثاً إلى هذا المستوى[1]؟! تسير الرّكبان بمغامرة زوجته مع المغيرة بن شعبة، ومع ذلك يحتفظ بها ويرحل بها من البصرة، ثمّ يعود إلى البصرة؟ أين الكرامة والشّرف؟! أين قوله تعالى (وللهِ العِزّةُ وَلِرَسُولِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ)؟! وانظر إلى سلوك أبي موسى الأشعريّ معه، فإنّ الرواية تقول بكلّ وضوح: " ثمّ رجع إليها في إمارة أبي موسى فاستعمله على بعض أعماله "؛ أي استعمل ديّوثاً على أعماله!

على أنّ ابن حجر نفسه يذكر كلاماً لا ينسجم مع السّابق، فقد قال: وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ أنّه كان زوج أم جميل الهلاليّة فهلك عنها، فكان المغيرة بن شعبة يدخل عليها فأنكر ذلك عليه أبو بكرة فكان من قصّة الشّهادة عليه

---

(١) قال ابن حجر في ترجمته: الحجاج بن عبد الله ويقال بن عبد ويقال ابن عتيك الثقفي ذكره خليفة فيمن نزل البصرة ثمّ الكوفة من الصّحابة وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ أنّه كان زوج أمّ جميل الهلالية فهلك عنها فكان المغيرة بن شعبة يدخل عليها فأنكر ذلك عليه أبو بكرة فكان من قصّة الشّهادة عليه ما كان وذلك سنة سبع عشرة من الهجرة. وقال عمر بن شبة في أخبار البصرة بإسناد له إن المرأة التي رمي بها المغيرة هي أم جميل بنت عمرو بن الأفقم الهلاليّة ويقال إنّ أصل أبيها من ثقيف قال واسم زوجها الحجّاج بن عتيك بن الحارث بن عوف بن وهب بن عمرو الجشمي وكان ممّن قدم البصرة أيّام عتبة بن غزوان وولي حائط المسجد ممّا يلي بني سليم أيام زياد وكان قد رحل بامرأته إلى الكوفة لما جرى للمغيرة ما جرى ثم رجع إليها في إمارة أبي موسى فاستعمله على بعض أعماله[الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٢ ص ٣٣ تحت رقم١٦٢٣].
وقال أيضا:
الحجاج بن عبيد ويقال بن عتيك له إدراك ذكر بن الكلبي أنه كان زوج أم جميل الهلالية التي رمى بها المغيرة بن شعبة. الإصابة في تمييز الصحابة [ج ٢ ص ١٦٧ تحت رقم١٩٥٦].

ما كان وذلك سنة سبع عشرة من الهجرة. وقال عمر بن شبّة في أخبار البصرة بإسناد له إنّ المرأة التي رمي بها المغيرة هي أمّ جميل بنت عمرو بن الأفقم الهلاليّة، ويقال إنّ أصل أبيها من ثقيف[1]. ومعنى قوله "فهلك عنها" أنّه توفّي وبقيت أرملةً بعده؛ فإذا كان كذلك فما معنى قوله: " وكان قد رحل بامرأته إلى الكوفة لمّا جرى للمغيرة ما جرى "؟

وفي الإصابة [2]: روى الطّبريّ في ترجمته من طريق سليمان التّميمي عن أبي عثمان قال: شهد أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد على المغيرة وأنّهم نظروا إليه كما ينظرون المرود في المكحلة[!] فجاء زياد فقال عمر: جاء رجل لا يشهد إلا بحقّ! فقال: رأيت منظراً قبيحاً وابتهارا ولا أدري ما وراء ذلك[3]. فجلدهم عمر الحدّ. وروى القصّة مطوّلة ابن أبي شيبة والطّبريّ من طريق الزّهري عن سعيد بن المسيّب[4].قال الجوهريّ:

وكانت الرّقطاء التي رمي بها المغيرة تختلف إليه في أيّام إمارته الكوفة في خلافة معاوية في حوائجها فيقضيها لها . . . وكانت الرّقطاء هذه مغنّية من أضرب النّاس على آلات الطّرب، [وقال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصّة:

لو أنّ اللؤم ينسب كان عبدا قبيح الوجه أعور من ثقيف

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج٢ ص٣٣.
(٢) الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٣ ص ٣٧٧.
(٣) وماذا يكون وراء ذلك ياللبيب؟ لو رأى صبي مميّز ما رآه زياد ماذا كان يخطر بباله؟
(٤) الإصابة، ابن حجر، ج ٢ ص ٢٨ ـ ٢٩.

تركت الدّين والإسلام لمـــا بدت لك غدوة ذات النّصيف

وراجعت الصّبا وذكرت لهوا مـن القينات والعمـر اللطـيف(١)

أقول : وبما أنّ ولاية المغيرة للكوفة من طرف معاوية كانت بعد وفاة عمر بزمن طويل، فإنّ هذا يعني استمرار العلاقة بين المغيرة وفاتنته حتّى في زمن شيخوخته، ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى شيخ زان !

وقال الرّازي في تفسيره :

الثّاني ما روي أنّ المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزّنا عند عمر بن الخطاب أربعة: أبو بكرة ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم: رأيت اسْتا تنبو ونفَسا يعلو ورجلاها على عاتقه كأذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك[!] فجلد عمر الثّلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر، فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقّف لأنّ الحدود مما يتوقّف فيها ويحتاط(٢).

أقول: انظر إلى ما يقوله هذا الرّجل الظريف! رأى " استا تنبو ونفسا يعلو ورجلاها على عاتقه كأذني حمار ولا يدري ما وراء ذلك"! نعم، ليس وراء ذلك شيء. فهل كان ليقول هذا الكلام لو أنّه رأى ما رأى في بيته؟

وقد شهد على المغيرة بالزّنا غير من ذكر، قال الحسن بن الإمام علي(ع) للمغيرة في حوار جرى بينهما بحضور معاوية:

ولا يشقّ علينا كلامك، وإنّ حدّ الله في الزّنا لثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك

(١) السقيفة وفدك، الجوهري، ص ٩٥، ٩٦.

(٢) التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج٢٣ ص١٣٩.

حقّا، الله سائله عنه ! ولقد سألت رسول الله (ص) هل ينظر الرّجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها ؟ فقال : " لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا "، لعلمه بأنّك زان. وأمّا فخركم علينا بالأمارة : فإن الله تعالى يقول : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا. ثمّ قام الحسن فنفض ثوبه، وانصرف، فتعلّق عمرو بن العاص بثوبه وقال : يا أمير المؤمنين، قد شهدت قوله فيّ وقذفه أمّي بالزّنا، وأنا مطالب له بحدّ القذف. فقال معاوية: خلّ عنه لا جزاك الله خيرا. فتركه[1].

فيستفاد من عبارات الحسن بن الإمام علي(ع) أنّ المغيرة بن شعبة زان، وإلاّ لما جاز للحسن(ع) أن يقول له: " وإنّ حدّ الله في الزّنا لثابت عليك"، لأنّ ذلك يكون قذفا، ولم يعترض المغيرة مع شدّة دهائه. وأكّد الإمام الحسن(ع) ذلك مرّة أخرى حين قال للمغيرة " لعلمه بأنّك زان"، وليس الحسن بالرّجل الذي يحدّث عن علم جدّه(ص) رجما بالغيب، فقوله هذا يفهم منه أنّ النّبي (ص) كان يعلم أنّ المغيرة بن شعبة زان. ونحن لا نتوقّع من تيّار السّقيفة أن يروي مثل هذا في الصّحاح فيكون ممن يخربون بيوتهم بأيديهم، فإنّ نظريّة عدالة جميع الصّحابة قد عودّتهم قبول المنكر وتسمية الزّنا إحصانا وتسمية الغدر دهاء وأمورا كثيرة لا تمتّ إلى الإسلام بشيء. وإذا كان الصّحابة جميعهم عدولا فإنّ الحسن بن علي(ع) صحابيّ، فهو -إذاً- من العدول، إضافة إلى كونه مطهّرا بنصّ الكتاب الكريم، وهو أيضا ممّن يصلّى عليهم في كل صلاة فرضا ونفلا، وعليه ينبغي قبول ما يقوله في حقّ المغيرة وغيره.

و في مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عيينة عن أبيه قال: لقي أبو بكرة المغيرة بن شعبة بقوم نصف النهار وهو مقنّع[!] فقال: أين تريد؟ فقال: أريد حاجة. قال: إنّ

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٢٩٤.

الأمير يزار ولا يزور [١]. وهذا يعني أنّ المغيرة كان يتقنّع حتى لا يعرف حينما يتوجه إلى بنت الأفقم لممارسة الزنا.

لماذا يتقنّع المغيرة وهو الرجل الأوّل في البصرة؟ وما هي هذه الحاجة التي يريدها والتي تحمله على التقنّع؟

إن كانت هذه الحاجة حلالا فإنّه لا داعي للتقنّع؛ وإن كانت حراما فما أقبح بصحابيّ أن يطلب الحرام وهو وال بيده مقاليد البصرة.

لماذا يتقنّع وهو الوالي الذي ليس بينه وبين الخليفة أحد؟

لا شكّ أنّه يتقنّع كي لا يُعرف! لكنّ أبا بكرة عرفه حتى وهو متقنّع. فأبو بكرة من الطّائف، والمغيرة من الطّائف! فهو يعرف صوته وشكله وحجمه ومشيته والتفاتاته وسيرته الذّاتيّة..و.. يعرفه حتّى وهو مقنّع.

جزاء الإحسان

لم ينس المغيرة لزياد تلك اليد؛ قال ابن الأثير: وفي هذه السّنة قدم زياد على معاوية من فارس، وكان سبب ذلك أنّ زيادا كان قد استودع ماله عبد الرّحمن بن أبي بكرة، وكان عبد الرحمن يلي ماله بالبصرة، وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد، فأخذ عبد الرحمن فقال له: إن كان أبوك قد أساء إليّ لقد أحسن عمّك، يعني زيادا، وكتب إلي معاوية إنّي لم أجد في يد عبد الرّحمن مالاً يحلّ لي أخذه، فكتب إليه معاوية أن عذّب عبد الرّحمن، فأراد أن يعذر ويبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن: احتفظ بما في يديك وألقى علي وجهه حريرة

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج٦ص١٩٠ و ج ٧ ص ٢٥٦.

ونضحها بالماء فغشي عليه، ففعل ذلك ثلاث مرّات ثمّ خلاه، وكتب إلي معاوية إنّي عذّبته فلم أصب عنده شيئا، وحفظ لزياد يده عنده[(١)].

وقد تكلّم الفقهاء في قضيّة المغيرة، ولكنّهم لم يسمحوا لأنفسهم أن يتّهموه بعد أن برّأ عمر ساحته.

فمن ذلك قول الشّنقيطي : ومما يؤيّده قصّة عمر مع الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فإنّ رابعهم لما لم يصرّح بالشّهادة على المغيرة بالزّنا جلد عمر الشّهود الثلاثة جلد القذف ثمانين وفيهم أبو بكرة (رض)، والقصّة معروفة مشهورة وقد أوضحناها في غير هذا الموضع[(٢)].

وقال : روى الأثرم بإسناده عن ظبيان بن عمارة قال: شهد على المغيرة بن شعبة ثلاثة نفر أنّه زان، فبلغ ذلك عمر فكبّر عليه وقال: شاط ثلاثة أرباع المغيرة بن شعبة؛ وجاء زياد فقال: ما عندك؟ فلم يثبت فأمر بجلدهم فجلدوا. وقال شهود زور! فقال أبو بكرة: أليس ترضى إن أتاك رجل عندك يشهد رجمه؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده. فقال أبو بكرة: وأنا أشهد أنّه زان! فأراد أن يعيد عليه الحدّ فقال عليّ: يا أمير المؤمنين، إنّك إن أعدت عليه الحدّ أوجبت عليه[(٣)] الرّجم. وفي حديث آخر فلا يعاد في فرية جلد مرّتين. قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: قول عليّ إن جلدته فارجم صاحبك؟ قال: كأنّه جعل شهادته شهادة رجلين. قال أبو عبد الله وكنت أنا أفسّره على هذا حتى رأيته في هذا الحديث فأعجبني ثم قال: يقول إذا جلدته ثانية فكأنك

(١) الكامل في التاريخ، ج٣ ص ٢٨٤ [ط دار الكتب العلمية ١٩٩٥].
(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٥ ص٣٧٣.
(٣) الضمير هنا يعود على المغيرة.

جعلته شاهدا آخر[١].

وقال الرّازيّ : الثاني ما روي أنّ المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزّنا عند عمر بن الخطّاب أربعة، أبو بكرة ونافع ونفيع وقال زياد وكان رابعهم: رأيت إستا تنبو ونفسا يعلو ورجلاها على عاتقه كأذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر[٢].

أقول: ماذا يقول القارئ لو أعطينا عبارات زياد إلى أحد الرّسّامين وطلبنا منه رسما وفق العبارات؟!.

وقال الذّهبي : وأتوا عمر فشهدوا حتى قدّموا زيادا فقال: رأيتهما في لحاف واحد وسمعت نفسا عاليا، ولا أدري ما وراءه! فكبّر عمر وضرب القوم إلاّ زيادا[٣]!

أقول: كبّر عمر لأنّ المغيرة شوهد مع امرأة في لحاف واحد وسمع الشّاهد نفسا عاليا. ولو فرضنا أنّ عمر بن الخطّاب رأى مثل ذلك في بيته أو بيت أحد أولاده، هل كان يتعامل مع المغيرة كما تعامل معه في القصّة المذكورة ؟ هل كان يكبّر؟!

وقال الرّازي: روي عن عمر بن الخطّاب أنّه ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثمّ قال لهم: من أكذب نفسه قبلت شهادته، ومن لم يفعل لم أجز شهادته، فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا وكان يقبل شهادتهما؛ وأمّا أبو بكرة فكان لا يقبل شهادته، وما أنكر عليه أحد من الصّحابة فيه. فهذا تمام

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٥ ص٤٤٤.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ج٢٣ ص١٣٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٣ ص٢٨.

الكلام في هذه المسألة[١].

أقول: من شهد على نفسه أنّه كان كاذبا صار صادقا، ومن دفع عن نفسه الكذب فهو فاسق، هذه شريعة عمر بن الخطّاب. وإن تعجب فعجب قول الرّازيّ "لم ينكر عليه أحد من الصّحابة"، وكأنّ الشّريعة تدور مدار رضا الصّحابة وسخطهم! والقرآن الكريم يهتف (لو يُطيعُكُم في كَثير من الأمْر لَعنِتُّم).

وقال ابن المسيّب: شهد على المغيرة بن شعبة أربعة نفر بالزّنا، فنكل زياد فحدّ عمر الثّلاثة ثمّ سألهم أن يتوبوا فتاب اثنان فقبلت شهادتهما، وأبى أبو بكرة أن يتوب فكانت شهادته لا تقبل حتّى مات، وكان قد عاد مثل النّصل من العبادة[٢].

أقول: هذا من أعجب ما يجده الباحث؛ رجل عاد مثل النّصل من العبادة، والنّاس يشهدون له بالصّدق والتعبّد، لكنّه عند الدّولة فاسق لا تقبل شهادته حتى يرضى عنه المغيرة بن شعبة! ورجل فاسق يدعوه الخليفة نفسه "فاسقا" يتأمّر على المؤمنين ويؤمّهم في الصلاة.

وقال ابن العربي: فكان عمر يقول لأبي بكرة تب أقبل شهادتك، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّدا رسول الله وأنّ المغيرة بن شعبة زنى بفلانة[٣].

أقول: كان أبو بكرة المشهود له بالعبادة إلى أن صار كالنّصل يقرن شهادتي التّوحيد والرّسالة بالشّهادة على المغيرة بالزّنا، وفي هذا الكلام تحدّ كبير للخليفة عمر بن الخطّاب، فكأنّ أبا بكرة يقول لعمر: إنّك حين تطلب منّي التّخلّي عن

(١) التفسير الكبير، الرازي، ج٢٣ص١٤٢.

(٢) تفسير الصنعاني، ج٣ ص٥٢.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، ج٣ص٣٤٦.

شهادتي على المغيرة بالزّنا فكأنّما تطلب منّي أن أتخلّى عن شهادتي لله تعالى بالوحدانيّة ولمحمّد (ص) بالرّسالة!! وللمرء أن يتساءل عن إصرار عمر على ما يسمّيه توبة أبي بكرة.

وموقف عمر بن الخطّاب في غاية الغموض، فإنّه كان يقول لأبي بكرة: تب، وفي نفس الوقت كان يقول للمغيرة ويحك يا مغيرة والله ما رأيتك قطّ إلاّ خشيت أن أرمى بحجارة من السّماء[1]. ومثل هذا التّضارب لا مكان له في الإسلام.

وقال أيضا: وردّ عمر شهادة أبي بكرة وكان يقول له: "تب أقبل شهادتك" فيأبى حتّى كتب عهده عند موته: هذا ما عهد به أبو بكرة نفيع بن الحارث وهو يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله وأنّ المغيرة بن شعبة زنا بجارية بني فلان، وحمد الله عمر حين لم يفضح المغيرة[2].

أقول: لقد أصرّ أبو بكرة على موقفه حتّى جعله قسما من وصيّته، فهو يريد أن يثبت للنّاس أنّه عصى عمر في طاعة الله تعالى على عكس ما يفعله كثير من دراويش زماننا!

إذاً، فقد أصرّ أبو بكرة على شهادته على المغيرة حتّى مات، ولم يكتف بذلك حتّى كتبه في وصيّته، وفي هذا خطاب لكلّ من لم يدرك أبا بكرة يبيّن فيه موقفه من المغيرة وموقفه من عمر. وقد كان موقف الإمام علي(ع) من المغيرة في هذه

---

(١) في مصنف ابن أبي شيبة ج٦ص٢٠١تحت رقم٣٠٦٦٦.حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا شيبان عن الأعمش عن أبي الضحى قال حدثني من سمع عمر يقول إذا رأى المغيرة بن شعبة ويحك يا مغيرة والله ما رأيتك قط إلا خشيت أن أرمى بحجارة من السماء.

(٢) أحكام القرآن،ابن العربي، ج٣ص٣٤٨.

القصّة واضحا. فعن عمرو عن أبي جعفر أنّ عليّا بلغه عن المغيرة بن شعبة شيء فقال: لئن أخذته لأتبعنّه أحجاره[١].وهذا يعني أنّ الإمام عليا(ع) يرى المغيرة مستحقّا للرّجم ولا يلتفت إلى ما حكم به عمر بن الخطّاب.ولهذا وأمثاله كان المغيرة يسبّ الإمام عليا(ع) ويوظّف الخطباء لسبّه.

وروى الطبراني عن أبي عثمان النهدي قال: شهد أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد على المغيرة بن شعبة أنّهم نظروا إليه كما ينظر إلى المرود في المكحلة، فجاء زياد فقال عمر: جاء رجل لا يشهد إلاّ بحقّ فقال: رأيت منظرا قبيحا وابتهارا قال فجلدهم عمر الحد[٢].

وروى ابن عساكر أنّ أبا بكرة ونافع بن الحارث بن كلدة وشبل بن معبد شهدوا على المغيرة بن شعبة أنّهم رأوه يولجه ويخرجه وكان زياد رابعهم، وهو الذي أفسد عليهم؛ فأما الثّلاثة فشهدوا بذلك فقال أبو بكرة: والله لكأنّي بأثر جدري في فخذها. فقال عمر حين رأى زيادا: إنّي لأرى غلاما كيّسا لا يقول إلاّ حقّا، ولم يكن ليكتمني شيئا! فقال زياد: لم أر ما قال هؤلاء، ولكنّي قد رأيت ريبة وسمعت نفسا عاليا! قال فجلدهم عمر وخلّى عن زياد[٣].

ولم يعلّق الطّبرانيّ.

وقال ابن عبد البرّ: وكان [يعني أبا بكرة] من فضلاء الصّحابة وهو الذي شهد على المغيرة بن شعبة فبتّ الشّهادة وجلده عمر حدّ القذف إذ لم تتمّ الشّهادة، ثمّ

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج٦ص١٩١تحت رقم٣٠٥٨٢.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج٧ص٣١١تحت رقم٧٢٢٧.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٦٠ص٣٣.

قال له عمر: تب تقبل شهادتك. فقال له : إنّما تستتيبني لتقبل شهادتي؟ قال: أجل. قال: لا جرم، إنّي لا أشهد بين اثنين أبدا ما بقيت في الدّنيا(١).

وقال ابن عساكر: سأل عمر زيادا عن شهادته فقال: لقد رأيت منظرا قبيحا ونفسا عاليا وما رأيت الذي فيه ما فيه الأمر، فكبّر عمر وجلد أبا بكرة ونافعا وشبلا! فقال أبو بكرة: أما والذي بعث محمّدا بالحقّ لقد رأى زياد مثل الذي رأيت ولكنّه كتم الشّهادة، وإنّ المغيرة لزان. فأراد عمر أن يعيد عليه الحدّ مرّة أخرى، فقال له عليّ: يا أمير المؤمنين، إذن تكمل شهادته أربعة ويحلّ على صاحبك الرّجم؛ فتركه، وكتب إلى أبي موسى أن لا تجالسوا أبا بكرة فإنّه شيطانٌ! فحلف أبو بكرة أن لا يكلّم زياداً أبداً، فولي زياد البصرة بعد ذلك فلم يكلّمه حتى مات(٢).

أقول: أقسم أبو بكرة بـ"الذي بعث محمّداً بالحقّ "وهو صحابيٌّ، ومع ذلك لم يقبل منه عمر، وقال عنه " شيطانٌ "، وهو الذي وُصف بأنّه نحل من العبادة حتى صار كالعود، وأنّه لم يدخل البصرة أفضل منه ومن عمران بن حصين!! والذي يَلفت الانتباه هو طريقة عمر مع من يحاول إسقاط عدالتهم، فإنّه يمنع النّاس من مجالستهم، ولعلّه يفعل ذلك لأنّه يخاف أن تتسرّب منهم أقوالٌ تكشف بعض مايحرص على كتمانه! المهمّ أنّ عمر يقول عن الزّاني "رجلٌ من أصحاب رسول الله(ص) "، وعن الصّحابي العابد العفيف "شيطانٌ ".

قال ابن حجر: وقد حكى الإسماعيلي في المدخل أنّ بعضهم استشكل إخراج البخاريّ هذه القصّة واحتجاجه بها مع كونه احتجّ بحديث أبي بكرة في عدّة

---

(١) الاستيعاب، ابن عبد البرّ، ج ١ ص٥١٤.

(٢) تاريخ دمشق،ابن عساكر، [ج ٦٠ ص ٣٦].

مواضع، وأجاب الإسماعيليُّ بالفرق بين الشّهادة والرّواية، وأنّ الشهادة يطلب فيها مزيد تثبّت لا يطلب في الرّواية، كالعدد والحرّية وغير ذلك، واستنبط المهلّب من هذا أنّ إكذاب القاذف نفسَه ليس شرطاً في قبول توبته، لأنّ أبا بكرة لم يكذب نفسه ومع ذلك فقد قبل المسلمون روايته وعملوا بها(١).

أقول: أبو بكرة قال عن نفسه إنّهم فسّقوه، وهذا معناه أنّه لا تُقبل شهادته، ومن لم تقبلْ شهادته فهو ليس بعدل، لكنّهم قبلوا روايات أبي بكرة وعملوا بها، مع أنّ عنوان الفسق باق عليه، والعدالة مشترطةٌ في الرّواية والشّهادة جميعا، ويصعب الخروج من هذه المسألة بقول مقنع!

وقال أبو إسحاق الشيرازي في المهذّب: وشهد على المغيرة بن شعبة ثلاثةٌ: أبو بكرة، ونافع، وشبل بن معبد، وقال زياد : رأيت استاً، ونفساً يعلو ، ورجْلان كأنّهما أُذُنا حمار،و لا أدري ما وراء ذلك(٢).

أقول: لا يدري زيادٌ ما وراء ذلك! نعم، وراء ذلك تَهجُّدٌ وذِكْرٌ وتَسْبيحٌ!! هذا مع أنّهم يزعمون أنّ لزياد فضلَ عقل، ولو جيء بصبيّ و ردِّد على مسمعه كلام زياد لدرى ما وراء ذلك بدون تردُّد! ولم يكلّم أبو بكرة أخاه زيادا حتى مات، وهذا الإصرار والثّبات من أبي بكرة جدير بالتّأمّل، فقد أصرّ أبو بكرة أن يعرف النّاس موقفه من عمر والمغيرة وزياد عند خروجه من الدّنيا ليقطع الطريق على المتأوّلين والمصوّبين لأعمال الحاكمين باسم الإسلام.

(١) فتح الباري، ابن حجر [ج ٥ ص ٢٥٦].

(٢) المهذب في فقه الإمام الشافعي [ج ٣ ص ٤٥٠] أبو إسحاق الشيرازي، دار الفكر – بيروت.

وتفنّنوا في تصويب فعل عمر بن الخطّاب؛ قال ابن قدامة: ولنا أنّ أبا بكرة ونافعاً وشبْل بن معبد شهدوا عند عمر على المغيرة بن شعبة بالزّنا، ولم يشهد زياد، فحُدّ الثّلاثةُ ولو كان المجلس غير مشترط لم يجزْ أن يحدّهم، لجواز أن يكملوا برابع في مجلس آخر، ولأنّه لو شهد ثلاثةٌ فحدّهم، ثمّ جاء رابعٌ فشهد لم تُقبل شهادته، ولولا اشتراط المجلس لكمُلت شهادتهم[١].

وقال: وروى صالح في مسائله بإسناده عن أبي عثمان النّهدي قال: جاء رجل إلى عُمر فشهد على المغيرة بن شعبة فتغيّر لون عُمر، ثمّ جاء آخر فشهد فتغيّر لون عُمر، ثمّ جاء آخر فشهد فاستكبر ذلك عُمر، ثمّ جاء شابٌّ يخطر بيديه، فقال عُمر: ما عندك يا سلح العقاب؟ وصاح به عُمر صيحة! فقال أبو عثمان: والله لقد كدت يغشى عليّ! فقال: يا أمير المؤمنين رأيت أمراً قبيحاً فقال: الحمد لله الذي لم يشمت الشّيطان بأصحاب محمّد (ص) قال: فأمر بأولئك النّفر فجُلدوا.وفي رواية أنّ عُمر لمّا شُهد عنده على المغيرة شَهد ثلاثةٌ وبقي زياد، فقال عُمر : أرى شابّاً حسناً، وأرجو أن لا يفضح الله على لسانه رجلاً من أصحاب محمّد رسول الله (ص)؛ فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت أسْتاً تنبو، ونفَساً يعْلو، ورأيت رجليْها فوق عُنقه كأنّهما أذُنا حمار، ولا أدري ما وراء ذلك ؟ فقال عمر : الله أكبر، وأمر بالثّلاثة فضربوا[٢].

أقول: لماذا صاح عمر بن الخطّاب بالشّاهد صيحةً كاد أبو عثمان ـ وهو أجنبيٌّ عن القضيّة ـ أن يُغشى عليه منها؟! هل كان رسول الله(ص) يصيح بالشّهود؟ لاشكّ

(١) المغني في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة المقدسي [جزء ١٠ ، ص ١٦٩]] دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥

(٢) نفس المصدر السابق، ج ١٠ص ١٧٥].

أن الصيحة كانت تتضمّن معنىً فطِن له زياد ورتّب عليه الأثر المناسب فتراجع عن الشّهادة.

ثم ما معنى التكبير في هذا المقام؟

وقال في الشّرح الكبير: وفي رواية أنّه لما شُهد عنده على المغيرة، شهد ثلاثةٌ و بقي واحدٌ، فقال عمر: أرى شابّاً حسناً، وأرجو أن لا يفضح الله على لسانه رجلاً من أصحاب محمّد (ص)، وهذا تعريض ظاهر[1].

أقول: كان أولى بصاحب الشّرح الكبير أن يقول: وهذا تلقينٌ ظاهرٌ، فإنّها العبارة المناسبة المطابقة. والتّعريض نفسه يحتوي على شيء من التّلقين، لكنّ التّلقين هنا واضحٌ.

وقال آخر: ولأنّ أبا بكرة ونافع بن الحارث وشبل بن معبد شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزّنا عند عمر بن الخطّاب (رض) ولما لم يصرّح زياد بذلك بل قال: رأيت أمرا قبيحا فرح عُمر، وحمد الله، ولم يقم الحدّ عليه، وكان بمحضر من الصّحابة[2].

أقول: لماذا فرح عمر؟ وما هو موضع الفرح في كلام زياد؟ إن كان القصد أنّه درأ الحدّ عن رجل من أصحاب رسول الله(ص) فإنّه قد أثبته في حقّ رجل آخر من أصحاب رسول الله(ص) اسمه أبو بكرة، وكان أبو بكرة قبل هذه الحادثة أتقى وأعبد وأصدق من المغيرة بإجماع المسلمين، ولم يكن في سجلّ حياته من الجرائم شيءٌ ممّا كان في سجلّ المغيرة؛ وإنّما كان المغيرة عضوا أساسيّاً في دولة السّقيفة،

(١) الشرح الكبير، ج١٢ ص٦.

(٢) منار السبيل في شرح الدليل، ج ٢ ص٣٣٩، تأليف: إبراهيم بن محمّد بن سالم بن ضويان، مكتبة المعارف، الرياض١٤٠٥، الطبعة: الثانية، تحقيق: عصام القلعجي.

ولم يكن أبو بكرة كذلك.

وقال ابن خلدون: ثمّ استعمل المغيرة بن شعبة عليها، و كان بينه و بين أبي بكرة منافرةٌ، و كانا متجاورين في مشربتين ينفذ البصر من إحداهما إلى الأخرى من كوّتين، فزعموا أنّ أبا بكرة و زياد بن أبيه و هو أخوه لأمّه و آخرين معهما عاينوا المغيرة على حالة قذفوه بها، و ادّعوا الشّهادة، و منعه أبو بكرة من الصّلاة، و بعثوا إلى عمر[1]..

يقول ابن خلدون: "زعموا"، وكأنّ القصّة مختلَقةٌ، وقد تناولها الفقهاء في كتبهم بخصوص الشّهادة والحدود مسلّمين بصحّتها، لكنّها عند ابن خلدون مجرّد زعم!وليست هذه أولى مكابرات ابن خلدون!

وفي مثلها وقع ابن كثير فقال: قال أبو بكرة لأصحابه: تعالوا فانظروا إلى أميركم يزنى بأمّ جميل، فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة، فقالوا لأبي بكرة: ومن أين قلت إنّها أمّ جميل؟ وكان رأساهما من الجانب الآخر، فقال انتظروا. فلمّا فرغا قامت المرأة، فقال أبو بكرة: هذه أمّ جميل! فعرفوها فيما يظنّون[2]. فهم في نظر ابن كثير يظنّون مرّتين، لأنّهم قالوا لأبي بكرة: ومن أين قلت إنّها أمّ جميل؟ فطلب منهم الانتظار، وانتظروا حتى فرغت وقامت، فعرفوها؟ لماذا يقول ابن كثير "فيما يظنون"؟!

وقال الصّفديّ: سكن أبو بكرة البصرة، وبها مات سنة إحدى وخمسين للهجرة وكان ممّن اعتزل يوم الجمل، ولم يقاتل مع أحد من الفريقين، وكان أحد فضلاء الصّحابة. قال الحسن : لم يسكن البصرة أحدٌ من الصّحابة أفضل من عمران بن

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٥٤٨.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧ص٨١

حصين وأبي بكرة، وله عقبٌ كثيرٌ كان لهم وجاهةٌ وسؤددٌ بالبصرة، وكان مِمّن شهد على المغيرة بن شعبة بالزّنا فبتّ الشهادة، وجلده عمر حدّ القذف إذ لم تتمّ الشّهادة ثمّ قال له : تُبْ لُتقبل شهادتك، فقال: لا جرم لا أشهد بين اثنين أبداً ما بقيت في الدّنيا. وكان أبو بكرة يقول : أنا مولى رسول الله (ص) ويأبى أن ينتسِب، وكان مثل النّصل من العبادة حتى مات، وأوصى أن يصلّيَ عليه أبو برزة الأسلميّ، فصلّى عليه. وقد روى له الجماعة كلّهم، وقد مرّ ذكر الشّهادة التي شهدها على المغيرة بن شعبة، وما جرى في ذلك في ترجمة المغيرة بن شعبة.

أقول: ههنا إشكالٌ، فإنّ عمر بن الخطاب لم يكن يقبل شهادة أبي بكرة، وكان يقول له: تُبْ لتقبل شهادتك؛ لكنّ الجماعة كلّهم[1] رووْا له! وهذا يعني أنّهم لم يحفلوا بموقف عُمر بن الخطاب منه. فعُمر بن الخطّاب يرى أبا بكرة فاسقاً يحتاج إلى توبة حتّى تُقبل شهادته، والجماعة كلّهم يرونه عدلاً ضابطاً لا يحتاج إلى توبة لتقبل روايته.

وفي معرفة الثّقات: "نفيع أبو بكرة من أصحاب النّبي(ص)بصريٌّ، وكان من خيار أصحاب النّبي (ص)"[2]! فهو من جهة من خيار أصحاب النّبي(ص)، ومن جهة أخرى فاسقٌ لا تُقبل شهادته!

وقد كان لأبي بكرة كلامٌ عظيمٌ في حقّ معاصريه، فعن أبي عثمان النّهدي قال: كنت خليلاً لأبي بكرة، فقال لي يوماً: أترى النّاس؟ إنّي إنّما عتبت على هؤلاء

(١) تهذيب التهذيب ج١٢: ص٤٨ تحت رقم ١٨١ : أبو بكرة الثقفي الصحابي اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة.

(٢) معرفة الثقات، ج٢: ص٣١٩ تحت رقم١٨٦ ٥.

في الدّنيا، وقد استعملوا عبيد الله يعني ابنه على فارس، واستعملوا روّاداً يعني ابنه على دار الرّزق، واستعملوا عبد الرحمن يعني ابنه على الدّيوان وبيت المال، أفليس في هؤلاء دنيا؟ كلا والله، إنّما عتبت عليهم لأنّهم كفروا فذكر كلمةً[1][!] وكان في نسخة أخرى" كفروا صراحةً أو صُراحاً"[2]..

عن حاجب بن عمر أبي حبشية، عن عمّه الحكم الأعرج قال: جلب رجلٌ حبشيّاً من السّند أو الهند، فطلبه زياد أو ابن زياد منه، فأبى أن يبيعه، فغصبه إيّاه فبنى صفّة مسجد البصرة، قال فلم يصلّ أبو بكرة فيها حتى قُلعت[3].

عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: لمّا اشتكى أبو بكرة عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب فأبى، فلمّا نزل به الموتُ فعرف الموتَ من نفسه وعرفوه منه قال: أين طبيبكم ليردّها إن كان صادقاً؟! فقالوا: وما يغني الآن؟ قال: وقبل الآن؛ فجاءت ابنته أمة الله فلمّا رأت ما به بكت فقال: أي بنيّة لا تبكي. قالت: يا أبت فإذا لم أبك عليك فعلى من أبكي؟ فقال: لا تبكي فو الذي نفسي بيده ما على الأرض نفسٌ أحبُّ إليَّ من أن تكون قد خرجت من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذّباب الطّائر، فأقبل على حمران يعني ابن أبان وهو عند رأسه فقال: ألا أخبرك ممّ ذاك؟ حسبت والله أن يوشك أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام! ثمّ جاء أنسُ بن مالك فقعد بين يديه وأخذ بيده وقال: إنّ ابن أمّك زياداً أرسلني إليك يقرئك السّلام، وقد بلغه الذي نزل بك من قضاء الله فأحبّ أن يحدث بك عهدا، وأن يسلّم عليك ويفارقك عن رضا؛

(١) ما هي الكلمة أيها الحكيم العاقل؟
(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٦٢: ص٢١٧.
(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج٦٢،ص٢١٥.

فقال: أبلغه أنت عنّي. قال: نعم. قال: فإنّي أحرّج عليه أن يدخل لي بيتاً ويحضر لي جنازةً[!] قال: لم يرحمك الله وقد كان لك معظّماً ولبنيك واصلاً؟ قال: في ذلك غضبت عليه؛ قال: ففي خاصّة نفسك ما علمته إلاّ مجتهداً. قال: فأجلسوني! قال فأُجلس فقال: نشدتك بالله لما حدّثتني عن أهل النّهر[١] أكانوا مجتهدين؟ قال: نعم. قال: فأصابوا أم أخطأوا؟ قال: هو ذاك. ثمّ قال أضجعوني. فرجع أنسُ إلى زياد فأبلغه فركب من مكانه متوجّهاً إلى الكوفة، فتوفّي[٢] وهو بالجلحاء، فقدّم بنوه أبا برزة فصلى عليه[٣]..

أقول : وهذا يعني أن أبا بكرة لا يرضى أن يحضر أخوه زياد جنازته، وهذا أمر عظيمٌ.

وهذه بعض أقوالهم فيه:

نفيع بن الحارث بن كلدة أبو بكرة الثّقفي، وقيل اسمه مسروح، كنّاه النّبي (ص)لتدلّيه ببكرة من الطّائف، روى عنه أولاده والحسن وعدّة، توفّي سنة ٥١[٤].

نفيع بن الحارث بن كَلَدة بفتحتين بن عمرو الثّقفي أبو بكرة، صحابيٌّ مشهورٌ بكُنيته، وقيل اسمه مسروحٌ بمهملات، أسلم بالطّائف، ثمّ نزل البصرة ومات بها سنة إحدى أو اثنتين وخمسين[٥].

---

(١) المقصود أهل النهروان الخوارج.

(٢)أي أبو بكرة.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج٦٢،ص٢١٨.

(٤) الكاشف، ج٢ ص٣٢٥ تحت رقم٥٨٦٩.

(٥) تقريب التهذيب، ج١ ص٥٦٥ تحت رقم ٧١٨٠.

كان قد أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنةً، وانتقل إلى البصرة، ومات سنة تسع وخمسين، وأمر أن يصلّى عليه أبو برزة الأسلميّ، وكانا متآخيين. وقد قيل إنّه توفّى سنة ثلاث وخمسين وله ثلاثٌ وستّون سنةً(١).

كان يقول أنا مولى رسول الله (ص)، وكان رجلاً ورعاً صالحاً، آخى النّبي (ص) بينه وبين أبي برزة، سكن البصرة وتوفّي بها سنة إحدى وقيل اثنين وخمسين(٢).

الليث بن سعد قال: حدّثني ابن شهاب أنّه بلغه أنّ عُمر بن الخطّاب استتاب أبا بكرة فيما قذف به المغيرة بن شعبة فأبى أن يتوب، وزعم أنّ ما قال حقٌّ، وأقام على ذلك وأصرّ عليه فلم يكن تجوز له شهادةٌ(٣).

أقول: لماذا زعم؟! أليس الرجل قد رأى بعينيه؟ ولم يتلكّأ في الشهادة إلاّ زياد، وقد شهد زياد هذا فيما بعد على أمّه بالزّنا وعلى أبيه بالدّياثة.

أصبح أبو بكرة ممقوتاً لأنّ الحكومة نقمت عليه، ويفرح بالموت مخافة أن يعجز عن النّهي عن المنكر فيموت قلبه. والنّاس على دين ملوكهم، وإلاّ فإن صفحته بيضاء، ومن ترجم له من علماء الرّجال ضمّن ترجمته أنّه من فضلاء الصّحابة وصالحيهم. ولكن هل يجديه ذلك وليس معه موافقةٌ للحاكمين ؟

وقد كان لأولاده سهمٌ في الرّواية: ففي التّاريخ الكبير: بكّار بن عبد العزيز بن أبي بكرة الثّقفي أبو بكرة البصريّ عن أبيه وعمّته كيسة؛ سمع منه أبو عاصم وموسى

(١) مشاهير الأمصار، ج١ ص٣٨ تحت رقم ٢٢٠.
(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ج٦٢ ص٢٠٨.
(٣) شرح مشكل الآثار، ج١٢ص٣٦٢.

بن إسماعيل. قال أبو عبد الله حدّثنا كلاهما عنه[١]..

وفي الجرح والتّعديل: نفيع بن الحارث أبو بكرة له صحبة يعدّ في البصريين روى عنه بنوه عبد الرّحمن وعبد العزيز وعبيد الله ومسلم وروى عنه الحسن البصري سمعت أبى يقول ذلك[٢].

وقد بقي العلم في ذريّته، فمنهم:

بكار بن قتيبة بن أسد بن أبي بردعة بن عبيد الله بن بشر بن عبيد الله بن أبى بكرة نفيع بن الحارث الصحابي الثقفي البكراوي البصري الفقيه، قاضي مصر أبو بكرة؛ مولده بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فيما نقله الطّحاويّ في تاريخه، تفقّه بالبصرة على بلال بن يحيى بن مسلم [٣]..

سلح العقاب

عن أبي عثمان النّهدي قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب (رض) فشهد على المغيرة بن شعبة فتغيّر لون عمر، ثمّ جاء آخر فشهد فتغيّر لون عمر، ثمّ جاء آخر فشهد فتغيّر لون عمر حتّى عرفنا ذلك فيه وأنكر لذلك، وجاء آخر يحرّك بيديه فقال: ما عندك يا سلخ العقاب وصاح أبو عثمان صيحة تشبه صيحة عمر[٤]..

أقول: لماذا صاح عمر بن الخطّاب؟ وما هو محلّ الصّيحة من الإعراب؟

(١) التاريخ الكبير، ج٢ص١٢٢تحت رقم١٩٠٩.
(٢) الجرح والتعديل، ج٨ ص٤٨٩ تحت رقم٢٢٣٩.
(٣) طبقات الحنفية، ج١ص١٦٨تحت رقم.
(٤) شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلمة، ج ٤، ص ١٥٣.

هل كان رسول الله(ص) يصيح بالشهود ويناديهم " يا سلح العقاب "؟

لقد أراد عمر بن الخطّاب أن يدرأ الحدّ على المغيرة، لكن ضاق عليه الوقت، إذ لو أتمّ زياد الشّهادة لوجب عليه رجم المغيرة بن شعبة، فلجأ إلى ما لجأ إليه وناقض نفسه في عين المكان؛ فقد قال فيما قال: "أما إنّي أرى وجه رجل أرجو أن لا يرجم رجلٌ من أصحاب رسول الله(ص)على يده ولا يخزى بشهادته"[1]. والحال أنّ المغيرة لم يكن الصحابيّ الوحيد في القصّة، فأبو بكرة أيضاً صحابيٌّ، ومن أجلاّء الصّحابة حسب ما قال علماء الرّجال في ترجمته، فلابدّ أن يخزى أحد أصحاب رسول الله في القصّة، لكنّ منطق الدّولة يقضي بأن تحفظ حياة الصحابيّ الذي هو من خطّ السّقيفة ومن المستميتين في الدّفاع عن خطّ السّقيفة، فإنّ في كتب التاريخ والتّراجم ما يشير إلى أنّ المغيرة كان من المشاركين في الهجوم على بيت فاطمة بنت رسول الله(ص).

(١) فتوح البلاذري،ج٢ص٤٢٣.

الفصل السابع

أقوال في المغيرة بن شعبة

أقوال في المغيرة بن شعبة

قال ابن كثير في البداية والنّهاية في ترجمة المغيرة: كان المغيرة من دهاة العرب، وذوي آرائها، أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف مرجعَهم من عند المقوقس وأخذَ أموالهم، فغرم دياتهم عروةُ بن مسعود، وشهد[المغيرة] الحديبية، وكان واقفاً يوم الصّلح على رأس رسول الله (ص) بالسيف صلتاً، وبعثه رسول الله(ص) بعد إسلام أهل الطّائف هو وأبو سفيان بن حرب، فهدما اللاّت، وقد قدّمنا ذلك، وبعثه الصّدّيق إلى البحرين، وشهد اليمامة واليرموك، فأصيبت عينه يومئذ، وقيل : بل نظر إلى الشّمس وهي كاسفةٌ، فذهب ضوء عينه. وشهد القادسية، وولاّه عُمر فتوحاً كثيرةً، منها همذان وميسان، وهو الذي كان رسولَ سعد إلى رُستُم، فكلّمه بذلك الكلام البليغ، فاستنابه عُمر على البصرة، فلما شهد عليه بالزّنا ولم يثبت عليه، عزله عنها، و ولاّه الكوفة واستمرّ به عثمان حيناً، ثمّ عزله، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمين، فلحق بمعاوية؛ فلما قُتل عليٌّ وصالح الحسنُ معاويةَ ودخل الكوفة ولاّه معاوية عليها، فلم يزل أميرها حتّى مات في هذه السّنة على المشهور. قاله محمّد بن سعد وغيره. وقال الخطيب: أجمع النّاس على ذلك، وذلك في رمضان منها، عن سبعين سنة.وقال أبو عبيد: مات سنة تسع وأربعين.وقال ابن عبد البرّ: سنة إحدى وخمسين. وقيل : سنة ثمان وخمسين. وقيل: سنة ستّ وثلاثين. وهو غلط...وقال عبد الله بن نافع الصائغ: أحصن المغيرة ثلاثمائة امرأة. وقال غيره: ألف امرأة. وقيل: مائة امرأة. وقيل: ثمانين امرأة. فالله أعلم[1].

أقول: انظر إلى قولهم " أحصن المغيرة " وهم يعلمون أنّ العبارة لا تتّفق مع

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص٤٩.

العبث الذي كان يمارسه المغيرة، وقد سمّى الله تعالى الزّواج(ميثاقاً غليظاً)، والإحصان يتضمن العفّة وصون النّفس عن التّوق إلى الحرام، ولم يكن المغيرة محتاجاً إلى هذا العدد الهائل ليصون نفسه كما يصونها أيّ مسلم، وعليه فإمّا أن يكون قصد بذلك رقماً قياسيّاً يتميّز به عن غيره وهذا ليس غريباً عنه بعد أن قال " أنا أوّل من رشا في الإسلام " وبعد أن ادّعى كاذباً أنّه " آخرهم عهداً برسول الله(ص) ". وإمّا أن يكون قد استسلم لشهوة فرجه استسلاماً لا يليق بأهل المروءة أن يفكّروا فيه فضلاً عن أن يطبّقوه. وبما أنّه قد شهد عليه الصّحابة العدول بالزّنا في قصّة مشهورة، و استعملت الدّولة أساليبها لتدرأ عنه الحدّ، لحاجتها إلى مكره ودهائه، فإنّ كلا الاحتمالين واردٌ. ولو كان الانهماك في شهوة الفرج على طريقة المغيرة فضيلةً لرغّب فيه الإسلام، والحال أنّه كلّما ازدادت الحكمة قلّت الشهوة. وفي وسع المرء أن يتصوّر مجتمعاً يقلّد المغيرة بن شعبة في انهماكه في شهوة فرجه، ولا مناص ساعتها من البحث عن عدد هائل من النّساء ليحصل الاكتفاء الذّاتي للمجتمع، فإن كلّ شخص يحصن ـ كما زعموا ـ ثمانين امرأةً وهو القدر المتيقّن في ما أورده ابن كثير، وعليه يحتاج مجتمع فيه مليون رجل إلى ثمانين مليون امرأة، وهلمّ جرّاً!

ويوم الحديبية رفع عروة بن مسعود رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة؛ فقال: أي غُدَر ـ وهو معدولٌ عن غادر على ما في النّهاية ـ ألست أسعى في غدرتك؟! وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النّبي : أمّا الإسلام فأقبل وأمّا المال فلست منه في شيء[1].

(١) مرقاة المفاتيح، ج٧ ص٥٦٠.

وللتّذكير فإنّ عروةَ بن مسعود الثّقفيّ هو عمُّ المغيرة بن شعبة[١]. وذكر ابن سعد في الطّبقات أنّ ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميّة، وأمّها لبابة بنت أبي العاص بن أميّة، تزوّجها عروةُ بن مسعود الثّقفيّ فولدت له، ثمّ خلف عليها [٢]المغيرة بن شعبة الثقفي [٣].

وعن قبيصة بن جابر الأسديّ: ..صحبت المغيرة بن شعبة فلو أنّ مدينةً لها أبوابٌ لا يخرج من كلّ باب منها لا بالمكر لخرج منها كلّها[٤].

أقول: إلى هذه الدّرجة أحاط المغيرة بفنون الشّيْطنة، وللإمام علي(ع) كلامٌ في الدّهاء، ولو كان الدّهاء فضيلةً لما فات الأنبياءَ منه شيءٌ، فالدّهاء والمروءة لا يجتمعان فضلاً عن الإيمان.

وعن قبيصة قال: ألا أخبركم عمّن صحبت؟ صحبت عمر بن الخطّاب فما رأيت أحداً أفقه في دين الله تعالى ولا أحسن مدارسةً منه. وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت أحداً أعطى للجزيل في غير مسألة منه. وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت أحداً أنصع ظرفاً أو أبين ظرفاً منه. وصحبت معاوية فما رأيت أحداً أكثر حلماً منه ولا أكرم ولا أبعد أناةً منه[!] وصحبت زياداً فما رأيت أحداً أحلم ولا أكرم جليساً

---

(١) ذكر ذلك الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٧١٣ و الطبراني في المعجم الكبير ج١٧ ص١٤٧وابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج٥ ص٣٤١ و الإصابة في تمييز الصحابة ج١ ص٤٦١و العيني في عمدة القاري ج١٤ ص١١ و العظيم آبادي في عون المعبود ج٧ ص٣١٧و ابن الجوزي في كشف المشكل، ج٤ ص٥٥ و الشوكاني في نيل الأوطار، ج٨ ص١٩٧.

(٢) خلف عليها: أي تزوّجها بعد وفاة زوجها.

(٣) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج٨ ص٢٤٠.

(٤) التاريخ الكبير، البخاري، ج٧ ص١٧٥.

منه، ولا أخصب رفيقاً منه. وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أنّ مدينةً لها ثمانيةُ أبواب لا يخرج من كلّ باب منها إلاّ بالمكر لخرج منها كلّها(١).

أقول: لم يصحب قبيصة عليّ بن أبي طالب(ع)، ولا الحسنين(ع)، ولا سلمان الفارسيّ، ولا أبا ذرّ، ولا المقداد، ولا عمّار بن ياسر، ولا خزيمة بن ثابت.ولم نر في هؤلاء من وصف المغيرة بتقوى أو ورع أو حفظ قرآن.

وفي معجم الشعراء: هو ـ أي المغيرة ـ صاحب معاوية في سائر حروبه ومواطنه، وهو أوّل من أشار عليه بولاية العهد ليزيد ابنه، وأوّل من أجهد نفسه في ذلك بالكوفة عند تقلّده إيّاها لمعاوية، وفضائله في هذه المعاني كثيرة(٢)!

وقال كعب بن جعيل يهجو المغيرة بن شعبة:

إذا راح في قوهيّة متأزّراً فقُلْ جُعَلٌ يسْتنُّ في لَبَن مَحْض

وتحسبُه إن قام للمشْي قاعداً لقلّة مقْياسيْه في الطّول والعَرْض

فأُقسم لو خرّتْ من إستِك بيضةٌ لما انكسرتْ من قُرب بعضِك من بعْض

فيا خِلقة الشّيطان أقْصر فإنّما رأيتُك أهلاً للعداوة والبُغض(٣)

وفي جمهرة اللّغة : كذلك حديث الأعرابيّة التي تزوّجها المغيرة بن شعبة فسئلت عنه فقالت: عسيلته طائفيّة في وعاء خبيث. وكان رجلاً شحّيحاً قويّ الدّلك صلبه(٤)!

---

(١) التاريخ الكبير، البخاري، ج ٧ ص ١٧٥.و سيرة ابن كثير، ج ٤ ص ٦٦٤.
(٢) معجم الشعراء، ج ١ ص ٨٥ وانظر إلى هذا العالم الجليل يسمى التملّق والكذب فضائل!
(٣) الحماسة البصرية، ج٢ ص٢٨٠.
(٤) جمهرة اللغة،ج٢ ص٨٤٢

وفي حوار بين الإمام علي (ع) وعثمان، قال عثمان: قد علمت والله ليقولنّ الذي قلت، أما والله لو كنت مكاني ما عنّفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكراً أن وصلت رحماً، وسددت خلّةً، وآويت ضائعاً، وولّيت شبيهاً بمن كان عمر يولّي. أنشدك الله يا عليّ، هل تعلم أنّ المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم. قال فتعلم أنّ عمر ولاّه؟ قال: نعم. قال فلم تلومني أن ولّيت ابن عامر في رحمه وقرابته؟ قال عليّ: إنّ عمر كان يطأُ على صماخ من ولّى، إن بلغه عنه حرف جلبه ثمّ بلغ به أقصى العقوبة، وأنت لا تفعل، ضعُفتَ ورققتَ على أقربائك[1].

وقال ابن أبي الحديد: أصحابنا غير متّفقين على السّكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديّين يفسّقونه ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولما جاء عروة بن مسعود الثّقفي إلى رسول الله (ص) عام الحديبية نظر إليه قائماً على رأس رسول الله متقلّداً سيفاً، فقال: من هذا؟ قيل: ابن أخيك المغيرة، قال: وأنت هاهنا يا غُدَر! والله إنّي إلى الآن ما غسلت سوأتك. وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونيّة جميلة، كان قد صحب قوماً في بعض الطّرق، فاستغفلهم وهم نيامٌ، فقتلهم وأخذ أموالهم، وهرب خوفاً أن يُلحَق فيُقتَل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم، فقدم المدينة فأظهر الإسلام، وكان رسول الله (ص) لا يردّ على أحد إسلامه، أسلم عن علّة أو عن إخلاص، فامتنع بالإسلام، واعتصم وحمى جانبه[2].

أقول: هذا هو الكلام الذي استنكف المحدّثون وعلماء الرجال أن يقولوه!

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٣ ص٤٤ و البداية والنهاية، ج٧ ص١٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠ص ٨ – ٩.

" يفسّقونه ويقولون فيه ما يقال في الفاسق "

"فاستغفلهم وهم نيامٌ، فقتلهم وأخذ أموالهم"

" وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونيّة جميلة "

" وهرب خوفاً أن يلحق فيقتل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم "

" قدم المدينة فأظهر الإسلام "

رأي الإمام علي(ع) في المغيرة:

وقد نعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام المغيرة بما هو أهله حينما راجعه عمّار بن ياسر فقام عمّار فقال: معاذ الله يا مغيرة، تقعد أعمى بعد أن كنت بصيراً. يغلبك من غلبتَه، ويسبقك من سبقتَه، انظر ما ترى وما تفعل، فأمّا أنا فلا أكون إلاّ في الرّعيل الأوّل. فقال له المغيرة: يا أبا اليقظان؛ إيّاك أن تكون كقاطع السّلسلة فرّ من الضّحل فوقع في الرّمضاء. فقال عليّ لعمّار: دعه، فإنّه لن يأخذ من الآخرة إلاّ ما خالطته الدّنيا، أما والله يا مغيرة إنّها المثوبة المؤدّية، تؤدّي من قام فيها إلى الجنّة، ولما اختار بعدها، فإذا غشيناك فنم في بيتك. فقال المغيرة: أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منّي، ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك، فإن يكن ما فعلت صواباً فإيّاه أردت، وإن يكن خطأً فمنه نجوت، ولي ذنوبٌ كثيرةٌ، لا قبل لي بها [١].

وكذب المغيرة في قوله "لا أعين عليك "، فإنّه لم يكتف بالإعانة عليه بل بلغ به اللّؤم والشّقاء أن يسبّ ويلعن ويشتم من يُصَلَّى عليه في الأرض و السّماء، ويوظّف

---

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني، ج ١ ص ٥٠.

لذلك الخطباء من الخوارج وأصحاب الأهواء.

وقال ابن أبي الحديد بخصوص موقف الإمام علّي(ع) من المغيرة وأشباهه:

فأمّا عليّ عليه السلام فإنّه عندنا بمنزلة الرّسول (ص) في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته، ومتى صحّ عنه أنّه قد برئَ من أحد من النّاس برئْنا منه كائناً من كان، ولكنّ الشّأن في تصحيح ما يُروى عنه عليه السّلام، فقد أُكثر الكذب عليه، وولّدت العصبيّة أحاديث لا أصل لها. فأما براءته عليه السّلام من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية، فهو عندنا معلومٌ جار مجرى الأخبار المتواترة، فلذلك لا يتولاّهم أصحابنا، ولا يثنون عليهم، وهم عند المعتزلة في مقام غير محمود[1]..

رأي عمر بن الخطاب في المغيرة:

قال اليعقوبي: ... ووجه [أي عُمر] جُبيرَ بن مُطعم، فمكر به المغيرة، وحمل عنه خبراً إلى عُمر وقال له : ولّني، يا أمير المؤمنين. قال : أنت رجلٌ فاسقٌ! قال: وما عليك منّي ؟ كفايتي ورُجولتي لك، وفسْقي على نفسي، فولاّه الكوفة، فسألهم عن المغيرة، فقالوا : أنت أعلم به وبفسْقه.فقال: ما لقيت منكم يا أهل الكوفة ! إن ولّيتكم مسلماً تقيّاً قلتم: هو ضعيفٌ، وإن ولّيتكم مجرماً قلتم: هو فاسقٌ. فيقال إنّه ردّ سعد بن أبي وقاص[2].

وهذا الحوار بين الرّجلين جديرٌ بأن يُتوقّف عنده، وأوّل ما فيه أن عمر بن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠ ص ٣٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٥٥.

الخطّاب لـم يؤاخـذ المغيـرة لا علـى تجسّسـه ولا علـى نقلـه الخبـر، ولا علـى مكـره بالصّحابيّ جُبير بن مطعم، وكلّها أمورٌ منهيٌّ عنها فـي الشّـرع الحنيـف! والأمـر الثّـاني هو أنّ المغيرة بن شعبة لم يدافع عن نفسه حين قال له عمر " أنت رجـلٌ فاسـقٌ "، بـل قال:" وما عليك منّي "!وقال بعدها: " فسقي على نفسي "!

وهذا إقرارٌ صريحٌ منه على نفسه بالفسق! وموقف الإسلام من الفاسق معلومٌ؛ وقـد ذكر القرآن الكريم الفاسقين في أكثـر مـن ثلاثـين موضـعاً، فـي كلّهـا ذمٌّ ووعيـدٌ[١]، ومن بينها آياتٌ تصرّح أنّه سبحانه وتعـالى (لا يَهْـدِي القَـوْمَ الفَاسِـقِينَ). وإذا كـان الله سبحانه وتعالى لا يهدي القوم الفاسقين، والمغيرة يشـهد علـى نفسـه أنّـه فاسـقٌ، ولـم يثبت أنّه تاب من الفسق قبل موته، فهذا معناه أنّ المغيرة مات على غير هداية.أضـف إلى ذلك قول أهل الكوفة لعمر" أنت أعلم به وبفسقه "! والأدهى من ذلـك كلّـه قـول عُمر" وإن ولّيتكم مُجرماً قلتم هو فاسقٌ"! فهل تجوز تولية المجرم في الإسلام؟!

عن معمر عن الزّهريّ قال: ثارت الفتنـة و دهـاة النّـاس خمسـةٌ، يعـدّ مـن قـريش معاويةُ وعمرو، ويعدّ من الأنصار قيسُ بن سـعد، ويعـدّ مـن المهـاجرين عبـد الله بـن بديل بن ورقاء الخزاعيّ، ويعد من ثقيف المغيرة بن شعبة[٢].

(١) [البقرة : ٢٦]و [البقرة : ٩٩]و [آل عمران : ٨٢]و [آل عمران : ١١٠]و[المائدة : ٢٥]و[المائدة : ٢٦] و [المائدة : ٤٧]و[المائدة : ٤٩]و[المائدة : ٥٩]و[المائدة : ٨١]و[المائدة : ١٠٨]و[الأعراف : ١٠٢]و[الأعراف : ١٤٥]و[التوبة : ٨]و[التوبة : ٢٤]و[التوبة : ٥٣]و[التوبة : ٦٧]و[التوبة : ٨٠]و[التوبة : ٨٤]و[التوبة : ٩٦]و[الأنبياء : ٧٤]و[النور : ٤]و[النور : ٥٥] و[النمل : ١٢]و[القصص : ٣٢]و[السجدة : ١٨]و[الزخرف : ٥٤]و [الأحقاف : ٣٥]و[الحجرات : ٦]و[الذاريات : ٤٦]و [الحديد : ١٦]و[الحديد : ٢٦]و[الحديد : ٢٧]و[الحشر : ٥]و[الحشر : ١٩]و[الصف : ٥]و[المنافقون : ٦].

(٢) مصنف عبد الرزاق، ج١١ ص٣٤٩ (تحت رقم ٢٠٧٢٦).

أقول: من حقّ قبيلة عبس أن تفخر بشجاعة وعفّة عنترة بن شدّاد، ومن حقّ الطّائيين أن يفخروا بكرم حاتم، ومن حقّ بني قيلة أن يفخروا بخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين(رض)، ومن حق قبيلة غفار أن تفخر بأبي ذر (رض)، ولا تملك ثقيف إلاّ أن تغضّ الطّرف لأنّ منها المغيرة بن شعبة والحجّاج بن يوسف!

وقال[ابن شهاب] أيضاً: كان قيس وابن بديل مع عليّ، وكان المغيرة معتزلاً في الطّائف، وكان عَمرو مع معاوية. وقال قيس: لولا أنّي سمعت رسول الله(ص)يقول: "المكر والخديعة في النّار" لكنت من أمكر هذه الأمّة[1].

أقول: لكنّ المغيرة بن شعبة قضى عمره كلّه في المكر والخديعة.

وقوله "كان المغيرة معتزلاً في الطّائف "مجانبٌ للصّواب، وقد مرّ بك قولهم في حقّ المغيرة [صاحب معاوية في سائر حروبه ومواطنه]، فكيف يكون معتزلاً من هذا شأنه؟!

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ١ ص٩١٩.

مواقف من المغيرة

اتّهم أبو بكر المغيرة بن شعبة إذ ردّ خبره في ميراث الجدّة حتّى أخبره معه محمّد بن مسلمة، ذكر ذلك جماعة منهم الغزالي في المستصفى[١]. وذكر أبو جعفر الإسكافي أنّ المغيرة كان يضع الأحاديث القبيحة في أمير المؤمنين(ع) بترغيب من معاوية بن أبي سفيان. واتّهمه عمر بن الخطّاب إذ ردّ خبره في دية الإملاص؛ و اتّفق الإمام علي (ع) وعثمان بن عفّان في شهادتهما على المغيرة بن شعبة على أنّه ليس هناك، وهي كلمةٌ عظيمةٌ في لغة العرب يقصد بها دَناءة الهمّة وقلّة المروءة عند المعنيّ. والإمام علي (ع) وعثمان اثنان من الخلفاء الرّاشدين ومن المبشّرين بالجنّة في كتب الجمهور، فشهادتهما معاً لها وزنها.

وقال مجالد عن الشّعبيّ: دهاة العرب أربعةٌ: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد؛ فأمّا معاوية فللأناة والحلم، وأمّا عمرو فللمعضلات، وأمّا المغيرة بن شعبة فللمبادهة، وأمّا زياد فللصّغير والكبير[٢].

وفي تاريخ دمشق : عن أحمد بن بشير عن عوانة قال: ذكر عُمر شيئا فقال المغيرة: الرّأي فيه كذا وكذا. فقال: وما أنت والرّأي! إذا جاء الرّأي غلبك عليه عمرو ومعاوية[٣]. هذا موقف عمر من المغيرة! يقول له: " وما أنت والرأي"؟ وقد ذكروا أنّه كان يسمّى "مغيرة الرّأي"، فكيف غاب ذلك عن عُمر وهو الشّاهد المعاين الخبير بالمغيرة وأمثاله؟!

(١) المستصفى، الغزالي، ج ١ ص ١٣٥.
(٢) تهذيب الكمال، المزي، ج ٢٢ ص ٨٢
(٣) تاريخ دمشق، ج ٦٠ ص ٤٩.

وعن مجالد عن الشّعبيّ قال كان دهاة العرب أربعة أحدهم المغيرة بن شعبة لم يأخذ عقدة إلاّ حلّها. قال بهامش الصّفحة [وفي الأغاني ج١٦ ص ٨٦]: أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأةً فيهنّ ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب(١).

أقول: ثلاث بنات لأبي سفيان تزوّجهن المغيرة ليفهم معاوية ولاءه المطلق لآل أبي سفيان، ولو عاش المغيرة إلى سقوط دولة بني أميّة للعن آل أبي سفيان أيضاً تقرّباً إلى الحاكمين الجدد.

وقال الذّهبي: ويروى أنّ عمْراً ومعاوية اجتمعا، فقال معاوية له: من النّاس؟. قال: أنا وأنت والمغيرة بن شعبة وزياد! قال: وكيف ذاك؟ قال: أما أنت فللتّأنّي، وأمّا أنا فللبديهة، وأمّا مغيرةُ فللمعضلات، وأما زياد فللصّغير والكبير(٢).

وروى زحر بن حصن عن جدّه حميد بن منهب قال: زرت الحسن بن أبي الحسن فخلوت به فقلت: يا أبا سعيد ما ترى ما النّاس فيه؟ فقال لي: أفسد أمر النّاس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت وقال: أين القرّاء فحكّم الخوارج، فلا يزال هذا التّحكيم إلى يوم القيامة. والمغيرة بن شعبة فإنّه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي هذا فأقبل معزولاً؛ فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال: أمرٌ كنت أوطّئه وأهيّئه. قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك قال: أ وفعلت؟ قال: نعم. قال: ارجع إلى عملك؛ فلمّا خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجْل معاوية في غرز غيّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ ص ٤٩.
(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١ ص، ٥٠٨.

ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة(١).

أقول: هذا الكلام من طرف الحسن البصريّ يحمّل المغيرة بن شعبة مسؤوليّة إفساد أمر المسلمين في مسألة الحكم، وإن كان معاوية في غنىً عن مناورة المغيرة؛ فالمغيرة لا يبالي أن يضع رجْل معاوية في غرز غيّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة، وتنعكس آثار ذلك على الأمّة الإسلاميّة قرناً بعد قرن! المهمّ أن يسلم للمغيرة منصبه في دولة بني أميّة، فيضمن بذلك شهوة فرجه التي صار يضرب بها المثل! وإذا كان المغيرة قد أفسد أمر النّاس كما يقول الحسن البصري، فهو إذاً من المفسدين، والله لا يصلح عمل المفسدين. وبعد هذا، هل ينصف الذّهبي في الحكم على المغيرة بعد أن علم أنّه أفسد أمر النّاس.

عن أنس بن الحسن أنّ عمر بن الخطّاب كتب إلى المغيرة بن شعبة أن يقضي بين النّاس وقال: إنّ أمير العامّة أجدر أن يهاب، وقال: إذا رأيت من الخصم تكدّياً فأوجع رأسه! ويقال إنّ عُمر فعل هذا حين اشتكى ضعف أبي مريم فقال: لأعزلنّه و لأستعملنّ رجلاً إذا رآه الفاجر فرقه(٢).

أقول: نعم، سواءٌ في ذلك الفاجر والتّقيّ، كلٌّ من يرى شخصاً قَتل ثلاثة عشر شخصاً من رفقائه في السّفر أثناء نومهم يقشعرّ بدنه، خصوصاً إذا علم أنّهم أخذوا منه المواثيق ألاّ يغدر بهم. وأنت لا تجد مع ذلك في العالم كلّه بلداً يؤهّل صاحب فعلة كفعلة المغيرة ليكون قاضياً على النّاس، فإنّ القضاء نفسه يفقد منزلته في القلوب حينما يكون القاضي قاتلاً، متّهماً بالزّنا من طرف شهود في مستوى أبي

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ١ ص، ٦٢١.
(٢) أخبار القضاة، ج١ ص٢٧٤.

بكرة العابد، ومتبجّحاً بممارسة الرّشوة. ومع ذلك فقد أهَّله عمر بن الخطّاب لمنصب القاضي ومنصب الوالي!

قال الإتليدي: وقيل: إنّه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطّاب(رض)يشكون سعد بن أبي وقّاص، فقال: من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن ولّيتهم التّقيّ ضعّفوه، وإن ولّيتهم القويّ فجّروه. فقال له المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين، إنّ التّقيَّ الضّعيف له تُقاه ولك ضعفه، وإنّ القويَّ الفاجر لك قوّتُه وعليه فجوره. قال: صدقت! أنت القويّ الفاجر فاخرج إليهم. فلم يزل عليهم أيّام عمر وعثمان (رض) وأيام معاوية حتى مات المغيرة(١).

وفي جمهرة خطب العرب من كلام الحسن بن عليّ عليهما السّلام يردّ على المغيرة بن شعبة في مجلس معاوية : وأما أنت فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه، وإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنّخلة استمسكي فإنّي طائرةً عنك؛ فقالت النخلة: وهل علمت بك واقعةً عليّ فأعلم بك طائرةً عنّى! والله ما نشعر بعداوتك إيّانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها، ولا يشقّ علينا كلامك؛ وإنّ حدّ الله في الزّنا لثابتٌ عليك، ولقد درأ عمر عنك حقّاً الله سائله عنه، ولقد سألت رسول الله هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزّنا لعلمه بأنّك زان(٢)!

قال ابن أبي الحديد ما لفظه: وقد برئ كثيرٌ من أصحابنا من قوم من الصّحابة أحبطوا ثوابهم كالمغيرة بن شعبة(٣).

---

(١) إعلام النّاس بما وقع للبرامكة، الإتليديّ،ص٢٥.

(٢) جمهرة خطب العرب، ج٢ص٢٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج١ ص٩، ط دار إحياء الكتب العربية.

وقال أبو جعفر أيضا: وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النّزر منها، ويُرضي معاوية بذكر عليّ بن أبي طالب[١].

هذا قول أبي جعفر في المغيرة بن شعبة: صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النّزر منها. وروى البلاذريّ في الأنساب قال: وأتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له: دعْني آت القوم فانظر ماذا يريدون... فلما دنا منهم صاحوا به: يا أعور، وراءك! يا فاجر، وراءك! يا فاسق، وراءك[٢]!

وعن ابن عيينة عن عمرو عن أبي جعفر أن عليّاً بلغه عن المغيرة بن شعبة شيءٌ فقال: لئن أخذته لأتبعنّه أحجاره[٣].

كان عروة [بن مسعود الثّقفي] يكلّم رسول الله (ص)، فكلّما مدّ يده يمسّ لحية رسول الله (ص) قرعها المغيرة بقدح كان في يده، حتّى إذا أخرجه قال : من هذا ؟ قالوا : هذا المغيرة بن شعبة، قال عروة : أنت بذاك يا غُدر، وهل غسلتُ عنك غدرتَك إلاّ أمس بعُكاظ[٤].

عن حمّاد بن زيد عن هشام عن محمّد، قال: كان الرّجل يقول للرّجل: "غضب الله تعالى عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة بن شعبة، عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة "[٥]!

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج٤ ص ٦٩٧٠ دار إحياء الكتب العربية.
(٢) أنساب الأشراف ، البلاذري، ج ٥ ص ٦٣٦٤.
(٣) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٢٥٦.
(٤) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٨ ص ٥١٤.
(٥) الآحاد والمثاني، الضحاك، ج ٣، ص ٢٠٣ تحت رقم١٥٥٣.

وفي جامع ابن عبد البر: عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال: كذب المغيرة بن شعبة[١]..

وليس القصد من هذا الفصل تقصّي كلّ ما قيل في المغيرة بن شعبة، فإنّ الأقوال فيه موزّعة في الكتب، وهي في كتب الأدب والتّاريخ أكثر منها في كتب الحديث، لأنّ المحدّثين قد بنوا لأنفسهم مباني لا يحيدون عنها، وإذا ما عارض مبانيهم شيءٌ فتحوا أبواب التّبرير والتّوجيه والاحتمال وغير ذلك. وعليه فقد اقتصرتُ على الأقوال المشهورة الواضحة المعنى، وليس في هذه الأقوال ما ينسب إلى شيعيّ، وإن كان موقف شيعة أهل البيت عليهم السّلام من المغيرة بن شعبة محسوماً.

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ج ٢، ص ١٥٥.

الفصل الثامن

الحقد على الإمام علي(ع)

الحقد على الإمام علي(ع)

هذه القضيّة سبّبت مشاكل كبيرةً لمدرسة الجمهور، واضطرّت أتباع تلك المدرسة إلى تصحيح أحاديثَ موضوعة وتضعيف أحاديثَ صحيحة، ولا زال التّناقض هو السّائد هناك. والعاقل لا يخفى عليه التّمييز بين طلب الحقيقة وبين المراوغة والإصرار على الباطل، لأنّ لكلّ من الموقفين خصائصَه ومواصفاتِه التي تختلف تماماً عنها في الجهة المقابلة. وليست معرفة الحقيقة بذاتها موجبةً لتبنّيها والعمل بها، إذ المعرفة تبقى نظريّةً، بينما العمل يحتاج إلى دافع، خصوصاً حينما يكتشف الإنسان أنّ الحقيقة تخالف هواه، وليس كلّ متلبس بالدّين مخالفاً فعلاً لهواه. وقد كفانا القرآن الكريم مؤونة البحث في ذلك الشّأن، وأخبر أنّ الذين اختلفوا إنّما اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات من ربّهم، فاختلافهم لم يكن عن دليل كما يروَّج له في كتب الكلام والسّير والتّاريخ، وإنّما هو اختلاف ناشئٌ عن عناد!

والذي يدمي فؤاد كلّ غيور على الإسلام وعلى مؤسّس الإسلام (ص) هو تلك الحصانة التي حازها من رأوا رسول الله(ص) وسمعوه، بينما بقي آل رسول الله(ص)مباحةً أعراضُهم، مهدورةً دماؤُهم، من يوم وفاته إلى يومنا هذا إلا ما شاء ربّك. وهذا الكلام هو الذي يخشى الخوضَ فيه كثيرٌ من مشايخ النّفط ووعّاظ السّلاطين لعلمهم بنتيجته قبل الخوض فيه؛ فهم يعلمون أنّ المسلم معصوم الدّم والعرض والمال، أيّاً كان لونه وشكله وبلده وانتماؤه! وعليهم أن يلتزموا بذلك حتّى لا يدخلوا تحت قوله تعالى (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعلُونَ)، لكن أنّى لهم

الالتزام بذلك وهو يخالف ما بنوه لأنفسهم من اعتقاد بعدالة جميع الصّحابة فرداً فرداً، مهما صدر منهم. إنّ مبدأ عصمة دم وعرض ومال المسلم من المسلّمات في الإسلام، لكنّه يصطدم بما جرى بعد وفاة النّبي(ص) من بلاء تعرّض له أهل بيت النّبوّة، فكيف العمل؟ هل نضحّي بعدالة جميع الصّحابة فينهار المذهب؟! أم نفتح أبواب التّبرير والتّوجيه والاحتمال وتعدّد القراءات وتعدّد الصّواب؟!ولاشكّ أنّ الثّانية أسهل وأقلّ مؤونةً. ههنا بقيت مدرسة الجمهور تراوح منذ قرون، ولا زالت تراوح وستبقى تراوح، لأنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم.

صعوبة القضيّة تتمثّل في أنّ الحاقدين على الإمام علي(ع) أصرّوا على بغضه ولعنه سبّه وشتمه، ولعنُه ـ وسبُّه وشتمُه ـ لم يجر في مجلس واحد مثلاً، في حالة غضب أو خصومة، وإنّما كان أمراً مدروساً مدبّراً مخطّطاً له بدقّة، ودام ـ بشكل رسميّ تحت إشراف الدّولة ـ ثمانين سنة؛ واللّعنُ هو الطّرد والإبعاد من رحمة الله تعالى. وقد أريد من ورائه عزل الإمام علي وأهل البيت (ع) عن رسول الله(ص)، وصبغهم بصبغة مخالفة، ليتسنّى بعد ذلك مهاجمتهم ومحاربتهم، بل وتكفيرهم والشّهادة عليهم أنّهم على خلاف ما عليه أمّة محمد(ص)!! وإلاّ فما هو العمل الذي ارتكبه الإمام علي(ع) واستحقّ به السّبّ والشّتم؟!هل هناك للإمام علي(ع) موقفٌ خالف فيه رسول الله(ص)؟ ألم يقل النّبي(ص) في حقّه يوم خيبر " يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله"؟ فهو بهذا حبيب الله ورسوله؛ كيف يطلب عاقلٌ من الله تعالى أن يلْعن حبيبه؟. ثمّ لماذا يستمرّ لعنه على المنابر بعد خروجه من الدّنيا عقوداً من الزّمن كيما يشبّ عليه الصّغير ويهرم عليه الكبير؟ هل كان الذين لعنوا الإمام(ع) ليفعلوا ذلك في حياة رسول الله(ص)؟كيف وقد أخبر النّبي(ص) أنّه لا يبغض

عليّاً(ع) إلاّ منافقٌ"[١]. وإذا كان النّبي (ص) قد شهد على من يبغض الإمام عليا(ع) أنّه منافقٌ، فهل على المسلم حرجٌ إن هو صدّق رسول الله(ص) واعتقد أنّ من يبغض الإمام علياً(ع) منافقٌ؟! وإن كان هناك حرجٌ فما فائدة كلام النّبي (ص) إذاً ؟! أليس الحرج كلّ الحرج في عدم الاعتقاد بنفاق مبغض الإمام علي (ع) ؟! نعم، كلّ من أبغض الإمام علياً(ع) فهو منافقٌ شاء أم أبى، أحبّ من أحبّ وكره من كره، ومن زعم أنّ هذا غير صحيح فهو مكذّبٌ لرسول الله(ص)، ولا قيمة لكلام من يكذّب رسول الله(ص).

"لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ" كلامٌ بسيطٌ واضحٌ سهلٌ فهمُه، معناه أنّ حبّ الإمام علي(ع) منحصرٌ لدى المؤمنين، فلا يحبّه الكفّار والمشركون، ولا يحبّه المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ؛ وقوله (ص) "لا يبغضك إلاّ منافقٌ" كلامٌ بسيطٌ واضحٌ سهلٌ فهمُه أيضاً، معناه أنّ كلّ من يبغض الإمام علياً(ع) فهو منافقٌ، صحابيّاً كان أم تابعيّاً، من أهل القرن العاشر أم من أهل القرن العشرين، لا فرق في ذلك لأنّ النّبي(ص) لم يخصّص ولم يقيّد. ومَن صعُب عليه فهم هذا فالمشكلة عنده في

---

(١) مسند احمد، ج ١ ص ٨٤ و ج ١ ص ٩٥و ج ١ ص ١٢٨ و صحيح مسلم، ج ١ ص ٦١ وسنن ابن ماجه، ج ١ ص ٤٢ و سنن الترمذي، ج ٥ ص ٣٠٦ و سنن النسائي، ج ٢ ص ١١٧وفضائل الصحابة، النسائي ص ١٧ومجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٩ ص ١٣٣و فتح الباري، ابن حجر، ج ١ ص ٦٠ومسند الحميدي ج ١ ص ٣١والمصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٤٩٤وكتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم، ص ٥٨٤ والسنن الكبرى، النسائي، ج ٥ ص ٤٧وج ٥ ص ١٣٧ وج ٦ ص ٥٣٤ومسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، ج ١ ص ٢٥١ و ج ١ ص ٣٤٧ وصحيح ابن حبان، ابن حبان، ج ١٥ ص ٣٦٧والمعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢ ص ٣٣٧ وج ٥ ص ٨٧ والمعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٣ ص ٣٧٥ومعرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري ص ١٨٠ و الاستذكار، ابن عبد البر، ج ٨ ص ٤٤٦ والاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٣ ص ١١٠٠.

الفهم ولا مشكلة في وضوح كلام النّبي (ص).

عن أبي مريم السّلوليّ قال: سمعت عمّار بن ياسر يقول سمعت رسول الله(ص) يقول لعليّ بن أبي طالب: يا عليُّ، إنّ الله عزّ وجلّ قد زيّنك بزينة لم يتزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها، الزّهد في الدّنيا، فجعلك لا تنال من الدّنيا شيئاً، ولا تنال الدّنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين ورضوا بك إماماً ورضيت بهم أتباعاً؛ فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويلٌ لمن أبغضك وكذب عليك. فأما الذين أحبّوك وصدقوا فيك فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك، وأمّا الذين أبغضوك وكذبوا عليك فحقٌّ على الله أن يوقفهم موقف الكذّابين يوم القيامة(١).

وقد روى البخاريّ في صحيحه حديثاً يتعلّق بلعن المؤمن، لكنّه روى ونقل قبل ذلك وبعده عن كلّ من لعنوا سيّد المؤمنين؛ ففي صحيح البخاري عن ثابت بن الضّحّاك ـ وكان من أصحاب الشّجرة ـ أنّ رسول الله (ص)قال: من حلف على ملّة غير الإسلام فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذرٌ فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدّنيا عُذّب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله(٢).

و في سنن أبي داود: عن أمّ الدّرداء، قالت : سمعت أبا الدّرداء يقول : قال رسول الله (ص) : "إنّ العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللّعنة إلى السّماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثمّ تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثمّ تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج ٤ ص ٢٣.

(٢) صحيح البخاري، ج ٧ ص ٨٤

مساغا رجعت إلى الذي لُعن، فإن كان لذلك أهلا وإلاّ رجعت إلى قائلها "[١].

مسألة لعن عليّ بن أبي طالب (ع)لا يمكن أن تتحوّل إلى قضيّة ثانويّة لأنّها ذات علاقة بمسألة الإمامة. والذين أرادوا أن يجعلوها من الماضي المنسيّ لم يفلحوا ولن يفلحوا، لأنّ لعن الإمام علي بن أبي طالب (ع) من العلامات الفاصلة بين الإيمان والكفر، فمن سوّلت له نفسه لعن الإمام علي(ع) فإنّه لا حظّ له في الإسلام، وذلك بشهادة النّبي الأكرم(ص)، كما جاء في كتب المسلمين. فعن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدليّ قال: دخلت على أمّ سلمة فقالت لي: أيسبّ رسول الله (ص) فيكم ؟ قلت: سبحان الله أو معاذ الله. قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: من سبّ عليّاً فقد سبّني[٢].و عن أبي هارون العبديّ عن أبي سعيد الخدريّ قال: كنّا نعرف المنافقين نحن معاشرَ الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب[٣]. وهو صريحٌ في أنّ مبغض علي بن أبي طالب(ع) منافقٌ، فكيف بمن صرّح ببغضه وأقدم على سبّه وشتمه ولعنه؟!

وعن صدقة بن المثنّى النّخعي، حدّثني جدّي رياح بن الحارث، قال : كنت قاعداً عند فلان[٤] في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فرحّب به وحيّاه وأقعده عند رجله على السّرير، فجاء رجلٌ من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسبّ وسبّ، فقال سعيد : من يسبّ هذا الرّجل ؟ فقال: يسبّ عليّاً، قال : ألا أرى أصحاب رسول الله (ص) يسبّون عندك ثم

(١) سنن أبي داود، ج ٢ ص ٤٥٧.

(٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، النسائي ص ٩٩.

(٣) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤ ص ٣٠.

(٤) فلان هو المغيرة كما دلّت عليه باقي الرّوايات التي صرّحت بالاسم.

لا تنكر ولا تغيّر[١].

وفي سنن النسائي الكبرى: عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال: خطب المغيرة بن شعبة فسبّ عليّاً...

وفي سير أعلام النبلاء: خطب المغيرة فنال من عليّ[٢]..

و أيضا في سير الذّهبي أنّ المغيرة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة، فجاء رجلٌ من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ وسبّ، فقال سعيد بن زيد: من يسبّ هذا يا مغيرة؟ قال: يسبّ عليّ بن أبي طالب[٣]...

من هو هذا الرجل الكوفيّ الذي كان يلعن علي بن أبي طالب (ع)؟

صرّح ابن أبي عاصم باسمه في كتاب السنة حيث قال: حدثنا أبو بكر، حدّثنا محمد بن بشر، حدّثني صدقة بن المثّنى، حدّثني رياح بن الحارث عن سعيد بن زيد، عن النّبي (ص)مثله. غير أنّه قال : قام رجلٌ من أهل الكوفة يدعى قيس بن علقمة فاستقبل المغيرة بن شعبة فسبّ وسبّ[٤]...

وصرّح باسمه أيضا ابن أبي شيبة في مصنّفه حيث قال: .. جاء رجلٌ من أهل المدينة يدعى سعيد بن زيد بن نفيل، فرحّب به المغيرة وأجلسه عند رجليه على السّرير، فبينا هو على ذلك إذ دخل رجلٌ من أهل الكوفة يدعى قيس بن علقمة، فاستقبل المغيرة فسبّ فسبّ، فقال له المدنيّ: يا مغيرة بن شعبة، من يسبّ هذا

---

(١) سنن أبي داود، ج ٢ ص ٤٠٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١ ص١٠٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج١ص١٠٣.

(٤) كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم، ص ٦٠٦ تحت رقم١٤٣٤.

الشابّ، قال: يسبّ عليّ بن أبي طالب، قال له مرّتين : يا مغيرة بن شعبة ! ألا أسمع أصحاب رسول الله (ص) يسبّون عندك لا تنكر ولا تغيّر[(١)]..

وصرّحوا باسم الرّجل أيضا في تاريخ ابن عساكر؛ فعن محمّد بن جحادة عن الحرّ بن الصباح عن المغيرة بن الأخنس قال: دخلنا على المغيرة بن شعبة وعنده سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال فدخل قيس بن علقمة فنال من عليّ، فقال سعيد بن زيد: ألا أرى أصحاب رسول الله (ص) يُنال منهم وأنت ساكتٌ[(٢)]..

وأمّا في سنن النّسائيّ الكبرى فالرّواية كما يلي: عن شعبة عن حرّ بن صيّاح عن عبد الرّحمن بن الأخنس قال: شهدت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عند المغيرة بن شعبة فذكر من عليّ شيئاً[(٣)]. فما هو هذا الشّيء الذي ذكره المغيرة من الإمام علي (ع)؟! ولعلّه أراد "شيئاً قليلاً"، لأنّ سبّ ولعن وشتم الإمام علي (ع) ليس بالأمر الخطير وإن كان يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله! المهمّ ألاّ يسمح المسلم لنفسه بنقد أبي هريرة ومعاوية وعمرو بن العاص وحزب السّقيفة، أولئك الذين لا يجوز بحال من الأحوال أن يتعرّض لهم مسلمٌ، لأنّ عدالتهم لا تقبل النّقاش، ولأنّ الله تعالى ـ وحاشا له سبحانه وتعالى ـ قد تكفّل بصون أعراضهم وحرماتهم حتى حين يسبّون ويلعنون أحبّ الخلق إليه.

وتلك شهادة سعيد بن زيد أحد العشرة المبشّرين بالجنّة على المغيرة بن شعبة بأنّه

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٤٧٤.
(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٢١ص ٧٠.
(٣) العبارة سنن النسائي الكبرى، ج٥ ص ٦٠ تحت رقم ٨٢١٠

ظالمٌ[1]، فهو يتحدّث عمّن أمر بلعْن عليّ بن أبي طالب(ع)، وفاعلُ ذلك هو من أقام خطباء ينالون من عليّ إرضاءً لمعاوية، وهو المغيرة بن شعبة. والعجيب أنّ المغيرة نفسه يذكر أنّه سمع رسول الله (ص) ينهى عن سبّ الأموات[2]، فما أعظم احترام المغيرة لكلام رسول الله (ص) !

يقيم المغيرة خطباء يلعنون الإمام عليا عليه السّلام بعدما علم أنّ النبي(ص) قال: يا عليّ من سبّك فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى، ومع ذلك يبقي المغيرة يتمتّع بحصانة منيعة، ويتقلّد المناصب الرّفيعة، ويستمع إليه من عميت قلوبهم التي في صدورهم ليقولوا بعد ذلك بكلّ وقاحة وصلافة : حدّثنا المغيرة بن شعبة عن رسول الله(ص) !

وفي صحيح مسلم: [..] عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: استُعمل على المدينة رجلٌ من آل مروان[3] قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليّاً، قال فأبى سهلٌ فقال له: أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا التّراب! فقال سهلٌ: ما كان لعليّ اسم أحبّ

---

(١) وفي [فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ص ٣٢] : عن سفيان بن منصور عن هلال عن عبد الله بن ظالم وذكر سفيان رجلا فيما بينه وبين عبد الله بن ظالم قال: سمعت سعيد بن زيد قال لما قدم معاوية الكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يتناولون عليّا فأخذ بيدي سعيد بن زيد فقال: ألا ترى هذا الظالم الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنّة.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج٣ ص٤٥تحت رقم١١٩٨٥.

(٣) مرة أخرى " رجل من آل مروان " ! لماذا لا يذكره الراوي باسمه؟! ولعلّ الراوي ذكره باسمه ولكنّ مقص الرّقابة تحرّك ليؤدّي ما عليه! لأنّ القارئ إذا عرف اسم الرّجل من آل مروان ثمّ رآه في الصّحيحين يصعب عليه قبوله، والتّعتيم يسهّل تمرير القضيّة بسلام، فيجد القارئ في الصحيحين وغيرهما أسماء رجال من آل مروان ولا يخطر بباله أنهم كانوا يسبّون ويلعنون الإمام عليا (ع) .

إليه من أبي التّراب، وإن كان ليفرح إذا دعي به. فقال له: أخبرنا عن قصّته[١]...

وفي معجم الطبراني: صعد عمرو المنبر فذكر عليّاً ووقع فيه، ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى على عثمان ثمّ وقع في عليّ رضي الله عنه [٢].

ومات المغيرة وهو مصرٌّ على لعن علي بن أبي طالب (ع) كلّما تيسّر له الأمر، في قصره، وفي المسجد، وفي الأسواق، ويصعب أن يثبت مثبتٌ أنّه تاب من ذلك، وهذا يعني أنّه مات على النّفاق ولم يمت على ملّة رسول الله(ص).

وعن قطبة بن مالك قال : نال المغيرة بن شعبة من عليّ بن أبي طالب فقال له زيد بن أرقم: أما إنّك قد علمت أنّ رسول الله (ص) كان ينهى عن شتم الهلكى، فلمَ تسبّ عليّاً وقد مات[٣]؟وروى أحمد بن حنبل في مسند ه عن سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت رجلا عند المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله (ص) لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء[٤].

وفي مسند أبي داوود: عن الحرّ بن الصباح النّخعيّ قال: سمعت عبد الرّحمن بن الأخنس قال: شهدت المغيرة بن شعبة يخطب فنال من عليّ رضي الله عنه فقام سعيد بن زيد..الحديث[٥].

وقصةّ سبّ علي من طرف المغيرة أيضا في سير أعلام النبلاء ج١ ص١٠٥ وج١

---

(١) صحيح مسلم، ج ٧ ص ١٢٣، ١٢٤.
(٢) المعجم الكبير ، الطبرانيّ، ج ٣ ص ٧١ ـ ٧٢.
(٣) مسند ابن المبارك، ص١٦٥.
(٤) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٢٥٢.
(٥) مسند أبي داوود الطيالسي، ص٣٢.

ص١٠٣ وج١ص١٠٤.

عن رياح بن الحرث بن المغيرة أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاءه رجلٌ يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير، فجاء رجلٌ من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ وسبّ فقال: من يسبّ هذا يا مغيرة؟ قال: يسبّ عليّ بن أبي طالب[1]..وفي المستدرك عن زياد بن علاقة عن عمّه أنّ المغيرة بن شعبة سبّ علي بن أبي طالب فقام إليه زيد بن أرقم فقال: يا مغيرة، ألم تعلم أنّ رسول الله(ص) نهى عن سبّ الأموات؟ فلم تسبّ عليّا وقد مات؟قال الحاكم: هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا، إنّما اتّفقا على حديث الأعمش عن مجاهد عن عائشة أنّ النّبي (ص) قال: لا تسبّوا الأموات فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدموا[2].وفي مسند أبي يعلى عن الحرّ بن صياح عن عبد الرّحمن بن الأخنس أنّ المغيرة بن شعبة خطب فنال من عليّ، قال فقام سعيد بن زيد[3]..وفي مسند الشّاشيّ عن عبد الرحمن بن الأخنس رجل منهم أنّ المغيرة بن شعبة خطب فنال من عليّ فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[4]....والقصّة أيضاً في تهذيب التّهذيب وتاريخ مدينة دمشق[5].

---

(١) مسند أحمد ابن حنبل ،ج ١ ص ١٨٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج١ ص٥٤١ تحت رقم١٤١٩.

(٣) مسند أبي يعلى، ج٢ص٢٥٩و مسند أحمد بن حنبل، ج١ص١٨٨تحت رقم١٦٣١والأحاديث المختارة، ج٣ص٢٨٨و السنة لابن أبي عاصم، ج٢ص٦١٩تحت رقم ١٤٢٨ و تاريخ مدينة دمشق، ج٢١ص ٧٠و تاريخ مدينة دمشق، ج٣٥ص٢٧٤.

(٤) مسند الشاشي، ج١ص٢٤٧تحت رقم٢١٠.

(٥) تهذيب الكمال، المزّي، ج١٦ص٥٠٤و تاريخ مدينة دمشق، ج٢٠ ص٣٢٨.

وقال الأصفهانيّ في معرض الحديث عن حجر بن عديّ: فلم يزل كذلك حتّى كان المغيرة يوما في آخر أيّامه يخطب على المنبر فنال من عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ولعنه ولعن شيعته، فوثب حجر فنعر نعرةً أسمعت كلّ من كان في المسجد وخارجه فقال له: إنّك لا تدري أيّها الإنسان بمن تولع أو هرمت(١)..

وفعل المغيرة هنا فيه تكذيب لرسول الله(ص)، فقد روى جمعٌ من الحفاّظ أنّ النّبي (ص) قال للإمام علي (ع) " أنت وشيعتك تردون علي الحوض رواةً مرويّين مبيضّةً وجوهكم، وإنّ عدوّك يردون على الحوض ظماءً مقمحين "(٢).

لكنّ أعداء الإمام علي (ع) لم تطب نفوسهم بهذا الحديث، لأنه يشير إلى طوائف القاسطين والنّاكثين والمارقين، فأدخلوا فيه ما ليس منه وأخرجوا منه ما هو من صميمه كعادتهم في تقليد اليهود في التّحريف والكتمان، فكان من ذلك مثلاً ما رووا عن أبي سعيد الخدريّ عن أمّ سلمة قالت كانت ليلتي وكان النّبي(ص) عندي فأتته فاطمة فسبقها علي فقال له النّبي(ص) يا عليّ أنت وأصحابك في الجنّة، أنت وشيعتك في الجنّة، إلاّ أنّه ممّن يزعم أنّه يحبّك أقوام يرفضون الإسلام ثمّ يلفظونه، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، بهم نبزٌ يقال لهم الرّافضة، فإن أدركتهم فجاهدهم فإنّهم مشركون[!] فقلت: يا رسول الله ما العلامة فيهم؟ قال: لا يشهدون جمعةً ولا جماعةً، ويطعنون على السّلف(٣). والحال أنّ هذا الحديث -إن صحّ- إنّما هو في

(١) الأغاني، الأصفهاني، ج١٧ ص١٣٨.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٩ ص ١٣١.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٦ ص ٣٥٤. وعبارة السّلف تلقي ظلالا من الشك على هذا الحديث لأنها عبارة متأخرة عن أيام النبي(ص) وإلاّ فهل كان للنبي(ص) سلف؟!

الخوارج، ولا خلاف أنّ الخوارج كلاب النّار. لكن حديث " تردون على الحوض رواة مرويّين مبيضّة وجوهكم " لا يُدخل مع شيعة الإمام علي (ع) غيرهم، فكان على المحرّفين أن يدخلوا فيه كلاماً جديدا يجعلهم هم شيعةً لعلي (ع)، ويخرج شيعته من المضمون، وليس هذه أولى افتراءاتهم على رسول الله(ص)، ومن علامات الوضع في هذا الحديث عبارة " السلف " التي لم تكن تجري على ألسن المسلمين في حياة رسول الله (ص)، ولا يزالون يكذبون على أتباعهم، وليحملنّ أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم.

والحديث في نظم درر السّمطين : عن ابن عبّاس (رض) قال : لما نزلت هذه الآية : إنّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريّة قال لعلي: هو أنت وشيعتك، تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيّين، ويأتي عدوّك غضاباً مقمحين. فقال يا رسول الله : ومن عدوّي؟ قال من تبرّأ منك ولعنك[1]. والذين تبرّءوا منه ولعنوه معلومون، وهم معاوية وعمرو بن العاص والنّعمان بن بشير والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة بن أبي معيط،ومروان بن الحكم، والقائمة طويلة، لكنّ أرباب التّحريف أرادوا أن يعكسوا القضيّة بحيث يصبح شيعته من أعدائه، ويصبح أعداؤه من شيعته!!

وقد كان أتباع معاوية يتبارون في سبّ الإمام علي(ع) طلباً للحظوة عند السّلطان، روى الطبراني عن عمران بن حدير[2] عن أبي مجلز قال: ...صعد عمرو المنبر فذكر عليّا ووقع فيه، ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثم وقع في عليّ رضي

(١) نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، ص ٩٢.
(٢) نص العبارة : عن عمران بن حدير أظنّه عن أبي مجلز..

الله عنه[١]..

وفي شواهد التّنزيل أنّ النّبي (ص) قال: يا عليّ، فيكم نزلت (لا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ)[أنت وشيعتك][٢] تُطلبون في الموقف وأنتم في الجنان تتنعّمون[٣]. فمن هم شيعة علي (ع)؟! هل هم الذين حاربوه يوم الجمل؟ أم الذين حاربوه في صفّين؟ أم الذين حاربوه في النّهروان؟ هل هم الذين يمنعون روايته والرّواية عنه؟ هل هم الذين يلعنونه على أكثر من ثمانية عشر ألف منبر مدّة تسعين سنةً؟ على الرّجاليّين والمؤرّخين أن يجيبوا عن هذه الأسئلة، وليس بمجديهم أن يقولوا(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ)لأنّها (أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون).

وعن شعبة عن الحرّ بن الصّباح عن عبد الرّحمن بن الأخنس قال خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من علي[٤]..

وكان المغيرة بن شعبة عالما بحال أهل الكوفة في زمانه، فإنّها كانت مدينة مختلفة الأهواء، وكما كان فيها شيعة لأهل البيت (ع) كان فيها خوارج ونواصب

(١) المعجم الكبير، ج٣ص٧١تحت رقم٢٦٩٨.

(٢) في الدر المنثور،جلال الدين السيوطي، ج ٦ ص ٣٧٩.

أخرج ابن عدي عن ابن عباس قال لما نزلت إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية قال رسول الله(ص) لعلى هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين * وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول الله (ص) ألم تسمع قول الله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين.

(٣) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، ج ١ ص ٥٠٠.

(٤) مسند أحمد بن حنبل، ج١ص١٨٨ تحت رقم ١٦٣١ومسند أبي يعلى، ج٢ص٢٥٩ تحت رقم ٩٧١.

يستغلّون كلّ فرصة تتاح ليسبّوا الإمام علياً(ع)[1].

(١) في مسند أحمد بن حنبل ج٤ص٣٦٩تحت رقم١٩٣٠٧: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمّد بن بشر ثنا مسعر عن الحجاج مولى بنى ثعلبة عن قطبة بن مالك عم زياد بن علاقة قال: نال المغيرة بن شعبة من على فقال زيد بن أرقم قد علمت أن رسول الله (ص)كان ينهى عن سب الموتى فلم تسب عليا وقد مات..وفي مسند الشاشي، ج١ص٢٣٤تحت رقم١٩٠: حدثنا محمّد بن عيسى بن حيان المدائنى نا شبابة نا شعبة عن الحر بن الصباح سمعت عبد الرحمن بن الأخنس يقول شهدت المغيرة بن شعبة يخطب بالكوفة فذكر عليا فنال منه..(المغيرة وسب علي(ع). وفي مسند الشاشي ج١ص٢٤٧تحت رقم٢١٠ : وحدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جبلة نا مسلم نا شعبة عن الحر بن الصباح عن عبد الرحمن بن الأخنس رجل منهم أن المغيرة بن شعبة خطب فنال من علي..وفي مسند الشاشي ج١ص٢٥٠تحت رقم٢١٦ : حدثنى ابن سليمان نا إبراهيم بن حجاج نا عبد الواحد بن زياد نا صدقة بن المثنى النخعى نا رياح بن الحارث قال كنا عند المغيرة بن شعبة وهو في المسجد فجاء سعيد بن زيد فأوسع له المغيرة فجلس معه على السرير فجاء شاب من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فشتم وشتم فقال سعيد يا مغيرة من يسب هذا الرجل قال يسب عليا فقال يا مغيرة ألا أرى أصحاب النبي (ص) وعلى آله وسلم يشتمون عندك.... ـ لم يعترض المغيرة على الشخص الذي شتم عليا(ع) لأنه هو الذي أقام خطباء ينالون من علي كما سبق ذكره).وفي مسند الشاشي ج١ص٢٥٦تحت رقم٢٢٥: حدثنا الحسن بن على بن عفان العامري أنا أبو يحيى عن حنش بن الحارث عن الحر بن الصباح قال قام رجل من أهل الشام يسب على بن أبى طالب في مسجد الكوفة قال وأمير الكوفة يومئذ المغيرة بن شعبة قال فقام إليه سعيد بن زيد فقال للمغيرة يا مغيرة أيسب صاحب رسول الله ﷺوأنت شاهد ولا تنكر ولا تغير.

وفي مسند الشهاب ج٢ص٨١ تحت رقم٩٢٥: أخبرنا عبد الرحمن بن عمر البزاز أبنا أحمد بن محمّد بن الأعرابي ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول قال رسول الله(ص) لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء..وفي مسند الطيالسي ج١ص٣٢ تحت رقم٢٣٦: حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة عن الحر بن الصباح النخعي قال سمعت عبد الرحمن بن الأخنس قال شهدت المغيرة بن شعبة يخطب فنال من علي رضي الله عنه..وفي مجمع الزوائد، ج٧ص٢٤٧: صعد عمرو المنبر فذكر عليّا ووقع فيه ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثم وقع في علي..وفي مجمع الزوائد، ج٨ ص٧٦ : عن زياد بن علاقة قال نادى المغيرة بن شعبة بسب علي فقال له زيد بن أرقم علمت أن رسول الله (ص)كان ينهانا عن سب الموتى فلم تسب عليا رحمه الله وقد مات. رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحد أسانيد الطبراني

ثقات..وفي [حديث خيثمة] ج١ص٩٣ : أنبأنا رياح بن الحارث قال كنا في المسجد مع المغيرة بن شعبة قال فتناول رجل من أهل الشّام عليّ بن أبي طالب فنال منه، قال فقال سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل: يا مغيرة ينتقص أصحاب رسول الله(ص)عندك وأنت لا تغيّر على الشّاميّ..من حديث خيثمة، ج١ص٩٤: زياد بن علاقة قال كنت عند المغيرة بن شعبة فذكر عليا بشيء فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يا مغيرة ألم تسمع عليا يذكر وأنت لا تغير..

وفي حلية الأولياء، ج١ ص٩٦ : عن عبد الله بن ظالم المازني قال لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال فأقام خطباء يقعون في علي وأنا إلى جنب سعيد بن زيد قال فغضب فقام فأخذ بيدي فتبعته.وفي حلية الأولياء، ج٧ص٢٣٦: عن قطبة بن مالك ثنا المغيرة بن شعبة عن علي قال له زيد بن أرقم أما إنك قد علمت أن رسول الله (ص)كان ينهى عن شتم الهلكى فلم تسب عليا وقد مات. رواه الناس عن ا لمبارك عن مسعر وروى أيضا وكيع عن مسعر نحوه..

وفي تهذيب الكمال،ج١٠ ص ٤٥٠: رياح بن الحارث أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب قال من يسب هذا يا مغيرة قال يسب علي بن أبي طالب قال يا مغير بن شعيب يا مغير بن شعيب ثلاثا ألا أسمع أصحاب رسول الله (ص)يسبون عندك لا تنكر ولا تغير..وفي تهذيب الكمال، ج ١٣ ص ١٤٧:

رياح بن الحارث قال كنت قاعدا عند المغيرة بن شعبة في مسجد لكوفة وعنده أهل الكوفة فجاءه سعيد بن زيد بن عمرو فرحب به المغيرة وحيي وأقعده عند رجله على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد يا مغيرة من يسب هذا الرجل قال له يسب عليا فقال له سعيد يا مغيرة ألا أرى أصحاب رسول الله(ص)يسبون عندك ثم لا تغير ولا تنكر.

وفي تهذيب الكمال، جزء ١٦ ص ٥٠٤: عن الحر بن الصباح قال سمعت عبد الرحمن بن الأخنس يقول شهدت المغيرة بن شعبة خطب فنال من علي فقام سعيد بن يزيد بن عمرو بن نفيل العدوي عدي قريش فقال أشهد أني سمعت رسول الله (ص)يقول عشرة في الجنة رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف ولو شئت أن أسمي العاشر لسميته ثم سماه فقال سعيد بن زيد. (المغيرة وسب علي(ع)). قلت : وأنت ترى أن أبا عبيدة بن الجراح غير مذكور بين المبشرين في هذا الحديث.وفي تاريخ دمشق،ج ١٨ ص٣٨٨ : عن الحر بن الصباح قال سمعت عبد الرحمن بن الأخنس قال شهدت المغيرة بن شعبة يخطب بالكوفة فذكر عليا فنال منه.. تاريخ دمشق،ج ١٨ ص ٣٩٠ : عن زيد بن الحارث العبدي قال قام سعيد بن زيد بالكوفة ودخل على المغيرة بن شعبة وهو أمير فأوسع يعني له إلى جنبه فجاء رجل فوقع في علي فقال ألا

أرى أصحاب محمّد يسبون عندكم قال إنهم يتناولون من أبي الحسن..(المغيرة وسب علي(ع). وفي تاريخ دمشق، ج٢٠ ص٣٢٨ : شعبة عن الحر بن صياح قال سمعت عبد الرحمن بن الأخنس يقول شهدت المغيرة بن شعبة خطب فنال من علي..

وفي تاريخ دمشق،ج٣٥ ص ٢٧٤: عن عبد الرحمن بن الأخنس قال خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من علي.وفي تاريخ دمشق، ج٣٥ ص ٢٧٥: عن الحر بن صياح عن عبد الرحمن بن الأخنس قال خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من علي.وفي تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص١٢ : كان المغيرة بن شعبة أيام إمارته على الكوفة كثيرا ما يتعرض لعليّ في مجالسه و خطبه و يترحم على عثمان و يدعو له فكان حجر بن عدي إذا سمعه يقول : بل إيّاكم قد أضل الله و لعن ثم يقول أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل و من تزكون أحق بالذم..وفي جمهرة خطب العرب، ج٢ ص٢٢ : ثم تكلم المغيرة بن شعبة فشتم عليا وقال والله ما أعيبه في قضية يخون ولا في حكم يميل ولكنه قتل عثمان..

أخبار مكة للفاكهي ج٤ص٩٠تحت رقم٢٤٢٣: حدثنا محمد بن أبان البلخي قال ثنا عبد الله بن إدريس الأودي قال أخبرني حصين بن عبد الرحمن السلمي عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال لما قدم معاوية رضي الله عنه إلى الكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يتناولون عليّا رضي الله عنه وفي الدار سعيد بن زيد وفي سير أعلام النبلاء ج٣ص٣١: أبو بكر بن عياش عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال كان المغيرة ينال في خطبته من علي وأقام خطباء ينالون منه. وفي البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧ ص٣٥٧: قال الإمام احمد حدثنا علي بن عاصم قال حصين أنا على عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال فأقام خطباء يقعون في علي. وفي خزانة الأدب ج٦ ص٥١: وكان معاوية وعماله يدعون لعثمان في الخطبة يوم الجمعة ويسبون عليا ولما كان المغيرة متولي الكوفة كان يفعل ذلك وكان حجر يقوم ومعه جماعة يردون عليه وكان المغيرة يتجاوز عنهم فلما ولي زياد ودعا لعثمان وسب عليا قام حجر وقال كما كان يقول من الثناء على علي فغضب زياد وأمسكه وأوثقه بالحديد وثلاثة عشر نفرا معهم وأرسلهم إلى معاوية.(المغيرة وسب على(ع).

وفي كتاب الأذكياء،ابن الجوزي،ص٢٥٦ : عن حجر المدري قال، قال لي عليّ رضي الله عنه كيف بك إذا أمرت أن تلعنني؟ قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم! قلت: كيف أصنع؟ قال: العنّي ولا تتبرأ مني. قال فقام محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة، فقال له: العن عليّا. فقال: إنّ الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله فلقد تفرّق أهل المسجد وما فهمها إلاّ رجل واحد.قالوا: قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصعة بن صوحان فتكلّم فقال المغيرة: أرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن عليّا فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب

فأخبره بذلك فقال: أقسم بالله لتقيّدنّه فخرج فقال: إن هذا يا أبى إلاّ علي بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله! فقال المغيرة أخرجوه أخرج الله نفسه. و روى الطبري في ج ٤ص ١٨٨ : ..أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وقد قال المتلمس لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعلم وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي ولست تاركا إيصاءك بخصلة لا تتحم عن شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه و الإدناء لهم و السماع منهم. فقال المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع فستبلو فتحمد أو تذم ثم قال بل نحمد إن شاء الله.

و في البيان و التبيين ج ١ ص ٢٦٦: وجلس معاوية رضي الله تعالى عنه بالكوفة يبايع على البرءاة من علي بن بي طالب كرم الله تعالى وجهه فجاءه رجل من بني تميم فأراده على ذلك فقال يا أمير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم فالتفت إلى المغيرة فقال إن هذا رجل فاستوص به خيرا.

نعم! جلس رسول الله(ص) يوم الغدير يبايع على ولاية علي(ع)، و جلس معاوية بالكوفة يبايع على البراءة من علي(ع) و كلاهما على صواب و على ملّة واحدة! فاعتبروا يا أولي الأبصار!

وفي مسند ابن حنبل ج ١ ص ١٨٧: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد عن صدقة بن المثنى حدثني رياح بن الحرث بن المغيرة إن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاءه رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب فقال من يسب هذا يا مغيرة قال يسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.وفي مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٦٩: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن بشير ثنا مسعر عن الحجاج مولى بنى ثعلبة عن قطبة بن مالك عم زياد بن علاقة قال نال المغيرة بن شعبة من علي فقال زيد بن أرقم قد علمت أن رسول الله (ص)كان ينهى عن سب الموتى فلم تسب عليا وقد مات. وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣٠: وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون عليا على المنبر، يقومون فيردون اللعن عليهم، ويتكلمون في ذلك. وفي تاريخ الكوفة للبراقي ص ٢٧٧: (حادثة حجر بن عدي..) إن معاوية لما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ٤١ وأمره عليها دعاه وقال له... ولست تاركا إيصاءك بخصلة لا تترك، شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له... أقام المغيرة عاملا على الكوفة وهو لا يدع شتم علي والوقوع

فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له فإذا سمع ذلك حجر بن عدي قال بل إياكم فذم الله ولعن، ثم قام وقال أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم... فلما كان آخر إمارته (المغيرة) قال في علي وعثمان ما كان يقوله فقام حجر... وقال له مر لنا أيها الإنسان بأرزاقنا فقد حبست عنا ذلك لك وقد أصبحت مولعا بذم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون صدق حجر وبر.

مجمع الزوائد للهيثمي ج ٨ ص ٧٦: عن زياد بن علاقة قال نادى المغيرة بن شعبة بن علي فقال له زيد بن أرقم علمت أن رسول الله (ص) كان ينهانا عن سب الموتى فلم تسب عليا رحمه الله وقد مات. رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحد أسانيد الطبراني ثقات. وفي مسند ابن المبارك ص ١١١تحت رقم٢٦٩: عن الحجاج مولى ثعلبة، عن قطبة بن مالك قال : قال المغيرة بن شعبة. من علي بن أبي طالب ؟ فقال له زيد بن أرقم : أما أنك قد علمت أن رسول الله (ص) كان ينهى عن شتم الهلكى فلم تسب عليا وقد مات(المغيرة ولعن علي (ع) .وفي مسند أبي داود الطيالسي،ص ٣٢ : حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن الحر بن الصباح النخعي قال : سمعت عبد الرحمن بن الأخنس قال : شهدت المغيرة بن شعبة يخطب فنال من علي (رض) فقام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي عدي قريش فقال أشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول عشرة في الجنة رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة.وفي مصنف ابن أبي شيبة ج٣ ص ٢٤٤ تحت رقم ١٦٩ : ما قالوا في سب الموتى وما كره من ذلك (١) حدثنا وكيع بن الجراح عن سفيان عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال نهي رسول الله عليه وسلم عن سب الموتى. حدثنا وكيع عن مسعر عن أيوب مولى بني ثعلبة عن قطبة بن مالك قال سب أمير من الأمراء عليا فقام إليه زيد بن أرقم فقال أما إني قد علمت أن رسول الله(ص)...وفي مصنف ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧ ص ٤٧٤ : حدثنا محمد بن بشر قال ثنا صدقة بن المثني قال : سمعت جدي رباح بن الحارث يذكر أنه شهد المغيرة بن شعبة وكان بالكوفة في المسجد الأكبر، و كانوا أجمع ما كانوا يمينا وشمالا حتى جاء رجل من أهل المدينة يدعى سعيد بن زيد بن نفيل، فرحب به المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير، فبينا هو على ذلك إذ...وفي كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص ٦٠٤ تحت رقم١٤٢٧: حدثنا وهبان بن بقية، حدثنا خلف بن عبد الله، عن حصين، عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال : لما بويع لمعاوية بالكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون عليا (رض) قال : فأخذ بيدي سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل فقال : ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم يأمر بلعن رجل من أهل الجنة أشهد على تسعة إنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر...وفي كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص ٦٠٥ تحت رقم١٤٣٣

حد ثنا أبو موسى وأبو بكر بن خلاد قالا ثنا يحيى بن سعيد، ثنا صدقة ابن المثنى ثنا رياح بن الحارث أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة بن شعبة فأجلسه عند رجليه على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب فقال..وفي كتاب السنة ، عمرو بن أبي عاصم ص ٦٠٦ : حدثنا أبو موسى وأبو بكر بن خلاد قالا ثنا يحيى بن سعيد، ثنا صدقة ابن المثنى ثنا رياح بن الحارث أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة بن شعبة فأجلسه عند رجليه على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب فقال : يا مغيرة من يسب هذا ؟ قال : يسب عليا. قال: يا مغيرة ابن شعبة ألا أسمع أصحاب رسول الله (ص)..وقال الشيخ حسن بن فرحان المالكي في كتابه نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي ، ص ٢٤: انظر صحيح سنن أبي داود الألباني (٣ ٨٨٠) عن رياح بن الحارث قال : كنت قاعدا عند فلان (أي المغيرة بن شعبة) في مسجد الكوفة فجاء سعيد بن زيد فرحب به (أي المغيرة) وحياه وأقعده على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله (أي استقبل المغيرة) فسب وسب فقال سعيد : من يسب هذا الرجل ؟ قال (المغيرة) يسب عليا ! ! قال: ألا أرى أصحاب رسول الله يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير.. الحديث. أقول : والمغيرة لم يصرح باسمه أبو داود هنا ولكن مصرح به في مسند الإمام أحمد وكان المغيرة والي معاوية على الكوفة وإنما ذكرته بين الأسطر لمجيء الروايات الصحيحة في المسند والسنة لابن أبي عاصم بذكر اسمه صريحا.وفي كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص ٦٠٦تحت رقم١٤٣٤حدثنا أبو بكر ثنا محمد بن بشر، حدثني صدقة بن المثنى، حدثني رياح بن الحارث عن سعيد بن زيد، عن النبي (ص) مثله. غير أنه قال : قام رجل من أهل الكوفة يدعى قيس بن علقمة فاستقبل المغيرة بن شعبة فسب وسب..[أقول: مرة يقولون جاء رجل فاستقبل المغيرة بن شعبة فسبّ وسبّ، ومرة يقولون " جاء شاب " [1]]، المصنف ، ابن أبي شيبة الكوفي ، ج ٧ ص ٤٧٤ : وكان [المغيرة بن شعبة] بالكوفة في المسجد الأكبر، و كانوا أجمع ما كانوا يمينا وشمالا حتى جاء رجل من أهل المدينة يدعى سعيد بن زيد بن نفيل، فرحب به المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير، فبينا هو على ذلك إذ دخل رجل من أهل الكوفة يدعى قيس بن علقمة، فاستقبل المغيرة فسب فسب، فقال له المدني : يا مغير بن شعب، من يسب هذا الشاب، قال : سب علي بن أبي طالب، قال له مرتين : يا مغير بن شعب ! ألا أسمع أصحاب رسول الله (ص) يسبون عندك لا تنكر ولا تغير، فإني أشهد على رسول الله(ص) بما سمعت أذناي وبما وعى قلبي فإني لن أروي عنه من بعده كذبا فيسألني عنه إذا لقيته أنه قال : " أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان..وفي سنن النسائي الكبرى، ج ٥ ص ٦٠ تحت رقم٨٢١٠ : أخبرنا حاجب بن سليمان

عن عبد الله بن ظالم المازني قال: لمّا خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة، قال فأقام خطباء يقعون في عليّ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال فغضب، فقام، فأخذ بيدي، فتبعته فقال: ألا ترى إلى هذا الرّجل الظّالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنّة[1].

وأمثال المغيرة لا يجدون مبرّراً لسبّ الإمام علي (ع)، لذلك يعمدون إلى الافتراء ويدّعون أنّه شارك في قتل عثمان، والرّدّ عليهم مضمونٌ من طرف بني أميّة أنفسهم، الذين هم أمسّ النّاس رحماً بعثمان. قال ابن أبي الحديد : روى محمّد بن سعيد

عن وكيع عن شعبة عن حر بن صياح عن عبد الرحمن بن الأخنس قال شهدت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عند المغيرة بن شعبة فذكر من علي شيئا...وفي مسند أبي يعلى الموصلي، ج ٢ ص ٢٥٩ تحت رقم ٩٧١ : حدثنا زهير، حدثنا وكيع، حدثنا شعبة، عن الحر بن الصباح، عن عبد الرحمن بن الأخنس، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة فنال من علي..وفي حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، ص ٩٣ : أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال أخبرنا أبو عمرو بن أبي غرزة قال أخبرنا أبو نعيم النخعي حدثنا الحسن بن الحكم النخعي وحرملة ومصعب قالوا أنبأنا رياح بن الحارث قال كنا في المسجد مع المغيرة بن شعبة قال فتناول رجل من أهل الشام علي بن أبي طالب فنال منه قال فقال سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل يا مغيرة ينتقص أصحاب رسول الله (ص) عندك وأنت لا تغير على الشامي؟!..وفي حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، ص ٩٤-٩٥ : قال حدثنا الحسن بن عبد المؤمن بن عمر القرشي بالرملة قال أخبرنا محمد بن أبي السري قال أخبرنا عطاء بن مسلم قال أخبرنا الحسن قال محمد ليس هو ابن عمارة وهو الحسن بن حي قال سمعت زياد بن علاقة قال كنت عند المغيرة بن شعبة فذكر عليا بشيء فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يا مغيرة ألم تسمع عليا يذكر وأنت لا تغير..وفي صحيح ابن حبان، ج ٧، ص ٢٩٢ : ذكر البعض من العلة التي من أجلها نهى عن سب الأموات أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا الملائي وأبو داود الحفري قالا حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة أنه سمع المغيرة بن شعبة يقول قال رسول الله (ص) لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء.

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج١ ص١٨٩.

الأصفهانيّ، عن شريك، عن محمّد بن إسحاق، عن عمرو بن عليّ بن الحسين، عن أبيه عليّ بن الحسين (ع)، قال: قال لي مروان" ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحِبكم" قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟! قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك[1].

وعن أبي الطّفيل عن سعيد بن زيد ـ وكان بدريّاً ـ أنّه كان جالساً مع المغيرة بن شعبة فجاء رجلٌ فتناول عليّاً، فغضب سعيد وقال: يُتناول أصحاب رسول الله عندك[2]؟!

وعن عطاء بن مسلم الخفّاف، عن الحسن بن صالح، عن زياد بن علاقة قال: كنت عن المغيرة بن شعبة فذُكر عنده عليّ[3] فقال: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل سمعت رسول الله (ص) يقول أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزّبير في الجنّة، وعبد الرّحمن بن عوف[4]... ؟

أقول: انظر إلى قوله " فذُكر عنده عليّ " فإنّه ليس فيه ما يدلّ على السّبّ والشّتم، وكان الأولى أن يقول " فذكر عنده عليّ بسوء " ـ مثلاً ـ، لكنّه عمد إلى الأولى التي لا تتضمّن شيئاً من السّبّ والشّتم واللّعن، وهذا مبلغ أمانتهم في النّقل. ثمّ إنّ ههنا إشكالاً كبيراً يرد على الصّحابي سعيد بن زيد، فإنّه يعتقد أنّ الإمام علياً (ع) في الجنّة ومع ذلك لا ينصره، لا في الجمل ولا في صفّين ولا في النّهروان!

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٣ ص ٢٢٠.
(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢، ص ٢٨٩.
(٣) ما معنى ذكر عنده عليّ؟ فإنّ الرّجل أيّا كان إمّا أن يذكر بخير وإمّا أن يذكر بشرّ.فأيّ الأمرين كان؟
(٤) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٤، ص ٣٣٩.

وعن المغيرة بن الأخنس قال: دخلنا على المغيرة بن شعبة، وهو أميرٌ على الكوفة وعنده سعيد بن زيد، فدخل غُنيم بن علقمة فنال من عليّ، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: سمعت رسول الله (ص)يقول أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة وعليّ في الجنة[١]...

أقول: في هذه الرواية صرّح باسم الرّجل الذي نال من علي (ع)، فمن هو غنيم بن علقمة؟

والذي لا شكّ فيه هو أنّ سبّ الإمام علي (ع) من طرف بني أميّة وأتباعهم واضحٌ تمام الوضوح، وموقف الإسلام الأصيل منه واضحٌ تمام الوضوح، لكنّ هوى النّفس بلغ في بعض البلدان وفي كثير من العصور أن صار إلهاً يعبد من دون الله[٢]. ومن أراد أن يتحقّق من ذلك فلينظر بأمّ عينه وليسمع بأذنه حينما تتعرّض شخصيّة من الشّخصيّات الحاكمة في عصرنا في البلدان الإسلامية إلى نقد ما، مبنيّ على أدلّة وشواهد، ما الذي يحدث؟ يتحوّل النّاقد إلى عميل لجهات أجنبيّة، ومواطن غير صالح، يستحقّ أن تسحب منه الجنسيّة ـ وكأنّهم هم الذين أعطوه الجنسيّة لأنّهم شركوا في خلقه و نفْخ الروح فيه ـ! وكذلك الشّأن حينما تتعرّض شخصيّةٌ من شخصيّات التّاريخ الإسلامي إلى نقد أملاه الضّمير الحيّ والسّلوك النّزيه، فإنّ النّاقد يتحوّل فجأةً إلى زنديق مارق من الدّين، مهدور الدم، مباح العرض والمال، ولا يصلّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين!! هذا هو الواقع المرّ؛ لكنّ عاقبته لا تتعدّى أصحابه، لأنّ سلوكهم هذا يبيّن أنّ شخصيّاتهم التّاريخية ـ المعاصرة و القديمة ـ أهمّ

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٩، ص ١٨٥.
(٢) قال الله تعالى: رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً [الفرقان: ٤٣].

لديهم من رسول الله(ص) ، فهم على دين شخصيّاتهم لا على دين رسول الله(ص)؛ ولو كانوا على دين رسول الله(ص) لأحبّوا من أحبّه رسول الله(ص)، وأبغضوا من أبغضه رسول الله، والتزموا بما ألزموا به أنفسهم، وعملوا على أقل تقدير بحكم الأمثال الذي اتّفقت عليه كل الثّقافات والملل. فحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، والإخلال به ينسف العدل والإنصاف في حياة الإنسان، كما ينسف المناهج والأساليب في العلوم والمعارف!حكم الأمثال يقضي أن نعامل الأمثال معاملةً واحدةً، وألاّ نحيف على أحد، ولا نضيف إلى أحد، ولا نحكّم العواطف في مقابل الحقائق. لكنّ تراثنا زاخرٌ بموارد التّلاعب بهذه القاعدة كلّما عارضت مع هوى النّفس، وهذا مثال حيّ يستعصي على التأويل. قال ابن حجر الهيتميّ: قال القاضي عياض في سبّ الصّحابة: قد اختلف العلماء فيه و مشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد والأدب الموجع. قال مالك رحمه الله: من شتم النّبي قُتل، وإن شتم الصّحابة أُدّب.وقال أيضاً: من شتم أحداً من أصحاب النّبي أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية[!!]أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال أو كفر قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة النّاس نكّل نكالاً شديدا[1].

أقول : يبقى أمر مالك ـ إن صحّت نسبة ذلك إليه ـ غامضاً، لأنّه من جهة يعتقد بخلافة الراشدين الأربعة ورابعهم الإمام علي(ع)، لكنّه في مقام البيان قفز من عثمان إلى معاوية كأنّ عليّاً(ع) لم يُولد ولم يُرزق، ولا أدري على وجه الدّقّة ما هو الدّافع لهذه القفزة، وإن كنت لا استبعد أن يكون تنبّه إلى أنّه إنْ ذكر من سبّ عليّا ألزم نفسه بمؤاخذة من سبّوه وشتموه، ولعنوه على المنابر، واتّخذوا لعنه سنّةً دامت ثمانين

(١) الصّواعق المحرقة، ج١ص١٤٠.

سنةً، وساعتها تغدو الصحاح والسّنن والمسانيد قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. ولست أدري أين يصنّف مثل هذا حين يصدر من مثل مالك بن أنس [والهيتميّ النّاقل]، فهو من جهة يورد أقوالاً تجعل من ينسب معاوية إلى الضّلال أو الكفر يُقتل، ومن جهة أخرى يتغاضى تماماً عن سبّ علي(ع)، وهذا تلبيس مهما هذّبنا العبارة والتمسنا المعاذير، لأنّه على فرض المساواة بين الإمام علي(ع) ومعاوية - ونعوذ بالله من ذلك - ينبغي على مالك وابن حجر والقاضي عياض وأمثالهم أن يلتزموا القواعد التي أقرّها العقلاء وتسالموا عليها، ومن بينها قاعدة "حكم الأمثال ".

و قال يحي بن معين - كما حكاه عنه ابن حجر - كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب النّبي(ص) دجّالٌ لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين[1].

وما هو الموقف ممن شتم عليّ بن أبي طالب يا يحي بن معين،؟! أم أنّ عليّاً(ع) في نظرك ليس" أحداً من أصحاب النّبي(ص)"؟!

وخلاصة الكلام أنّ المحدّثين والرّجاليين تعاملوا مع قضية سبّ ولعن الإمام علي (ع) بطريقة لا تشرّفهم في الدّنيا ولا تنجيهم في الآخرة، وليس المسلم الحرّ ملزماً بمتابعتهم والأخذ عنهم، بل الأمر على عكس ذلك تماماً، فإنّه إن وافقهم صار شريكاً لهم في باطلهم؛ وإذا كانوا يؤمنون بعدالة جميع الصحابة، وتأخذهم الحميّة لهم، فما بالهم لا يعتقدون بعدالة الإمام علي (ع)؟!وإن كانوا يفعلون فلماذا لا يدافعون عنه كما يدافعون عن غيره؟ ولماذا يثنون على من سبّه وشتمه ولعنه؟ وتبقى المسألة مطروحةً للبحث.

---

(١) تهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج ١ص٥٠٩.

الفصل التاسع

أثر المغيرة في الحديث النبوي الشريف

روايات المغيرة

في مستدرك الحاكم: حدّثنا إسرائيل عن عبد الملك بن عمير مولى المغيرة بن شعبة عن المغيرة قال: ذُكر لسعد بن عبادة رجلٌ يأتي امرأة أبيه فقال: لو أدركته لضربته بالسّيف، فذكرت ذلك للنّبيّ(ص)فقال: أنا أغير من سعد، والله أغيَر منّي، وما من أحد أحبُّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المرسلين. وما أحد أحبُّ إليه المدح من الله، من أجل ذلك وعد الجنّة. هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، فإنّ أبا عوانة سمّى مولى المغيرة هذا في روايته وأتى بالمتن على وجهه[1].

أقول: موضوع القصّة مهمٌّ بالنّسبة إلى المغيرة المتخصّص في شؤون النّساء. والقضيّة تتعلّق برجل يأتي امرأة أبيه، أي يزني بامرأة أبيه، وهو يعيش في زمن النّبي (ص)، فلا يُدرى إن كان صحابيّاً أم لا، وقد اشتهرت قصّته حتّى تداولها الصّحابة؛ وههنا كلام يجدر ذكره، فإنّ النّاس قبل مجيء الإسلام كانوا لا يرون أن يرث الرّجل أباه في كلّ شيء حتّى في زوجته، فتصبح زوجة أبيه بعد هلاك أبيه زوجة له هو، ويجرّها إلى فراشه بلا نكير. وقد حرّم الإسلام هذا التّقليد المقيت الذي كان يسمّى زواج المقت[2]. فلعلّ الرجل المذكور كان لا يعلم بالتّحريم، ولعلّ القصّة كانت قبل التّحريم، لكنّ الفعل في ذاته ممقوتٌ ولا يحتاج إلى إسلام، وإلى ذلك أشار

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٤ ص٣٩٨ (الحديث رقم ٨٠٦٠) .

(٢) في المعجم الوسيط[ج٢ ص٨٨٠] المقت: زواج المقت أن يتزوّج الرّجل امرأة أبيه بعده وكان يفعل في الجاهليّة وحرمه الإسلام. و قال الشّيخ سيّد سابق في [فقه السنة: فقه السنة، ج ٢، ص ٧٣]: يحرم على الابن التزوّج بحليلة أبيه، بمجرّد عقد الأب عليها، ولم يدخل بها. وكان هذا النّوع من الزّواج فاشيا في الجاهليّة، وكانوا يسمّونه زواج المقت وسمّي الولد منها مقيتا، أو مقتيا، وقد نهى الله عنه وذمه ونفر منه. قال الإمام الرازي : مراتب القبح ثلاث : القبح العقلي، والقبح الشرعي، والقبح العادي. وقد وصف الله هذا النكاح بكل ذلك، فقوله سبحانه : " فاحشة " إشارة إلى مرتبة قبحه..وفي تفسير القرطبي [ج٥ ص١٠٤]قال أبو العباس سألت إبن الأعرابي عن نكاح المقت فقال هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها أو مات.

الزّمخشريٌّ بقوله: "وكانوا ينكحون روابهم، وناسٌ منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمّونه نكاح المقت"[١]. فكثيرٌ من الأمم غير المسلمة في زماننا تمقت هذا الأمر مع أنّها لا تدين بشرع.

الرّواية نفسها في شرح الزّرقانيّ، مع اختلاف في القصّة، وذلك أنّها لا تتعلّق بمن يأتي امرأة أبيه، بل بمن يجد مع امرأته رجلاً: عن أبي هريرة عبد الرّحمن بن صخر أو عمرو بن عامر أنّ سعد بن عبادة بضمّ المهملة وفتح الموحّدة سيّد الخزرج قال لرسول الله (ص) : أرأيت أي أخبرني إن وجدت مع امرأتي رجلاً، أأمهله بفتح الهمزة الثّانية حتّى آتي بأربعة شهداء؟ فقال رسول الله(ص): نعم. زاد في رواية سليمان بن بلال قال أي سعد: كلاّ والذي بعثك بالحقّ، إن كنت لأعاجله بالسّيف قبل ذلك. قال(ص): اسمعوا إلى ما يقول سيّدكم، إنّه لغيورٌ، وأنا أغير منه، والله أغير منّي، زاد في حديث المغيرة بن شعبة: من أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحبّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المرسلين مبشّرين ومنذرين، ولا شخص أحبّ إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة. رواه مسلم[٢].

وفي المستدرك: عن مجاهد عن العقار بن المغيرة بن شعبة[٣] عن أبيه (رض) أنّ

(١) الكشاف، الزمخشري، ج١ص٥٢٤.

(٢) شرح الزّرقانيّ، ج٤ص٢٠.

(٣)العقار بن المغيرة بن شعبة الثقفي، وقد روى عن أبيه أيضا. الطبقات الكبرى ، طبقات ابن سعد ج٦ ص٢٦٩اسم المؤلف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدا لله البصري الزهري ، دار النشر : دار صادر – بيروت.

--

رسول الله(ص)قال: لم يتوكّل من استرقى أو اكتوى. هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه[١].

أقول: وهذا الحديث الذي ينتهي إلى المغيرة بن شعبة تعارضه أحاديث صحيحةٌ في الرّقية والكيّ. قال الشوكاني: وما ورد من الأدلّة الدالّة على النّهي عن الرّقى وأنّها من الشّرك فهي محمولة على الرّقية بما لا يجوز، كالتي تكون بأسماء الشّياطين والطّواغيت ونحو ذلك. وكذلك يحمل على هذا ما ورد في حديث المغيرة بن شعبة عن أحمد وابن ماجه وصحّحه التّرمذيّ وابن حبّان والحاكم عن النّبي (ص) أنّه قال من اكتوى أو استرقى فقد برئَ من التّوكّل. وقد ورد في الصّحيحين من حديث عائشة قالت: كان رسول الله(ص)يأمرني أن أسترقي من العين؛ وأخرج أحمد والنّسائي والتّرمذي وصحّحه من حديث أسماء بنت عميس أنّها قالت: يا رسول الله إنّ بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: نعم، فلو كان شيءٌ سبق القدر لسبقته العين[٢]. وفي هذا الباب حديث يدع اللّبيب حيران:**فعن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة (رض) قالت: دخل أبو بكر (رض) عليها وعندها يهودية ترقيها فقال: ارقيها بكتاب الله عز وجل - (وأخبرنا) أبو سعيد بن أبي عمرو ثنا أبو العباس الأصم أنبأ الربيع قال: سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس أن يرقى الرجل بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله، فقلت: أيرقى أهل الكتاب المسلمين ؟ فقال نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله[٣]...ألم**

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٤ ص٤٦١ الحديث رقم ٨٢٧٩

(٢) الدراري المضية شرح الدرر البهية، ج ١،ص٣٩٥: دار الجيل ، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٣)السنن الكبرى، البيهقي ، ج ٩ صفحة ٣٤٩.

تجد عائشة زوج النّبي (ص) في المسلمات امرأةً واحدةً ترقيها؟! وأيّ كتاب هذا الذي يتحدّث عنه أبو بكر؟!

ثمّ إنّ هناك حديثاً يتأذّى منه كثيرٌ من المسلمين، لكن الذين يسمّون أنفسهم أهل الحديث يصرّون على أنّه حديثٌ صحيحٌ لا يصحّ ردّه. الحديث مرويٌّ عن أبي وائل عن المغيرة أنّ رسول الله (ص)أتى سباطة بني فلان ففحج رجليه وبال قائما(١)!

وفي سنن البيهقي: عن عاصم قال سمعت أبا وائل يحدث عن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله (ص) أتى سباطة قوم فبال قائماً، فلقيت منصوراً فسألته فحدثنيه عن أبي وائل عن حذيفة أنّ رسول الله (ص) أتى سباطة قوم فبال قائماً. كذا رواه عاصم بن بهدلة وحمّاد بن أبي سليمان عن أبي وائل عن المغيرة. والصّحيح ما روى منصور والأعمش عن أبي وائل عن حذيفة. كذا قاله أبو عيسى الترمذيّ وجماعة من الحفّاظ. وقد روي في العلّة في بوله قائما حديث لا يثبت مثله(٢).

وبما أنّ عائشة زوج النّبي (ص) روت أنّ النّبي (ص)لم يبل قائماً قطّ منذ أنزل عليه القرآن، فقط تكلّف ابن قتيبة أمراً عسيراً في محاولة الجمع بين حديثها وحديث لحذيفة في أنّه (ص) بال قائماً، وإليك ما قاله في كتابه (تأويل مختلف الحديث)؛ قال: ونحن نقول ليس هاهنا بحمد الله اختلافٌ، ولم يبل قائماً قطّ في منزله والموضع الذي كانت تحضره فيه عائشة (رض)، وبال قائماً [!] في المواطن التي لا يمكن أن يطمئنّ فيها إمّا لزلق في الأرض و طين أو قذر، وكذلك الموضع الذي رأى فيه رسول الله (ص)حذيفة يبول قائماً كان مزبلةً لقوم، فلم يمكنه القعود

(١) منتخب مسند عبد بن حميد، ص١٥٢.
(٢) السنن الكبرى، البيهقي، ج١ ص١٠١تحت رقم٤٩١.

فيه، ولا الطّمأنينة، وحكم الضرورة خلاف حكم الاختيار[1].

نعم، ولا ينبّئك مثل خبير ! و يبقى تمحّل ابن قتيبة كبيت العنكبوت، لأنّ من نساء النّبي (ص) وصحابته من لا يقبل ذلك. ففي مسند أحمد عن عائشة: من حدّثك أنّ رسول الله (ص)بال قائماً فلا تصدّقه. ما بال رسول الله (ص) قائماً منذ أُنزل عليه القرآن [2].ولا أدري إن كانت تقصد أنّه كان يبول واقفاً قبل أن ينزل عليه القرآن، وهي التي يفترض في حقّها أنّها ولدت بعد البعثة!

وهذا قول أحدهم ـ كما في مستدرك الحاكم ـ [..][3]: سمعت عائشة تقسم بالله ما رأى أحدٌ رسول الله (ص)يبول قائماً منذ أنزل عليه الفرقان. و عقّب الحاكم بقوله : هذا حديث صحيحٌ على شرط الشّيخين ولم يخرجاه، والذي عندي أنّهما لمّا اتّفقا على حديث منصور عن أبي وائل عن حذيفة أنّ رسول الله (ص)أتى سباطة قوم فبال قائماً، وجدا حديث المقدام عن أبيه عن عائشة (رض) مُعارضاً له فتركاه والله أعلم[4]!

وفي سنن ابن ماجه : عن عمر قال رآني رسول الله (ص) أبول قائما فقال: يا عمر لا تبلْ قائماً. فما بُلت قائماً بعد[5]. وفيه أيضاً ـ نفس الصّفحة ـ عن جابر بن عبد الله: نهى رسول الله(ص) أن يبول الرّجل قائماً.وفي سنن التّرمذيّ[6]: قال أبو عيسى:

---

(١) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص٨٧[ط دار الكتب العلمية بيروت]

(٢) مسند أحمد، ج٦ص١٣٦وص١٩٢ وص٢١٣.

(٣) هذه العلامة [..] إشارة إلى حذف الإسناد اختصارا.

(٤) مستدرك الحاكم، ج١ص١٨١ وفي ص١٨٥.

(٥) سنن ابن ماجه، ج١ ص١١٢.

(٦) سنن الترمذي،ج١ص١٠.

حديث عائشة أحسن شيء في الباب وأصحّ. وفيه أيضا: وقد روي عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: من الجفاء أن تبول وأنت قائم"[١].أقول: وقد علم جميع أهل القبلة أنّ أبعد الخلق من الجفاء رسولُ الله(ص)بدليل قوله تعالى: (وإنّك لعلى خلق عظيم).

وفي معجم الصّحابة: " عن الحسن عن مهاجر بن قنفذ قال: أتيت النّبي(ص) وهو يبول، فسلّمت عليه فلم يردّ حتّى فرغ فتوضّأ وردّ عليّ"[٢].

ولا يخفى أنّ هذا الحديث وأمثاله ممّا يفيد أنّ النّبي (ص) لم يكن يستتر من البول، فقد رآه -بزعمهم- أكثرُ من واحد وهو يبول.

و في سنن البيهقيّ ما يلي: قال الإمام رحمه الله تعالى : وقد قيل كانت العرب تستشفي لوجع الصّلب بالبول قائماً، فلعلّه كان به إذ ذاك وجع الصّلب! وقد ذكره الشّافعيّ -رحمه الله تعالى- بمعناه، و قيل إنّه فعل ذلك لأنّه لم يجد للقعود مكاناً أو موضعاً. والله أعلم [٣].

ثمّ إنّه روى بعد ذلك بأسطر في نفس الصّفحة حديث عائشة: ما بالَ رسول الله(ص)قائماً منذ أنزل عليه القرآن. وفي ص١٠٢ عن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: قال عمر(رض): البول قائماً أحصن للدّبر! وعن أبي حنيفة عن حمّاد عن أبي وائل عن المغيرة بن شعبة أنّ النّبي (ص)بال في سباطة قوم قائماً[٤].وفي مسند أحمد بن حنبل عن أبي وائل عن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله(ص)أتى على سباطة بني فلان

---

(١) نفس المصدر السابق، ج ١ ص١١.

(٢) معجم الصحابة، ج٣ ص٥٩ [ط المدينة المنورة ١٤١٣].

(٣) السنن الكبرى، البيهقيج١ ص١٠١

(٤) مسند أبي حنيفة، ج١ص٨٤

فبال قائماً. قال حمّاد بن أبي سليمان ففحج رجليه[١]!

وحتى يرسّخوا ذلك في الأذهان فقد نسبوا نفس الشيء إلى عليّ بن أبي طالب(ع)، فرووا عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: رأيت عليّ بن أبي طالب بالرحبة بال قائماً[٢]، و الرّحبة كما لا يخفى مكانٌ عموميٌّ، يجتمع فيه شيوخ العشائر والقرّاء والشّعراء!

وقال النوويّ في المجموع: أمّا حكم المسألة فقال أصحابنا يكره البول قائماً بلا عذر كراهة تنزيه، ولا يكره للعذر، وهذا مذهبنا. وقال ابن المنذر: اختلفوا في البول قائماً، فثبت عن عمر بن الخطّاب وزيد بن ثابت وابن عمر وسهل بن سعد أنّهم بالوا قياماً[٣].

و من روايات المغيرة ما في صحيح مسلم [..]: قال المغيرة: فأقبلت معه حتى نجد النّاس قد قدّموا عبد الرّحمن بن عوف، فصلّى لهم، فأدرك رسول الله (ص) إحدى الرّكعتين فصلّى مع النّاس الرّكعة الآخرة، فلما سلّم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله (ص) يتمّ صلاته فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التّسبيح، فلما قضى النّبي(ص)صلاته أقبل عليهم ثمّ قال: أحسنتم أو قال قد أصبتم، يغبطهم أن صلّوا الصّلاة لوقتها[٤].

أقول: هناك سؤال مهمّ وهو: هل كانت تلك أوّلَ مرّة صلّى فيها أحدهم إماماً

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٤ص٢٤٦ تحت رقم١٨١٧٥.
(٢) السنن الكبرى، البيهقي ج١ص٢٨٨.
(٣) المجموع، النووي، ج ٢ ص ٨٥
(٤) صحيح مسلم، ج١ ص٣١٧.

ورسول الله(ص)خلفه مأمومٌ، أم هناك غيرها ؟ فإن يكن هناك غيرها فما أكثر الذين أمّوا رسول الله(ص)، وإن تكن الأولى فما أجرأ عبد الرّحمن بن عوف على الله و أحرصه على الرّياسة! والعجب من عمر كيف لم يعترض عليه! بل الأعجب أنّهم لم يقدّموا أبا بكر صاحبه في الغار! وإذا كانوا يقدّمون ورسول الله(ص) وسلّم حيٌّ بين أظهرهم، فكيف يُتعجّب من تقديمهم بعد وفاته (ص)؟

وفي الصحيح: عن عروة بن المغيرة بن شعبة أنّ المغيرة كان مع رسول الله (ص)في سفر، وأنّه ذهب لحاجة له، وأنّ مغيرة جعل يصبّ الماء عليه وهو يتوضّأ، فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ومسح على الخفّين[1].

وقد تكرّرت روايات المغيرة التي ينسب فيها المسح على الخفّين إلى رسول الله(ص)[2]!، وفي بعضها المسح على أعلى الخف وأسفله[3]،وفي ذلك كلامٌ كثيرٌ. قال الشّنقيطيّ: ..ما رواه أبو داود في سننه حدّثنا عثمان بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان الثّوري عن أبي قيس الأوديّ هو عبد الرحمان بن ثروان عن هزيل بن شرحبيل عن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله(ص)توضّأ ومسح الجوربين والنّعلين. قال أبو داود وكان عبد الرحمان بن مهديّ لا يحدّث بهذا الحديث لأنّ المعروف عن المغيرة أنّ النبي (ص) مسح على الخفّين. وروى هذا الحديث البيهقيّ ثمّ قال: قال أبو محمّد رأيت مسلم بن الحجّاج ضعّف هذا الخبر وقال: أبو قيس الأوديّ وهزيل بن شرحبيل لا يحتملان مع مخالفتهما الأجلّة الذين رووا هذا الخبر عن المغيرة

(١) صحيح البخاريّ، ج١ ص٥٣.
(٢) مسند أبي داوود، ص٩٥.
(٣) المنتقى، ابن الجارود، ج١ص٣٢ تحت رقم٨٤.

فقالوا مسح على الخفّين. وقال: لا نترك ظاهر القرآن بمثل أبي قيس وهزيل. فذكرت هذه الحكاية عن مسلم لأبي العبّاس محمّد بن عبد الرّحمان الدغوليّ فسمعته يقول: عليّ بن شيبان يقول سمعت أبا قدامة السرخسيّ يقول قال عبد الرحمان بن مهديّ قلت لسفيان الثّوريّ لو حدثتني بحديث أبي قيس عن هزيل ما قبلته منك. فقال سفيان: الحديث ضعيفٌ أو واه أو كلمة نحوها "[١].

قال القرطبيّ في تفسيره: وفي كتاب أبي داود عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله(ص)توضأ ومسح على الجوربين والنّعلين[٢]. فهي مرّة الخفّان، ومرّة النّعلان، ومرّة الجوربان، ولا بأس بها جميعاً في فقه المغيرة.

وقد استدلّوا على ذلك بما لفظه في سنن أبي داود عن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله (ص) مسح على الخفّين فقلت: يا رسول الله أنسيت؟ قال: بل أنت نسيت، بهذا أمرني ربّي عزّ وجلّ"[٣].وفي المصنّف للصّنعانيّ: عن عثمان بن أبي سويد أنّه ذكر لعمر بن عبد العزيز المسح على القدمين فقال: لقد بلغني عن ثلاثة من أصحاب محمّد (ص)أدناهم ابن عمّك المغيرة بن شعبة أنّ النّبي(ص) غسل قدميه[٤].وعن عمرو بن وهب عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله (ص) يمسح على العمامة والجوربين والخفين[٥].وفيه أيضا (ص٣٦٤) (الهامش) عن المغيرة بن شعبة أنّه استأذن رجلٌ على النّبي(ص)وهو بين مكّة والمدينة؛ فقال: قد

(١) أضواء البيان، الشنقيطي، ج١ ص٣٤٢.
(٢) تفسير القرطبيّ، ج٦ص١٠٢.
(٣) نفس المصدر السابق، ج١ ص٣٤٠.
(٤) المصنف، الصنعاني،ج١ص٢١.
(٥) طبقات المحدثين بأصبهان، ج ٤ ص ١٣.

فاتني اللّيلة حزبي من القرآن، وإنّي لا أوثر عليه شيئاً.

وفي الآحاد والمثاني،...عن قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحدٌ رسول الله (ص)عن الدّجال أكثر ما سألته عنه[١].. وفيه أيضاً [ص ٢٠٠] أنّ رسول الله(ص)انتهر المغيرة فشكا ذلك إلى عمر!

و روى ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ..عن ابن إسحاق عن عمران بن أبي كثير قال: قدمت الشّام فإذا قبيصة بن ذؤيب قد جاء برجل من أهل العراق فأدخله على عبد الملك بن مروان فحدّثه عن أبيه عن المغيرة بن شعبة أنّه سمع النّبي(ص)يقول إنّ الخليفة لا يُناشَد. قال: فأُعطي وكُسي وحُبي؛ قال فحكّ في نفسي شيئاً، فقدمت المدينة، فلقيت سعيد بن المسيب فحدّثته، فضرب يده بيدي ثم قال: قاتل الله قبيصة كيف باع دينه بدنيا فانية! والله ما من امرأة من خزاعة قعيدة في بيتها إلاّ قد حفظت قول عمرو بن سالم الخزاعيّ لرسول الله(ص)اللهمّ إنّي ناشدٌ محمّدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا. أفَيناشَد رسول الله(ص)ولا يناشد الخليفة ؟ قاتل الله قبيصة كيف باع دينه بدنيا فانية[٢].

أقول: كلام ابن المسيّب يدلّ على بطلان ما رواه العراقيّ، والعراقيّ يروي عن المغيرة بن شعبة، فإمّا أن يكون العراقي افترى الحديث ونسبه إلى المغيرة بن شعبة الذي كان أحد أعوان بني أميّة، وإمّا أن يكون المغيرة هو الذي افترى الحديث على رسول الله(ص)! وفي كلّ الأحوال فإنّ الأحاديث الموضوعة لا تعدم لها أنصاراً ومشّجعين من الخلفاء والأمراء وغيرهم. وبما أنّ الأحاديث الموضوعة غالباً ما

(١) الآحاد والمثاني، ابن عمرو الشيباني، ص٥٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٣ ص ٥١٩.

يختلقها الانتهازيّون، والمغيرة بن شعبة انتهازيٌّ حتى النّخاع، فلا عجب من سلوك قبيصة، ولا من سلوك العراقيّ، فإنّ مجرّد وجود اسم المغيرة في الإسناد كاف لإلقاء ظلال من الشّكوك حوله.

قال المغيرة بن شعبة: لمّا دُفن عمر أتيت عليّاً وأنا أحبّ أن أسمع منه في عمر شيئا! فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحفٌ بثوب، لا يشكّ أنّ الأمر يصير إليه، فقال: يرحم الله ابن الخطّاب، لقد صدقت ابنة أبي خيثمة، لقد ذهب بخيرها ونجا من شرّها! أما والله ما قالت ولكن قوّلت[1].

أقول: كيف تُقبل رواية المغيرة بخصوص عليّ عليه السلام وقد كان يلعنه على المنبر ويوظّف خطباء يسبّونه ويلعنونه؟!

وكانت ابنة أبي خيثمة -فيما زعموا- بكته فقالت: و اعمراه، أقام الأود وأبرّ العهد، أمات الفتن وأحيى السّنن، خرج نقيّ الثّوب بريّاً من العيب. قال فقال عليّ بن أبي طالب: والله لقد صدقت، ذهب بخيرها ونجا من شرّها، [2]! والرواية هنا أيضاً عن المغيرة بن شعبة. هذا مع أنّ عمر بن الخطّاب نفسه كان ينهى عن البكاء على الميْت ويشدّد النّكير. ويضاف إلى ذلك أنّ في الإسناد ابن داب وهو ضعيفٌ تكلّموا فيه حتى قال شاعرهم:

خذوا عن مالك وعن ابن عون ولا ترووا أحاديثَ ابنِ داب[3]

وفي المبدع: وما روي أنّه(ع) مسح مقدّم رأسه فمحمولٌ على أنّ ذلك مع العمامة

(١) تاريخ الطّبريّ، ج ٢ ص٥٧٥.
(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧ ص ١٤٠.
(٣) التمهيد، ابن عبد البرّ، ج١ص٢١٥ والبيت لابن مناذر.

كما جاء مفسّراً في حديث المغيرة بن شعبة؛ ونحن نقول به، وظاهره أنّه يتعيّن استيعاب ظاهره كلّه، لكن استثنى في المترجم و المبهج اليسير للمشقّة مع الأذنين أي يجب مسحهما مع الرّأس في رواية اختارها جماعةٌ لقوله عليه السلام الأذنان من الرأس[١].

و في المبدع أيضاً: وإن نسي التّشهّد الأوّل ونهض لزمه الرّجوع ما لم ينتصب قائماً، كذا ذكره جماعةٌ، منهم صاحب المحرّر و الوجيز، لما روى المغيرة بن شعبة أنّ النّبي (ص) قال: إذا قام أحدكم من الرّكعتين فلم يستتمّ قائماً فليجلس، وإذا استتمّ قائماً فلا يجلس، ويسجد سجدتي السّهو. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه من رواية جابر الجعفيّ وقد تُكُلّم فيه، ولأنّه أخلّ بواجب. وذكره قبل الشّروع في ركن فلزمه الإتيان به كما لو لم تفارق إليتاه الأرض، وظاهره أنّه يلزمه الرّجوع، سواءٌ فارقت إليتاه الأرض أو كان إلى القيام أقرب؛ ويجب على مأموم اعتدل متابعتُه، وإن استتمّ قائماً ولم يقرأ لم يرجع، وإن رجع جاز. نصّ عليه وهو معنى ما في المحرّر والمذهب والتّلخيص[٢].

وفي الكافي: وإن ذكره بعد قيامه وقبل شروعه في القراءة لم يرجع أيضاً لذلك، ولما روى المغيرة بن شعبة عن النّبي(ص) أنّه قال: إذا قام أحدكم في الرّكعتين فلم يستتمّ قائماً لم يجلس وسجد سجدتي السّهو. رواه أبو داود؛ وقال أصحابنا: وإن رجع في هذه الحال لم تفسد صلاته، ولا يرجع إلى غيره من الواجبات، لأنّه لو رجع

(١) المبدع، ابن مفلح الحنبلي، ج١ص١٢٧ (المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠هـ).
(٢) المبدع، ابن مفلح، ج١ص٥٢١.

للركوع لأجل تسبيحة لزاد ركوعاً في صلاته[١].

وفي كشف القناع: اللّهم اجعله[أي السّقط] ذخراً لوالديه وفرطاً وأجراً وشفيعاً مجاباً. اللّهم ثقّل به موازينهما وأعظم به أجورهما، وألحقه بصالح سلف المؤمنين واجعله في كفالة إبراهيم، وقِهِ برحمتك عذاب الجحيم؛ لحديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً" السّقط يُصلّى عليه، ويدعى لوالديه بالمغفرة والرّحمة". وفي لفظ بالعافية والرّحمة. رواهما أحمد، وإنّما لم يسنّ الاستغفار له لأنّه مشفوعٌ فيه، ولا جرى عليه قلمٌ، فالعدول إلى الدّعاء لوالديه أولى من الدّعاء له[٢].

أقول: اختلفت الرّوايات والآراء في صلاة النّبي (ص) على ولده إبراهيم، هل صلّى عليه أم لا، مع أنه وُلد حيّاً، وعاش سنةً أو أكثر ـ على اختلاف الأقوال ـ بينما السَقط هو الجنين الذي يخرج من بطن أمّه وليس عليه ما يدلّ على الحياة؛ وإليك بعض ما قالوا:

وكان من هديه(ص)الصّلاة على الطّفل، فصحّ عنه أنّه قال: [الطّفل يُصلَّى عليه]. وفي سنن ابن ماجه مرفوعا [صلّوا على أطفالكم فإنّهم من أفراطكم] قال أحمد بن أبي عبدة: سألت أحمد: متى يجب أن يصلّى على السّقط ؟ قال: إذا أتى عليه أربعة أشهر، لأنّه ينفخ فيه الروح. قلت: فحديث المغيرة بن شعبة [الطّفل يصلّى عليه] ؟ قال: صحيح مرفوعٌ. قلت: ليس في هذا بيان الأربعة أشهر ولا غيرها ؟ قال: قد قاله سعيد بن المسيب. فإن قيل: فهل صلّى النّبي (ص)على ابنه إبراهيم يوم مات ؟ قيل: قد اختُلف في ذلك[!] فروى أبو داود في سننه عن عائشة (رض)قالت: مات

(١) الكافي في فقه ابن حنبل، ابن قدامة المقدسي، ج١ ص١٦٧.

(٢) كشف القناع، ابن إدريس، ج٢ ص١١٥.

إبراهيم ابن النّبي (ص)وهو ابن ثمانية عشر شهراً، فلم يصلِّ عليه رسول الله(ص).قال الإمام أحمد : حدّثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدّثني أبي عن ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة فذكره؛ وقال أحمد في رواية حنبل : هذا حديث منكرٌ جدّاً، ووهى ابن إسحاق. وقال الخلاّل : وقُرئ على عبد الله : حدّثني أبي حدّثنا أسود بن عامر حدّثنا إسرائيل قال : حدّثنا جابر الجعفيّ عن عامر عن البراء بن عازب قال : صلى رسول الله(ص)على ابنه إبراهيم، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً. وذكر أبو داود عن البهيّ قال : لما مات إبراهيم بن رسول الله(ص)صلّى عليه رسول الله(ص)في المقاعد، وهو مرسلٌ، والبهي اسمه عبد الله بن يسار كوفيٌّ. وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنّ النّبي (ص)صلّى على ابنه إبراهيم، وهو ابن سبعين ليلةً وهذا مرسلٌ وهِم فيه عطاء، فإنّه قد كان تجاوز السّنة. فاختلف النّاس في هذه الآثار فمنهم من أثبت الصّلاة عليه ومنع صحّة حديث عائشة، كما قال الإمام أحمد وغيره : قالوا : وهذه المراسيل مع حديث البراء يشدّ بعضها بعضاً. ومنهم من ضعّف حديث البراء بجابر الجعفيّ وضعّف هذه المراسيل وقال : حديث ابن إسحاق أصحّ منها. ثمّ اختلف هؤلاء في السّبب الذي لأجله لم يصلّ عليه فقالت طائفةٌ : استغنى ببنوّة رسول الله(ص)عن قربة الصّلاة التي هي شفاعةٌ له كما استغنى الشّهيد بشهادته عن الصلاة عليه. وقالت طائفةٌ أخرى: إنّه مات يوم كسفت الشّمس فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصّلاة عليه. وقالت طائفةٌ: لا تعارض بين هذه الآثار فإنّه أمر بالصّلاة عليه، فقيل صلّي عليه ولم يباشرها بنفسه لاشتغاله بصلاة الكسوف. وقيل: لم يصلّ عليه وقالت فرقةٌ: رواية المثبت أولى لأنّ معه زيادة علم، وإذا تعارض النّفي والإثبات قُدّم الإثبات[1].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج١ ص٤٩٣. مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار

والعجب كلّ العجب من قوله: " فإن قيل: فهل صلّى النّبي (ص)على ابنه إبراهيم يوم مات ؟ قيل : قد اختلف في ذلك " [!] مع أن النّبي(ص) لم يكن له في المدينة سوى ولد واحد، وكان يومُ موته يوماً مشهوداً، بكى فيه رسول الله(ص) وبكت فيه فاطمة الزهراء(ع).ويقول الرّجل: فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصّلاة عليه! وكانّ النّبي(ص) غير مهتمّ بوفاة ابنه إبراهيم(ع)!

و في المغنى: روى المغيرة بن شعبة قال وضّأت رسول الله (ص) فمسح أعلى الخف وأسفله؛ رواه ابن ماجه، ولأنه يحاذي محلّ الفرض فأشبه ظاهره[1].

وفي الهداية: قال والمفروض في مسح الرّأس مقدار النّاصية، وهو ربع الرّأس، لما روى المغيرة بن شعبة أنّ النبي (ص) أتى سباطة قوم فبال وتوضّأ، ومسح على ناصيته وخفيه[2].

وقال محمد بن الحسن الشيباني في بعض فَنْقَلاته[3]: .... فإن قالوا نعم، هذا حديث عبد الله بن بحينة وبه أخذنا، قيل لهم: فهل رويتم عن عبد الله بن بحينة أو روى عنه فقيهٌ قطّ هذا الحديث؟ فإن قالوا: لا نعلم أنّه قد جاء عنه هذا. قيل لهم: أفنقبل هذا بترك السنّة والآثار المعروفة بقول رجل لا يروى حديثاً واحداً، وقد روينا

الإسلامية، بيروت ، الكويت الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ ، ١٩٨٦تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط.

(١) المغني، ابن قدامة المقدسي، ج١ ص١٨٣.

(٢) الهداية، شرح بداية المبتدي، المرغياني ، ج١ص١٢.

(٣) المراد جمع فنقلة وهي قولك: فإن قلتَ قلتُ، كما أن البسملة هي قولك بسم الله، والحمدلة قولك الحمد لله، والحوقلة قولك لا حول ولا قوة إلا بالله، وهكذا...

حديث رسول الله(ص)هذا بعينه عن إمام كان من أئمّة المسلمين - يأمنه عمر بن الخطاب(رض) على الأمصار ويستعمله عليها - أعرفَ بالرواية وأعلمَ بها وأشهرَ بصحبة رسول الله[١]. وفي أضواء البيان: ولا شكّ أن إسلام جرير بعد ذلك، مع أنّ المغيرة بن شعبة روى المسح على الخفّين عن رسول الله (ص) في غزوة تبوك، وهي آخر مغازيه (ص)[٢].

وفي صحيح مسلم: عن قيس عن المغيرة قال سمعت رسول الله (ص) يقول "لن يزال قومٌ من أمّتي ظاهرين على النّاس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون"[٣].

وهو في صحيح البخاري بهذا اللّفظ: لا تزال طائفةٌ من أمّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون[٤].

أقول: لكنّ المغيرة كان مع الفئة الباغية طائعاً غير مكره، وهذه الرّواية حجّةٌ عليه، لا له.

وللمغيرة أيضا رواياتٌ في أسباب النّزول:

أخرج ابن جرير عن المغيرة بن شعبة (رض) قال: نزلت هذه الآية في قتل عثمان (رض)[٥]. والآية (لا تخونوا). وذكر ابن عطيّة في تفسيره كلاماً في تصويب كلام المغيرة فقال: وحكى الطبريّ عن المغيرة بن شعبة أنّه قال: أُنزلت هذه الآية في قتل عثمان (رض). قال القاضي أبو محمد: يشبه أن تمثل بالآية في قتل عثمان - رحمه

(١) كتاب الحجة، محمّد بن الحسن الشيباني، ج١ص٢٢٦.
(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ج١ ص٣٣٦.
(٣) صحيح مسلم، ج٣ ص١٥٢٣ (تحت رقم ١٩٢١) .
(٤) صحيح البخاري، ج٦ ص٢٦٦٧ (الحدبث رقم ٦٨٨١) .
(٥) الدر المنثور، السيوطي ، ج٤ ص٥٠. جامع البيان ، إبن جرير الطبري، ج ٩.

الله ـ فقد كانت خيانةً لله وللرّسول والأمانات، والخيانة التنقّص للشّيء باختفاء، وهي مستعملة في أن يفعل الإنسان خلاف ما ينبغي من حفظ أمر ما، مالاً كان أو سرّاً أو غير ذلك[١]

أقول: بل مراده أن يتقرّب من بني أميّة ويضمن البقاء في منصبه كما هو شأن الانتهازيّين. والمعلوم أنّ سبب النّزول يكون مقارناً للنّزول، وما سوى ذلك فجرْيٌ وتطبيقٌ؛ وبين نزول الآية وقتل عثمان خمس وعشرون سنة على أقلّ تقدير، أي حالَ كون الآية نزلت في أواخر حياة النّبي (ص)! ولذلك قال الشّوكانيّ" ولعلّ مراده أنّ من جملة ما يدخل تحت عمومها قتل عثمان"[٢]! وقال أبو حيان: " وقال المغيرة بن شعبة في قتل عثمان. قال ابن عطيّة: ويشبه أن يتمثّل بالآية في قتله فقد كان قتله خيانة لله ورسوله والأمانات"[٣]. لكنّ الطّبريّ نفسه لا يسلّم بما قاله المغيرة، بل يقول: "وأولى الأقوال في ذلك بالصّواب أن يقال : إنّ الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله وخيانة أمانته، وجائزٌ أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأيّ ذلك كان يجب التّسليم له بصحّته. فمعنى الآية وتأويلها ما قدّمنا ذكره، وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التّأويل"[٤].

و عن سفيان عن السّديّ عن يعفور[٥] بن المغيرة بن شعبة عن عليّ قال: إذا

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، ج ٢ ، ص ٥١٧.
(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج٢ص٣٠٢.
(٣) في تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ج٤ص ٤٨٠.
(٤) تفسير الطّبريّ، ج٦ ص٢١٩.
(٥) وفي تفسير ابن كثير ج١ص٤٥٢ : ...عن السدي عن يعقوب بن المغيرة بن شعبة عن علي قال إذا اشتكى شيئا فليسأل..الحديث.

اشتكى أحدكم شيئاً فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحو ذلك، فليبتَعْ عسلاً، ثمّ يأخذ ماء السّماء فيجتمع هنيئاً مريئاً شفاءً مباركاً[١]..

وهذه لطيفةٌ ، فالمغيرة يلعن الإمام علياً (ع)، وأبناءُ المغيرة يروون عن الإمام علي(ع)..

قال ابن كثير: ثبت في الصّحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله (ص) كان ينهى عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال[٢].

وعن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال: إنّ معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة أكتب لي بما سمعت من رسول الله (ص)فدعاني المغيرة، فكتبت إليه: إنّي سمعت رسول الله(ص)يقول إذا انصرف من الصلاة " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، و لا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ ". وسمعته ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، وعن وأد البنات، وعقوق الأمّهات، ومنع وهات[٣]..

ولا شكّ أنّ المغيرة سمع من رسول الله(ص) كلاماً كثيراً بخصوص أهل البيت عليهم السّلام، ومعظمه في فضائل الإمام علي (ع)، لكن هل يملك الجرأة اللاّزمة لذكر شيء منه، وهو الذي يغلي صدره حقداً على أهل البيت(ع)؟!

و عن إسماعيل عن قيس: سمعت المغيرة بن شعبة أنّ النّبي(ص) قال لا يزال

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ج٣ص٨٦٢

(٢) تفسير ابن كثير، ج١ص١٥٣

(٣) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٤٧ صحيح ابن حبان ، ابن حبان ، ج ١٢، ص ٣٦٧.

ناس من أمّتي ظاهرين حتّى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون[١].

وليس من هؤلاء النّاس من سب عليّاً ولعَنه وشتَمه، لأنّ عليّاً (ع) مع الحقّ، والحقّ معه، يدور معه حيث دار، فمن لعنه فقد لعن الحقّ ـ والعياذ بالله تعالى ـ

عن قيس قال: قال لي المغيرة بن شعبة: ما سأل أحدٌ النّبي(ص)عن الدّجّال ما سألته. قال لي: ما يضرّك منه؟ قلت: لأنّهم يقولون إنّ معه جبل خبز ونهر ماء! قال: هو أهون على الله من ذلك[٢].

يقول المغيرة: "إنّهم يقولون"، فمن هم هؤلاء الذين يقولون؟ وقد خطّأهم النّبي (ص) وهذا يعني أنّه كان على عهد رسول الله(ص) أخبارٌ تتعلّق بالغيب ولا أساس لها من الصحّة، فلا شكّ أنّها كانت إسرائيليّات؛ فمن ذا الذي كان يروّج للإسرائيليّات بين المسلمين في حياة رسول الله(ص)؟ وقد عُلِم أنّ عمر بن الخطّاب كان يحضر مجالس اليهود يوم المدراس، وأنّه اقترح على رسول الله(ص) أن يسمع منه شيئا من التّوراة، وغضب رسول الله(ص) يومها غضباً شديداً!

والقول الذي يشير إليه المغيرة هو في مسند البزار[٣] تحت رقم(٢٨٦٦) عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة (رض) قال: قال رسول الله(ص): الدجّال أعور العَيْن اليُسرى، جعدٌ، معه جنّةٌ ونارٌ، فناره جنّة وجنّته نار[!].والحديث الذي يليه تحت رقم (٢٨٦٧) عن يحيى بن سعيد الأمويّ قال أخبرنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن حذيفة بن اليمان (رض) قال: قال رسول الله إنّ مع الدجّال جنّةٌ ونارٌ، وجبل خبز،

(١) صحيح البخاري، ج٣ ص١٣٣١ تحت رقم٣٤٤١.
(٢) صحيح البخاري، ج٦ص٢٦٠٦ تحت رقم٦٧٠٥.
(٣) مسند البزّار،ج٧ ص٢٨٠.

ونهر ماء؛ فناره جنّةٌ، وجنّته نارٌ، وهو جعد الرّأس، ممسوح العين اليسرى.

عن عليّ بن ربيعة قال: أوّل من نيح عليه بالكوفة قرظة بن كعب، فقال المغيرة بن شعبة: سمعت رسول الله(ص) يقول: من نيح عليه فإنّه يعذّب بما نيح عليه يوم القيامة[1].

و عن عبد الرحمن بن إسحاق القرشي عن النعمان بن سعد عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله(ص) شعار المسلمين على الصّراط يوم القيامة اللّهم سلّم سلّم. هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه[2].

أقول: نعم، لكن من سبّ عليّاً في الحياة الدّنيا، وخرج منها مصرّاً على ذلك، لم ينفعه يومها شعارٌ.

أخبرنا عبد الله بن محمّد الأزديّ قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا الملائي وأبو داود الحفري قالا: حدّثنا سفيان عن زياد بن علاقة أنّه سمع المغيرة بن شعبة يقول: قال رسول الله (ص) "لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء" [3].

أقول: هذا الصّنف من الرّوايات كاشفٌ عن استخفاف المغيرة بشخص النّبي الكريم(ص)، لأنّه إذا كان يعلم أنّ النّبي(ص) نهى عن سبّ الأموات، فما باله هو يسبّ أحبّ الخلق إلى رسول الله(ص) ويستمرّ على ذلك ،وهو يعلم أنّ الإمام علياً (ع)قد انتقل من هذه الدّنيا شهيداً؟!وما أقبح أن يخالف القولُ الفعل، وما أحراه

(١) صحيح مسلم، ج٢ ص٦٤٣ تحت رقم٩٣٣.
(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج٢ ص٤٠٧تحت رقم٣٤٢٢. والحديث ـ أيضا ـ في موارد الظمآن، ج١ ص٤٨٧.
(٣) صحيح ابن حبان، ج٧ ص٢٩٢تحت رقم٣٠٢٢.

بالمقت من قبل الله تعالى، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ؛ يروي المغيرة هذه الرّوايات ثمّ يعمد إلى سبّ من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله! ثمّ يأتي أقوامٌ لا حياء لهم من الله تعالى ويقولون إنّ الله قد غفر للصّحابة ما وقع بينهم. وبعبارة بسيطة إنّ الله قد تنازل عن شريعته وعدله إرضاءً لجماعة السّقيفة ومن سار في طريقهم، ونسوا قوله تعالى: أم نجعل المتّقين كالفجّار. ومن أكبر الفجور تعمُّد سبِّ من يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه.

وعن عمر بن بيان التّغلبي عن عروة بن المغيرة بن شعبة، عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله (ص) من باع الخمر فليشقص الخنازير[1].

أقول: كان أولى بالمغيرة أن يروي هذا الحديث لسَمُرة بن جندب حليفه في معاداة الإمام علي (ع)).

عن ميمون بن أبي شبيب عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله(ص)مَن حدّث عني بحديث وهو يرى أنّه كذبٌ فهو أحد الكاذبين[2].

ولا حرج، مع أنّ المغيرة الذي يروي هذا الحديث يكذب على رسول الله؛ قال ابن أبي الحديد: " ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافيّ رحمه الله تعالى -وكان من المتحقّقين بموالاة عليّ عليه السلام، والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول بالتّفضيل عامّاً شائعاً في البغداديّين من أصحابنا كافّةً، إلاّ أنّ أبا جعفر أشدُّهم في ذلك قولاً، وأخلصهم فيه اعتقاداً -أنّ معاوية وضع قوماً من الصّحابة وقوماً من

(١) سنن أبي داود، ج٣ ص ٢٨٠تحت رقم٣٤٨٩.
(٢) سنن ابن ماجه، ج١ ص١٥تحت رقم٤١.

التّابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام، تقتضي الطّعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التّابعين عروة بن الزّبير"[1]. فأبو جعفر يقول:" فاختلقوا ما أرضاه". واختلاق الأحاديث ونسبتها إلى رسول الله(ص) كذبٌ على رسول الله(ص).

وعن الشّعبيّ عن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله(ص) توضّأ ومسح على خفّيه قال فقال رجل عند المغيرة بن شعبة: يا مغيرة ومن أين كان للنّبيّ(ص) خفّان؟ قال فقال المغيرة: أهداهما إليه النّجاشيّ. قال الشّيخ: والشّعبيّ إنّما روي حديث المسح عن عروة بن المغيرة عن أبيه، وهذا شاهدٌ لحديث دلهم بن صالح، والله أعلم[2].

لكنّ المغيرة ناقض نفسه مرّةً أخرى ؛ فعن الشّعبيّ قال: قال المغيرة بن شعبة أهدى دحية الكلبيّ لرسول الله(ص)خفّين فلبسهما. قال أبو عيسى: وقال إسرائيل عن جابر عن عامر وجُبّةً فلبسهما حتى تخرّقا، لا يدري النّبي (ص) أذكيٌّ هما أم لا. وهذا حديث حسن غريب. أبو إسحاق اسمه سليمان والحسن بن عياش هو أخو أبي بكر بن عياش[3].

فمرّة يقول المغيرة أهداهما إليه النّجاشيّ، ومرّة يقول أهداهما دحية الكلبيّ، ولا يُدرى أذكيٌّ هما أم لا. ولقد قالوا "المغيرة للمبادهة"، فهو مستعدٌّ لإعطاء أيّ جواب في طرفة عين، لكن، لم يثبت بطريق صحيح أنّ النّجاشي أهدى خفّين للنّبي(ص)، وأهل هجرة الحبشة أولى بمعرفة ذلك من المغيرة، وليست هذه أوّل كذبة يكذبُها

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٦٣.
(٢) سنن البيهقي الكبرى، ج١ص٢٨٣ تحت رقم١٢٥٧.
(٣) سنن الترمذي، ج٤ ص٢٣٩تحت رقم١٧٦٩.

المغيرة.

وللعلم فإنّ هناك حديثاً يشعر أنّ المغيرة كان عنده خفّان قبل الهديّة المزعومة؛ ففي المطالب العالية : قال أبو داود الطيالسيّ: حدثنا الحسن بن واصل عن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل المزني قال: أوّل من رأيت عليه خفّين في الإسلام المغيرة بن شعبة(رض). أتانا ونحن عند رسول الله وعليه خفّان أسودان فجعل ينظر إليهما ويعجب منهما، فقال رسول الله: أما أنه ستكثر لكم ـ أي الخفاف ـ قالوا: يا رسول الله فكيف نصنع؟ قال تمسحون عليهما وتصلّون[1].فالحديث يفيد أنّ أوّل من رُئيَ عليه خُفّان في الإسلام المغيرة، والجمع بين الحديثين من الصّعوبة بمكان!

و عن أشعث عن الحسن عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله(ص) بال ثمّ جاء حتى توضّأ، ثمّ مسح على خفّيه، ووضع يده اليمنى على خفّه الأيمن ويده اليسرى على خفّه الأيسر، ثمّ مسح أعلاهما مسحةً واحدةً حتّى كأنّي أنظر إلى أصابع رسول الله (ص) على الخفين[2].

فالمغيرة في الرّواية رأى النّبي (ص) يبول ـ والعياذ بالله ـ هذا خلق النّبي (ص) في نظر المغيرة بن شعبة؛ يبول على مرأى من النّاس.

حدثنا أبو بكر قال حدثنا وكيع قال حدثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عفان عن المغيرة بن شعبة قال: سُئل ابن عمر عن بيع الكرم فقال: زبّبوه ثمّ بيعوه[3].

أقول: المعلوم أنّ ابن عمر لم يحسن طلاق امرأته فكيف صار فقيهاً يفتي؟!.

---

(١) المطالب العالية، ابن حجر العسقلاني، ج٢ ص ٣٣٥ تحت رقم ١١٠.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، ج١ ص٢٩٢تحت رقم١٢٩١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ج٤ص٤٦١، تحت رقم٢٢١٢٩.

عن النّعمان بن سعد عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله (ص) يخرج قومٌ من النّار فيسمون في الجنّة الجهنّميون [كذا] فيدعون الله أن يحوّل عنهم ذلك الاسم، فيمحو الله عنهم، فإذا خرجوا من النّار نبتوا كما ينبت الرّيش[1].

عن المغيرة بن شعبة عن سعيد بن زيد أنّه كان عاشر عشرة مع رسول الله (ص) على حِراء، فتحرّك حِراء، فقال رسول الله (ص) اثبت حِراء، فإنّه ليس عليك إلاّ نبيٌّ أو صدّيقٌ أو شهيدٌ. قال سعيد: وسمعت رسول الله (ص) يقول بعد ذلك أبو بكر في الجنّة، وعُمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليٌّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزّبيرُ في الجنّة، وعبدُ الرّحمن بن عوف في الجنّة، وسعدٌ في الجنة، فقال المغيرة لسعيد: اذكر لنا مَن التّاسع قال: دعني! ولم يزل حتّى قال لنا: أنا التّاسع.

أقول: بغضّ النّظر عن مدى صحّة الحديث أو بطلانه، فإنّ من الواضح أنّ المغيرة بن شعبة في هذه القصّة يسخر من سعيد بن زيد ويتهكّم به، وإلاّ فإنّه في نفس المجلس لعن الإمام عليا(ع) وشجّع الخوارج على سبِّه وشتْمه ولعْنه(ع).إذاً فقد كان المغيرة يعلم ـ وفق الحديث ـ أنّ الإمام عليا(ع) في الجنّة، ومع ذلك بقي يلعنه على المنبر مصرّاً على ذلك إلى أن خرج من الدّنيا!

وحديث العشرة المبشّرين ممّا افتُريَ على رسول الله(ص) ظلماً وبهتاناً، وليس فيه أنصاريٌّ واحدٌ، هذا مع أنّ الأنصار خدموا الإسلام أكثر من المهاجرين باستثناء أهل البيت(ع)، وقد تقاتل العشرةُ المبشرون وكذَّب بعضُهم بعضاً، وطعن بعضُهم في بعض، ومات عبد الرّحمن بن عوف بعد أن هجر عثمان وأوصى ألا يصلّيَ عليه!

---

(١) المعجم الأوسط، ج٥ ص٣٤٦، تحت رقم٥٥٠٧.

وحارب طلحةُ والزّبيرُ الإمام علياً(ع) وقُتلا وهما يحاربانه[١].

عن قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله(ص)إذا سها الإمام فاستتمّ قائماً فعليه سجدتا السهو، وإذا لم يستتمّ قائماً فلا سهو عليه[٢].

أقول: لكن المغيرة روى أيضا أنّ النّبي(ص) نفسه سها في صلاته، وهناك فرق بين أن يقول النّبي (ص) هذا الكلام وبين أن يسهو ـ هو ـ في صلاته. وإذا كان النّبي (ص) قد قال ـ كما يروي المغيرة نفسه ـ "جُعلتْ قُرّة عيني في الصّلاة"[٣] فكيف يروي المغيرة قصّة سهوه؟ وكيف يسهو الإنسان عن قرّة عينه وهو مستغرقٌ في حبِّها؟

وعن عليّ بن ربيعة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر: سمعت رسول الله (ص) يقول إنّ كذباً عليّ ليس ككذب على غيري؛ وسمعته يقول من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار.[٤].

لكنّ الحديث في مسند أبي يعلى كالتّالي: كنّا عند المغيرة بن شعبة وهو في المسجد وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد فأوسع له المغيرة فقال: ها هنا فاجلسْ، فأجلسه معه على السّرير، فقال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله (ص) يقول: "إنّ كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده

(١) اعتزل الزبير القتال بعد أن ذكّره الإمام علي(ع) حديث رسول الله(ص)، لكنّه لم ينحز إلى طائفة الحقّ، وليس بين الحق والباطل وسط﴿فماذا بعد الحقّ إلا الضلال﴾.
(٢) المعجم الكبير، ج٢٠ ص٣٩٩٩٤٧.
(٣) المعجم الكبير، ج٢٠ ص٤٢٠تحت رقم١٠١٢.
(٤) المسند المستخرج على صحيح مسلم، ج١ص٩٤تحت رقم٦٦.

من النّار" [1]. وإذاً، فمن الذي سمع رسول الله(ص)؟ المغيرةُ أم سعيدُ بن زيد؟ أم كلاهما؟!

و عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله (ص) ما من أحد إلاّ جُعل معه قرينٌ من الجنّ قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلاّ أنّ الله أعانني عليه فأسْلم، فلا يأمرني إلا بخير[2]!.

أقول: هذا الحديث وأمثاله ممّا يقدح في الأنبياء والرّسل. أليس القرآن الكريم يقول: ومن يكن الشّيطان له قريناً فساء قريناً؟! أوليس القرآن الكريم يقول: إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان؟! وهل كان لعيسى بن مريم قرينٌ من الجنّ؟هل كان لموسى قرينٌ من الجنّ؟ هل كان لإبراهيم قرينٌ من الجنّ؟

عن محمّد بن كعب القرظي عن المغيرة بن شعبة أنه قال: قام فينا رسول الله (ص) مقاماً فأخبرنا بما يكون في أمّته إلى يوم القيامة، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه[3].

أقول: من أيّ الفريقين كان المغيرة؟ ممّن وعاه أم ممّن نسيه، وهو الدّاهية الكبير؟ إن كان ممّن وعاه فلماذا كتمه عن المسلمين وخرج من الدّنيا دون أن يبلّغه؟!وإن كان كتمه فإنّ من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة. ثمّ أين هذه الخطبة؟ بل أين نصفها، ثُلثها، عُشرها!!

(١) مسند أبي يعلى، ج٢ص٢٥٧تحت رقم ٩٦٦.
(٢) المعجم الكبير، ج٢٠ص٤٢١تحت رقم١٠١٧.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٤ ص٢٥٤تحت رقم١٨٢٤٩.

عن مسلمة بن نوفل الثقفي عن المغيرة بن شعبة قال: نهى النّبي(ص) عن المثلة[١].

أقول: فقد كان خليله معاوية وصاحبه زياد يمثّلان بأتباع علي(ع) فلم لم يوجه إليهما المغيرة هذا الكلام؟!وقد ثبت أنّ زياداً دفن عبد الرحمن العنزي حيّا بأمر من معاوية، وهذا شرّ ما يتصوّر من المثلة.

عن الأوزاعي قال: حدثني محمّد بن عبد الملك عن المغيرة بن شعبة أنّه سمع عثمان بن عفّان يقول: سمعت النبي (ص) يقول يُلحد بمكّة رجلٌ من قريش عليه نصف عذاب العالم .يقال ـ عن أبي مسهر ـ إنّه ابن عبد الملك بن مروان قُتل بنهر أبي فطرس.

أقول : السّياق يحتمل معنَيَيْن، أوّلهُما أن تكون جملة "يقال.." لبيان ومعرفة محمّد بن عبد الملك لتمييزه عن غيره ممن يشاركه الاسم. والثّاني أن يكون المقصود به الرّجل الذي يلحد بمكّة، وفي هذه الحال يُطرَح السّؤال التّالي : أيّ إلحاد هذا الذي ألحده ابن عبد الملك الذي قُتل بنهر أبي فطرس، ولماذا لم يسمع به أحدٌ ؟! بل الذي ألحد في الحرم هو عبد الله بن الزّبير الذي عرّض الكعبة للرّمي بالمنجنيق وهو يحلم بالخلافة على طريقة أبيه. فلا هو نال الدّنيا، ولا هو أدرك الآخرة!

عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه عن جدّه مرفوعا: لم يمت نبيٌّ حتّى يؤُمَّه رجلٌ من قومه[٢].

---

(١) التاريخ الكبير، البخاري، ج٧ص٣١٦.

(٢) لسان الميزان، ج٣ ص ٢٦٠.

لا تعليق!

والأحاديث التي تنتهي إلى المغيرة كثيرةٌ، لكنها لا تسلم من الطّعن.

...عن عبد الله بن أحمد :سألت أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي فقال هذا يقال له أبو شيبة وهو واسطيٌّ كان يروي عنه ابن إدريس وأبو معاوية وابن فضيل وهو الذي يحدث عن النّعمان بن سعد عن المغيرة بن شعبة عن النّبي ّ(ص) أحاديث مناكير، ليس هو في الحديث بذاك، والمدينيّ أعجب إليّ من هذا الواسطي[1].

وعن المغيرة بن شعبة (رض) قال : كنت مع النّبي(ص)فمشى حتى توارى عنّي في سواد اللّيل ثم جاء فصببت عليه من الإداوة[2].

أقول: ههنا يقول المغيرة "توارى عنّي في سواد اللّيل"، وهناك يقول "رأيته قام على سباطة قوم فبال"! كيف يتوارى مع وجود ظلام اللّيل ثمّ يقوم أمام النّاظرين على سباطة قوم فيبول قائماً في وضح النّهار؟! اللّهم إلاّ أن يقال إنّ النّبي (ص) لا يبول إلاّ بحضور المغيرة بن شعبة!

عن المغيرة بن شعبة قال: كان أصحاب رسول الله(ص) يقرعون بابه بالأظافر[3].

أقول: في قرعهم الباب بالأظافر استئذان، ولم يكونوا يفعلون ذلك من البداية، وإلاّ فكيف نفسر قول الله تعالى "(يا أَيُّهَا الذينَ آمنُوا لا تدْخُلُوا بيوتَ النّبي إلاّ أن يُؤذَنَ

(١) الكامل في ضعفاء الرجال، ج٤ ص٣٠٤.

(٢) الكافي في فقه ابن حنبل، ابن قدامة المقدسي، ج١ ص ٥٥.

(٣) معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، ج١ ص ٥٩. دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م. تحقيق : السيد معظم حسين.

لكم إلى طعام غيرَ ناظِرينَ إناهُ ولكنْ إذا دُعيتُم فادْخُلوا فإذَا طعِمْتم فانتشِرُوا ولا مُسْتَأْنسِينَ لِحَديث إنَّ ذَلكُم كانَ يُؤْذِي النّبي فيستحيي منكُم واللهُ لا يستحيي من الحقِّ وإذَا سألْتُمُوهُنَّ متاعاً فاسألُوهُنّ مِن وَراءِ حِجاب ذلكُم أطْهرُ لقُلوبكم وقلوبهنّ وما كانَ لكُم أن تُؤْذُوا رسولَ الله ولا أن تنكِحُوا أزواجَه من بعْدِهِ أبداً إنَّ ذلكُم كانَ عنْدَ الله عظيماً)[1].وإذا كان المغيرة ممّن يعتقدون بالاستئذان فلماذا اقتحم باب فاطمة مع المقتحمين؟![2]

قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة ونافع بن يزيد عن عمارة بن غزية عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل أنّه وجد في كتاب آبائه هذا ما ذكره عمرو بن حزم والمغيرة بن شعبة قالا: بينا نحن عند رسول الله(ص)دخل رجلان يختصمان مع أحدهما شاهد له على حقّه، فجعل رسول الله(ص)صاحب الحقّ مع شاهده فاقتطع بذلك حقّه.

أقول: لكن ورد في فصول الجصّاص قوله: "قال الزّهريّ وهو من أفقه أهل المدينة في عصره: القضاء بالشّاهد واليمين بدعةٌ، وإنّ أوّل من قضى به معاوية"[3].

فلعلّ المغيرة روى ذلك ليصحّح فعل حليفه معاوية!

ثمّ أما كان المغيرة و معاوية جميعاً حاضرين يوم الغدير حيث رسول الله(ص) ينادي أمام الألوف المؤلّفة من المسلمين: من كنت مولاه فعليّ مولاه ؟ فما بالهما قد تصافقا على لعنه على المنابر، ووظّفا لذلك من لا حريجة له في الدّين ؟

عن عمرو بن وهب الثّقفيّ عن المغيرة بن شعبة قال : رأيت رسول الله (ص)

---

(١) الأحزاب٥٣.

(٢)حديث الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام تفننوا في التلاعب بألفاظه لتمريره بسلام، لكن لا سبيل إلى ردّه وإنكاره، وقد رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، وليس هذا محل مناقشته.

(٣) كتاب الفصول في الأصول، الجصاص، ج ١ص ١٩٢.

مسح على العمامة والخفّين[١]. و عن ابن شهاب قال: أخبرني عباد بن زياد أنّ عروة بن المغيرة بن شعبة أخبره أنّه سمع أباه يقول: عدل رسول الله (ص) وأنا معه في غزوة تبوك قبل الفجر فعدلْتُ معه، فأناخ رسول الله (ص) فبرز ثمّ جاءني، فسكبْتُ على يديه من الإداوة[٢]..

أقول: يقول المغيرة " عدَل رسول الله (ص) وأنا معه في غزوة تبوك قبل الفجر فعدلْتُ معه"، وليس فيه ما يشير إلى أنّ النّبي (ص) أمره بالعدول معه. وفي رواية عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه المغيرة بن شعبة عن رسول الله (ص) أنّه خرج لحاجته وتبعه المغيرة بالإداوة فيها ماءٌ فصبّ عليه حتى فرغ من حاجته، فتوضّأ ومسح على الخُفّين[٣].

وفي رواية عن عباد بن زياد أنّ عروة بن المغيرة بن شعبة أخبره أنّ المغيرة بن شعبة أخبره أنّه غزا مع رسول الله (ص) غزوةَ تَبُوك، قال المغيرة فبرز رسول الله (ص) قِبَل الغائط، فحملت معي إداوةً قبل صلاة الفجر ..[٤].

فالمغيرة يقول "فحملت معي إداوةً " يعني أنّه تطوّع بذلك، وليس فيه ما يشعر أنّ النّبي (ص) أمره بذلك، خلافاً لما في الرّواية اللاّحقة.وعن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال: كنت مع رسول الله (ص) في سفر، فقال: تخلّف يا مغيرة ! وامضوا أيّها الناس ! قال : ثمّ ذهب فقضى حاجته، ثمّ اتبعته بإداوة من ماء، فلمّا فرغ سكبت عليه

(١) مسند أبي داود الطيالسي، ص ٩٥.
(٢) صحيح ابن حبان، ج ٥، ص ٦٠٢ ـ ٦٠٣.
(٣) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٢٠، ص ٣٧٥.
(٤) السنن الكبرى، النسائي، ج ١، ص ١٠١.

منها، فغسل وجهه[1]..

فالنّبي (ص) ـ حسب رواية المغيرة ـ لا يكتفي أن يقول للمغيرة تخلّف، وإنّما يخاطب الجيش كلّه ليَعلم كلُّ فرد منهم أنّ المغيرة هو الشّخص الذي اختاره (ص) لوضوئه! مع أنّه في وُسع النّبي(ص) أن يأخذ الإداوة من المغيرة وتنتهي القضيّة، لأنّه (ص)محتاجٌ إلى الماء، لا إلى المغيرة، وهذا على فرض أنّ النّبي(ص) لم يكن لديه إداوته الخاصّة وهو في سفر بعيد الشّقّة (غزوة تبوك)! لكنّ المغيرة يريد كعادته أن يفتخر بخصوصيّة لم تكن في متناول كلّ الصّحابة، وهي هذه المرّة وضوء النّبي (ص)!

يذكر المغيرة بن شعبة أنّه تبع رسول الله(ص) بإداوة، ولم يقل إنّ ذلك كان بأمر من النّبي (ص). ومن حقّ المرء أن يتساءل إن كان من عادة النّبي(ص) أن يؤخّر شخصاً معه إداوةٌ ليصبّ عليه الماء، أم أنّها المرّة الوحيدة التي فعل فيها ذلك،لأنّ القضيّة تتعلق بالمغيرة بن شعبة فينبغي أن يتميّز عن غيره من الصّحابة بشيء ما ! ولم يذكر غيرُ المغيرة بن شعبة موقفاً مشابهاً مع النّبي(ص)؛ ثمّ لماذا لا يكون للنّبي(ص) إداوةٌ كما هو شأن مرافقيه؟! لقد كان في ثقافة كلّ العرب أن يكون مع الرّجل في سفره أشياء من بينها الماء، بل هو أهمّها جميعا، لا يستغني عنه المسافر بحال من الأحوال، فكيف تخلّى النّبي (ص) عن إداوته؟!

وبما أنّ المغيرة بن شعبة لا يتورّع عن الكذب والبهتان، وبما أنّه لا يتورّع أن يتبجّح أنّه أوّل من رشا في الإسلام، وبما أنّه كان يلعن الإمام عليا(ع) بعد أن سمع

(١) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١، ص ١٩٣.

بأذنيه رسول الله(ص) يقول في حقّ علي (ع) يوم خيبر " يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله" فلا بأس بردّ كلام المغيرة ولا كرامة، ولا بأس أن يضرب به عرض الحائط.

ولطالما تخبّط المغيرة في هذه القصّة؛ فعن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن المغيرة بن شعبة قال: كنت مع النّبي (ص) في سفر فقال: يا مغيرة خذ الإداوة[!]، فانطلق رسول الله (ص) حتّى توارى عني فقضى حاجته وعليه جبّةٌ شاميّةٌ من صوف، فذهب يخرج يده من كمها فضاقت[1]...

فالمغيرة يذكر أنّ النّبي (ص) قال له " يا مغيرة خذ الإداوة "، وإنّما يقابل الأخذ العطاء، فإذا قال لك شخص خذ كذا، فلابدّ أن يعطيك ذلك الشّيء الذي قال لك خذه، وإلاّ كان كلامه بلا معنى. والإداوة هنا بالألف واللّام، ومنه نفهم أنّ النّبي (ص) أعطى المغيرة إداوة، وأخذها المغيرة، بدليل قوله " فأخذتها "؛ وقد يكون يقصد إداوة المغيرة، وهذا أيضاً ليس ببعيد، وعلى كل حال لماذا يفعل النّبي (ص) هذا دون جميع من كان معه، وهل كان النّبي (ص) يفعل ذلك في جميع أسفاره وغزواته؟!

ومرّة يقول المغيرة في خطبته ـ " أيّها النّاس، إنّي كنت مع النّبي (ص) في ركب فنزل فقضى حاجته فأتيته بماء فتوضأ ومسح على خفّيه"[2].

---

(١) السنن الكبرى، النسائي، ج ٥، ص ٤٨١ تحت رقم٩٦٦٤.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة ، ج ١ ، ص ٢٠٦. والحديث بتمامه : حدثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد العزيز بن رفيع عن علي بن ربيعة قال خطبنا المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس إني كنت مع النبي (ص) في ركب فنزل فقضى حاجته فأتيته بماء فتوضأ ومسح على خفيه.

ومرّة يقول: تخلّف وتخلّفت معه بالإداوة، فتبرّز ثمّ أتاني فسكبت على يديه وذلك عند صلاة الصّبح، فلمّا غسل وجهه وأراد غسل ذراعيه ضاق كُمّا جبته[١]..

وكلامُه يوهم أنّ النّبي (ص) تبرّز ولم يستعمل الماء مع وجود الماء، وهذا الحديث موجود في كتب كثيرة، ولا أحد ينكر على المغيرة!

ومرّة يقول: رأيت النّبي بالَ وهو قائمٌ، ثمّ صببت عليه فتوضّأ ومسح على خفيه[٢]..

وهذا يعني أنّ النّبي(ص) لم يستعمل الماء للطّهارة من البول مع وجود الماء! فإن كان المقصود أنّ المغيرة صبّ الماء على النّبي (ص) ليغسل محلّ البول، فإنّا لله وإنا إليه راجعون! وإن كان يقصد أنّ النّبي (ص) لم يغسل محلّ البول مع وجود الماء وأنّه صبّ عليه ليتوضّأ دون غَسل محلّ البول، فألْفُ "إنّا لله وإنّا إليه راجعون ".

وعن بكر بن عبد الله المزنيّ عن الحسن عن ابن المغيرة بن شعبة عن المغيرة أنّ رسول الله (ص) توضّأ فمسح ناصيته وعمامته وعلى الخفين[٣].

أقول: هذه الرّواية تمسّك بها القائلون بجواز الاكتفاء بالمسح على العمامة، علما أنّ المغيرة بن شعبة قال: " فمسح ناصيته وعمامته وعلى الخفّين "، والنّاصية ليست جزءا من العمامة!وفي المستدرك حديث[٤]عن أبي معقل عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله (ص) يتوضّأ وعليه عمامة قَطَرِيَّة، فأدخل يده من تحت العمامة

---

(١) منتخب مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، ص ١٥٢تحت رقم ٣٩٧.

(٢) منتخب مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، ، ص ١٥٢.

(٣) السنن الكبرى، النسائي،ج ١، ص ٨٧

(٤) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ١، ص ١٦٩.

فمسح مقدّم رأسه ولم ينقض العمامة(١).وفيه تصريحٌ أنّه مسح مقدّم رأسه لا مقدمّ عمامته، لأنّه أدخل يده من تحت عمامته، فلم يبق بين يده ورأسه حائلٌ.

وتأمّل ما يقوله الفقيه في صحيح ابن حبّان: توضّأ ومسح على الخفّين والعمامة. قال [في ذكر خبر أوْهمَ عالماً من النّاس أنّ المسح على العمامة غير جائز]: أخبرنا أبو خليفة [..]عن الحسن عن ابن المغيرة بن شعبة عن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله (ص) توضّأ ومسح بناصيته وفوق العمامة. قال بكر وسمعته من ابن المغيرة. قال أبو حاتم: وهذه اللّفظة ومسح بناصيته وفوق العمامة قد تُوهم من لم يُحكم صناعة العِلْم أنّ المسح على العمامة دون النّاصية غيرُ جائز، ويجعل خبر عمرو بن أميّة مُجملاً وخبر مغيرةَ الذي ذكرناه مفسّراً له .. وليس بحمد الله منه كذلك، بل مسح النّبي(ص) على رأسه في وضوئه، ومسح على عمامته دون النّاصية، ومسح على ناصيته وعمامته، ثلاث مرار في ثلاثة مواضع مختلفة، فكلٌّ سنّةٌ يستعمل من غير أن يكون استعمال أحدهما حتماً واستعمال الآخر مكروهاً[!](٢).

والمسألة فيها خلافٌ كبيرٌ بين مذاهب الجمهور لم يخل من تخبُّط، ولا خلاف بين علماء مدرسة أهل البيت(ع) في عدم جواز المسح على العمامة. وهذه بعض أقوال المانعين من مدرسة الخلفاء:

قال الزيعلي : ولا يجوز المسح على العمامة والقلنسوة والبرقع والقفّازين ؛ لأنّه لا حرج في نزع هذه الأشياء، والرّخصةُ لدفع الحرج(٣).

(١) قال الحاكم بخصوص هذا الحديث: هذا الحديث وإن لم يكن إسناده من شرط الكتاب...الخ.
(٢) صحيح ابن حبان، ج ٤ ص ١٧٦
(٣) نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، ج ١ ص ٣٩٨.

وقال النّوويّ: وأمّا إذا اقتصر على مسح العمامة ولم يمسح شيئاً من رأسه فلا يجزيه بلا خلاف عندنا، وهو مذهب أكثر العلماء؛ كذا حكاه الخطّابي والماورديّ عن أكثر العلماء، وحكاه ابن المنذر عن عروة بن الزّبير والشّعبي والنّخعي والقاسم[1]..

وفي الموطّإ (: ٣٨) وحدّثني يحيى عن مالك، أنّه بلغه أنّ جابر بن عبد الله الأنصاريّ، سُئل عن المسح على العمامة، فقال: لا،حتى يمسح الشّعر بالماء. (: ٣٩) وحدّثني عن مالك، عن هشام بن عروة، أنّ أباه عروة بن الزّبير كان ينزع العمامة، ويمسح رأسه بالماء. وحدّثني عن مالك، عن نافع، أنّه رأى صفيّة بنت أبي عبيد، امرأة عبد الله بن عمر، تنزع خمارها، وتمسح على رأسها بالماء. ونافع يومئذ صغيرٌ. وسُئل مالك عن المسح على العمامة والخمار. فقال: لا ينبغي أن يمسح الرّجل ولا المرأة على عمامة ولا خمار[2].

وفي المبسوط قال: (ولا يجوز المسح على العمامة والقلنسوة) ومن العلماء من جوزّه لحديث بلال (رض) قال: رأيت رسول الله (ص) مسح على عمامته وجاء في الحديث أنّ النّبي(ص) بعث سريّةً فأمرهم بأن يمسحوا على المشاوذ والتّساخين فالمشاوذ العمائم والتّساخين الخفاف. (ولنا) حديث جابر (رض) قال رأيت رسول الله (ص) حسر العمامة عن رأسه ومسح على ناصيته وكأنّ بلالا (رض)كان بعيداً[3]..

وانظر إلى ابن قدامة كيف يكيل بمكيالين إذ يقول: وممن قال بجواز المسح

(١) المجموع، محيى الدين النووي، ج ١، ص ٤٠٧.
(٢) كتاب الموطأ،الإمام مالك، ج ١ ، ص ٣٥.
(٣) المبسوط، السرخسي، ج ١ ، ص ١٠١.

على العمامة أبو بكر الصدّيق، وبه قال عمر بن الخطّاب وأنسٌ وأبو أمامة، ورُوي عن سعد بن مالك وأبي الدّرداء (رض) وهو قول عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة وابن المنذر وغيرهم؛ وقال عروة والنّخعيّ والشّعبيّ والقاسم ومالك والشّافعيّ وأصحاب الرأي لا يمسح عليها لقول الله تعالى (وامسحوا برءوسكم) ولأنّه لا تلحقه المشقّة بنزعها، أشبهت الكُمّين، ولنا ما روى المغيرة بن شعبة قال توضأ رسول الله (ص)[١]..

فهو حين تكلّم عمّا يتبنّاه جاء بأبي بكر وعُمر وأنس وأبي أُمامة وأبي الدّرداء وسعد بن مالك، أمّا حين أورد قول المانعين فإنّه لم يأت بصحابيّ واحد، وركّز على عبارة "أصحاب الرّأي" لشدّة حساسيّتها وقوّة وقعها لدى القارئ والمستمع! وعلى رأس المانعين من الصّحابة الذين تجاهلهم ابن قدامة عليّ بن أبي طالب(ع) وجابرُ بن عبد الله الأنصاريّ. قال التّرمذي : وقال غير واحد من أصحاب النّبي(ص) : لا يمسح على العمامة إلاّ أن يمسح برأسه مع العمامة، وهو قول سفيان الثّوريّ ومالك بن أنس وابن المبارك والشّافعيّ، وإليه ذهب أيضا أبو حنيفة[٢].وفي سنن البيهقيّ الكبرى عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ عن نافع عن ابن عمر أنّه كان إذا مسح رأسه رفع القلنسوة ومسح مقدّم رأسه[٣].

عن أبي صخرة عن المغيرة بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة: قال بتّ عند رسول الله (ص) وكان يجزّ لي من جنب حتى أذّن بلال فطرح السّكّين فقال: ما له تربت

---

(١) الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة، ج ١، ص ١٥٠
(٢) نيل الأوطار، الشوكاني، ج ١، ص ٢٠٦.
(٣) سنن البيهقي الكبرى، السنن الكبرى، البيهقي، ج ١، ص ٦١.

يداه[١].

أقول: ما يرمي إليه المغيرة في هذه الرّواية وما يشبهها هو أنّه كان غالبا ما يكون مع رسول الله (ص) وليس معه غيره، حتى حينما يريد النّبي (ص) قضاء حاجته فإنّه يقول للمغيرة دون غيره "تخلّفْ"! ولم يرو قصّة قضاء النّبي حاجته في غزوة تبوك غيرُ المغيرة، ولطالما كذب المغيرة على رسول الله(ص)! ثم هل يريد المغيرة بن شعبة أن يقول إنّ النّبي (ص) تذمّر من بلال حين آذنه بالصلاة وقد كانت قرّة عينه في الصّلاة؟

عن عمرو بن وهب قال : كنّا عند المغيرة بن شعبة فسُئل هل أمّ النّبي(ص) أحدٌ من هذه الأمّة غير أبي بكر؟ قال: نعم، كنّا مع النّبي(ص) في سفر، فذكر الحديث بطوله، وقال: ثمّ ركبنا فأدركنا النّاس وقد تقدّم عبد الرّحمن بن عوف[٢]..

أقول: لكنّ عبد الرّحمن بن عوف لم يذكر هذا الأمر، ولم يفتخر به يوماً من الأيّام، ولا فخر به أولادُه من بعده، وليس هذا ممّا يتجاهل النّاس ذكره، خصوصاً في تلك الأيّام. وماداموا قد قدّموا عبدَ الرّحمن بن عوف يومها ليصلّي بهم، فلماذا لم يقدّموه أيّام مرض النّبي (ص) الذي توفي فيه[٣]؟!

قال ابن حبّان في كتاب الحظر والإباحة [ذكر الإخبار عن تحريم الله جلّ وعلا خصالاً معلومةً على المسلمين]: أخبرنا عبد الله بن محمّد الأزديّ قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنا جرير عن منصور عن الشّعبيّ عن وراد مولى المغيرة عن

(١) السنن الكبرى، ج ٤، ص ١٥٣.
(٢) صحيح ابن خزيمة، ج ٢ص١٣٥.
(٣) صحيح ابن خزيمة، ج ٢، ص ١٣٥.

المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله (ص) قال: إنّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال[١].

والذي يروي هذا الحديث هو المغيرة بن شعبة الذي أضاع مال المسلمين في زواجاته المتكرّرة [ثلاثمائة امرأة] بحثاً عن المزيد من الشّهوة!

وعن زيد عن عاصم بن بهدلة عن شقيق بن سلمة عن المغيرة بن شعبة قال: قام رسول الله (ص) إلى سباطة قوم فبالَ، فجئته بماء فصببته عليه، فتوضّأ ومسح برأسه ومسح على خفّيه، ثمّ قام فصلّى[٢].هكذا يقول المغيرة: "قام رسول الله (ص) إلى سباطة قوم فبال"، وهو ينظر إليه!

عن السريّ بن يحيى عن ثابت جليس للحسن عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله (ص) ساقي القوم آخرُهم[٣].

أقول: هذه الرّواية يدرك مضمونها المغيرة بن شعبة أكثر من أيّ شخص آخر تبلغه، فهو كان ساقي القوم قبل أن يقتلهم جميعاً وهم نيامٌ.

عن زياد بن علاقة عن عمّه قطبة بن مالك عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله (ص) يقوم فما ينفتل من صلاته حتى ترم قدماه، فقيل: أتجهد نفسك؟ فما هذا الجهد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا[٤].

وعن منصور عن الشّعبيّ عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة عن المغيرة قال: قال

(١) صحيح ابن حبان، ج ١٢، ص ٣٦٦ تحت رقم٥٥٥٣.
(٢) المعجم الأوسط، الطبراني،ج ٢، ص ٢٧.
(٣) المعجم الأوسط، الطبراني،ج ٢، ص ٤٠.
(٤) المعجم الأوسط، الطبراني،ج ٢، ص ٣٣٦.

رسول الله (ص) ذروني ما تركتكم فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبيائهم واختلافهم على أنبيائهم، فما أمرتكم به من شيء فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم فانتهوا[١].

أقول: ما دام النّبي (ص) يقول: "فما أمرتكم به من شيء فأتوا منه ما استطعتم" فإنّه(ص) قد أمر المغيرة بمحبّة وموالاة الإمام علي (ع)، لكنّه أبى إلاّ أن يعاديه ويسبّه ويلعنه، ومن حقّه أن يدافع عن نفسه هناك، في عالم ليس للدُّهاة فيه امتيازٌ.

عن إسماعيل بن رافع عن محمّد بن سعيد بن عبد الملك عن المغيرة بن شعبة قال: قال عثمان بن أبي العاص ـ وكان شابّاً ـ: وفدنا على النّبي (ص) فوجدني أفضلهم أخذاً للقرآن، وقد فضلتهم بسورة البقرة، فقال النّبي(ص): قد أمّرتك على أصحابك وأنت أصغرهم[٢]..

أقول: هذه الرّواية تنسف ما برّر به جماعة السّقيفة عملهم حين ادّعوا أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أصغر من أن يتولّى منصب القيادة، وبما أنّ قول وفعل وتقرير النّبي(ص)حُجّة، فإنّهم يكونون قد خالفوا سنّة النّبي (ص)، ودون الدّفاع عنهم في مثل هذا المقام خرْط القَتاد.

عن عبد الله بن الأسود بن أبي عاصم الثّقفي عن أبيه عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله (ص) يوم حنين وقف على رجل من ثقيف مقتول فقال: " أبعدك الله فإنك كنت تبغض قريشاً[٣]".

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٦ ص ١٣٥.
(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٩، ص ٤٤.
(٣) المعجم الكبير ، الطبراني، ج ٢٠، ص ٣٨٢.

أقول: الرّجل المقتول من ثقيف، والمغيرة بن شعبة من ثقيف، فلماذا لمْ يذكُرْه باسمه؟

وأما تقوّله على النّبي(ص) " أبعدك الله فإنّك كنت تبغض قريشاً " فمحلّ تأمّل، لأنّ أبا جهل وأبا لهب وأميّة بن خلف والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط و عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ـ هؤلاء كلّهم ـ من قريش، وبغضهم واجب، وهناك عدد هائل من قريش ممّن ماتوا على الشّرك...

وروي عن النبي عليه السّلام من حديث المغيرة بن شعبة أنّه كان إذا تبرّز تباعد وبعضهم يقول فيه: إذا ذهب أبعد في المذهب، وفي حديث جابر حتى لا يراه أحد[1]؛ وفيه ردٌّ على ادّعاء المغيرة رؤية النّبي (ص) يبول قائماً.

روى شريك بن عبد الله النّخعيّ[2]، عن محمد بن عمرو بن مرّة عن أبيه عن عبد الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعريّ، قال: حججت مع عُمر، فلمّا نزلنا وعظم النّاس خرجت من رحلي أريده، فلقِيَني المغيرةُ بن شعبة، فرافقني ثم قال: أين تريد؟

---

(١) الاستذكار، ابن عبد البر، ج ١، ص ٣٦١.

(٢) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي أبو عبد الله الكوفي، قال ابن معين : شريك صدوق ثقة إلا أنه إذا خالف فغيره أحب إلينا منه. وقال ابن المبارك : شريك اعلم بحديث الكوفيين من الثوري. وقال الجوزجاني شريك سيء الحفظ مضطرب الحديث مائل[عبارة مائل يرددها الجوزجاني، في حق كل من لا يكون مبغضا لعلي وأولاده عليهم السلام. قال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق [ج ٧، ص ٢٨١]: "قرأت على أبي الفتح نصر الله بن محمد الفقيه عن سهل بن بشر الإسفرايني أنا أبو الحسن علي بن بقا الوراق بمصر أنا عبد الغني بن سعيد الحافظ بمصر قال سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الرعيني يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن عدبس يقول كنا عند إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني فالتمس من يذبح له دجاجة فتعذر عليه فقال: يا قوم تعذّر عليّ ذبح دجاجة وعليّ بن أبي طالب قتل سبعين ألف في وقت واحد، أو كما قال". مات الجوزجانيّ سنة ١٧٧. (تهذيب التهذيب ٤: ٣٣٥) .

فقلت : أمير المؤمنين، فهل لك ؟ قال : نعم. فانطلقنا نريد رحل عُمر، فإنّا لفي طريقنا إذ ذكرنا تولّيَ عُمر وقيامَه بما هو فيه، وحياطَته على الإسلام، ونهوضَه بما قِبله من ذلك، ثمّ خرجنا إلى ذكر لابن أبي بكر، فقلت للمغيرة: يا لك الخير! لقد كان أبو بكر مسدّداً في عُمر، لكأنّه ينظر إلى قيامه من بعده، وجدّه واجتهاده وغنائه في الإسلام؛ فقال المغيرة: لقد كان ذلك، وإن كان قوم كرهوا ولاية عُمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذلك من حظّ[!]، فقلت له : لا أبا لك! ومن القوم الذين كرهوا ذلك لعُمر؟ فقال المغيرة: لله أنت ! كأنّك لا تعرف هذا الحيّ من قريش وما خُصّوا به من الحسد ! فوالله لو كان هذا الحسد يدرَك بحساب لكان لقريش تسعةُ أعشاره، وللنّاس كلّهم عشرٌ، فقلت : مه يا مغيرة، فإنّ قريشاً بانت بفضلها على النّاس. فلمْ نزلْ في مثل ذلك حتّى انتهينا إلى رحْل عُمر فلم نجدْه، فسألنا عنه فقيل : قد خرج آنفاً، فمضينا نقفو أثره، حتى دخلنا المسجد، فإذا عُمَر يطوف بالبيت، فطُفْنا معه، فلمّا فرغ دخل بيني وبين المغيرة، فتوكّأ على المغيرة وقال: من أين جئتما ؟ فقلنا : خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين، فأتينا رحْلك فقيل لنا: خرج إلى المسجد، فاتبعناك. فقال: اتبعكما الخير، ثمّ نظر المغيرةُ إليَّ وتبسّم، فرمقه عمر، فقال: مم تبسمت أيّها العبْد[1]! فقال من حديث كنت أنا وأبو موسى فيه آنفاً في طريقنا إليك، قال :وما ذاك الحديث ؟ فقصصنا عليه الخبر حتّى بلغنا ذكر حسد قريش، وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عُمَر، فتنفّس الصّعداء ثمّ قال: ثكلتك أمّك يا مغيرة! وما تسعة أعشار الحسد ! بل وتسعة أعشار العشر، وفي النّاس كلّهم عشر العشر، بل وقريش شركاؤهم أيضاً فيه! وسكت مليّاً وهو يتهادى بيننا، ثمّ قال : ألا

(١) لاحظ أنّ عمر يقول للمغيرة أيّها العبد!

أخبركما بأحسد قريش كلّها ؟ قلنا : بلى يا أمير المؤمنين، قال: وعليكما ثيابكما؟ قلنا: نعم، قال : وكيف بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما ؟ قلنا يا أمير المؤمنين، وما بال الثياب؟ قال: خوف الإذاعة منها، قلنا له: أتخاف الإذاعة من الثّياب أنت، وأنت من ملبس الثّياب أخوف ! وما الثّياب أردت ! قال : هو ذاك، ثمّ انطلق وانطلقنا معه حتى انتهينا إلى رحله، فخلى أيدينا من يده، ثم قال : لا تريما، ودخل فقلت للمغيرة : لا أبا لك ! لقد أثرنا بكلامنا معه، وما كنا فيه وما نراه حبسنا إلاّ ليذاكرنا إيّاها، قال، فإنّا لكذلك إذ أخرج آذِنه إلينا، فقال : ادْخُلا، فدخلْنا فوجدْناه مستلْقياً على بَرْذَعة برحْل، فلما رآنا تمثّل بقول كعب بن زهير:

لا تفش سرّك إلاّ عند ذي ثقة أولى وأفضل ما استودعت أسرارا
صدراً رحيباً وقلباً واسعاً قَمِناً ألاّ تخاف متى أودعت إظهارا

فعلمنا أنّه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلتُ - أنا - له : يا أمير المؤمنين، ألزمنا وخصّنا وصلنا، قال : بما ذا يا أخا الأشعريّين ؟ فقلت: بإفشاء سرّك، وإن تشركنا في همّتك فنعم المستشاران نحن لك. قال : إنّكما كذلك، فاسألا عمّا بدا لكما، ثمّ قام إلى الباب ليغلقه، فإذا الآذنُ الذي أذِن لنا عليه في الحجرة فقال: امض عنّا لا أمّ لك : فخرج وأغلق الباب خلفه، ثمّ اقبل علينا، فجلس معنا، وقال : سلا تخبرا، قلنا نريد أن يخبرنا أمير المؤمنين بأحْسَد قريش : الذي لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا، فقال : سألتما عن معضلة، وسأخبركما فليكن عندكما في ذمّة منيعة وحرز ما بقيت، فإذا متّ فشأنكما وما شئتما من إظهار أو كتمان. قلنا : فإنّ لك عندنا ذلك، قال أبو موسى: وأنا أقول في نفسي ما يريد إلاّ الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فإنّهم قالوا لأبي بكر : أتستخلف علينا فظّاً غليظاً؛ وإذا هو يذهب إلى

غير ما في نفسي، فعاد إلى التّنفّس، ثمّ قال : من تريانه ؟ قلنا : والله ما ندري إلا ظنّاً ! قال : وما تظنّان ؟ قلنا : عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الأمر عنك، قال : كلاّ والله ! بل كان أبو بكر أعقّ، وهو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قريش كلّها؛ ثمّ أطرق طويلاً فنظر المغيرة إليّ ونظرت إليه، وأطرقنا مليّاً لإطراقه، وطال السّكوت منّا ومنه، حتى ظننّا أنّه قد ندم على ما بدا منه، ثمّ قال : وا لهفاه على ضئيل بنى تيم بن مرّة ! لقد تقدّمني ظالماً، وخرج إليّ منها آثماً، فقال المغيرة : أمّا تقدّمه عليك يا أمير المؤمنين ظالماً فقد عرفناه، كيف خرج إليك منها آثماً؟ قال: ذاك لأنّه لم يخرج إليّ منها إلاّ بعد يأس منها، أما والله لو كنت أطعت زيد بن الخطّاب وأصحابه لم يتلمّظ من حلاوتها بشيء أبداً، ولكنّي قدّمت وأخّرت، وصعّدت وصوّبت، ونقضت وأبرمت، فلم أجد إلاّ الإغضاء على ما نشب به منها، والتلهّف على نفسي، وأملت إنابته ورجوعه، فوالله ما فعل حتى نغر بها بشماً. قال المغيرةُ : فما منعك منها يا أمير المؤمنين، وقد عرضك لها يوم السّقيفة بدعائك إليها، ثم أنت الآن تنقم وتتأسّف؟ قال : ثكلتك أمّك يا مغيرة ! إني كنت لأعدّك من دهاة العرب، كأنك كنت غائباً عمّا هناك ! إنّ الرّجل ماكرني فماكرتُه، وألفاني أحذرَ من قطاة، إنّه لما رأى شغف النّاس به، وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أنّهم لا يريدون به بدلاً، فأحبّ لما رأى من حرص النّاس عليه، وميلهم إليه، أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها ! وأحب أن يبلوني بإطماعي فيها، والتّعريض لي بها، وقد علم وعلمت لو قبلت ما عرضه عليّ، لم يجب النّاس إلى ذلك، فألفاني قائماً على أخمصي مستوفزاً حذراً، ولو أجبته إلى قبولها لم يسلم النّاس إليّ ذلك، واختباها ضغناً عليّ في قلبه، ولم آمن غائلته ولو بعد حين، مع ما بدا لي من كراهة النّاس لي، أما سمعت نداءهم من كلّ ناحية عند عرضها عليّ : لا نريد سواك يا أبا

بكر، أنت لها ! فرددتُها إليه عند ذلك، فلقد رأيتُه الْتمَع وجهه لذلك سروراً. ولقد عاتبني مرّة على كلام بلغه عنّي، وذلك لما قدم عليه بالأشعث أسيراً، فمنّ عليه وأطلقه، وزوّجه أخته أمَّ فروة، فقلت للأشعث وهو قاعدٌ بين يديه : يا عدوّ الله أكفرْتَ بعد إسلامك، وارتددت ناكصاً على عقبيك ! فنظر إليّ نظراً علمت أنّه يريد أن يكلّمني بكلام في نفسه، ثمّ لقيني بعد ذلك في سكك المدينة، فقال لي : أنت صاحب الكلام يا ابن الخطّاب ؟ فقلت : نعم يا عدوّ الله، ولك عندي شرٌّ من ذلك، فقال : بئس الجزاء هذا لي منك ! قلت : وعلام تريد منّي حسْن الجزاء ؟ قال : لأَنَفَتي لك من اتّباع هذا الرّجل، والله ما جرّأني على الخلاف عليه إلا تقدُّمه عليك، وتخلُّفك عنها، ولو كنت صاحبها لما رأيت مني خلافاً عليك. قلت : لقد كان ذلك، فما تأمر الآن ؟ قال : إنّه ليس بوقت أمر بل وقت صبر، ومضى ومضيت. ولقي الأشعث الزّبرقان بن بدر فذكر له ما جرى بيني وبينه، فنقل ذلك إلى ابن لأبي بكر، فأرسل إليّ بعتاب مؤلم فأرسلت إليه : أمّا والله لتكفّنّ أو لأقولنّ كلمةً بالغةً بي وبك في النّاس، تحملها الركبان حيث ساروا، وإن شئت استدمنا ما نحن فيه عفواً، فقال : بل نستديمه، وإنّها لصائرةٌ إليك بعد أيّام، فظننت أنّه لا يأتي عليه جمعةٌ حتى يردّها عليّ، فتغافل والله ما ذكرني بعد ذلك حرفاً حتى هلك. ولقد مدّ في أمدها عاضّاً على نواجذه حتّى حضره الموت، وأيس منها فكان منه ما رأيتما، فاكتما ما قلت لكما عن النّاس كافّةً وعن بني هاشم خاصّة، وليكن منكما بحيث أمرتكما، قوما إذا شئتما على بركة الله. فقمنا ونحن نعجب من قوله، فوالله ما أفشينا سرّه حتى هلك[1].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٠.

الفصل العاشر

عقائد المغيرة

١ـ عقيدة المغيرة في النبي(ص)

٢ـ موقف المغيرة من السنة

٣ـ دور المغيرة في استلحاق زياد

٤ـ المغيرة الفقيه

٥ـ من أقوال المغيرة

في اعتبار المغيرة بن شعبة ومعاوية وعمرو بن العاص وأشباههم أصحاب عقائد تسامحٌ عريضٌ، لأنّ الإنسان إنّما يصبح مسلماً حين يتشهّد الشّهادتين، ولكلّ واحدة منهما لوازمُ إذا انتقضت انتقض الإيمان. ومن نواقض الشّهادة بالنّبوّة الاستخفاف بشخص النّبي الكريم(ص)، وقد ثبت ذلك من طرف معاوية والمغيرة بشكل لا يحتمل التّأويل؛ ولهما في ذلك شركاء، كلٌّ يعمل على شاكلته، وإنّما يهمّنا في هذا الكتاب ما يتعلّق بالمغيرة بن شعبة.

بعد أن قتل المغيرة بن شعبة رفقاءه في السّفر غيلةً، التحق بالمسلمين في المدينة المنوّرة وأعلن إسلامه، لكن لا ينبغي الغفلة عن الظّروف التي أسلم فيها؛ فهل كان له حلٌّ آخرُ غير الإسلام ومع ذلك اختار الإسلام وهو الذي كان يقول "فأراني لو رأيت قومنا أسلموا ما تبعتهم "؟ لم يكن هناك حلٌّ آخرُ حتّى يمكن أن يقال إنّ المغيرة بن شعبة اختار الإسلام طائعاً غير مكره، بل الحقّ أن يقال إنّ المغيرة اضطرّ إلى إظهار الإسلام كيما يفلت من انتقام المالكيّين الذين قتل أبناءهم، وقد تمّ له ذلك وأصبح في حماية الإسلام معدوداً من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وإنّما يختلف عنهم بأنّه صاحب اغتيال!

ثمّ كانت الحُديبية، وفتحُ خيبر، وفتحُ مكّة، وغزوة حُنين، وغزوة تَبوك، وفي كلّها[1] شاهد المغيرة معاملة رسول الله(ص) للإمام علي (ع) والتّنويه به كلّما سنحت الفرصة، وختم ذلك بيوم الغدير حيث قال(ص) صراحةً وبعبارة بسيطة: "مَن كنتُ موْلاهُ فعليّ مولاه ".

ما هو موقف المسلم حيال أقوال وأفعال و تقريرات النّبي (ص) التي توفّي وهو

---

(١) لم يكن الإمام علي(ع) في جيش تبوك لأنّ النبي(ص) استخلفه على المدينة وقال له: إنّه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي.ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟

مواظبٌ عليها؟

إمّا أن يكون الإنسان ملزماً بطاعة النّبي(ص) بعد وفاته، كما كان ملزماً بطاعته في حياته(ص)،وإمّا ن يكون الإنسان مخيّراً بين طاعة النّبي ومخالفته بعد وفاته(ص)؟

لا شكّ أنّ وفاة النّبي (ص) لا تغيّر شيئاً فيما يخصّ وجوبَ طاعته، لأنّ الأمر بذلك في القرآن الكريم ورد مطلقاً غير مقيَّد، إذْ لمْ يقُل القرآن الكريم ما يكون مضمونه "أطيعوا الرسول ما دام فيكم فإذا مات فأنتم أحرارٌ في أن تطيعوا أو لا تطيعوا "؛ لم يردْ شيءٌ من هذا القبيل، بل ورد عكسُه تماماً في قوله تعالى (وما مُحمّدٌ إلاّ رسُولٌ قدْ خلتْ مِن قبْلِهِ الرُّسُلُ أفإن مات أوْ قُتِل انقلبْتُمْ على أعْقابِكُمْ ومن ينقلِبْ على عقِبيْهِ فلن يضُرّ الله شيْئاً وسيجْزِي الله الشّاكِرِينَ)[1]. وعليه فقد كان على المغيرة أن يتصرّف بعد وفاة رسول الله(ص) تماماً كما ينبغي له أن يتصرّف في حياته، وقد جرى غير ذلك، جرى العكس تماماً، واختار المغيرة الدّنيا على الآخرة، وفضّل أعداء الله تعالى على أوليائه، وبقي مصرّاً على ذلك حتّى خرج من الدّنيا. أي خرج مصرّاً على مخالفة رسول الله(ص).

لم يكن معاصرو المغيرة يشكّون في كونه من أهل الدّنيا، بل كانوا يواجهونه بين الحين والحين بما لا يواجَه به صاحب مروءة، ويكفي لبيان ذلك ما واجهه به عمر بن الخطّاب حينما قال له: "أنت رجلٌ فاسقٌ"، وأقرّ لمغيرة بذلك وقال له: " وما عليك منّي، كفايتي ورُجولتي لك، وفسقي على نفسي"[2]!ولا يتوقّع من الفاسقِ المقرِّ على نفسه بالفسقِ أن يكون صاحبَ عقيدة صحيحة، لأنّ العقيدة الصحيحة

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص١٥٥

تحول دون الاستغراق في الفسق والفجور. ولو أنّ المغيرةَ كان صاحبَ عقيدة صحيحة لما بقي ساكتاً حين تلفّظ معاويةُ أمامه بذلك الكلام المشئوم " وإنّ ابن أبي كبشة ليُصاح به كلّ يوم خمس مرّات أشهد أنّ محمّدا رسول الله، فأيّ عمل يبقى وأيُّ ذكْر يدوم بعد هذا لا أبا لك، لا والله إلاّ دفناً دفناً "(١).

لكنّ المغيرة بن شعبة يعلم أنّ معاوية بن أبي سفيان لم يكن يعتبره مسلماً حقيقيّاً، وإنّما يعتبره شريكاً في الحكم غير الشّرعيّ الذي وصل إليه بطرق الحيل والخداع، وأكثر العرب في ذلك الزّمان متّفقون على أنّ معاوية والمغيرة وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه هم دهاة زمانهم؛ فالعلاقة بين المغيرة ومعاوية تدور مدار مصالح الدّهاة لا أكثر! وحينما يريد معاوية أن يستخفّ بالمغيرة ويستهزئ به يكتب إليه أن: " اكتب إليّ بما سمعت من رسول الله (ص) "ويجيب المغيرة : "إنّي سمعته ينهى عن كثرة السّؤال وإضاعة المال وعن قيل وقال"(٢). هذا مع أنّ معاوية يدّعي أنّه كان ملازماً لرسول الله(ص)! وقد كان في وسع المغيرة أن يجيب: إنّي سمعته يقول: "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة"، وسمعته يقول لعلي(ع) : "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى"، وسمعته يقول: " تركت فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"، وسمعته يقول: "فاطمة سيّدة نساء العالمين"، وسمعته، وسمعته..، لكن هل يستطيع المغيرة أن يقول شيئا من هذا وإن كان قد سمعه؟..

من بين استخفافات المغيرة بكلام النّبي (ص) وفعله وتقريره كلماتُه هو وأفعاله

(١) النصائح الكافية، محمّد بن عقيل الشّافعيّ، ص ١٢٣.
(٢) الأدب المفرد، البخاري، ص ١٥ رقم (١٦)

بشأن عليّ بن أبي طالب (ع)؛ فقد كان المغيرة حاقداً على الإمام علي(ع) بشكل لا ينبغي أن ينطويَ عليه صدرُ مسلم، لأنّ المسلم المتديّن مهْما حقد، فإنّ حقْده ينتهي أو على الأقل يخفّ بخروج المحقُود عليه من الدّنيا، إذ سبب تجدّد الحقْد واشتداده هو وجود المحقود عليه وتحرّكه وترقّيه إن كان من أهل المواهب؛ أمّا بعد الوفاة فإنّه لا داعي لاستمرار الحقد إلاّ عند النّفوس المريضة. والمفروض أنّ الحاقد ضعيفٌ في تديّنه، لأنّ الحقْد عبارة عن امتلاء القلب بالكراهيّة، وتجدّد هذه الكراهيّة على مرور الأيّام، ولو كان القلب المذكور مليئاً بالإيمان لما وجدت الكراهيّةُ لها فيه مكاناً. وإذا كان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب، فما ظنُّك بالحقْد؟! خصوصاً إذا كان المحقود عليه محبوباً عند الله تعالى، فإنّ الحاقد في هذه الحال يدخل في حرب مع الله جلّ وعلا، وهذا ما يشير إليه الحديث القدسيّ "**من عادى لي وليّاً آذنته بحرب**"، فالحاقد على وليّ من أولياء الله تعالى في حرب مع الله تعالى وإن كان لا يشعر. والمغيرة بن شعبة كان مؤذياً لوليّ من أولياء الله تعالى، وبما أنّ أذى عليّ يؤذي رسولَ الله(ص) فإنّ المغيرة بن شعبة كان يؤذي رسولَ الله(ص) ومات مصرّاً على ذلك لم يتب منه؛ عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس عن بريدة قال: غزوت مع عليّ إلى اليمن فرأيت منه جفوةً، فلمّا قدمت على رسول الله ذكرت عليّاً فتنقّصته، فرأيت وجهَ رسول الله يتغيّرُ، فقال: يا بُريدة، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله؛ فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه[1].وأيضاً عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه بُريدة قال: بعث رسول الله بعثين إلى اليمن، على أحدهما عليُّ بن أبي طالب، وعلى الآخر خالدُ بن الوليد؛

(١) فضائل الصّحابة، ج٢ ص٥٨٤.

فقال: " إذا التقيتُما فعليٌّ على النّاس، وإن افترقتُما فكلٌّ واحد منكما على جُنده".

قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فاقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذّرّية، فاصطفى عليٌّ امرأةً من السّبي لنفسه، قال بريدة: فكتب - يعني خالد بن الوليد - إلى رسول الله يخبره بذلك. فلمّا أتيت النّبي (ص) دفعت الكتاب فقُرئ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله، فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أُطيعَه، قد بلّغت ما أرسلت به. فقال رسول الله(ص): لا تقع في عليّ فإنّه منّي، وأنا منْه، وهو وليُّكم بعْدي[1].

هذا ما قاله النّبي (ص) للصحابيِّ بُريدة، "لا تقع في عليّ فإنّه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي"[2]. وسواء كانت البعديّة رتبيّة أم زمنيّة فإنّ عليّاً (ع) يأتي بعد رسول الله(ص) بلا فاصل، والوقوع فيه يؤذي رسولَ الله(ص)، فما هو موقف المغيرة من الوليّ؟

إذا كان النّبي (ص) يحبُّ الإمام علياً (ع) فإنّ المغيرة كان على خلاف ذلك تماماً يبغض الإمام عليا(ع) بلا أدنى شكّ[3].وإذا كان النّبي (ص) يُرَى الغضب في وجهه إذا ذُكر عليٌّ بسوء فإنّ المغيرة بن شعبة يوظّف الخطباءَ للنّيل من الإمام علي (ع).وإذا كان النّبي (ص) يقول "الولد للفراش وللعاهر الحجر" فإنّ المغيرة يقول: " زيادٌ للعاهر أبي سفيان وللفراش الحجر"، ويسعى لتحقيق ذلك بكلّ ما أوتي من جهد. وإذا كان أحبّ الخلق إلى رسول الله(ص) أصحابَ الكساء فإنّ أبغض

---

(١) فضائل الصّحابة، ج٢ ص٦٨٨.

(٢) فضائل الصّحابة، ج٢ ص٦٨٨.

(٣) حبّ رسول الله(ص) لعلي من المسلمات، وفي الصحيحين "يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله".

الخلق إلى المغيرة أصحابُ الكساء!

فمنهج رسول الله(ص) ومنهج المغيرة بن شعبة خطّان متوازيان لا يلتقيان أبداً! إضافةً إلى ذلك فإنّ المغيرة ينفرد بعقائدَ لا تصلح إلاّ له.

فعن مجالد قال أخبرنا عامر قال: قال رجل عند المغيرة بن شعبة: "صلى الله على محمّد خاتم الأنبياء لا نبيَّ بعده. قال المغيرة: حسبُك إذا قلت خاتم الأنبياء، فإنّا كنّا نحدّث أنّ عيسى خارجٌ، فإن هو خرج فقد كان قبله وبعده[1].

أقول: الآية المحكمة من سورة الأحزاب تقول: (ولكنْ رسُولَ الله وخَاتمَ النّبيّين)، فلم يبق كلامٌ، لكنّ المغيرة له رأيه الخاصّ المخالف للقرآن الكريم. نعم، لا نبيَّ بعد رسول الله(ص) أي لا نبوّةَ ولا رسالةَ، لأنّ نبوّة محمّد(ص) ختمت النبوّات وشريعتَه ختمت الشّرائع، ولا يخرج عيسى بن مريم(ع) بنبوّة جديدة، وإنّما يكون عوناً للمهديّ(ع) عند خروجه. وكيف يكون خاتم النّبيين إذا كان هناك نبيٌّ بعده؟

و عن سويد بن سرحان عن المغيرة بن شعبة أنّ رسول الله(ص) أكل طعاماً فأقيمت الصّلاة، فقام وقد كان توضّأ قبل ذلك، فأتيته بماء يتوضّأُ فانتهرني، فساءني ذلك والله؛ فشكوْتُ إلى عمر! فقال: يا رسول الله، إنّ المغيرة بن شعبة قد شقَّ عليه انتهارُك إيّاه وخشي أن يكون في نفسك عليه شيءٌ، فقال: رسول الله(ص)ليس في نفسي عليه شيءٌ إلاّ خيرٌ، ولكنّه أتاني بماء لأتوضّأ وإنّما أكلت طعاماً، ولو فعلتُ

(١)مصنف ابن أبي شيبة،ج٥ص٣٣٧ تحت رقم(٢٦٦٥٤)و،ج٦،ص٢٥٩و المعجم الكبير الطبراني، ج٢٠ ص٤١٤ تحت رقم (٩٩٤٩) .

فعَل النّاسُ بعدي[١].

أقول: إذا كان المغيرة قد قرأ قوله تعالى (لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكُم عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريصٌ عليكُم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ)، فلماذا لم يتّهم نفسه بدل أن يستاء من تعامل النّبي (ص)معه؟ولماذا شكا إلى عُمر؟ وماذا يتوقّع من وراء هذه الشّكوى؟! فالمغيرة ممّن يشكُون رسول الله(ص)!

قال الزّمخشريّ: وعن المغيرة بن شعبة قال: قال لي أبو جهل بن هشام: والله إنّي أعلم أنّ ما يقول محمّد حقٌّ، ولكن قالت بنو قصيّ: فينا الحجابة! فقلنا: نعم. ثمّ قالوا: فينا اللّواء! قلنا: نعم. ثمّ قالوا: فينا النّدوة! قلنا: نعم. ثم قالوا: فينا السّقاية! قلنا: نعم. ثمّ أطعموا وأطعمنا، حتّى إذا تحاكّت الرُّكَب قالوا: منّا نبيٌّ؛ والله لا أفعل[٢].

هذه القصّة التي يرويها المغيرة بن شعبة نفسه تفيد أنّه كان على علم بصدق رسالة النّبي (ص)من البداية، أيّام كان رسول الله(ص)يدعو أبا جهل إلى الإسلام، وقد أقسم أبو جهل للمغيرة أنّ ما يقوله النّبي (ص)حقٌّ، وإنّما يمنعه من اتّباعه ما كان بينهم وبين بني قصيّ من التّنافس، فلماذا لم يرتّب المغيرة على كلام أبي جهل أثراً؟! وهل كان بين المغيرة وبين بني قصيّ أيضاً تنافس يمنعه؟!

وفي تفسير الطّبريّ: حدثنا أبو كريب قال حدّثنا وكيع عن سفيان ومسعر عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون القيامة، القيامة! وإنّما قيامة أحدهم موته[٣].

نعم، هناك قيامةٌ خاصّةٌ على مستوى الأفراد، وهناك قيامةٌ عامّةٌ معها حشرٌ

---

(١)المعجم الكبير، ج٢٠ ص٤١٩ (تحت رقم ١٠٠٨) والآحاد والمثاني، ج٣ ص١٩٩ تحت رقم (١٥٤٥).

(٢) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ج١ص٣٠١.

(٣) تفسير الطّبريّ، ج٢٩ ص١٧٤وتفسير البغوي، ج٤ص٤٢١..

(وحشرناهُم فلمْ نغادرْ منْهم أحداً)، فإذا كان المغيرة يُنكر الثّانية كما هو ظاهر كلامِه فما أبعدَه عن الحقّ. وقول المغيرة "إنّما" يفيد الحصر، فكأنّه يريد أنّ القيامة هي موت الشّخص، وهذا غير صحيح، لأنّ الموت مقدّمة القيامة، فكثير من النّاس قد ماتوا، لكن لا أحد يقول أنّهم شهدوا القيامة الكبرى، وإنّما يقولون إنّهم في البرزخ، والنّاس حينما يذكرون القيامة إنّما يقصدون القيامة الكبرى.

وقد ورد ذكر القيامة في القرآن الكريم سبعين مرّة، لم يرد في واحدة منها المعنى الذي ذهب إليه المغيرة. نعم، يقولون عن الموت إنّه القيامة الصغرى لما يعاين فيه الميْت من أهوال البرزخ، ولأنّ الأسباب بينه وبين الحياة الدّنيا تنقطع فلا ينفعه إلاّ ما قدّم. وقد تكون أهوال البرزخ تمحيصاً لمن يريد الله لهم الحسنى عند الحساب. أمّا القيامة التي تحدّث عنها القرآن الكريم فإنّ فيها محاسبةً وخصومات وشهوداً وبراءات ونشر كتب وغير ذلك، ولا شيء من هذا يكون في القبر.

والمغيرة يروي أنّ أبا طالب (رض) مات على غير الإسلام، والشيءُ من مأتاه لا يُستغرَب، فالمغيرة يبغض الإمام علياً(ع)، ويبغض الحسن والحسين ابني علي (ع)، فكيف لا يبغض أبا طالب(رض)؟ وكيف لا يروي في كفره تقرّباً وتزلّفاً إلى بني أميّة عامةً، وتملّقاً لمعاوية خاصّةً.

والاعتقاد بكفر أبي طالب ـ والعياذ بالله ـ مردودٌ في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، وقد جاء بخصوصه تحذيرٌ ووعيدٌ. روى ابن بابويه أنّ عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ المدفون بالرَّيِّ كان مريضاً، فكتب إلى عليٍّ بن موسى الرِّضا (ع) : عرّفْني يا ابن رسول الله عن الخبر المرويّ " أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه

دماغه ". فكتب إليه الرّضا (ع) "بسم الله الرحمن الرحيم : أمّا بعد فإنّك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النّار والسّلام". وأهل البيت عليهم السّلام حجّة على كلّ مسلم، وعليه يكون مصير المغيرة بن شعبة إلى النّار، وهو لم يكتف بالاعتقاد بكفر أبي طالب ـ والعياذ بالله ـ بل كان يروّج لذلك بعد استشهاد الإمام علي (ع). وقد كانت بين الإمام علي (ع) ومعاوية مكاتباتٌ شهد فيها الإمام علي(ع) أنّ أبا طالب أفضل من أبي سفيان ؛ فلو كان أبو طالب مات على الكفر لما قال الإمام (ع) ذلك القول؛ وليس معاوية بالرّجل الذي تفوته مثل هذه! فلو أنّ أبا طالب كان قد مات على الكفر لأجابه معاوية وقال له: إنّ أبا طالب مات على الكفر فكيف تفضّله على من أسلم ولو بلسانه؟!

قال السيّد فخار بن معد ـ من علماء الشيعة ـ بخصوص روايات تكفير أبي طالب في كتابه(الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، ص٧٨):

والذي يلفت النظر أنّ رواة هذه الأحاديث جميعاً " بين كذّاب مشهود عليه وبين نكرة غير معروف، أو مدلّس مشهور، أو وضّاع أثيم أو مجهول لا يؤخذ بحديثه، وعلى سبيل المثال : نذكر روايةً واحدةً بأسنادها لنقف على جليّة أمرهم بعد عرضهم على محكّة الجرح والتّعديل، وسيكون بعد ذلك المقصود واضحاً من وضع هذه الأحاديث. هذه الرّواية نقلها مسلم عن ابن أبي عمير، حدثنا سفيان الثّوري، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن الحارث قال : سمعت العبّاس يقول: قلت يا رسول الله إنّ أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك ؟ قال : نعم وجدتُه في غمرات النّار، فأخرجته إلى ضحضاح. (صحيح مسلم،ج١ص٧٧. ط بولاق). وإذا انتقلنا إلى سلسلة رواة هذا الحديث فأوّل ما نصطدم بابن أبي عمير وهذا

مجهولٌ لا يُعرف له ظلٌّ، ثمّ ننتقل إلى سفيان الثّوري، فقد عرفه الذّهبي في (ميزان الاعتدال، ج ٢ ص ١٦٩) أنّه يدلّس، ويكتب عن الكذّابين. ثمّ نحن بإزاء عبد الملك بن عمير الذي طال عمره، وساء حفظه، قال أبو حاتم: "ليس بحافظ تغيّر حفظه"؛ وقال الإمام أحمد : "ضعيف يغلط"، وقال ابن معين : "مخلّط". وقال ابن خراش: "كان شعبة لا يرضاه"؛ وذكر الكوسج عن أحمد أنّه "ضعيفٌ جدّاً " وقال ابن حبّان : "كان مدلّساً ". راجع: (ميزان الاعتدال للذهبي، ج٢٢ص ٦٩٠)، و(دلائل الصدق، ج١ص٤٥). ولننظر إلى عبد الله بن الحارث: فهو لا يختلف عن سابقه كما صرّحت المصادر في ذلك. وعلى هذه الوتيرة لو فتّشنا عن سلسلة رواة هذه الأحاديث على اختلافها لرأينا أنّهم من نمط واحد لا يختلفون. ولقد بحث شيخنا الحجّة الأميني هذا الحديث وفنّده[1]. انتهى كلام السيد.

---

(١) قال الأميني[الغدير، ج٨ ص ٢٣ – ٢٧] : إلى هنا انتهى كل ما للقوم من نبل تقله كنانة الأحقاد، أو ذخيرة في علبة الضغائن رموا بها أبا طالب، وقد أتينا عليها فجعلناها هباء منثورا، ولم يبق لهم إلاّ رواية الضحضاح، وما لأعداء أبي طالب حولها من مكاء وتصدية، وهي على ما يلي : أخرج البخاري ومسلم من طريق سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الحارث قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب أنّه قال : قلت للنبي (ص): ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : " هو " في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل. وفي لفظ آخر : قلت : يا رسول الله ! إن أبا طالب كان يحفظك وينصرك فهل نفعه ذلك ؟ قال: نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح. ومن حديث الليث حدثني ابن الهادي عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد إنه سمع النبي (ص)ذُكر أبو طالب عنده فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه. وفي صحيح البخاري من طريق عبد العزيز بن محمد الدارا وردي عن يزيد بن الهاد نحوه غيران فيه تغلي منه أم دماغه. راجع صحيح البخاري في أبواب المناقب (باب قصة أبي طالب) ج ٦: ٣٣، ٣٤، وفي كتاب الأدب باب كنية المشرك ج ٩: ٩٢، صحيح مسلم كتاب الإيمان، طبقات ابن سعد ١: ١٠٦ ط مصر، مسند أحمد ١: ٢٠٦، ٢٠٧، عيون الأثر ١: ١٣٢، تاريخ ابن كثير ٣: ١٢٥. قال الأميني : نحن لا تروقنا المناقشة في الأسانيد لمكان سفيان الثوري وبما مر فيه ص ٤ من إنه كان يدلس عن

الضعفاء ويكتب عن الكذابين. ولا لمكان عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي الذي طال عمره وساء حفظه، قال أبو حاتم : ليس بحافظ تغير ‹، ص ٢٤ › حفظه، وقال أحمد : ضعيف يغلط، وقال ابن معين مخلط، وقال ابن خراش : كان شعبة لا يرضاه، وذكر الكوسج عن أحمد : إنه ضعفه جدا (١) . ولا لمكان عبد العزيز الدراوردي، قال أحمد بن حنبل : إذا حدث من حفظه يهم ليس هو بشيء، وإذا حدث من كتابه فنعم، وإذا حدث جاء ببواطيل، وقال أبو حاتم : لا يحتج به، وقال أبو زرعة : سيء الحفظ (٢) . كما أنا لا نناقش بتضارب متون الرواية بأن قوله : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة يعطي أن الضحضاح مأجل له إلى يوم القيامة بنحو من الرجاء المدلول عليه لقوله : لعله. وإن قوله : وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح. هو واضح في تعجيل الضحضاح له وثبوت الشفاعة قبل صدور الكلام. لكن لنا هنا كلمة واحدة وهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أناط شفاعته لأبي طالب عند وفاته بالشهادة بكلمة الإخلاص بقوله صلى الله عليه وآله : يا عم ! قل لا إله إلا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة (٣) كما إنه صلى الله عليه وآله أناطها بها في مطلق الشفاعة، وجاء ذلك في أخبار كثيرة جمع جملة منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٥٠ ، ١٥٨ منها في حديث عن عبد الله بن عمر مرفوعا : قيل لي : سل فإن كل نبي قد سأل فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم لمن شهد أن لا إله إلا الله. فقال : رواه أحمد بإسناد صحيح. ومنها : عن أبي ذر الغفاري مرفوعا في حديث : أعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمتي من لا يشرك بالله شيئا. فقال : رواه البزار وإسناده جيد إلا أن فيه انقطاعا. ومنها : عن عوف بن مالك الأشجعي في حديث : إن شفاعتي لكل مسلم. فقال : رواه الطبري بأسانيد أحدها جيد، وابن حبان في صحيحه وفي لفظه : الشفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيئا ومنها : عن أنس في حديث : أوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن اذهب إلى محمد فقل له : ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع " إلى قوله " : أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا إله إلا الله يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك. فقال المنذري : رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح. ومنها : عن أبي هريرة مرفوعا في حديث : شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا، وأن محمدا رسول الله، يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه. رواه أحمد وابن حبان في صحيحه. ومنها : ما مر في ص ١٣ من طريق أبي هريرة وابن عباس من أنه صلى الله عليه وآله دعا ربه واستأذنه أن يستغفر لأمه ويأذن له في شفاعتها يوم القيامة فأبى أن يأذن. وقال السهيلي في الروض الأنف ١ : ١١٣ : وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وآله قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي،

واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي. وفي مسند البزار من حديث بريدة إنه (ص)حين أراد أن يستغفر لأمه ضرب جبريل عليه السلام في صدره و قال له : لا تستغفر لمن كان مشركا فرجع وهو حزين (١) فالمنفي في صورة انتفاء الشهادة جنس الشفاعة بمعنى عدمها كلية لعدم أهلية الكافر لها حتى في بعض مراتب العذاب، فالشفاعة للتخفيف في العذاب من مراتبها المنفية كما إنها نفيت كذلك في كتاب الله العزيز بقوله تعالى : والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور. فاطر ٣٦. وبقوله تعالى: وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون. النحل ٨٥. وبقوله تعالى: خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون. البقرة ١٦٢، آل عمران ٨٨. وبقوله تعالى : وقال الذين في النار لخزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، قالوا : أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. قالوا : بلى. قالوا : فادعوا، و وما دعاء الكافرين إلا في ضلال. غافر ٤٩، ٥٠. وبقوله تعالى: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون. البقرة ٨٦ وبقوله تعالى : وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا و ذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون. الأنعام : ٧٠. وبقوله تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر " إلى قوله تعالى " فما تنفعهم شفاعة الشافعين. المدثر ٣٨ ، ٤٨ وبقوله تعالى : وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع. غافر ١٨. وبقوله تعالى : ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا. مريم ٨٧ الاستثناء في الآية الشريفة منقطع، والعهد: شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها. أي لا يشفع إلا للمؤمن. راجع تفسير القرطبي ١١ : ١٥٤، تفسير البيضاوي ٢ : ٤٨، تفسير ابن كثير ٣ : ١٣٨، تفسير الخازن ٣ : ٢٤٣. فرواية الضحضاح على تقدير أن أبا طالب عليه السلام مات مشركا ، العياذ بالله ، و ما فيها من الشفاعة لتخفيف العذاب عنه بجعله في الضحضاح منافية لكل ما ذكرناه من الآيات والأحاديث، فحديث يخالف الكتاب والسنة الثابتة يضرب به عرض الحائط وقد جاء في الصحيح مرفوعا : تكثر لكم الأحاديث من بعدي فإذا روي لكم حديث فأعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فردوه (١) ولا يغرنك إخراج البخاري لها فإن كتابه المعبر عنه بالصحيح هو علبة السفاسف وعيبة السقطات، وسنوقفك على جلية الحال في البحث عنه إنشاء الله تعالى.

المغيرة الفقيه

عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطّاب في

نختم البحث هاهنا عن إيمان سيدنا أبي طالب سلام الله عليه بقصيدة شيخ الفقه والفلسفة والأخلاق شيخنا الأكبر آية الله الشيخ محمد الحسين الأصبهاني النجفي (١) قال: نور الهدى في قلب عم المصطفى* في غاية الظهور في عين الخفا *في سره حقيقة الإيمان * سر تعالى شاءنه عن شان*إيمانه يمثل الواجب في * مقام غيب الذات والكنز الخفي* إيمانه المكنون سام اسمه * إلا المطهرون لا يمسه*إيمانه بالغيب غيب ذاته * له التجلي التام في آيته* آياته عند أولي الأبصار * أجلى من الشمس ضحى النهار *وهو كفيل خاتم النبوة * وعنه قد حامى بكل قوة*ناصره الوحيد في زمانه * وركنه الشديد في أوانه*

عميد أهله زعيم أسرته * وكهفه الحصين يوم عسرته*حجابه العزيز عن أعدائه * وحرزه الحريز في ضرائه*فما أجل شرفا وجاها * من حرز ياسين وكهف طاها* قام بنصرة النبي السامي * حتى استوت قواعد الاسلام*جاهد عنه أعظم الجهاد * حتى علا أمر النبي الهادي

حماه عن أذى قريش الكفرة * بصولة ذلت لها الجبابرة*صابر كل محنة وكربة * والشعب من تلك الكروب شعبه* أكرم به من ناصر وحامى * وكافل لسيد الأنام* كفاه فخرا شرف الكفالة * لصاحب الدعوة والرسالة* لسانه البليغ في ثنائه * أمضى من السيف على أعدائه* له من المنظوم والمنثور * ما جعل العالم ملاء النور * ينبئ عن إيمانه بقلبه * وإنه على هدى من ربه* وأشرقت أم القرى بنوره * وكل نور هو نور طوره*وكيف لا ؟ وهو أبو الأنوار * ومطلع الشموس والأقمار مبدأ كل نير وشارق * وكيف وهو مشرق المشارق ؟*

بل هو بيضاء سماء المجد * مليك عرشه أبا عن جد* له السمو كابرا عن كابر * فهو تراثه من الأكابر* أزكى فروع دوحة الخليل * فياله من شرف أصيل* بل شرف الأشراف من عدنان * ملاذها في نوب الزمان* له من السمو ما يسمو على * ذرى الصراح والسماوات العلى*وكيف لا ؟ وهو كفيل المصطفى * أبو الميامين الهداة الخلفا * ووالد الوصي والطيار * وهو لعمري منتهى الفخار* بضوئه أضاءت البطحاء * لا بل به أضاءت السماء *والنير الأعظم في سمائه * مثل السهى في النور من سيمائه* كيف ؟ ومن غرته تجلى * لأهله نور العليّ الأعلى* ساد الورى بمكة المكرمه * فحاز بالسؤدد كل مكرمه * بل هو فخر البلد الحرام * بل شرف المشاعر العظام* وقبلة الآمال والأماني * بل مستجار كعبة الإيمان*

وفي حمى سؤدده وهيبته * تم لداع الحق أمر دعوته * ما تمت الدعوة للمختار * لولاه فهو أصل دين الباري* كيف ؟ وظل الله في الأنام * في ظله دعى إلى الاسلام... *.

إملاص المرأة فقال المغيرة بن شعبة : شهدت النّبي(ص) قضى فيه بغرّة عبد أو أمة، قال : فقال عمر : ائتني بمن يشهد معك، فشهد له محمّد بن مسلمة[1].

أقول: هذا قول المغيرة بن شعبة: " شهدت رسول الله ".وقد شهد المغيرة رسول الله(ص) يوم خيبر يقول في حقّ عليّ عليه السلام " يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"، وشهده يوم غدير خمّ يقول " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله"، ومع ذلك لم يتورّع أن يسبّه ويلعنه على المنبر، ويوظّف لذلك الخطباء من الخوارج وأبناء الخوارج؛ فهو إذاً يستخفّ بشخص رسول الله(ص) فيأخذ من حديثه ما لا يعارض موقفه من الصّالحين، ويترك منه ما يوجب عليه الالتزام بالشّريعة واحترام مَن أمر الله تعالى بولايته ومودّته ومحبّته، كلّ ذلك محاولةً منه للانتقام والتشفّي من علي (ع) الذي فضحه في أكثر من موطن، والذي كان يصرّح " لئن أمكنني الله من المغيرة لأتبعنّه أحجاره"[2]، وهذه شهادةٌ صريحة من عليّ بن أبي طالب (ع) أنّ المغيرة زان وإن درأ عنه عمر بن الخطّاب الحدّ، ولو كان لسلوك عمر مع المغيرة في قصّة الزّنا وجهٌ شرعيٌّ يحتمل التّأويل لما صرّح علي(ع) بهذه العبارة، وهو أعلم النّاس بحرمة أعراض المسلمين. ثمّ إنّه من المؤسف أن تصبح الأحكام الشّرعية قضيّة استشارة والقرآن الكريم يهتف: (فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ).

وعن عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزّهري قال: قال المغيرة بن شعبة: قال رسول

(١) المصنف ، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٦، ص ٣٣٨.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٢٥٦ تحت رقم٤٩ : حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن أبي جعفر أن عليا بلغه عن المغيرة بن شعبة شيء فقال : لئن أخذته لا تبعته أحجاره.

الله (ص): المرأة تعقل عنها عصبتها ويرثها بنوها[1].

وعن الهزيل بن شرحبيل الأودي عن المغيرة بن شعبة أنّ النّبي(ص) بال قائما ثمّ توضّأ ومسح على نعليه[2]

أقول: هذا مبلغ علم المغيرة، أن يردّد في المحافل أنّ رسول الله(ص) بال قائماً والنّاس يتفرّجون، ويروي الرواة ذلك ببرود، ويشرحه الشّراح ببرود، مسلّمين بذلك كأنّما نزل به جبريل؛ وهم مع ذلك يتلون قول الله تعالى (وإنّكَ لَعَلَي خُلُق عَظِيم). بل أكثر من هذا، تراهم يشنّعون على كلّ من أنكر هذه الرواية واستبشع المشهد الذي تضمّنته، ولو سألتَ أحد شيوخ النفط وعّاظ السّلاطين " كم مرّةً في حياتك بلت قائما أمام النّاس "؟ لأنِفَ من ذلك، واعتبره إساءةً لشخصه، ولانبرى تلاميذه يرمونك بكلّ ما أوتوا ! أمّا أن يتعلّق الأمر برسول الله(ص) فلا بأس! هذا ظنّ القوم بنبيّهم.

من أقوال المغيرة

كلام المرء كاشفٌ عن معتقده مهما حاول إخفاءه؛ قال الله تعالى : (يا أيُّها الّذِين آمَنُوا لا تتَّخِذُوا بِطَانَةً مّنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُم الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)[3].و قال الإمام علي (ع) : ما أضمر أحدٌ شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه[4].

---

(1) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٦، ص ٣٥٦.
(2) المصنف ابن أبي شيبة الكوفي،ج ٨، ص ٤٠٩.
(3) [آل عمران: ١١٨].
(4) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ١٣٧.

في المستطرف [١]: قال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وأنعِم على من شكرك، فإنّه لا بقاء للنّعم إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شكرت !

و قد كان المغيرة من خِيرة الشاكرين، وهو الأعرابيّ الذي قتل رفقاءه في السّفر غدراً، ثمّ انضمّ إلى جيش رسول الله حقناً لدمه، ثمّ أصبح فيما بعد أميراً على الكوفة وفيها من فيها من الصّحابة والقرّاء...فكان من شكرِه لله على ذلك أن وظّف خطباء يلعنون عليّ بن أبي طالب(ع)!

كان [المغيرة] يقول: تارك الإخوان متروكٌ. وكان يقول: العيش في إلقاء الحشمة: وكان يقول الزّيادة في كل شيء سرفٌ إلاّ في المعروف[٢].

ما معنى إلقاء الحشمة الذي يراه المغيرةُ أفضل العيش؟!

عن حماد بن إسحاق الموصليّ عن أبيه قال: قيل للمغيرة بن شعبة ما بقي من لذّتك ؟ قال: الإفضال على الإخوان. قيل: فمن أحسن النّاس عيشاً؟ قال من عاش بعيشة غيره. قيل فمن أسوأ النّاس عيشا؟ قال من لا يعيش بعيشة أحد[٣].

أقول : أين هذا من قوله تعالى لنحيينّه حياة طيّبة، والمغيرة كان يلعن أولياء الله تعالى تقرّباً وتزلّفاً إلى بني أميّة الملعونين على لسان النّبي الكريم.وفي قول المغيرة "من عاش بعيشة غيره" إشارةٌ خفيّةٌ إلى نفسه ومن هو على شاكلته، فإنّه عاش بعيشة بني أميّة، ومات على ملّة بني أميّة.

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، ج١ ص٥٠٤

(٢) أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص٦٢.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٦٠ ص ٥٢.

كان المغيرة بن شعبة يقول : إنّ أنكأ لعدوّك ألاّ تعلمه أنّك اتّخذته عدوّا[١].

أقول: وبهذا المنطق كان المغيرة يتعامل مع الصّادقين من أصحاب رسول الله(ص).

وقد سبق في فصل "المغيرة والنساء " كلام كثير للمغيرة بن شعبة بخصوص النساء، وله أيضا كلام موزّعٌ في كتب الأدب والتّاريخ، وإنّما اقتصرتُ على القدر الذي يفي باستعراض ما يكشف عن بعض جوانب شخصيّته التي تجاهلها المحدّثون وكتّاب التّراجم.

دور المغيرة في استلحاق زياد

قضيّة استلحاق زياد فيها مخالفةٌ صريحةٌ للقرآن والسنّة، واستخفافٌ بالشّريعة الإسلاميّة، والذين قاموا بذلك الفعل لم يكونوا يجهلون موقف الشّرع منه ولا عواقبه، وهذا معناه أنّهم لم يكونوا يقيمون للشّريعة وزناً. والذي تولّى تهوين المسألة والتّقليل من شأنها عند زياد ومعاويةَ على حدّ سواء هو المغيرة بن شعبة. وقد مات الثّلاثة[المغيرة ومعاوية وزياد] جميعاً مصرّين على ما أقدموا عليه، متنكّرين للشّريعة الإسلاميّة، مستخفّين بأوامر النّبي (ص) ونواهيه.ولم يكن زياد في البداية موافقاً على الاستلحاق، لكنّ المغيرة ما فتئ يزيّن له ويُغريه حتى انصاع وقبِل، ووافق على ما لا يوافق عليه من لديه ذرّةٌ من كرامة النّفس وأدنى احترام لأبويه، فإنّ الكريم لا يقبل أن يُنسب هو إلى الزّنا، ويُنسب أبوه إلى الدّياثة. قال ابن خلدون: ثمّ استعمل عليّ زياداً على فارس فضبطها، وكتب إليه معاوية يتهدّده ويعرّض له بولادة أبي سفيان إيّاه، فقام في النّاس فقال: عجباً لمعاوية يخوّفني دين ابن عمّ الرّسول في المهاجرين

(١) بهجة المجالس وأنس المُجالس، ج ١ص ١٤٨.

والأنصار! وكتب إليه عليّ إنّي ولّيتك وأنا أراك أهلاً، وقد كان من أبي سفيان فلتةٌ من آمال الباطل وكذب النّفس لا توجب ميراثاً ولا نسباً، ومعاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذرْ ثمّ احذرْ والسّلام[1].

وموقف الإسلام من الدّعْوة[2] واضحٌ. فقد قال النّبي (ص) بعبارة صريحة: "الولد للفراش و للعاهر الحجر". وما من شكّ في أنّ سورة الأحزاب أبطلت التبنّيَ إلى غير رجعة، فكيف بفعلة معاوية وزياد! ووردت بخصوص ذلك أحاديث كثيرةٌ لا تحتمل التّأويل. فمن ذلك ما في سنن ابن ماجه: عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله (ص) " من انتسب إلى غير أبيه، أو تولىّ غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين "[3]. وفيه أيضاً عن عمرو بن خارجة : خطبهم النّبي(ص) وهو على راحلته، وإنّ راحلته لتقصع بجرّتها وإنّ لغامها ليسيل بين كتفيّ، قال " إنّ الله قسم لكلّ وارث نصيبه من الميراث، فلا يجوز لوارث وصيّةٌ. الولد للفراش وللعاهر الحجر. ومن ادّعى إلى غير أبيه، أو تولّى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين. لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ " (أو قال: عدلٌ ولا صرفٌ)"[4].

ولا يخفى أنّ ذيل هذا الحديث ينطبق على زياد بن أبيه، وإنّما حمله على ذلك معاوية والمغيرة، أحدهما بالتّزيين والثّاني بالتّهديد، فهما شريكاه في اللّعن. ولو كان المحدّثون وكتّاب التّراجم والسّير يحترمون رسولَ الله(ص) احترامَهم معاوية والمغيرة لرتّبوا على هذه القضيّة الأثرَ اللاّزم، ولكنّهم أطاعوا سادتهم وكبراءهم

(١) تاريخ ابن خلدون، ج٣ ص٧.
(٢)الدّعوة: أن يدعى الرجل إلى غير أبيه.
(٣) سنن ابن ماجة، ج ٢ ص ٨٧٠ الحديث رقم٢٦٠٩.
(٤) سنن ابن ماجة، ج ٢ ص٩٠٥ الحديث رقم ٢٧١٢.

فأضلّوهم السّبيل.وفي سنن أبي داود عن إبراهيم التّيمـيّ، عـن أبيـه عـن علـيّ (رض) قال: ما كتبنا عن النّبي(ص) إلاّ القرآن، وما في هـذه الصّـحيفة، قـال: قـال رسـول الله (ص) :" المدينة حرمٌ ما بين عائر إلى ثور، فمن أحـدث حـدثاً أو آوى محـدثاً فعليـه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يقبل منـه عـدلٌ ولا صـرفٌ، وذمّـة المسـلمين واحدةٌ يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يُقبل منه عدلٌ ولا صرفٌ، ومن والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنـة الله والملائكـة والنّاس أجمعين لا يُقبل منه عدلٌ ولا صرفٌ "[١].

وفي سنن أبي داوود عن أنس بـن مالـك، قـال: سـمعت رسـول الله (ص) يقـول: مـن ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة [٢].

وفي سنن التّرمذيّ: خطبنا عليّ فقال : من زعـم أنّ عندنا شيئاً نقـرؤه إلاّ كتـاب الله وهذه الصّحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحـات فقـد كـذب، وقـال: فيهـا قـال رسول الله (ص) : المدينة حرمٌ ما بين عير إلى ثور، فمن أحـدث فيهـا حـدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صـرفاً ولا عدلاً، ومن ادّعى إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليـه فعليـه لعنـة الله والملائكـة والنّـاس أجمعين، لا يُقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ، وذِمّة المسلمين واحدةٌ يسعى بها أدْناهُم) [٣].

فالأحاديث السّابقة كلها تقول: "فعليه لعنـة الله المتتابعـة إلـى يـوم القيامـة" وعليـه، فاستحقاق اللّعن لمن ادّعى لغير أبيه ـ والعمل بموجب الحديث واجبٌ ـ لا مفـرّ منـه،

---

(١) سنن أبي داود السجستاني، ج ١ص٤٥١و٤٥٢.
(٢) سنن أبي داوود ، ج ٢ ص٥٠٢.
(٣) سنن الترمذي، ج ٣ص٢٩٧.

لكنّ ثقافة الكرسيّ وضعت قيوداً للعمل بالحديث تتحدّى صاحب الشّريعة نفسه، وتنكّل بكلّ من تسوّل له نفسه التمسّك بالحقّ ورفض الباطل، وهكذا غدا مستحقّو اللّعن مرضيّاً عنهم، وصار من حقّهم أن يلعنُوا أحبّاء الله تعالى على المنابر!

على أنّ هذه القضيّة وجدت لها معارضين حتى داخل التّكتّل الأمويّ نفسه، وجلبت للحاكمين مشاكل لم يخرجوا منها ومن تبعاتها إلى اليوم. وكان من المعارضين عبد الله بن عامر بن كريز.قال ابن خلدون: وكان عبد الله بن عامر يبغض زياداً وقال يوماً لبعض أصحابه من عبد القيس: ابن سميّة يقبّح آثاري ويعترض عُمّالي، لقد هممت بقسامة من قريش أنّ أبا سفيان لمْ يَرَ سميّة؛ فأخبر زياد بذلك فأخبر به معاوية، فأمر حاجبه أن يردّه من أقصى الأبواب. وشكا ذلك إلى يزيد فركب معه فأدخله على معاوية، فلما رآه قام من مجلسه ودخل إلى بيته. فقال يزيد: نقعد في انتظاره. فلم يزالا حتى عذر ابن عامر فيما كان منه من القول وقال: إنّي لا أتكثّر بزياد من قلّة، ولا أتعزّز به من ذلّة، ولكن عرفت حقّ الله فوضعته موضعه! فخرج ابن عامر وترضّى زياداً ورضي له معاوية(١)!!

يقول معاوية: "عرفت حقّ الله فوضعته موضعه"! سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ؛ ولم يعلّق ابن خلدون بشيء على هذا الافتراء على الله ورسوله، غير عابئ بما وراء ذلك من انتهاك لحرمة الشّريعة واستخفاف بمبلّغها الذي لعن من ادّعى لغير أبيه. على أنّ عبد الله بن عامر ليس أوّل من ساء زياداً في نسبه المفترى، فإنّ يزيد بن معاوية نفسَه كان يحطّ من شأنه ويذكّره شؤمه بمحضر أبيه؛ ذكر الزّمخشريّ في ربيع الأبرار أنّ زياداً قدم على معاوية بهدايا فيها سقط جوهر، فأعجب به معاوية، فقال زياد: دوّخت

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص٨

لـك العـراق، جبيـت لـك برّهـا، ووجّهـت إليـك بحرهـا؛ فقـال يزيـد: " إن تفعل ذلك يا زياد فإنّا نقلناك من ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن عُبيد إلى حرب بن أميّة. فقال معاوية: حسبك فداك أبوك".

أقول : وهذا جزاء من ادّعى إلى غير أبيه، بل هذا أوّل آثار اللّعن، وإنّ الحرّ الأبيّ شريف النّفس ليفضّل الموت على أن يسمع مثل ما سمع زياد من يزيد بمحضر معاوية. وما قيمة حرب بن أميّة حتى يفخر به يزيد وأبوه؟ إن هو إلاّ أحد فروع الشّجرة الملعونة في القرآن، لو كان زياد ممّن يفقه في الدّين أو ألقى السّمع وهو شهيد.

والذي تولّى الإشراف على قضيّة استلحاق زياد هو المغيرة بن شعبة. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فيما سبق.طالع تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ١٩ ص ١٣٠ .

عودة إلى أقوال المغيرة

وعن أبي إسحاق عن المغيرة بن شعبة، قال رجل: أصلح الله الأمير إنّ آذِنك يعرف رجالا فيؤثِرهم بإذن؛ قال: عَذَرَهُ الله، إنّ المعرفة لتنفع عند الكلبِ العقور وعند الجمل الصَّئول(١).

هذا موقف المغيرة من سنّة النّبي (ص)، فقد قضى(ص) عمره الشّريف في تعليم النّاس كيف يعدلون في القسمة والسّلوك، بين أولادهم ونسائهم وأبناء مجتمعهم، واجتهد في إفهام النّاس معنى قوله تعالى (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)، وقوله تعالى (وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ).

---

(١) الأدب المفرد، البخاريّ، ص٢٧٦.

إنّ المغيرة لا يكتفي بتصويب فعل آذِنه، بل يضرب لذلك الأمثال، مع ما في ذلك من التّشويش على أفكار النّاس، باعتِباره رجلاً رأى رسول الله(ص)وسمع منه. فالذين شكوا إليه سلوك الآذن لو كانوا يعلمون أنّ جوابه لن يعدو موافقته لما فعلوا، والمفروض من باب الأدبِ أن يظهر اشمِئزازه من ذلك، ولكن للمغيرةِ سوابق مشابهةٌ مع آذِنِ عمر (يرفأ) الذي قِبل رشوته وجعل يقدّمه على النّاس كلّما حضر، ولا يبعد أن يكون يُطلعه على أمور من أمور عمر مع المسلمين. والوجدان يشهد بعكس ما ذهب إليه المغيرة حتّى في البلدان التي لا يدين أهلها بدين سماويّ. فقضيّة الصّف (النّوبة والدّور) في الصيدليّات والعيادات الطبيّة والمكاتب الإداريّة في عصرنا متّفقٌ عليها على الرّغم من تباين الثّقافات واللّغات، وهو ما يفسّر أنّ مسألة السّبق مرتكزةٌ في العقول السّليمة.

عن حبيب بن أبي ثابت أنّ عمر بن الخطّاب قال: ما تقولون في تولية ضعيف مسلم أو قويّ فاجر؟ فقال له المغيرة: المسلم الضّعيف إسلامه له وضعفه عليك وعلى رعيّتك، وأمّا القويّ الفاجر ففجوره عليه وقوّته لك ولرعيّتك! فقال له عمر: فأنت، وأنا باعثك يا مغيرة[1]..

وهذا معناه أنّ عمر يعتبر المغيرة فاجراً. مرّةً يقول له إنما أنت امرؤٌ فاسقٌ، ومرّة يقول له أنت القويُّ الفاجرُ!

والمغيرة يفرح بفتح فتنة طويلة الأمد على المسلمين كما هو الشأن في التمهيد لخلافة يزيد بن معاوية،مقابل أن يبقى في منصبه؛ وقد قال رسول الله (ص): "من لم

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٦٠، ص ٣٩.

يهتمّ بشؤون المسلمين فليس منهم "، والمغيرة لم يكتف بألاّ يهتمّ بشؤون المسلمين، بل أعان على تخريب شؤونهم.

وعن الشّعبيّ عن المغيرة بن شعبة قال: قلت لعليّ: إنّ هذا الرّجل مقتول، وإنّه إن قتل وأنت بالمدينة اتّخذوا فيك، فاخرج فكن بمكان كذا وكذا فإنّك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك النّاس، فأبى. وحُصر عثمان اثنين وعشرين يوماً(١).

هذا كلام المغيرة، ومع ذلك يدّعي أنّ الإمام علياً(ع) شَرَكَ في دم عثمان.

قالوا: ثمّ تكلم المغيرة بن شعبة فشتم عليّاً وقال: والله ما أعيبه في قضيّة يخون ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان(٢).

وقال المغيرة بن شعبة: من دخل في حاجة رجُل فقد ضمنها(٣).

أقول: هذا إذا كانت الحاجة المذكورة من الحلال المباح، أمّا إذا كانت من المحرّمات فإنّه لا ضمان ولا وفاء؛ وقد دخل المغيرة في كبرى الكبائر حين دخل في قضيّة استلحاق زياد، وأصرّ على ذلك عناداً لله ورسوله.

قال المغيرة : وأمّا جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجُعلان والعقارب والحيّات ونرى ذلك طعامنا(٤).

أقول: لعلّ تلك الأطباق الشّهيّة كانت في ثقيف،أمّا بنو هاشم فهم أكرم على الله تعالى من أن يبتليهم بها، وقد أغناهم برحلة الشّتاء والصّيف، وحباهم بالطّيّب

(١) تاريخ الطّبريّ، ج٢ ص٦٧٦.
(٢) جمهرة خطب العرب، ج٢ ص٢٢.
(٣) البيان والتبيين، ج١ ص٤٩٢.
(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧ص٤٢.

وصانهم عن الخبيث، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم، ورزقهم من الثمرات. ولعلّ ذلك الغذاء الذي ذكره المغيرة هو الذي أثّر في أخلاقه وسلوكه.

عن سفيان بن عيينة قال: عرض المغيرة بن شعبة الجند بالكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فمرّ به شابٌّ من الجند فقال: يا غلام، زد هذا في عطائه كذا وكذا. قال فقام شابٌّ كان إلى جانبه فقال: أصلحك الله، هذا ابنُ عمّي ليس له عليَّ فضيلةٌ في نسب ولا نجدة، فألحقني به. قال: لا! قال فمُرْ من يحطّ من عطائي ليظنّ من حضر أنّ بك مَوْجدة! قال: لا! إنّ أبا هذا كان بيني وبينه مودّةٌ وكان لي صديقاً، وإنّ المعرفة لتنفع عند الجمل الصؤول والكلب العقور، فكيف بالرّجل ذي المروءة والحسب[1].

أقول: هذا كلامٌ باطلٌ، لأنّ المقام لا يحتمل ما تضمّنه، فالمغيرة هنا مسئولٌ عن رعيّته، ورعيّته هنا الجند، والجند إنّما يتفاضلون بالأعمال واللّياقة والاستعداد، فإذا كان المغيرة يريد إكرام ابن أحد أصدقائه فليكرمه في قضاياه الخاصّة وما يملك، وهذا فيما بينه وبين الشابّ ولا يبخس النّاس أشياءهم، أمّا أن يفضّله على غيره لمجرّد أنّه ابن شخص كان بينه وبينه مودّة، فهذه هي المحسوبيّة التي نخرت جسم الأمّة الإسلاميّة من ذلك العهد إلى يومنا هذا!

وعن جرير عن مغيرة قال: قال المغيرة بن شعبة لعليّ: ابعث إلى معاوية عهده ثمّ بعد ذلك اخلعه؛ فلم يفعل، فاعتزله المغيرة بالطائف. فلمّا اشتغل عليّ ومعاوية فلم يبعثوا إلى الموسم أحداً جاء المغيرة فصلّى بالنّاس ودعا لمعاوية[2].

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٦٠ ص٥٣.
(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج٤ ص١٢٢.

أقول: لكنّ القول المحفوظ هو أنّه افسد على النّاس حجّهم وافتعل كتاباً؛ وهذا يعني أنه يستحلّ إفساد الحجّ على النّاس، ويمارس التّزوير مبتدئاً لا مُكْرَهاً ولا مضطرّاً؛ وإذا كان يفتعل الكتب في مسألة كقضيّة الحجّ فما الذي يمنعه من افتعال الأحاديث؟!

وروى بعضهم أنّ المغيرة بن شعبة قال له: يا أمير المؤمنين! انفذ طلحة إلى اليمن، والزّبير إلى البحرين، واكتب بعهد معاوية على الشّام، فإذا استقامت الأمور، فشأنك وما تريده فيهم! فأجابه في ذلك بجواب، فقال المغيرة: والله ما نصحت له قبلها، ولا أنصح له بعدها[1].

أقول: متى احتاج الإمام علي (ع) إلى نصائح المغيرة وأمثاله؟ ألم يقل فيه النّبي (ص) : "عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، يدور معه حيث دار"؟

تكلّم المغيرة بن شعبة فحمد لله وأثنى عليه ثم قال : إنّا معشر العرب كنّا أذلّةً يطئوننا ولا نطأهم، ونأكل الكلاب والجيفة وإن الله ابتعث منا نبيّاً في شرف منّا، أوسطنا حسباً وأصدقنا حديثاً[2]...

أقول: هذا اعترافٌ من المغيرة أنّه كان يأكل الكلاب. ولا يحقّ له أن يتكلّم باسم غيره من العرب، وقد قال شاعرهم:

إذا وقَع الذّبابُ على طعام رفعتُ يدي ونفْسي تشْتَهيه
وتجتنبُ الأُسودُ وُرودَ ماء إذا كان الكلابُ وَلَغْـنَ فيه

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٨٠.
(٢) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٨ ص ٢٣.

نعم، هناك أمزجةٌ شخصيّةٌ لا يَصحّ تعميمُها، فهناك من يقول: "ضبٌّ أحبُّ إليّ من دجاجة"، وهناك من يقول: "نأكل الكلاب والجيفة".

الفصل الحادي عشر

وفاة المغيرة

وأخيرا انقطعت لذّات المغيرة بن شعبة، وهلك عنه سلطانه،و تصرّمت أيامه، و جاءت سكرة الموت بالحقّ، فأقبل على الآخرة بصحيفة عنوانها لعن عليّ بن أبي طالب(ع)، و بغض أهل بيت النبوّة، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، والحال أن كلّ مسلم مسئول عن مودّة قربى النبي (ص) .

سبب وفاة المغيرة

قال الطبري: قيل في هذه السنة[٤٩ هـ] وقع الطّاعون بالكوفة فهرب المغيرة بن شعبة من الطّاعون، فلمّا ارتفع الطّاعون قيل له: لو رجعت إلى الكوفة! فقدمها فطُعن فمات. وقد قيل مات المغيرة سنة خمسين[١].وفي شرح النّوويّ: وكان بالكوفة طاعون، وهو الذي مات فيه المغيرة بن شعبة سنة خمسين، هذا ما ذكره المدائني [٢].وفي الأذكار: عن أبي الحسن المدائني: وكان بالكوفة طاعون سنة خمسين وفيه توفي المغيرة بن شعبة[٣].وفي البدء والتاريخ: وقع الطّاعون بالكوفة فهرب المغيرة بن شعبة، ثمّ لمّا سكن عاد، فطعن فمات، فقال أعرابي :

أرسْم ديار بالمغيرة تعْرف عليه زواني[٤] الجنّ والإنْس تعْزف

فإن كنْت قد لاقيْت هامان بعْدنا وفرعوْن فاعلمْ أنّ ذا العرْش ينْصف[٥]

وقال ابن خلدون: توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطّاعون،

(١) تاريخ الطّبريّ، ج٣ ص٢٠٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١ص١٠٦.

(٣) الأذكار، النّوويّ، ج١ص٣٥٤.

(٤) الزواني جمع زانية، وفيه تعريض بالمغيرة. والأبيات في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ،ج١٣ص٣٥٠. دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان .تحقيق الدكتور سهلي زكار والدكتور رياض زركلي.

(٥) البدء والتاريخ، المقدسي، ج ٦ ص٣ [مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة].

وقيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة إحدى وخمسين(١).

قال الحاكم النيسابوري: (فحدّثني) الزّبير بن عبد الله البغدادي [..](٢)عن عبد الرحمن بن سعيد الكندي قال شهدنا جنازة المغيرة بن شعبة، فلمّا دلى في حفرته وقف عليها رجلٌ فقال: مَن هذا المرموس(٣)؟ فقلنا: أمير الكوفة المغيرة بن شعبة؛ فو الله ما لبث أن قال:

أرسْم ديار بالمغيرة تعْرف عليه روابي الجنّ والإنْس تعْزف

فإن كنْت قد أبْقيت هامان بعْدنا وفرْعون فاعْلم أنّ ذا العرْش يُنْصف

قال فاقبلوا عليه يشْتمونه، فوالله ما أدرى أيّ طريق أخذ. وكانت ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة سبع سنين(٤).

فعلى رواية الحاكم يكون المقصود من فرْعون وهامان معاويةَ ورجلاً من حاشيته، وعلى رواية المقدسيّ (البدء والتاريخ) يكون المقصود من فرعون وهامان الطّاغيين الذين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، ويكون محلّ ملاقاة المغيرة إيّاهما أوضحَ من نار على علَم.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: توفّي سنة تسع وأربعين بالكوفة وهو أميرها. وقال الواقدي عن محمّد بن أبي موسى الثّقفي عن أبيه: مات بالكوفة في شعبان سنة خمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وهو ابن سبعين سنة. وقال علي بن عبد الله

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج٣ ص١٢.

(٢) [..] إشارة إلى حذف الإسناد لطوله.

(٣) المرموس اسم مفعول من الرمس، والرمس القبر.

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ٤٤٩، ٤٥٠.

التميمي والهيثم بن عديّ ومحمّد بن سعد وأبو حسان الزيادي في آخرين: مات سنة خمسين. وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: مات سنة خمسين، أجمع العلماء على ذلك. وقال أبو عمر بن عبد البرّ: مات سنة إحدى وخمسين، وقال بعضهم مات سنة ست وثلاثين، وقال بعضهم سنة ثمان وخمسين، وكلاهما خطأٌ، والله أعلم[١].

قال إبراهيم الحربي: وتوفي المغيرة بن شعبة في شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة[٢]. وعن زياد بن علاقة قال: سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة واستعمل، فرأيت جريراً يخطب فقال: " أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تسْمعوا وتطيعوا حتّى يأتيَكم أميرٌ، قال ثمّ ذكر المغيرةَ فقال: استغفِروا له عفا الله عنه، فإنه كان يحبّ العافية"[٣].

أقول: و من شدّة حبّه للعافية كان يحبّ سبّ الإمام علي(ع) والنّيل منه أيضاً، وهو يعلم أنّ رسول الله (ص) قال "من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى". و عن زياد بن علاقة قال: سمعت جريراً يحدّث حين مات المغيرة بن شعبة ، خطب النّاس فقال أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له والسّكينة والوقار، فإنّي بايعت رسول الله (ص) بيدي هذه على الإسلام، واشترط عليّ النّصح لكلِّ مسلم، فوربّ الكعبة إنّي لكم ناصحٌ أجمعين واستغفر ونزل[٤].وقال سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير رأيت زياداً واقفا على قبر المغيرة بن شعبة وهو يقول:

---

(١) تهذيب الكمال، المزي، ج ٢٨ ص ٣٧٤.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ج١ ص ١٩٣.

(٣) مسند أبي يعلى، ج١٣ ص٤٩٨.

(٤) مسند أحمد بن حنبل،ج٤ص٣٥٧تحت،رقم١٩١٧٥ومسند أبي عوانة، ج١، ص٤٥تحت رقم١٠٦، و مسند الطيالسي، ج١ص٩١تحت رقم ٦٦٠.

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألدَّ ذا معلاق

حيّةً في الوجار أربدَ لا ينفـــــــع منه السّليم نفثُ الراقي

وقال غيره عن عبد الملك بن عمير: شهدت جنازة المغيرة بن شعبة فإذا امرأةٌ أدماءُ حنواءُ مشرفةٌ على النّساء وهي تندبه وهي تقول :

الخـــلّ يحمـله النـــّفر   قرماً كريم المعتصر

أبكــي وأنشد صاحباً   لا عين منه ولا أثر

قد كنت أخشى بعده   أني أسـاء ولا أسرّ

أو أن أسـام بخُطّتي   خسف فآخذ أو أذر

لله درّك قــد عيــت   وأنــت باقــعة البشر

حلما إذا طاش الحلـيم   وتـــارة أفـــعى ذكر

قال: قلت من هذه؟ قالوا: امرأته أمّ كثير بنت قطن الحارثي(١).

---

(١) تهذيب الكمال، المزّيّ، ج٢٨ ص٣٧٥.

قبر المغيرة

وقال ابن حبّان: دفن المغيرة بن شعبة بالكوفة بموضع يقال له الثّويّة، وهناك دُفن أبو موسى الأشعريّ في سنة خمسين[١].والثُّوَيَّة موضع قريب من الكوفة؛ وفي الحديث ذكر الثُّوَيَّة هي بضمّ الثّاء وفتح الواو وتشديد الياء، ويقال بفتح الثّاء وكسر الواو ،موضع بالكوفة به قبر أبي موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة [٢].

لكن قال البكري : الثّويّة بفتح أوّله، وكسر ثانيه، وتشديد الياء أخت الواو موضع من وراء الحيرة، قريب من الكوفة، وفيه مات زياد بن أبي سفيان، وكان سجنا بناه تبّع، فكان إذا حبس فيه إنسانا ثوى فيه ؛ قال عديّ بن زيد:

وبتن لدى الثّويّة ملجمات وصبّحن العباد وهنّ شيب[٣].

هكذا يقول البكريّ: " وفيه مات زياد بن أبي سفيان "!

وعن أبي حسّان الزّيادي، قال: سنة خمسين فيها مات المغيرة بن شعبة في شعبان، ودفن بالكوفة بموضع قال له الثّوية[١].وقال ابن الأثير: الثُّوَيّة بضمّ الثّاء المثلّثة وفتح الواو والياء تحتها نقطتان موضع فيه مقبرة[٢].وقال ابن خلكان -وهو متخصّص في الوفيات -: والثَّوِيَّة بفتح الثاء المثلّثة وكسر الواو وتشديد الياء المثنّاة من تحتها وتُصغّر أيضاً فيقال لها الثُّوَيَّة اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصّحابة وغيرهم (رض)[٣].وفي النهاية: [الثُّوَيَّة] هي بضمّ الثّاء وفتح الواو وتشديد الياء ويقال بفتح الثّاء وكسر الواو : موضع بالكوفة به قبر أبي موسى الأشعريّ والمغيرة بن

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٢ ص٨٧

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ص١٤ ص ١٢٥.

(٣) معجم ما استعجم، البكري الأندلسي،ج ١، ص ٣٥٠.

شعبة (رض)[١].

ومع ذلك فإنّ بعض من لا يتحمّلون أن يروا أو يسمعوا للإمام علي (ع) فضيلةً ـ أنكروا ـ أن يكون قبر الإمام هو هذا الذي يُزار في النّجف الأشرف، وزعموا أنّه قبر المغيرة.

ففي تاريخ بغداد: حكى أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر الطلحيّ يذكر أنّ أبا جعفر الحضرميّ مطينا كان يُنكر أن يكون القبر المَزُور بظاهر الكوفة قبرَ عليّ بن أبي طالب، وكان يقول: لو علمت الرّافضة قبر مَن هذا لرجمته بالحجارة. هذا قبر المغيرة بن شعبة! وقال مطين: لو كان هذا قبرَ عليٍّ بن أبي طالب لجعلت منزلي ومقيلي عنده أبداً[٢].

أقول: مطين هذا توفي سنة ٢٩٧ فيما ذكره السمعاني في الأنساب، والصفدي في الوافي بالوفيات،وغيرهما[٣]، فبينه وبين شهادة الإمام علي أكثر من ٢٥٠ سنة، وهو لم يذكر إسنادا يستند إليه في زعمه، فكيف علم بما يدّعي؟

أيُعقل أن يكون مَطِينُ أعلمَ بِقبْر علي (ع) من ذرّيّته وشيعته؟! وقد كانت زيارته على مرأى من أئمّة أهل البيت(ع) أيّام الدّولة العبّاسيّة، ولم ينكروا ذلك على أحد من شيعتهم ومحبّيهم، ولو كان الأمر كما يدّعي مَطين لنهوهم عنه، لأنّ المغيرة مات مصرّاً على سبِّ ولعْن علي (ع). نعم، دُفن الإمام علي (ع) سرّاً حتى لا يعثر أعداؤه من بني أميّة والخوارج على الجسد الشّريف فيمثّلوا به حقداً على رسول الله(ع)

(١) النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير، ج١ ص٦٥٥.
(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١ ص١٣٨.
(٣)الأنساب، السمعاني، ج٤ص١٤١والوافي بالوفيات، الصفدي، ج٣ص٢٧٦.

وعلى أحبّ الخلق إليه.

ثمّ هو ـ مَطِين هذا ـ يزعم أنّه لو كان ذلك قبرَ علي بن أبي طالب لجعل منزله ومقيله عنده أبداً، ولا يستنكف أن يتكلّم بلسان ناصبيّ محض فيسمّي أتباع عليّ عليه السلام "الرّافضة". قد بدت البغضاء من فيه وما يخفي صدْرُه أكبر. وبخصوص هذه القضيّة قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: "سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه(1) أنّ قوماً يقولون: إنّ هذا القبر الذي تزوره الشّيعة إلى جانب الغريّ هو قبر المغيرة بن شعبة ؟! فقال: غلطوا في ذلك، قبر المغيرة وقبر زياد بالثّويّة من أرض الكوفة، ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا؛ وأنشدني قول الشاعر يرثي زياداً وقد ذكره أبو تمام في الحماسة:

صلّى الإله على قبر وطهّره   عند الثّويّة يسفي فوقه المور

زفّت إليه قريشٌ نعش سيّدها   فالحلم والجود فيه اليوم مقبور

أبا المغيرة والدنيا مفجّعةٌ   وإنّ من غرّت الدنيا لمغرور..

وسألت قطب الدّين نقيب الطّالبيين أبا عبد الله الحسين بن الأقساسيّ رحمه الله تعالى عن ذلك فقال: صدق من أخبرك، نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثّويّة، وهي إلى اليوم معروفة وقبر المغيرة فيها، إلاّ أنّها لا تُعرف، قد ابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانها فطمست، واختلط بعضها ببعض؛ ثم قال: إن شئت أن تتحقّق أنّ قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب" الأغاني " لأبي الفرج علي بن

(1) ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه [ج ١ ص ١٣٨].

الحسين، والْمَحْ ما قاله في ترجمة المغيرة وأنّه مدفونٌ في مقابر ثقيف، ويكفيك قول أبي الفرج فإنّه النّاقد البصير والطّبيب الخبير؛ فتصفّحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور فوجدت الأمر كما قاله النقيب" (١).

أقول: و مقابر ثقيف في الكوفة، والقصّة الآتية تؤكّد أنّ المغيرة دفن في مقابر ثقيف. عن زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجّاج بن يوسف، قال: كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشّيباني تنازعٌ، فضرع له المغيرة، وتواضع في كلامه، حتّى طمع فيه مصقلة. واستعلى عليه، فشتمه. فقدّمه المغيرة إلى شريح، وهو القاضي يومئذ، فأقام عليه البيّنة، فضربه الحدّ. فآلى مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيّاً، وخرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثمّ دخل الكوفة، فتلقّاه قومه، وسلّموا عليه. فما فرغ من التّسليم حتّى سألهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننّا أنّك تريد أن ترجُم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتى وقف على قبره، ثم قال: والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعاً لصديقك، ضائراً لعدوّك، ما مثلك إلاّ كما قال مهلهل في أخيه كليب:

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً　　وخصيماً ألدّ ذا معلاق

حيّةً في الوجار أربدَ لا ين　　فع منه السّليمَ نفثُ الرّاقي

وأخبرني بهذا الخبر محمّد بن خلف بن المرزبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمريّ، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشّعبيّ: أنّ مصقلة قال له: والله إني

(١) شرح " نهج البلاغة "، ج ٢ ص ٤٥.

لأعرف شبهي في عروة ابنك. فأشهد عليه بذلك، وجلده الحدّ. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله(١).

ورغم أن المغيرة لا يقبل أن يكون النّبي (ص) قد أوصى إلى علي(ع)إلاّ أنّه لم يتردّد في استنابة ابنه حين حضره الموت. قال ابن حجر: "واستناب عند موته ابنه عروة، وقيل استناب جريراً المذكور، ولهذا خطب الخطبة المذكورة؛ حكى ذلك العلائي في أخبار زياد "(٢).

قالوا: لمّا قُتل عليٌّ، وصالح معاويةُ الحسنَ ودخل الكوفة ولاّه٣ عليها، فلم يزل أميرها حتّى مات في هذه السنة على المشهور، قاله محمّد بن سعد وغيره. وقال الخطيب: أجمع الناس على ذلك وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة. وقال أبو عبيد: مات سنة تسع وأربعين. وقال ابن عبد البر سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين وقيل سنة ست وثلاثين وهو غلط(٤).

عن شعبة عن زياد بن علاقة قال: شهدت جرير بن عبد الله البجلي لمّا هلك المغيرة بن شعبة، فسمعت جريرا يخطب فقال: اشفعوا لأميركم فإنّه كان يحبّ العافية، واسمعوا وأطيعوا حتّى يأتيكم أميرٌ، أما بعد فإنّي بايعت رسول الله (ص) على الإسلام واشترط عليّ النّصح لكلّ مسلم، ورب هذا المسجد(٥)..

يقول جرير: اشترط عليّ رسول الله(ص) النّصح للمسلمين، فهل وفى جرير بما

(١) الأغاني،الأصفهاني، ج ٤ ص ٢٧٩.
(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١ص١٣٩ تحت رقم٥٨.
(٣) المقصود المغيرة بن شعبة فإنه هو الذي ولاه معاوية الكوفة.
(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٨ص ٤٨.
(٥) مسند أبي داود الطيالسي، ص ٩١.

اشترطه عليه رسول الله(ص)؟! هل هو من النّصح للمسلمين أن ينضمّ إلى الفئة الباغية ويفارق الفئة المهتدية؟ هل هو من النّصح للمسلمين أن يبقى جرير ساكتاً وعليّ بن أبي طالب(ع) يُلعن على منابر الكوفة وما حولها وسائر منابر الدولة الإسلامية يومها؟!

قبل الختام

مسألةٌ ينبغي التعرّض لها وبسط القول فيها، و ـ بالضبط ـ لأنّها قلّما نوقشت، وحين تُناقش إنّما تناقش باستحياء، والله لا يستحي من الحقّ. يتعلّق الأمر بموقف الرّجاليّين والمحدّثين من سلوك وقول رسول الله(ص)، والمفروض أنّ قوله وفعله وتقريره(ص) حجّة! والذي يتتبّع أقوالهم ومواقفهم بخصوص كثير من الصّحابة والتابعين يكتشف بما لا غموض فيه أنّ هؤلاء المحدّثين والرجاليّين لا يحترمون رسول الله(ص) ولا يقيمون لقوله وفعله وزناً! وأكبر من ذلك أنّهم ينسبون إلى الله تعالى أنّه سمح لهم بتكذيب رسول الله(ص) وتكذيبه هو أيضا جلّ وعلا!

هذا كلام يصدم من يسمعه لأوّل مرة، ولا يلام المرء في ذلك، ولا يلام أن يرى فيه جرأةً وتسوّراً على مقام الصّحابة والتّابعين، لأنّ المسلم الذي قضى عمراً وهو يسمع الثّناء والمديح للصّحابة والتّابعين، ولا يسمع لهم نقداً، تنطبع في ذهنه ـ لا شكّ ـ صورةٌ محوطةٌ بالإجلال والتّقديس لهؤلاء الذين لا يعرف عنهم إلاّ الخير؛ أمّا من اطّلع على حقيقة ما جرى في حياة النّبي (ص)وبعد وفاته، وكان نزيهاً مع نفسه صادقاً مع ربّه، فإنّه لا يسعه إلاّ أن يسمّي الأمور بأسمائها ولا يبخس النّاس أشياءهم، وأن يقول عن الظّالم إنّه ظالمٌ وعن المظلوم إنّه مظلومٌ، وهو أمر في غاية الصّعوبة إذا لم يتجرّد الإنسان من الهوى.

نعم، كذّب المتخصصون في علم الرّجال والمحدّثون والمفسّرون ـ كذّبوا ـ

اللهَ ورسولَه في مواطن كثيرة نقتصر على بعض منها، باعتبار أنّ الكتاب خاصٌّ بحياة المغيرة بن شعبة، ويبقى استشفاف التّفصيل لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً.

قال الله تعالى: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً)(1). ولم يستثن جلّ شأنه أحداً، لا من جيل الصّحابة ولا مَن بعدهم، وقال المحدّثون وعلماء الرّجال: إذا كان القاتل صحابيّاً فلا بأس، وهو من أهل الجنّة، لأنّ الصّحابي لا يَقتل إلاّ وهو مجتهدٌ، والمجتهد مأجورٌ أصاب أم أخطأ! ولذلك قال ابن حزم بخصوص عبد الرّحمن بن ملجم قاتل الإمام علي (ع): "ولا خلاف بين أحد من الأمّة(2) في أنّ عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليّاً رضي الله عنه إلاّ مُتأوِّلاً مجتهداً مقدّراً أنّه على صواب، وفى ذلك يقول عمران بن حطّان شاعر الصّفريّة :

يا ضربةً من تقيّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه أو في البرية عند الله ميزانا"(3).

لكنّ ابن حزم لا يثبت عل قوله حين يتعلّق الأمر بقتل عثمان بن عفّان، فقاتل عثمان ليس بمجتهد متأوّل مقدّر أنّه على صواب، وإنّما هو فاسقٌ مرق من الدّين ولاحظّ له في الإسلام؛ مع أنّه على فرض أن يكون قتل الإمام علي (ع) اجتهاداً -

(1) [النّساء: ٩٣].
(2) هكذا قال: " لا خلاف بين أحد من الأمّة "، فهو لا يحسب أئمّة أهل البيت عليهم السلام من الأمة، لأنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام يخالفون غيرهم في هذا، ويرون أنّ عبد الرحمن بن ملجم هو أشقى الآخرين لأنّ رسول الله(ص) سمّاه كذلك؛ فابن حزم وحزبه في واد ورسول الله(ص) وأتباعه في واد.
(3) المحلى، ابن حزم، ج ١٠ ص٤٨٤.

والعياذ بالله ـ ينبغي أن يكون قتل عثمان أيضاً كذلك، لأنّ حُكْم الأمثال لا يتخلّف، لكن هل يقبل ابن حزم وأبناء مدرسته ذلك؟!

وقال الله تعالى: (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَات مُّؤْمِنَات قَانِتَات تَائِبَات عَابِدَات سَائِحَات ثَيِّبَات وَأَبْكَاراً)[1].

لكنّ مضمون الآية لم يرق للمحدّثين وعلماء الرّجال، فقرّروا أن يعلنوا موقفاً مخالفا له وحملوا النّاس عليه، وزعموا أنّ من شكّك فيما ذهبوا إليه يكون مكابرا معاندا يُخشى عليه الضّلال والخسران. فالآية الشّريفة واضحة، وهي تشير إلى أنّ في المجتمع أيّام النّبي(ص) نساء مؤمنات مسلمات قانتات هنّ أفضل من نساء النّبي (ص) وتعبّر الآية بعبارة " خيرا منكنّ " التي تعني "أفضل منكنّ"، وهي العبارة نفسها التي اختارها إبليس في جوابه حين قال: "أنا خير منه"، وبرّر بذلك امتناعه من السّجود؛ فالنّار بالنّسبة إليه أفضل من الطّين، فلا ينبغي ـ في نظره ـ لمن هو من نار أن يسجد لمن هو من طين. معنى الآية واضح لا يحتاج إلى شرح طويل، لكنّه لم يرق للمحدّثين وعلماء الرّجال، فقرّروا مخالفته وقالوا: " فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الأطعمة"! وهذا يعني أنّهم لا يقبلون ما تضمّنته الآية الشّريفة من سورة التّحريم، خصوصا وأنّ السّورة بأسرها نزلت في شأن اثنتين من أزواج النّبي (ص) هما عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر. وقد أمر الله تعالى نساء النّبي (ص) جميعاً ـ دون استثناء ـ بالبقاء في بيوتهنّ، لكنّ عائشة بنت أبي بكر لم تلتفت إلى ذلك وخرجت من بيتها، وياليتها خرجت إلى سوق أو بادية؛ خرجت إلى الحرب! نعم، خرجت لتخوض حربا ضدّ المسلمين باسم الإسلام. واستعظم

(١) [التحريم: ٥].

المحدّثون وعلماء الرّجال أن ينتقدوا سلوكها ولم يستعظموا أن يخالفوا الله تعالى! فقالوا: إنّها خرجت للإصلاح! وكأنّ الله تعالى لم يكن يعلم حاجة المسلمين إلى امرأة تخرج للإصلاح حين أنزل آية القرار في البيوت! وكانت نتيجة الخروج للإصلاح قتل(١٧٠٠٠) سبعة عشر ألف مسلم! وأصرّوا على أنّها مجتهدة، وأنّها هي ومن معها من رؤوس الفتنة في الجنّة، وبقيّة الأتباع في النّار! ولا زالوا يصرّون على ذلك. هكذا يطبّق العدل الإلهي! مسبّب الفتنة في الجنّة والضحايا في النّار!

ولعلم الله سبحانه وتعالى أنّ هؤلاء المحدّثين وعلماء الرّجال سوف يتمسّكون بالزوجيّة ليدافعوا عن عائشة بنت أبي بكر فإنّه جلّ ذكره أنزل قرآنا يقطع به عليهم كلّ طريق: (ضرب اللهُ مثلاً لّلّذين كفرُوا امْرأة نُوح وامْرأة لُوط كانتا تحْت عبْديْن منْ عبادنا صالحيْن فخانتاهُما فلمْ يُغْنيا عنْهُما من الله شيْئاً وقيل ادْخُلا النّار مع الدّاخلين)[1]، ومع ذلك، ومع وضوح القضيّة، مَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْم لا يُؤْمِنُونَ[2].

وكذب الصحابيّ أنس بن مالك على رسول الله(ص) في بيت رسول الله(ص) في حياة رسول الله(ص)، ولم ير المحدّثون وعلماء الرّجال بذلك بأسا، بل زعموا أنّ النّبي (ص) عذره في كذبه، وعظّموا شأن أنس بن مالك، ورووا عنه روايات كثيرة.

عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله(ص) فقدموا له فرخا مشويّا فقال رسول الله (ص): اللّهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ، فجاء عليّ فدقّ الباب، فقال أنس: من هذا؟ قال: عليّ. فقلت: النّبي(ص) على حاجة! فانصرف. ثمّ تنحّى رسول الله (ص)وأكل ثمّ قال: اللّهم

(١) [التحريم: ١٠].

(٢) [يونس: ١٠١].

ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ؛ فجاء عليّ فدق الباب دقّا فسمع رسول الله (ص) فقال: يا أنس من هذا؟ قلت: عليّ، قال: أدخله، فدخل فقال رسول الله(ص): لقد سألت الله ثلاثا بأن يأتيني بأحبّ الخلق إليه وإليّ يأكل معي من هذا الفرخ! فقال علي: وأنا يا رسول الله لقد جئت ثلاثا كلّ ذلك يردّني أنس! فقال رسول الله (ص): يا أنس، ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن تدرك الدّعوة رجلا من قومي! فقال رسول الله (ص): لا يلام الرّجل على حبّ قومه[1]. والقصّة مشهورةٌ مرويّةٌ بطرق عديدة[2].

قال ابن الأثير: وقد روى من غير وجه عن أنس ورواه غير أنس من الصّحابة [3]. وقال الذّهبي : "وله طرقٌ كثيرةٌ عن أنس متكلَّمٌ فيها، وبعضها على شرط السّنن، ومن أجودها حديث قطن بن نسير شيخ مسلم، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا عبد الله بن

(١) المعجم الأوسط، الطّبرانيّ،ج ٦، ص ٣٣٦.

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢، ص ٢٠٧، السنن الكبرى، النسائي، ج ٥، ص ١٠٧و، خصائص أمير المؤمنين (ع) ، النسائي ، ص ٥١ و، مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، ج ٧ ، ص ١٠٥و، المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٦ ، ص ٩٠و، المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٧ ، ص ٢٦٧ و، المعجم الكبير، الطبراني، ج ١ ، ص ٢٥٣ و، المعجم الكبير، الطبراني، ج ٧ ص٨٢و، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٣ ص٢٦٤و نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي ، ص ١٠١ و، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٣ ، ص ٣٩٠ و، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٨ ، ص ٣٧٨ و تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٩ ، ص ٣٧٦ و، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣٧، ص ٤٠٦ و، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢ ، ص ٢٤٥ و ، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢ ، ص ٢٤٦و ج ٤٢ ، ص ٢٤٧ و تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢ ، ص ٢٤٨ و تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢ ، ص ٢٥٠و٢٥١أو ، ص ٢٥٢ ، ص ٢٥٣ وص ٢٥٤ ، ص ٢٥٦وص٢٥٧ وص٢٥٨ وص٤٣٢، أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤ ، ص ٣٠ و مناقب علي بن أبي طالب (ع) وما نزل من القرآن في علي (ع) ابن مردويه الأصفهاني، ص ٦٣ و ، ص ١٢٨ و ، ص ١٣١ و ، ص ١٣٩ و١٤٠و١٤١و، ص ١٤٢ و، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، البري، ، ص ٦٣ و تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ٣، ص ٦٣٣ و، إمتاع الأسماع، المقريزي، ج ٧، ص ٢٩٨

(٣) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٤، ص ٣٠.

المثنى، عن عبد الله بن أنس بن مالك، عن أنس قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه..."[1]، ومع ذلك فقد تصدّى له كثيرٌ من الحاقدين على الإمام علي (ع) من القدماء والمعاصرين وفتحوا النّار على الرّواة من كلّ جانب، ولو أنّ الحديث كان في فضل شيخ من شيوخ السّقيفة أو ملك من ملوك بني أمية لتقوّى الضّعيفُ وصحّ الباطلُ وبرئَ الأكمهُ والأبرصُ!

ومن الأمثلة أيضا ما جرى للصّحابي مالك بن نويرة الذي اتّهمه خالد بن الوليد بالرّدّة ليقتله ويأخذ زوجته[أرملته بعد قتله] وتبيت بين أحضانه في نفس اللّيلة التي قتله فيها. ومع أنّ عمر بن الخطّاب كان معارضا لخالد بن الوليد ويرجو أن يرجمه بأحجاره، ومع أنّ أبا بكر بن أبي قحافة اعترف بخطإ خالد ودفع دية مالك بن نويرة وردّ السبيَ، إلاّ أن المحدّثين وعلماء الرجال تمادوا في ضلالهم واستمرّوا يقولون: " ارتدّ مالك". وكان رسول الله(ص) عيّن مالك بن نويرة على صدقات قومه.

تلكم كانت بعض الأمثلة التي تثبت مخالفة المحدّثين وعلماء الرّجال لله والرّسول طائعِين غير مكرَهين، ومعاندين غير جاهلين؛ وقد أرادوا ـ بزعمهم ـ أن يدافعوا عن الصّحابة لأنّهم أصحاب رسول الله(ص)، لكنّهم مع بالغ الأسف ظلموا كثيراً من الصّحابة، ونسوا أو تناسوا أنّ الصّحبة وحدها لا تعني شيئاً إذا لم تكن مقرونةً بالإيمان الصّحيح والعمل الصّالح، والعملُ الصالحُ هنا مفقودٌ، لأنّ الكذب على رسول الله(ص) في بيته لم يكن يوماً من الأيّام عملاً صالحاً، ولأنّ قتل الأبرياء لم يكن يوماً من الأيّام عملاً صالحاً، وهذا أمرٌ واضحٌ لا

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج ٣، ص ٦٣٣.

يحتاج إلى مزيد بيان.

في أيّامنا أيّام التّكنولوجيا والتّقنيات العالية، تطلع علينا القنوات النّفطيّة ببرامج ومسلسلات تضليليّة تدّعي من ورائها التّعريف بتاريخ الإسلام والمسلمين، وما هو بتاريخ الإسلام ولا المسلمين! تعْرض القنوات المذكورة سيَر الظّلمة والجبابرة والطّواغيت على أساس أنّها سيَرُ عظماء هذه الأمّة، وتسخّر لذلك أقلاماً وأقواماً وسياسات، وتستغلّ شهر رمضان الكريم وغيرَه من المناسبات الدّينيّة للقيام بخيانة الأجيال. وأوضح مثال لخيانة الأجيال بخصوص تاريخنا ما قام به المخرج السينمائيّ مصطفى العقّاد ومن معه، حيث أخفوا ـ في فيلم الرسالة ـ اليهودَ دفعةً واحدةً، وغيّبوهم نهائيّاً عن أعين المشاهدين، فلا أثَر لبني قريظة، ولا أثَر لبني قيْنُقاع، ولا أثر لبني النّضير، ولا أثر لمرحب، ولا أثر لكعب بن الأشرف، ولا أثر لحييّ بن أخطب، مع أنّهم ـ أي اليهود ـ عاهدوا رسول الله(ص) ثمّ نقضوا العهد كعادة أسلافهم وغدروا بالمسلمين، فأذاقهم الله وبال أمرهم، ونزل في ذلك قُرآنٌ يُتلى. هل اعترض الأزهر على ما جرى؟! هل اعترض من يسمّون أنفسهم الدّعاة المعتدلين على ما جرى؟!

هذا التّحريف والتّزوير في أيّامنا فما ظنّك بما جرى في القُرون الخالية؟!

لماذا لا يتحلّى مثقّفونا "الإسلاميون " بشيء من الشّجاعة ليسمّوا الأمور بأسمائها، فيسمّوا القطّ قطّاً كما يقول المثل الفرنسيّ؟ لماذا لا يصغون إلى أصوات ضمائرهم ويحاولون أن ينظروا إلى تاريخ أسلافهم بشيء من الموضوعيّة والإنصاف؟ لماذا

ينتظرون دائماً حتّى تأتي التّحليلاتُ والانتقاداتُ من غير المسلمين؟ لماذا يتجاهلون كلَّ من يخالفهم ويصفونه بالأوصاف التي لم يعد يستعملها غيرُهم؟ لماذ ولماذا؟

عسى أن نعرف السّبب يوماً من الأيّام!

خاتمة

حينما تبدأ حملة الانتخابات في بلد من البلدان الغربيّة ـ وقد أصبحتْ شعوبُنا مفتونةً بالبلدان الغربيّة ـ يبحث الإعلام في تفاصيل حياة المرشّحين، لأنّه يعتقد أنّه من حقّ المواطنين أن يعرفوا كل شيء عمّن سيحكُمهم! فتراهم لذلك يبحثون في حياته الدّراسيّة والمهنيّة والعائليّة، ولا يهملون أيّة جزئية. أمّا في بلداننا فإنّ الإعلام يدقّ الطّبول للمرشّح الوحيد الذي حكم ويحكم وسيحكم إلى أن ينتقل من كرسيّه إلى قبره! فالحاكم عندنا غير الحاكم عندهم. الحاكم عندهم شخصٌ يمكن أن يكون قد اقترف يوماً ما في ماضيه جريمةً ما، لا يستحقّ بموجبها أن يحكم من لم يرتكبوا تلك الجريمة؛ وبعبارة أخرى لا يستحقّ أن يحكم من هم أفضل منه. فهم يحبّون أن يحكمهم من هو خيرٌ منهم أو على الأقلّ من هو مثلُهم. وأمّا نحن ـ في بلداننا الإسلاميّة ـ فقد حسمنا المسألة وتيقّنّا أنّ حاكمنا العتيق هو أفضل أبناء مجتمعه، وكلُّ خير قد يحصل في البلد فهو نتيجة رعايته واهتماماته، حتى حينما يفوز رياضيّونا بميدالية أو يتأهّلون إلى مراحل متقدّمة فإنّ الفضل يرجع أوّلاً إلى الحاكم، مع أنّه لم ينزل إلى الميدان ولم يشارك بشيء. فالحاكم شريكٌ في كل فوز، لكنّه لا يشاركنا أيّة خسارة. نظرتنا إلى الحاكم تختلف عن نظرتهم تماماً، ولعلّ أسباب الاختلاف كثيرةٌ، لكنّ الواضحة منها هي أنّ مثقّفيهم لا يبالون أن يخالفوا الحاكم ويصرخوا في وجهه، وينزلوا إلى الشّارع هاتفين بسقوطه، ويذكّروه دائماً أنّه واحدٌ منهم؛ بينما يتبارى كثيرٌ من مثقّفينا في التّزلّف إلى الحاكم متخلّين عن كرامتهم، يكيلون له مديحاً بأوصاف تتبرّأ منه، وينعتون معارضيه ومخالفيه بنعوت هم أعلم النّاس بخلوّهم منها! ولو دقّقنا النّظر لرأينا هذه السّيرة في المثقّفين

قديمةً راسخةً ! إنّها تعود إلى قرون متطاولة حكم فيها العبّاسيّون والأمويّون ومن قبْلهم. حكموا باسم الإسلام دون أن يحترموا الإسلام، وما المغيرة بن شعبة إلاّ نتاجٌ من نتاجات تلك الحِقَب. رجلٌ لم يكن يهمّه إلاّ شهوة فرجه وسبّ الصالحين، تجده يتقلّب في المناصب ويتعالى على البدريّين الذين زعم المحدّثون أنّ الله تعالى قال لهم: "اعملوا ما شئتم فإنّي قد غفرت لكم"! إذا كان للبدريّين منزلةٌ عند الله تعالى فلماذا لا يحترمهم المغيرة بن شعبة؟ ولماذا لا يحترمُهم المحدّثون أنفسُهم؟ لماذا يسمحون بسبّهم وشتمهم من طرف المغيرة بن شعبة؟

إنّ الملتزم بمبادئ الإسلام إذا طالع سيرة المغيرة بن شعبة لا يسعه إلاّ أن يأخذ الموقف الذي يأخذه الإسلام، وأن يعامل المغيرة بما تعامله به مبادئ الإسلام، ويكفي لبيان ذلك أنّ المغيرة يتبجّح بأنّه "أوّل من رشا في الإسلام"، أي أنّه يفتخر بالرّشوة، وصاحب الرّشوة ملعونٌ! فأين الحرج في أن يقول مسلم: إنّ المغيرة بن شعبة يفتخر بالفعل الذي يجعل صاحبه ملعوناً؟!

أين الحرج في أن يقول المسلم : إنّ المغيرة بن شعبة كان يؤذي رسول الله(ص) يوميّاً حينما كان يلعن الإمام علياً (ع) ويوظّف للَعْنه الخطباء؟

وإذا كان الخليفة عمرُ بن الخطّاب يقول للمغيرة بن شعبة وجهاً لوجه " إنّما أنت امرؤٌ فاسقٌ"، فأين الحرج في أن يقول المسلم ـ وخصوصاً من يقتدي بعمر بن الخطّاب ـ: إنّ المغيرة بن شعبة امرؤٌ فاسقٌ؟

هذه الأسئلة وأمثالها موجّهةٌ إلى الذين يطالعون بحُرّيّة، ويفكّرون بحُرّيّة، ويحقّقون بحُرّيّة، لا إلى أولئك الذين سجنهم الماضي في ألفاظ يلوكونها، وحنَّطَهُم

في مصطلحات يردّدونها، وعزلهم عن الحاضر وآيسهم من المستقبل. أولئك لن يفهموا لغة الحرّية ما داموا قد اختاروا أن يكونوا سُجناء، ولا يغيّر الله ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم. ومرّةً أخرى أذكّر أن أمام الباحثين طريقاً طويلاً شائكاً ومضنياً، ليس يثبت على السّير فيه سوى من علت هممهم وترسّخ يقينُهم وصفت سرائرُهم، لأنّ التّحقيق في ما جرى في تاريخ المسلمين يصطدم بصنميّة متصلّبة تتزعّمها فئةٌ من أعراب نجْد ترى الشّرك في كل شيء، وترفض أن يتنفس النّاس من الهواء زيادةً على المقدار الذي سمح به شيوخ السّلف الذين لا يزالون يرسلون الأوامر من قبورهم.

هذه الفئة لن تسمح بالتّحقيق في التّاريخ بنزاهة وموضوعيّة ومحاولة بيان الأمور كما جرت؛ لن تسمح بذلك مهما حصل، وهي ستوظف الملايين من دولارات النّفط، وتستعين بكل الموهوبين الذين يحسنون التّمثيل والحديث أمام الكاميرا والتّباكي على الماضي وكأنّ ربّ الماضي غير ربّ الحاضر! سوف يزداد عدد القنوات الفضائيّة التي تمجّد طواغيت الماضي وتتملّق طواغيت الحاضر، وتلقي باللائمة دائما على الشّعوب لأن الله تعالى ـ في زعمها ـ قد اختار الحاكمين وجعلهم ظلّه في أرضه.

سوف تتصدّى هذه الفئة إلى كلّ من يقول كلمة الحقّ لتسْتحْمقَه وتسْتهْجنَه، وترى فيما يقول وما يكتب جرأةً على مقام الماضي وتشويهاً للدّين، ومحاولة للطّعن في الأخيار،و..و..

هذه الفئة نفسها لا تبالي أن ترى حكّامها يقرعون كؤوس الخمر مع كبار

مجرمي العصر، ويسكتون حينما ينبغي الصراخ، ويصرخون حينما ينبغي السكوت، ويشمتون بالقريب الصّديق ويتسابقون إلى خدمة العدوّ.

هذه الفئة تعدّ أبطال الجنوب وحماس مغامرين لا يجوز دعمهم ونصرتهم ولا حتى الدّعاء لهم!

هذه الفئة تحاكم الأبرياء دفاعاً عن المجرمين، وتأسف أنها لم تحضر الجمل وصفّين والنّهروان لتشفي غيظها من رسول الله(ص)وأهل بيته(ع)!

هذه الفئة ترى في المغيرة بن شعبة ـ رغم كلّ جرائمه ـ رمزاً من رموز الإسلام، وتسمّي باسمه المساجد والمدارس، وترى في مجرد انتقاده ـ اعتماداً على محكمات القرآن الكريم ـ مساساً بتاريخ الإسلام ومقدسات الإسلام! ولو كان المغيرة بن شعبة موالياً لمحمّد وآل محمد(ص) وتلبّس بما تلبّس به من الجرائم التي لا مفرّ لهم من الاعتراف بها، لتبارى كبارهم في التّهكم به والسّخرية منه، ولاتّخذوه مبرّراً للتّهجم على شيعة أهل البيت (ع)، ولحاولوا أن يجعلوا منه مثالاً للشّيعيّ في كل زمان ومكان! لكنّ المغيرة منهم، ولا يعدوهم إلى غيرهم، والطّيور على أشكالها تقع، فليدافعوا عنه ما شاءوا ، لكن رجاءً، ليتوقفوا عن الدّفاع عنه باسم الإسلام، لأنّ إسلام المغيرة، والدّين الذي جاء به رسول الله(ص) خطّان متوازيان لا يلتقيان أبداً.

١٤ جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ

مصادر الكتاب

١. أبجد العلوم /القنوجي/دار الكتب العلمية/بيروت ١٩٧٨/اسم المحقق عبد الجبار زكار.
٢. الآحاد والمثاني / ابن أبي عاصم / دار الدراية ١٤١١هـ.
٣. الآحاد والمثاني / الشيباني / دار الراية / الرياض ١٤١١ هـ- ١٩٩١.
٤. أحسن التقاسيم/ محمد المقدسي / وزارة الثقافة والإرشاد القومي /دمشق ١٩٨٠.
٥. أخبار مكة /الفاكهي / دار خضر / بيروت /١٤١٤.
٦. اختلاف الحديث/ الإمام الشافعي/مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٥هـ
٧. أسد الغابة/ ابن الأثير / انتشارات إسماعيليان طهران.
٨. الإصابة في تمييز الصحابة/ابن حجر العسقلاني/دار الجيل بيروت ١٤١٢ ط١
٩. الإصابة/ ابن حجر العسقلاني /دار الكتب العلمية / دار الجيل /بيروت، ١٩٩٢م
١٠. الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة/الطائي الجياني/ دارالجيل/ بيروت ١٤١١ط١.
١١. أنساب الأشراف/البلاذري/دار الفكر بيروت لبنان ١٩٩٦م.
١٢. الأوائل/سليمان بن أحمد الطبراني/مؤسسة الرسالة،دار الفرقان بيروت ١٤٠٣ ط ١ .
١٣. الأوائل/ابن أبي عاصم/دارالخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت/ تحقيق محمد العجمي.
١٤. البداية والنهاية / ابن كثير/ مكتبة المعارف، دار إحياء التراث العربي، بيروت / ١٤٠٨ م.
١٥. تاج العروس / الزبيدي /منشورات مكتبة الحياة ، بيروت.
١٦. تاريخ الإسلام /الذهبي، د٩ار الكتاب العربي/بيروت - ١٩٨٧م/ تحقيق: د. تدمرى.
١٧. تاريخ الأمم والملوك / الطبري/دار الكتب العلمية/ بيروت/١٤٠٧الطبعة الأولى.
١٨. تاريخ الخلفاء / السيوطي / مطبعة السعادة / مصر ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

١٩. تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. تاريخ خليفة بن خياط /العصفري/دار القلم، مؤسسة الرسالة/دمشق، بيروت ١٣٩٧هـ
٢١. تأويل مختلف الحديث/ ابن قتيبة / دار الكتب العلمية /دار الجيل بيروت ١٣٩٣.
٢٢. التعريفات / الجرجاني / دار الكتاب العربي / بيروت ١٤٠٥ الطبعة : الأولى.
٢٣. التمهيد والبيان /المالقي الأندلسي/دار الثقافة/ الدوحة – قطر ١٤٠٥ هـ الطبعة الأولى.
٢٤. تهذيب التهذيب/ابن حجر / دار الفكر بيروت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤.
٢٥. تهذيب الكمال/ المزي / مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦ هـ
٢٦. التوقيف على مهمات التعاريف/المناوي/ دار الفكر المعاصر/دار الفكر بيروت/ دمشق ١٤١٠.
٢٧. الجهاد /عبد الله بن المبارك/دار المطبوعات الحديثة /الدار التونسية تونس ١٩٧٢.
٢٨. الحدود الأنيقة /محمد بن زكريا الأنصاري/ دار الفكر المعاصر/بيروت١٤١١.
٢٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/أبو نعيم الأصبهاني/دار الكتاب العربي/بيروت ١٤٠٥
٣٠. الدرر الكامنة /ابن حجر/مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/حيدرأباد/الهند ١٩٧٢
٣١. ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق/ الذهبي/مكتبة المنار ـ الزرقاء.
٣٢. الرياض النضرة /محب الدين الطبري/دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦م.
٣٣. سر السلسلة العلوية/أبو نصر البخاري/انتشارات الشريف الرضي ١٤١٣هـ
٣٤. السنن الكبرى/ أحمد بن شعيب النسائي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ
٣٥. السنن الكبرى/ البيهقي / دار الفكر بيروت / مكتبة دار الباز مكة ١٤١٤هـ
٣٦. سير أعلام النبلاء/ الذهبي / مؤسسة الرسالة / بيروت ١٤١٣ هـ
٣٧. السيرة النبوية/ابن هشام /مكتبة محمد علي صبيح و أولاده ١٣٨٣هـ.
٣٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب / عبد الحي الدمشقي/دار الكتب العلمية بيروت

٣٩. شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد /دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٩ م.

٤٠. صحيح ابن حبان/ محمّد بن حبان/ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤هـ

٤١. صحيح ابن خزيمة/ محمّد بن إسحاق بن خزيمة /المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٠.

٤٢. صحيح البخاري/البخاري/دار الفكر، بيروت/ دار ابن كثير، اليمامة بيروت ١٤٠٧هـ

٤٣. صفة الصفوة /ابن الجوزي / دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ هـ

٤٤. صفة المنافق / الفريابي / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت — ١٤٠٥.

٤٥. الصواعق المحرقة/ابن حجر الهيتمي/دار الكتب العلمية /مؤسسة الرسالة/ بيروت ١٩٩٧

٤٦. تاريخ مدينة دمشق/ابن عساكر/دار الفكر / بيروت ١٤١٥ هـ

٤٧. الطبقات / النسائي / دار الوعي حلب ١٣٦٩ - الطبعة الأولى.

٤٨. طبقات الحفاظ / السيوطي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ

٤٩. طبقات الشافعية/ابن قاضي شهبة / عالم الكتب / بيروت ١٤٠٧ هـ

٥٠. طبقات ابن سعد (القسم المتمم)/، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٤٠٨

٥١. طبقات المفسرين / الأدنروي / مكتبة العلوم والحكم /المدينة المنورة ١٩٩٧.

٥٢. طبقات خليفة / خليفة بن خياط العصفري / دار طيبة / الرياض ١٤٠٢ — ١٩٨٢م.

٥٣. العبر في خبر من غبر / الذهبي / مطبعة حكومة الكويت / الكويت ١٩٤٨

٥٤. العواصم من القواصم/ المعافري المالكي / دار الجيل بيروت ١٤٠٧ ط ٢.

٥٥. عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ موفق الدين السعدي/ دار مكتبة الحياة / بيروت.

٥٦. غريب الحديث / ابن قتيبة / دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ.

٥٧. الفائق في غريب الحديث / الزمخشري / دار المعرفة لبنان / الطبعة الثانية.

٥٨. الفائق في غريب الحديث/جار الله الزمخشري/دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ

٥٩. فتح الباري/ ابن حجر العسقلاني/ دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

٦٠. الفتنة ووقعة الجمل /سيف بن عمر الأسدي /دار النفائس بيروت، ١٣٩١ هـ

٦١. فتوح البلدان / البلاذري / دار الكتب العلمية / بيروت١٤٠٣ هـ.

٦٢. فتوح الشام / الواقدي / دار الجيل / بيروت .

٦٣. فضائل الصحابة / أحمد بن حنبل /مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٣ هـ الطبعة الأولى .

٦٤. فضائل الصحابة / النسائي/ دار الكتب العلمية/بيروت ١٤٠٥ هـ الطبعة الأولى.

٦٥. فضائل الصحابة أحمد بن حنبل/دار الكتب العلمية/مؤسسة الرسالة بيروت١٤٠٣هـ.

٦٦. فضائل المدينة / المفضل الجندي /دار الفكر - دمشق ١٤٠٧ هـ الطبعة الأولى.

٦٧. فضائل بيت المقدس / المقدسي / دار الفكر - بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م الطبعة الأولى.

٦٨. الفهرست / ابن النديم / دار المعرفة بيروت ١٣٩٨ هـ.

٦٩. الكامل في التاريخ / محمد بن محمد الشيباني/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥ هـ

٧٠. كتاب الأوائل/ ابن أبي عاصم / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت.

٧١. كتاب الفتن/ نعيم بن حماد /مكتبة التوحيد القاهرة ١٤١٢/دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ

٧٢. كشف الظنون/مصطفى الرومي الحنفي/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ

٧٣. لسان العرب / ابن منظور / دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى.

٧٤. مختار الصحاح /الرازي/مكتبة لبنان ناشرون/بيروت١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م طبعة جديدة

٧٥. مسند أحمد/ الإمام أحمد بن حنبل / دار صادر /بيروت / مؤسسة قرطبة /مصر

٧٦. مشاهير علماء الأمصار / ابن حبان / دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٥٩م.

٧٧. المصنف / عبد الرزاق الصنعاني / المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣ هـ

٧٨. معجم البلدان/ ياقوت الحموي/ دار الفكر / دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ

٧٩. معجم البلدان/ياقوت الحموي/دار الفكر /دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٩٧٩م.

٨٠. معجم الصحابة/ابن قانع/مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ١٤١٨ هـ

٨١. معجم ما استعجم / البكري الأندلسي /عالم الكتب — بيروت ١٤٠٣هـ الطبعة الثالثة.

٨٢. معرفة القراء الكبار / الذهبي / مؤسسة الرسالة — بيروت ١٤٠٤ هـ الطبعة الأولى.

٨٣. مقاتل الطالبيين/ أبو الفرج الأصفهاني / مؤسسة دار الكتاب .

٨٤. المقدمة / ابن خلدون / دار القلم - بيروت ١٩٨٤ الطبعة الخامسة.

٨٥. المناقب / الموفق الخوارزمي /مؤسسة النشر الإسلامي قم إيران ١٤١١هـ

٨٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / ابن الجوزي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢ هـ

٨٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / ابن الجوزي / دار صادر بيروت ١٣٥٨هـ

٨٨. النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير /مؤسسة إسماعليان ـ إيران ١٣٦٤هـ

٨٩. وفيات الأعيان / ابن خلكان / دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٨.

٩٠. مختار الصحاح/ الرازي/مكتبة لبنان ناشرون/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥ هـ

محتويات الكتاب

كلمة العلامة المحقق والمدقق الشيخ اليوسفي الغروي ـ حفظه الله تعالى ـ ٥
كلمة العلامة المحقق والمدقق السيد علي الحسيني الميلاني ـ حفظه الله تعالى ـ....... ٧
كلمة العلامة المحقق والمدقق الشيخ عليّ الكَورانيّ العاملي ـ حفظه الله تعالى ـ....... ٩
حديث المؤاخذة بعمل الجاهلية ٢٣

الفصل الأول
(ثقيف) قبيلة المغيرة بن شعبة

ثقيف ٣٣

الفصل الثاني
المغيرة (نسبه وبعض صفاته)

قالوا في المغيرة بن شعبة ٥٥
كنية المغيرة:.. ٥٧
صفة المغيرة ٦٠
تربية المغيرة ٧١

الفصل الثالث
إسلام المغيرة بن شعبة

قصة إسلام المغيرة بن شعبة ٧٨
ثمّ كان اللقاء ٩١
رواية للشريد بخصوص عمر ٩٥

الفصل الرابع
أخبار المغيرة بن شعبة

١- مع النبي صلى الله عليه وآله ١٠٧

٢-مع أبي بكر: ١٠٩
٣-مع عمر بن الخطاب..........١١٤
٤- مع عثمان..........١١٧
٥- مع علي عليه السّلام..........١٢٠
٦ـ مع معاوية:..........١٢٢
٧- مع عبد الرحمن بن عوف ١٣٠
أوّل من رشا في الإسلام!..........١٣٤
المغيرة يتملّق عمر:..........١٣٦
المغيرة و الرشوة ١٧٧
منزلة المغيرة عند الخلفاء ١٨٠
في دولة أبي بكر:..........١٨٢
في دولة عمر..........١٨٤
تقلّب المغيرة في المناصب على عهد عمر ١٩٠
في دولة عثمان..........١٩١
في دولة علي بن أبي طالب(ع) ١٩٤
في دولة معاوية:..........١٩٩
دور المغيرة في بيعة يزيد:..........٢٠٣
المغيرة والرّياء: ٢٠٤

الفصل الخامس
أعمال المغيرة المنافية للإسلام

سبّ علي (ع) ٢٢٥
المغيرة يغشّ حزبه ٢٤٢
المغيرة والرشوة ٢٤٤

الفصل السادس
المغيرة والنساء

الزنا في الجاهلية ٢٦٩
قصة زنا المغيرة ٢٧٢
جزاء الإحسان ٢٨٨

الفصل السابع
أقوال في المغيرة بن شعبة

أقوال في المغيرة بن شعبة ٣٠٧
رأي الإمام علي(ع) في المغيرة ٣١٢
رأي عمر بن الخطاب في المغيرة ٣١٣
مواقف من المغيرة ٣١٦

الفصل الثامن
الحقد على الإمام علي(ع)

الحقد على الإمام علي (ع) ٣٢٣

الفصل التاسع
أثر المغيرة في الحديث النبوي الشريف

روايات المغيرة ٣٥١

الفصل العاشر
عقائد المغيرة

١- عقيدة المغيرة في النّبي(ص) ٣٩٥
٢- موقف المغيرة من السنّة ٣٩٥
٣ - دور المغيرة في استلحاق زياد ٣٩٥
٤- المغيرة الفقيه ٣٩٥
٥ - من أقوال المغيرة ٣٩٥
المغيرة الفقيه ٤٠٩
من أقوال المغيرة ٤١١
دور المغيرة في استلحاق زياد ٤١٣

الفصل الحادي عشر
وفاة المغيرة

سبب وفاة المغيرة ٤٢٥
قبر المغيرة ٤٢٩
قبل الختام ٤٣٥
خاتمة ٤٤٣
مصادر الكتاب ٤٤٧
محتويات الكتاب ٤٥٣

مركز المستبصرين

التابع لمؤسسة الامام الهادي عليه السلام